الأمير شكيب أرسلان

مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر

الدار التقدمية

مراسلات من أمير البيان
إلى كبار رجالات العصر

الأمير شكيب أرسلان / مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجالات العصر

قدّم له:

الأستاذ نجيب البعيني

الدار التقدّمية

المختارة - الشوف - لبنان

هاتف: ٩٦١-٥/٣١٠٥٥٥ - ٩٦١-٥/٣١١٥٥٥

E – mail: moukhtarainf@terra.net.lb

http: //www.daraltakadoumya.com

الطبعة الثانية، آذار ٢٠١١

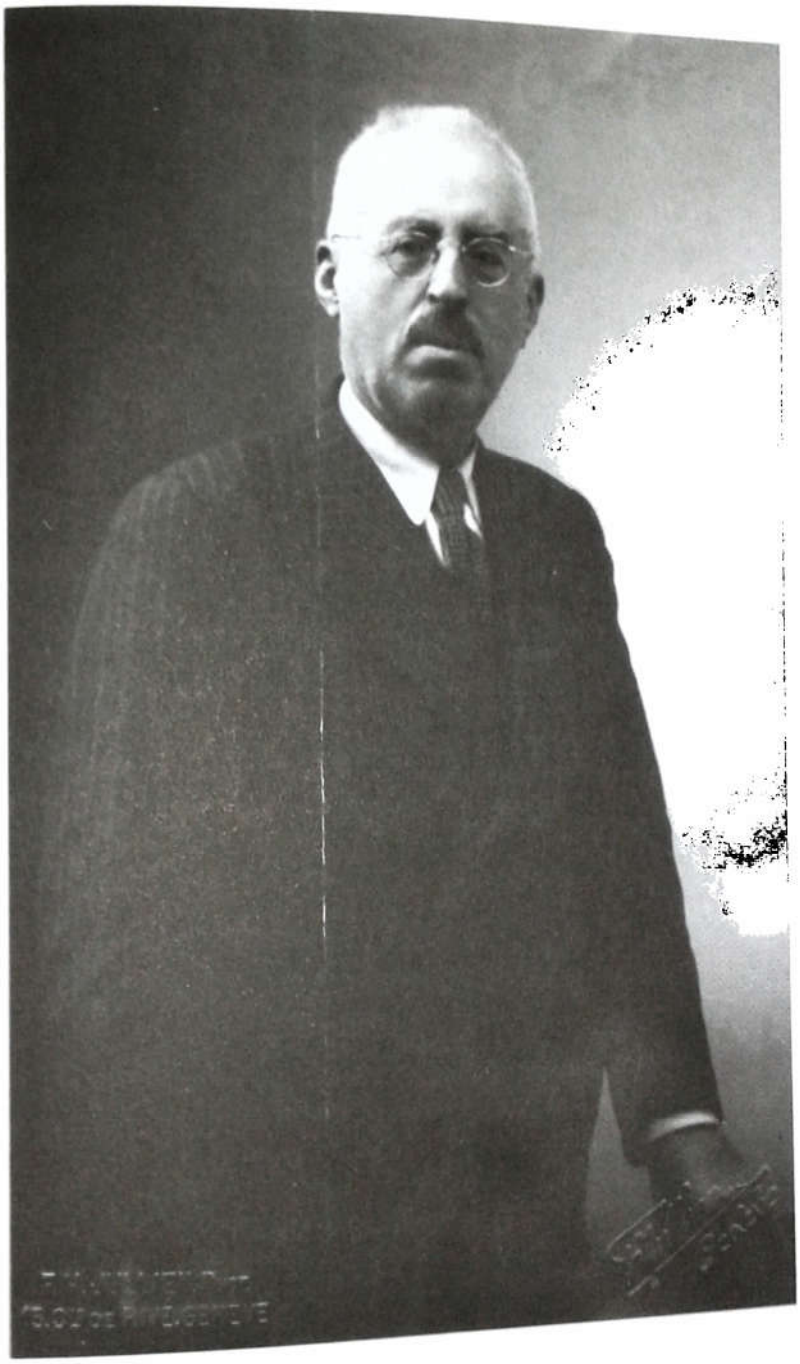
الأمير شكيب أرسلان

مراسلات من أمير البيان
إلى كبار رجالات العصر

تقديم

الأستاذ نجيب البعيني

الدار التقدّمية



مقدّمة الناشر

لمّا كان للأمير شكيب أرسلان يدٌ طولى في السياسة والاجتماع والأدب والفقه، ولمّا كان له من الغربة عن وطنه وما تؤول إليه، نصيب، ولمّا كان يرغب بدفع كلّ اعتداء على المسلمين في دينهم ودنياهم، ويشغل فكره باحثًا ويدأب على إعانة إخوانه العرب في كلّ مكان، ويبثّ ما يكنّه من حبّ وتقدير لأحبابه وأصحابه فقد اتّكل على أمرين: قلمه وقوّة عقله، وهو الذي آمن بأنَّ «العلم يجب أن يزيد ولا يجوز فيه الوقوف».

ومن طريف ما قاله الأمير شكيب أرسلان في إحدى رسائله وما ينمّ عن سعة صدره وحسن مقصده:

«سأبقي تتمّة كتابي هذا إلى يومٍ آخر لأني كتبتُ كثيرًا اليوم، وبرغم غسلي العيون بالبابونج الحارّ مرّتين، لا أزال أشعر بحريق خفيف بالعيون».

كان الأمير شكيب يعتقد أنَّ منتهى السعادة هي في تباري عقل الإنسان وعلمه، مع أخلاقٍ رضيّة وشمائل ذكيّة وحلم وعواطف إنسانية، وكرم في إسداء المعروف وإغاثة الملهوف وإيناسٍ في رأي... وهو بذلك كان كمن يصف نفسه وهو «هو البحر من أيّ النواحي أتيتَهُ».

ولعلَّ هذا الكتاب الشامل لمواضيع شتّى قد شكّلت رسائله جزءًا من السعادة له ولنا وللباحث والقارئ على السواء.

الدار التقدّمية

المقدّمة

استرعى انتباهي أمير البيان شكيب أرسلان أكثر من غيره من المفكرين والأدباء والشعراء، وأهاب بي حافز قوي لكي أُعنى بجمع تراثه ولمّ ما تبعثر منه هنا وهنالك.

قد يكون ذلك لأنه رجل سياسي صريحٌ وواضحٌ في مبادئه وأفكاره، أو لأنه مؤرخٌ عاصر الأحداث العربية وخبرها عن كثب، ودوّنها بقلم الخبير المخلص الصادق، أو لأنه ينتمي إلى عائلة عريقة في الحسب والنسب، تمتدُّ جذورها إلى الملك المنذر بن النعمان بن ماء السماء اللخمي، أو لأنه أُبعد عن أرضه ووطنه فعاش بعيداً عن أهله وأصحابه في غربة ووحشة وحنين، أو لأنه كان مالىء الدنيا وشاغل الناس فترة طويلة من الزمان امتدّت أكثر من نصف قرن، ولم يكتب عنه من وفّاه حقّه ككاتب لامع، وصحافي قدير، وشاعر مجلٍّ، ومؤرّخ بحّاثة، ولغوي ضليع، وسياسي مميّز. وقد يكون مردُّ ذلك إلى أن الأمير كان في جميعها أكبر من أن تحيط به الأقلام لتكتب عنه، أو لأن ثمة زوايا سرّية وقضايا سياسية لم يُكشف النقاب عنها وبقيت في مطاوي النسيان، وفي ذمة التاريخ ولم يذكرها المؤرخون أو يشيروا إليها بالبنان.

فانكببت على تراث الأمير أُنقّب عنه، وأتتبعه في حنايا كل زاوية وفي مهبّ كل ريح، حتى جمعت منه الكثير، واخترت منه المهمّ الذي لم ينشر سابقاً، والمهمّ الذي نشر قديماً في صحف نادرة الوجود أخرجته عن حيّز الاطّلاع فعاد كأنَّه لم ينشر، وجئت به مجموعاً في هذا الكتاب لعلّي في هذا الجهد المتواضع، أُتمّم ما أهمله المنقّبون عن الأمير العظيم الذي كان سيّداً من سادة القوم، وفرداً من الأعلام الكبار القلائل، وأضفته إلى كتابين سبق أن قدّمتهما عنه هما:

١ ـ أمير البيان شكيب أرسلان ومعاصروه، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٣.

٢ ـ أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩٥.

هذا الكتاب الثالث، يأخذ طريقه إلى الظهور يحمل بعضاً من رسائل الأمير. أقول بعضاً لأن رسائل الأمير تعدُّ بالآلاف تبادلها مع كبار رجال العصر ومفكّريه، في مواضيع شتّى تناولت السياسة واللُّغة والعلم والأدب وخصوصاً القضايا الوطنية والعربية والإسلامية. وكانت له علاقة وطيدة مع معظم الأعيان في ذلك الزمان، ومع القادة والزعماء وأُولي الشأن في أوروبا والبلدان العربية. لأن

في كلتيهما كانت تعصف الدسائس من كل جانب، وتحاك المؤامرات، وكان للأمير يدٌ فاعلة، ونشاطٌ مبذول، وكثيراً ما توسَّل بالرسائل تنوب عنه في مساعيه الوطنية الخيّرة.

تقلّب الأمير في مناصب كثيرة، فانتخب عضواً في مجلس المبعوثان، وعيّن في قائمقامية الشوف، فضلاً عن مهمات حسّاسة أُسندت إليه في الدولة العثمانية، إلاّ أنّ القضايا الوطنية والعربية شغلته، وأبقته في معركة مستمرّة مع القوات المستعمرة طوال حياته.

ورسائل الأمير تناثرت في كل مكان، وليس جمعها بالأمر اليسير. وكان عليّ أن أراجع أصحابها بإلحاح وتكرار، فلقيت من بعضهم الترحيب والأريحيّة ويداً مساعدة كريمة، كما لقيت من بعضهم امتناعاً وخلق أعذار واهية بادية التهرب، لكنني استطعت بحمد الله أن أجمع من الرسائل ما يرضي فضول الراغبين في الاطّلاع، وسوف أن أستمرّ في بحثي حتى إذا ما تسهّلت الأمور أسوقها إلى القارىء الكريم تباعاً، وخصوصاً أن عدداً منها ما زال في المغرب وسوريا والجزائر وتونس والقاهرة وبرلين وجنيف وروما وباريس.

والسفر إلى تلك البلدان ليس في هذه الأيام بالأمر اليسير، بل هو من عمل مؤسسة تتوافر فيها المقومات اللازمة لهذه المهمة.

* * *

وللرسائل التي تبادلها الأمير مع آخرين، قيمة أدبية واجتماعية وتاريخية وسياسية مهمّة، وقد تناولت فترة معينة من الزمن.

كان الأمير من ألمع الشخصيات، لا يهدأ ولا يضيّع دقيقة واحدة من وقته، دائم التحرك والتنقّل، مُحاطاً بفريق عمل لا يكلّ ولا يملّ. ففي إحدى رسائله إلى المجاهد المغربي محمد علاّل الفاسي يقول: «... يوم عيد رأس السنة عملنا أنا وكاتبي حساب ما صدر عن قلمي من المكتوبات سنة ١٩٣٥ من أول يناير (كانون الثاني) إلى ٣١ ديسمبر (كانون الأول) نقلاً عن دفتر قيود المكاتيب:

يبلغ عدد المكاتيب الخصوصية ١٧٨١، وعدد المقالات ١٧٦، وقصيدتين ومقطوعة. وعدا ذلك حرّرت كتاباً عن شوقي ٣٥٠ صفحة وحواشي ابن خلدون ٥٦٠ صفحة، وطبعت (روض الشقيق) ديوان أخي وذيّلته بتفسير وأودعته ترجمة أخي ونسب العائلة، ملخّصاً، لأن الأصول أطول مما قرأتموه في روض الشقيق...

وفي هذه السنة أيضاً، ١٩٣٥، كتبت قسماً غير قليل من الجزء الأول من كتاب الأندلس...

ومثلت ديواني للطبع وعلّقت عليه تفسير بعض الألفاظ... وكتاب ليفي بروفنسال لخّصته كلّه في هذه السنة... فأنت ترى أن همّتي همّة شباب لا همّة شيوخ...».

يُستدل من هذا أن الأمير كان مغرقاً يومياً بمئات الاتصالات، فيومه مملوء بالعمل، ووقته ضيّق بها.

ومراسلات الأمير كانت مع كبار رجالات العصر، نذكر منهم على سبيل المثال:

شكري القوتلي، خليل مطران، شبلي الملاّط، رياض الصلح، هاشم الأتاسي، فارس الخوري، جميل مردم بك، عارف النكدي، أمين ناصر الدين، عبد اللّه البستاني، محمد كامل القصّاب، الحبيب بو رقيبة، عبد السلام بنونة، الطيب بنونة، أحمد بلافريج، التهامي الوزّاني، محمد تقي الدين الهلالي، محمد الأخضر العيساوي الطرابلسي، عبد الخالق الطريس، صالح بوصير الليبي، محمد علي الطاهر، أكرم زعيتر، عجاج نويهض، حبيب جاماتي، وهبة طليع، الحاج محمد أمين الحسيني، الملك فيصل الأول، الملك عبد العزيز آل سعود، أمير اليمن سيف الإسلام، الشيخ عبد العزيز جاويش.

أما الرسائل التي حصلت عليها من عدة مصادر، فقد استغرق جمعها نحو ثلاث سنوات متواصلة.

- معظم هذه الرسائل بخط يد الأمير، وهناك رسائل قليلة أملاها على أحد كتّابه، وكان هذا شأنه عندما كان يعجز عن الكتابة بسبب سوء صحته، أو إرهاقه من العمل المتواصل في الكتابة. وقد يضيف إليها بخطّ يده أحياناً أو يعدّل فيها عندما يقتضي الأمر ذلك.

- رسائل الأمير بالخط «النسخي» مع ميله إلى الخط «الرقعي» في بعض الأحيان، حروفه واضحة، جلية، غير متلاصقة، وبخط أنيق، فالسين أو الشين بأسنان، ويحرص على فتحة القاف، ووضع نقطتين منفصلتين فوقها.

- وهو يتبع القاعدة الإملائية القديمة، فيكتب مثلاً كلمة: مسألة هكذا «مسئلة»، ومسؤول يكتبها «مسئول»، ولا يضع الهمزات الواجب وضعها.

- يكتب بالحبر السائل وعلى صفحتي الورقة، وفي بعض الأحيان يكتب على صفحة بغير تظهير، ويضبط بالشكل الكلمات التي يراها محتاجة إلى الضبط.

- لا يلتزم بحجم معين من الورق، فيستعمل الورق من الحجم الكبير، وبعضها من الحجم

الصغير، وبعضها مطبوع عليه أسماء فنادق، في لندن أو في لوزان أو في باريس، مما يدلّ على أن الأمير كان على انتظام في الكتابة في حلّه وفي ترحاله.

ـ والرسالة تكون أحياناً صفحة أو نصف صفحة، وأحياناً تكون في عشر صفحات أو خمس عشرة صفحة. والملاحظ أنه كان يطيل إذا كان الكلام يتناول شؤوناً سياسية أو قومية أو وطنية.

ـ لا يضع الأمير أرقاماً للصفحات إلاّ في النادر، وقد وضع أحياناً حيث وجب ذلك للمحافظة على سياق الرسالة.

ـ يؤرّخ رسائله أحياناً بالتاريخ الميلادي، وأحياناً بالتاريخ الهجري، وأحياناً الشهر من أحدهما والسنة من الآخر، ويضع التاريخ في صدر الصفحة أو في أسفلها، وأحياناً يكتب اليوم والشهر ويترك السنة، اعتقاداً منه أن المرسل إليه يعرفها من زمن إرسالها، وأحياناً لا يكتب التاريخ.

ـ يكتفي الأمير بذكر النعوت والصفات. مثل (جناب ولدنا. . .) (الأخ الأجل الأفضل) (الأعزاء المكرّمين) (سيّدي الأخ الأستاذ. . .).

ـ لا يذكر عبارة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أو (كلمة تحية طيبة) في بدء الرسالة، أو عبارة (أطال الله بقاكم) في آخرها.

ـ يستعمل الأمير بعض الصفات للدلالة على بعض الأشخاص على طريقة الرمز أو للاختصار، ولدى تتبّعنا هذه الرسائل وجدنا الدلائل على هذه الرموز وهي:

السنوسي: السيد أحمد الشريف السنوسي.
ابن لطف اللّٰه: الأمير ميشيل لطف اللّٰه.
الجناب العالي: الخديوي عباس حلمي الثاني.
المحنّك: الخديوي عباس حلمي الثاني.
صاحب الشورى: محمد علي الطاهر.
أبو الحسن: محمد علي الطاهر.

ـ يكون توقيع الأمير على الرسالة في معظم الأحيان:
(أخوك شكيب أرسلان)، أو أحياناً يوقّع (أخوك: أبو غالب)، فتكون كلمة (أخوك) في سطر و (أبو غالب) في سطر آخر.

ـ يضع الأمير في بعض الأحيان حواشي وهوامش، وتأتي هذه الهوامش في أول الرسالة أو في آخرها.

ـ تحمل بعض هذه الرسائل كلمة «خصوصي» يكتبها في أول الرسالة، أي (سري) لا يجوز اطّلاع الآخرين على مضمونها.

* * *

وقد أخبرني المؤرّخ عادل نويهض (توفي في عام ١٩٩٦) أن رسائل الأمير إلى أصدقائه في دنيا العرب والإسلام تبلغ المئات. وقدّر له أن يطّلع على عشرات منها مرسلة إلى المؤرخ البحّاثة عجاج نويهض (١٨٨٦ ـ ١٩٨٢)، وكانت في مكتبة هذا الأخير في (بيت المقدس) قبل النكبة في عام ١٩٤٨، وأنه اطّلع على رسائل أخرى موجّهة إلى المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني في الثلاثينات. كما أنه يتذكّر أن رجلاً من (عاليه) عرض عليه سرّاً شراء عدد من رسائل الأمير مرسلة إلى أحد أعيان جبل لبنان، ولكنه لا يتذكّر اسمه.

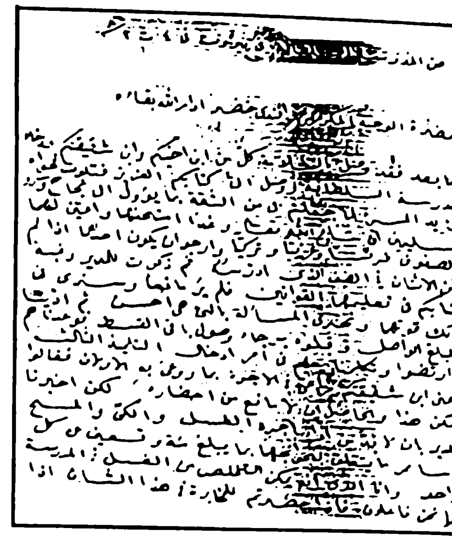
وأنا أيضاً عرض عليّ أحد أساتذة الجامعة اللبنانية في بيروت شراء عدد من الرسائل، فرفضت شرائها لأسباب مالية.

ونمي إليّ أن هناك نحو أربعين رسالة يحتفظ بها أحد الأشخاص ويطلب فيها سعراً مرتفعاً. وآخر قال لي في إحدى المناسبات أنه يملك رسائل قديمة للأمير من أيام المتصرفية، وذهبت إليه في الجبل عدة مرات فلم أوفّق، وتأكد لي أنه يطمع في الحصول على ثمنٍ عالٍ بها. وشخص آخر من الدكاترة الباحثين لديه إضبارة فيها عدد من الرسائل ليست ملكه استعارها واستمسك بها، وقد كلّفني صاحبها المحامي أن أُطالبه بها لكي أنزلها في كتابي نظراً لأهميتها، ولمّا سلّمته كتاب المحامي، أنكر وجودها، سامحه الله.

إن ثمة رسائل كثيرة للأمير شكيب أرسلان تعدُّ بالألوف، لكن حسبنا ما استطعنا الحصول عليه، وسنستمر في البحث، فقد يكون لنا عودة مرّة أخرى إلى رسائل الأمير شكيب، وإني لأرجو أن أكون بكتابي هذا قد خدمت الباحثين عن طريق نشر هذه الرسائل، وقد مضت على موت الأمير خمسون سنة.

لا شك في أن كثيراً من تراث الأمير قد ضاع، لكن بما أن ثمّة مرجعاً يُعنى الآن بجمع تراث الأمير، فإنني أرجو له التوفيق، وآمل أن يكون له وافر الحظ في اكتشاف الكثير من المخبآت الثمينة من قلمِ رجلٍ كان من عظماء هذا الشرق.

نجيب البعيني



الأمير ومحمد بك خضر

رسالة بعث بها الأمير شكيب يوم كان يلقي دروسه الأولى في المدرسة السلطانية في بيروت (من سنة ١٨٨٦ إلى سنة ١٨٨٨). مؤرّخة في بيروت، ٤ تشرين الثاني ١٨٨٦. إلى صديقه محمد أفندي خضر، يعلمه فيها بدخول ولديه المدرسة وببعض الشؤون الخاصة بهما، وهذه المدرسة كانت يومئذٍ ذات شأن كبير، ولا يتسنّى لأي كان الوصول إليها. يلاحظ في هذه الرسالة الفرق الواضح بين الخط الذي كتبت به وخط الأمير الذى اشتهر بطريقته الخاصة، كما أن توقيع الأمير طرأ عليه تعديل(١).

عن المدرسة السلطانية في بيروت في ٤ تشرين الثاني ١٨٨٦

حضرة الوجيه المكرّم محمد أفندي خضر أدام الله بقاءه

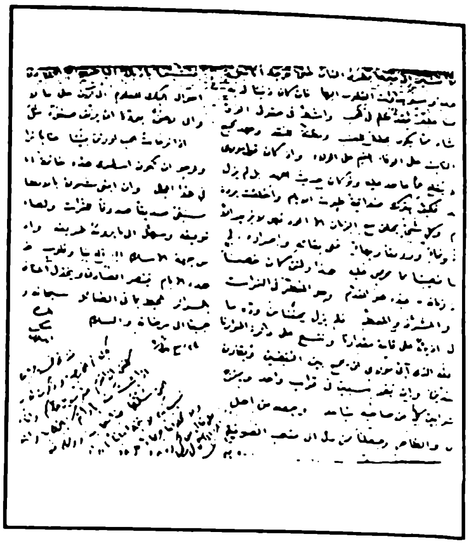
أما بعد فقد وصل بالسلامة كلٌّ من ابن أخيكم وابن شقيقتكم ودخلا المدرسة السلطانية، ووصل إليّ كتابكم العزيز فتلوت فحواه بمزيد المسرّة لما جعلتم بي من الثقة بما يؤول إلى نجاح وسرور السليمين إن شاء الله تعالى، وغداً أمتحنهما وأعيّن لهما الصفوف فرنسيًا وعربيًا وتركيًا، وأرجو أن يكون أحدهما إذا لم يكن الاثنان في الصف الذي أدرّسُهُ، ثم ذكرت للمدير رغبة جنابكم في تعليمهما القوانين فلم يرَ مانعاً وسنرى في ذلك قوتهما ونجري المسألة بالتي هي أحسن، ثم أدّينا المبلغ الواصل وقبلوه برجاء وصول باقي القسط فوعدناهم وارتضوا، وتكلمنا معهم في أمر إدخال التلميذ الثالث أعني ابن شقيقتكم مراعًى في الأجرة بما روعيَ به الأولان فقالوا يمكن هذا، والحاصل أن لا مانع من إحضاره، لكن أخبرنا المدير بأن لا بدَّ من أداء أجرة الغسل والكيّ والمسح وسائر ما يتعلق بحوائجهما بما يبلغ مئة وتسعين عن كل واحد، وأنا أدرى أنه يمكن التخلص من الغسل في المدرسة كما نحن فاعلون فإذا حضرتم للمخابرة في هذا الشأن إذا يمكنكم أن تغسلوا الثياب خارج المدرسة كان أوفق لكم، وقد استحصلنا وصلةً بالقيمة التي وصلت ورتّبنا

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

كل أمور التلميذين المحروسين ولا يكون في بالكم شيء شاغل من جهتهما، فقد تحرّينا معهما شأن من لا بني في معاملة أخونه وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ولعمركم الدوام.

بلغني أنه اتصل بعلمكم ما يخالف الواقع من جهة المدرسة، وهو كثرة السراح والمبالغة في إطلاق الحرية وهو أمرٌ لا أصل له وإنما الواقع أن التلامذة يخرجون كل شهرٍ يوماً على هذه الصورة وإن شاءوا بقوا في المدرسة كما في سائر المدارس، وعلى كل الأحوال فكما تفضلتم بتسليم الرأي لصديقكم بإذن الله يتبصَّر بما يلزم في مثل هذا اليوم وجنابكم كذلك قادمون إلى الإشتاء في جهتنا فلكم الخيار والسلام.

شؤون مع عبد القادر قباني



رسالة بعث بها الأمير إلى عبد القادر القباني، صاحب صحيفة «ثمرات الفنون» التي كانت تصدر في بيروت عن «جمعية الفنون الإسلامي» وقد أنشأتها الجمعية في عام ١٨٧٥، وعهدت بإدارتها إلى عبد القادر الذي كان أحد أعضاء هذه الجمعية، وما لبث القباني أن استقلّ بإصدارها وتحريرها، وقد استمرت بالصدور أربعة وثلاثين عاماً، إذ توقفت في عام ١٩٠٩. في هذه الرسالة يظهر له المودة ويذكّره ببعض المسائل. مؤرخة في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ ـ ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ م.

سيدي الفاضل الأمجد الأكرم حفظه الله

شرّفني الكتاب الكريم جواباً على كتابي القديم فتناولته بأنامل التوقير والتعظيم، وعلمت منه أن تخلُّف الجواب كان بسبب انحراف اعترى المزاج الكريم لا لعدم وجود بواعث وتجدُّد حوادث، فحمدت الله على مراجعة اعتدال مزاجكم أكثر مما حمدته على مراجعة الكتاب واستئناف العتاب، وإن كنت حريصاً على الثاني فإني على الأول أحرص وفي ذلك المقام أخلَص. ثم أمس أطلعني صديقكم إسكندر أفندي طراد على جوابكم وقرأت ما يتعلق بنا بحروفه ولا غرو أني مع ما فيه أنشدت مع القائل:

لئـــن ســـاءنـــي أن نلتَنـــي بمســـاءةٍ   لقـــد ســـرَّنـــي أنـــي خطـــرتُ ببـــالِكـــا

وسيدي وإن قطع فهو كريم المقاطعة وإن رجع فهو حميد المراجعة، وهو يعلم أنني ما أُثقل على غشاء مسامعهِ بتلك المعاتبات العريضة الطويلة والمكاتبات المملّة الثقيلة، إلا حرصاً على مودّة لا نحرص على كثير سواها معشار حرصنا عليها ولا نشير إلى غيرها بطرف البنان حتى نوجّه أناسيَّ العيون وسويداوات القلوب إليها، فإن كان ذنبنا لديه حرصنا عليه فقد ظلم في الحب وأشطَّ في حقوق الودّ وحاشاه ممّا يكون مجلبةً للعتب ومظنّةً للنقد وعهد الجميع أنه الثابت على الوفاء المقيم على الولاء، وإذا كان قول مولاي أنه لا يُقلع عمّا عاهد عليه ولو كان حديث العهد بل لم يزل في

المهد فكيف يترك صداقةً طوت الأيام وأخلقت بردة الأعوام، وكل شيء يخلق مع الزمان إلا الود فهو لا يزيد إلاَّ جدّةً ونماءً وبهاءً ففي بقائه وإصرارهِ لم يفتنا نصيبنا مما نحرص عليه. هذا ولئن كان خصمنا الأخير زمانه، عنده هو المقدَّم وهو المعطَّر في الثمرات والمبخَّر والمشرَّف والمعظَّم، فلم يزل يحفُّنا من ودّه ما تطول أذيالُهُ على قامة مقدارنا وتتسع على دائرة أطوارنا، والحمد لله الذي آتى مولاي أن يجمع بين النقيضين ويقارن بين الضدّين وأن يُغمد سيفين في قراب واحد ويمزج بين شرابين كلٍّ عن صاحبه متباعد.. وجعله من أهل الحسوس والظاهر وجعلنا ممن مال إلى مذهب الصوفية فتشبّثوا بأذيال الباطن، ثم الحمد لله الذي لم يَقِفَه من أحوال البك المعلوم إلى الآن على ما لا تبيضُّ به وجوه الصحائف وأني لأضُنُّ بودّنا أن يرنّق صفوَهُ مثلُ هذا، وأقول:

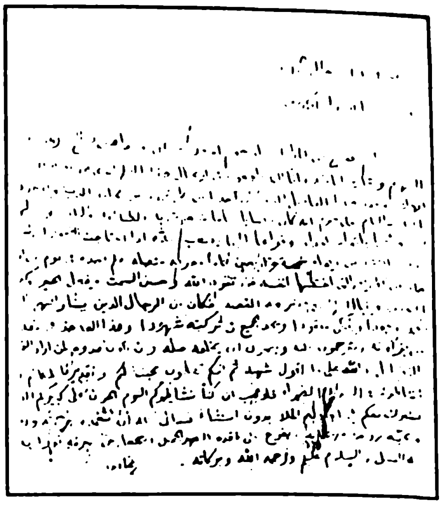
إذا نــزَعــاتُ الحــبِّ أورثـــن بيننـــا ... عتـــابـــاً تـــراجعنـــا وعـــاد العـــواطـــفُ

وأرجو أن تكون أسطري هذه خاتمة المقال وقافية الجدال في هذا المجال، وأن أبقى مشمولاً بالأنظار محفوفاً بالأنوار مستبقًى صديقاً صدوقاً للثمرات ولصاحب الثمرات، أدام الله توفيقه وسهَّل إلى ما يرومُهُ طريقَه والله أسأل أن ينظر من جهة الإسلام إلى قلوبنا وقلوب خصومنا في أخريات هذه الأيام، فينصر الصادق ويخذل المنافق لأنه العالم بالسرائر المحيط بما في الضمائر سبحانه وتعالى وهو يوفقنا جميعاً إلى مرضاتهِ والسلام.

شكيب أرسلان

٢٤ ربيع الأول/ ٣٠٨

منذ نحو خمسة عشر يوماً قابلت سعادة شمس الدين بك في الخارجية وذكرت له ثناءكم على سعادته، ولذلك كلفني أن أقوم عنه بسؤال خاطركم وأنا كنت منتظر جوابكم حتى إذا يئستُ منه بادأتكم بخطاب وأبلغتكم الأمانة التي سُلِّمتُها، هذا مع ما يبدو، فبحياة نسيب بك لا تبخلوا علينا بالأوامر ولا تحملوا ما جرى إلاَّ على الحرص على غالي مودتكم ولا يلام المرء إذا سعى في مصلحة نفسه.



كتاب تعزية إلى آل ملاعب

رسالة من الأمير إلى المشايخ آل ملاعب في (بيصور) يعزيهم بكبيرهم المرحوم الشيخ أبو يوسف أمين صالح ملاعب، صادرة عن جنيف في ١٨ شوال سنة ١٣١٠ هـ، ٦ أيار سنة ١٨٩٢ م[١].

جنيف ١٨ شوال سنة ١٣١٠ هـ

حضرة الأعزاء المكرمين المشايخ آل ملاعب المحترمين حفظهم الله

جاءني كتابكم فوقع مني المصاب بالمرحوم المبرور الشيخ أبي يوسف أمين صالح ملاعب وقع السهام وقلت إنّا لله وإنّا إليه راجعون في ارتحال هذا العلم الذي هو بقية الإخوان الأعلام، وفقد هذا الفاضل الذي كان آخذاً من كل محمدةٍ من محامد الدنيا والأُخرى بالنصيب التامّ، فلا جَرَم أنه كان مصاباً هاماً شعرت به الطائفة والبلاد وحولهما كلاًّ متوشحاً بأثواب الحداد وفراغاً أليماً يصعب سدُّه إذا احتاجت الثغورُ إلى السداد.

عرفت الفقيد من زهاء خمسة وأربعين عاماً معرفة متصلة فلم أجدْه في يوم من الأيام حاد عن الطريق التي اختطَّها لنفسه من تقوى الله وحسن السمت وفعل الخير وكرامة النفس ونبالة المسعى ونزاهة القصد، فكان من الرجال الذين يشار إليهم بالبنان يُحمدُ موجوداً ويُبكى مفقوداً ويجد الجميع في تزكيته شهوداً، وهذا العاجز في مقدّمة من يزكّونه ويترحمون عليه ويتمنون أن يخلفه مثله وأن يكون قدوة لمن أراد التحلي بالفضائل، والله على ما أقول شهيد. ثم إنكم تعلمون محبتنا لكم وتقديرنا لمكانكم وإنّنا نشاطركم في السراء والضراء فلا عجب إن كنّا نشاطركم اليوم الحزن على كبيركم الذي يشترك معكم في إجلاله الملأ بدون استثناء. نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه ويحيّيه بروحه وريحانه ويفرغ على فقده الصبر الجميل، ويجعل من سيرته نوراً يُضاء به السبيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات الأستاذ نديم نايف حمزة.

مساعي الأمير للعفو عن مسجونين

رسالة من الأمير شكيب إلى محمد بك صبرا الأعور (١٨٤٥ ـ ١٩٢١) الذي كان عضواً في مجلس إدارة جبل لبنان في عهد المتصرف نعوم باشا، تبين الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير في سبيل العفو عن مسجونين في قضاء حاصبيا والشوف، وتدلّ الرسالة على ما كان للأمير من نفوذ واسع ومكانة رفيعة لدى السلطنة العثمانية. وقد كتبها من بتدين في ٢٨ آب ١٨٩٨ م، الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٦ هـ.

رفعتلو محمد بك المحترم

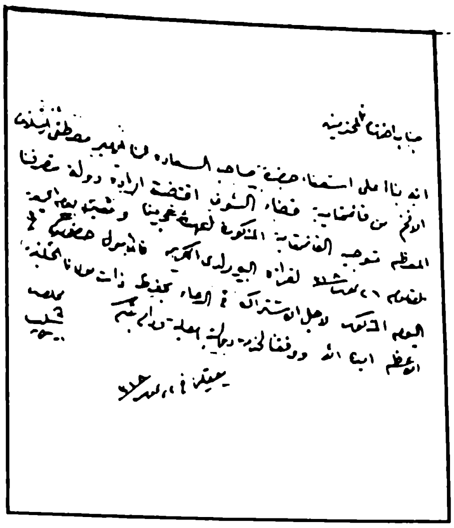
أخذنا تحريركم المتضمِّن التماس السعي في تخلية سبيل محابيس الدروز الذين قُبض عليهم أثناء الحوادث الحورانية في قلعة جندل إلى آخر ما ذكرتموه، والجواب: هؤلاء قوم لم يُحبسوا لجُرم سياسي فيشملهم العفو كما شمل غيرهم، إنما حُكم عليهم بمادة قتل رجل أرمني في الطريق وجُعل ذلك وسيلةً للتنكيل بهم، ولكن الحكم أيّدته محكمة التميـيز، وأصبح مبرماً بخمس عشرة سنة، وعليه فمادتهم صعبة جداً، ولا حيلة لهم بسوى صدور العفو الشّاهاني الذي يحل كل عقدة، واستمطالاً لصدور هذا العفو قد انتبهنا ونحن في بيروت عند صدور العفو عن المنقبين فأنشأنا للمحابيس المذكورين صورة معروض لكل من ولاية سوريّة وولاية بيروت ومتصرفية لبنان بحكاية حالهم وكيف أنهم قوم من لبنان ووادي التيم كانوا في حوران بقصد التعيُّش، فلما انقدحَتْ الحوادث المشئومة تركوا تلك البلاد فراراً من مشاركة أهلها فيما لا يرضي الحكومة السنيّة، وحضروا قاصدين أوطانهم، فلما وصلوا إلى قلعة جندل قُبض عليهم وسُلّموا إلى الحكومة، والحكومة ظنّاً بأنهم من الذين وقفوا في وجه العسكر حاكمتهم وحكمت عليهم بدعوى قتل رجل أرمني وُجد مقتولاً في الطريق حال كونهم أبرياء من قتله، وكونه يستحيل عقلاً أن يكون ٢٨ رجلاً قاتلي رجل واحد، وأي حاجة لذلك، إلى آخر ما ذكرناه في هذه العرائض وقد ختمناها منهم وقدمنا الواحدة إلى ولاية بيروت والثانية إلى ولاية الشام والثالثة إلى المتصرفية، وقد بعثنا نحن إلى ولاية سورية نرجو الإنهاء إلى الأستانة بالعفو عن المذكورين بنسبة مَنْ شملهم العفو ولم يَردْ الجواب، وسَعيُنا متواصل بحقِّهم، ثم إننا لم نكتفِ بهذا بل أنشأنا لهم صورة تلغراف استرحام إلى المابين الهمايوني والصدارة العظمى رأساً فيه ذكر جميع ما يلزم وأرسلناه تحت يد الشيخ طريف

المحمد والشيخ صالح اليوسف في عكًّا لأجل ختمه منهم وضربه إلى الأستانة، وقد أُطْلَعا على صورته كُلاًّ من الفريق والمتصرف اللذين في عكا ثم ضرباه وأرسلا لنا الوصل من التلغرافخانة، كذلك خابرنا نحن الفريق قائد موقع عكا مصطفى رمزي باشا الذي هو صديقنا في أمر هؤلاء الجماعة فجاوب بأنه إذا صدر استعلام بخصوصهم يحسِّن في تخلية سبيلهم، هذا ما أجريناه ولا نزال في السعي، وهؤلاء الجماعة كل مرة يكتبون إلينا بإلحاح زايد مطالبين إيانا بالخروج من اليمان، كأن العفو عنهم وكسر حكم التميـيز هو في يدنا ونحن نعذرهم نظراً لمضايقتهم في السجن، وإلاَّ فالذي أجريناه بحقهم لم يجره أحد ولا نزال نبحث عن الوسائل التي تؤول إلى خلاصهم، وكلما فرغنا من واسطة أخذنا بواسطة، ولكن على المرء السعي وعلى الله التوفيق.

استوفينا لكم شرح القضيّة لتعلموا أننا لم نُقصِّر ولن نقصِّر إنشاء الله في مساعدة هؤلاء المحابيس، والله المسئول أن يجعل الرأفة فى قلب أمير المؤمنين أيّده الله في حقهم كما رأفَ بغيرهم، هذا ما لزم ودمتم.

شكيب أرسلان

بتدِّين في ٢٨ أغسطس ١٨٩٩ م/ ١٣١٦ هـ



تنصيب الأمير شكيب

كانت قائمقامية الشوف يتناوب عليها تكراراً الأمير مصطفى أرسلان ونسيب باشا جنبلاط، وأراد المتصرف نعوم باشا في سنة ١٩٠٢ م أن يعدِّل هذا النهج فعيَّن الأمير شكيب أرسلان محل الأمير مصطفى، بدلاً من تعيين نسيب باشا. وفي الكتاب يدعو الأمير شكيب أصدقاءه ومؤيديه لحضور حفلة التنصيب في ٢٦ تموز من تلك السنة في «بعقلين» التي كانت مركز القائمقامية في الصيف. مؤرخة، في بعقلين، في ٢٢ تموز، ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م.

جناب إخوتنا المحترمين

إنه بناءً على استعفاء حضرة صاحب السعادة عمنا الأمير مصطفى أرسلان الأفخم من قائمقامية قضاء الشوف، اقتضت إرادة دولة متصرفنا المعظم توجيه القائمقامية المذكورة لعهدة عجزنا وتعين يوم الجمعة القادم ٢٦ تموز/٣١٨ لقراءة البيورلدي الكريمة، فالمأمول حضوركم في اليوم المذكور لأجل الاشتراك في الدعاء بحفظ ذات مولانا الخليفة الأعظم أيده الله ووفقنا لخدمة دولته العلية ودام بقاكم.

المخلص شكيب أرسلان

بعقلين في ٢٢ تموز/٣١٨

العفو عن سجناء عكا وطرابلس

رسالة موجهة أيضاً إلى محمد بك صبرا الأعور، وتأتي بعد الرسالة الأولى، بخصوص سجناء عكا وطرابلس، وإصدار العفو عنهم. حررت في بتدين في ١٨ أيلول سنة ١٩٠٠ م.

رفعتلو محمد بك المحترم

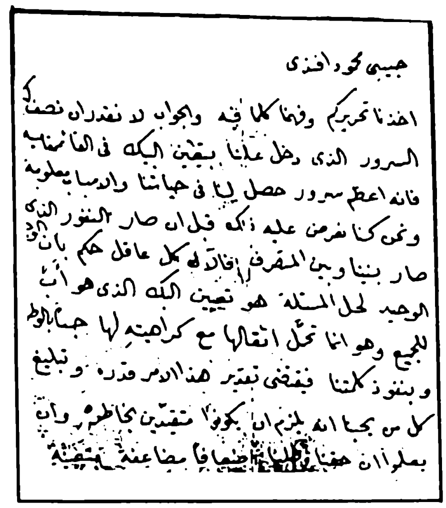
قبلاً حررتم لنا بخصوص محابيس عكًا وطرابلس وجاوبنا مفصَّلاً عمَّا أجريناه، والآن نبلغكم أنه بناءً على الكتابة التي استحصلناها من دولة متصرف لبنان لدولة والي سورية بشأنهم، مع الوسائط التي اتخذناها رأساً وَرَدَ الجواب من دولتلو ناظم بأنه قدَّم العرض لباشكتابة المابين الهمايوني باسترحام العفو الشاهاني عنهم، وحيث صار مأمولاً جداً شمولهم بفيض هذه العاطفة، اقتضى إعلامكم لتبشِّروا مَن له أهل بينهم وعلى الله الاتكال، ودمتم.

شكيب أرسلان

بتدين في ١٨ أيلول/ ١٩٠٠

تعيين نسيب جنبلاط في القائمقامية

رسالة من الأمير إلى محمود الطويل حماده من بعقلين، يبدي فيها سروره العظيم بتعيين نسيب باشا جنبلاط قائمقاماً في الشوف، وفي هذا دليل على دحض كل ما كان يقال حول خصومة الأمير شكيب أرسلان لنسيبه نسيب باشا جنبلاط.


حبيبي محمود افندي
اخذنا تحريركم وفهمنا كلما فيه والجواب لا نقدر ان نصف لكم
السرور الذي دخل علينا بتعيين البيك في القائمقامية
فانه اعظم سرور حصل لنا في حياتنا والاسباب معلومة
ونحن كنا نعرض عليه ذلك قبل ان صار النفور الذي
صار بيننا وبين المتصرف فالآن كل عاقل حكم بان
الوجه الوحيد لحل المسألة هو تعيين البك الذي هو اب
للجميع وهو انما تحمل اثقالها مع كراهيته لها حبا بالوطن
وبنفوذ كلمتنا فيقتضي تقدير هذا الامر قدره وتبليغ
كل من يحبنا انه يلزم ان يكونوا متقيدين بخاطره وان
يعلموا ان حقنا وصلنا اضعافا مضاعفة بتعيينه

حبيبي محمود أفندي

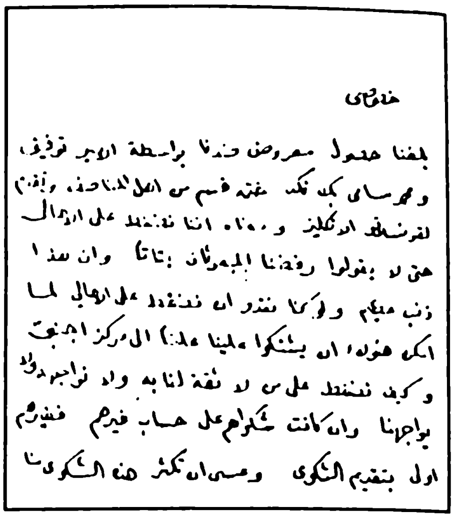
أخذنا تحريركم وفهمنا كل ما فيه، والجواب لا نقدر أن نصف لكم السرور الذي دخل علينا بتعيين البيك في القائمقامية فإنه أعظم سرور حصل لنا في حياتنا والأسباب معلومة، ونحن كنا نعرض عليه ذلك قبل أن صار النفور الذي صار بيننا وبين المتصرف، فالآن كل عاقل حكم بأن الوجه الوحيد لحل المسألة هو تعيين البك الذي هو أبٌ للجميع، وهو إنما تحمَّل أثقالها مع كراهيتهِ لها حباً بالوطن وبنفوذ كلمتنا فيقتضي تقدير هذا الأمر قدره وتبليغ كل من يحبنا أنه يلزم أن يكونوا متقيّدين بخاطره، وأن يعلموا أن حقنا وصلنا أضعافاً مضاعفة بتعيينه. واهدوا سلامنا إلى فضيلة الشيخ أبي أحمد عبد الغفار وإلى فضيلة الشيخ حسين حماده وحضرة الشيخ أبي يوسف حمد المصفي وإلى أمين بك الحلبي وسائر الأحباب، وأبلغوا الجميع أننا والحمد لله بغاية السرور وأفيدوا عن كل ما يجد ودمتم.

المخلص شكيب

في ٢٢ تموز/ ٩١١

إن كان أمين بك قويدر حضر من داريا أبلغوه أشواقنا وسنكتب له.

لا تتركوا مسألة كامل يوسف علي حماده وسليمان شمس الدين فيلزم عمل تلغراف منهما بصورة الحال، ومتى صدر الأمر بالشكوى وتعلقت الدعوى يكفي، إذ لا بد من مجيء يوم، وأما إذا صار إهمال القضية مات الحق ولم يعد ينفع القيام في المستقبل والسكوت يذهب بدون منة، لأن الذي هو أعظم من هذا هو جحودهُ والمغالطة عبث.



متاعب الأمير

رسالة ليس لها تاريخ توضح ما كان يقوم به بعضهم من الدّس على الأمير لتسويد صفحاته لدى السلطات الأجنبية في البلاد، لكن هذا لا يضير الأمير بل يثبت إخلاصه للدولة، وهذا ما يقوله في الكتاب المرفق، الذي لم يظهر منه إلى من هو موجّه.

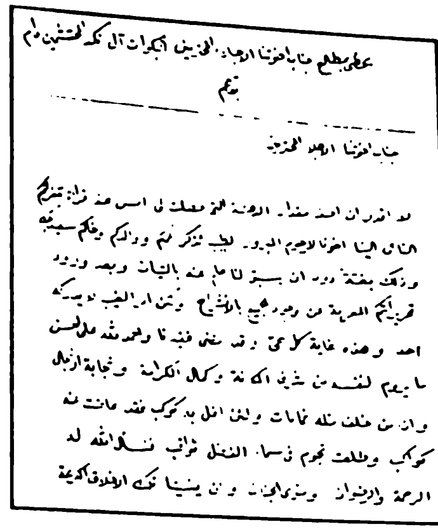
خصوصي

بلغنا حصول معروض ضدنا بواسطة الأمير توفيق ومحمد سامي بك نكد، ختمه قسم من أهل المناصف وتقدم لقونسلانو الإنكليز، ومعناه أننا نضغط على الأهالي حتى لا يقولوا رفضنا المبعوثان بتاتاً وأن هذا ذنب عظيم، ولو كنا نقدر أن نضغط على الأهالي لما أمكن هؤلاء أن يشتكوا علينا علناً إلى مركز أجنبيّ، وكيف نضغط على من لا ثقة لنا به ولا نواجهه ولا يواجهنا، وإن كانت شكواهم على حساب غيرهم فغيرهم أولى بتقديم الشكوى، وعسى أن تكثر هذه الشكوى منا ولو كانت غير صحيحة لأنها على كل حال تُثبت صداقتنا لدولتنا وتنفعنا أكثر مما تضرُّنا. أما معروض آخر فلم يبلغنا فإن كان عندكم علم بشيء أفيدونا وإن كنا لا نخشى هذا البأس بحوله تعالى، لأننا عارضون جميع أعمالنا على محك كل نقد ومتى رجعت المسألة إلى المعروضات يهوّن الله.

. . . . .

كتاب تعزية إلى آل نكد

رسالة من الأمير إلى السادة آل نكد في (عبيه) يعزيهم بفقد عميلهم سعيد بك النكدي، وهي من الشام مؤرخة في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ هـ، الموافق ٥ شباط سنة ١٩٠٢ م[(١)].



يحظى بمطالع جناب أخوتنا الأجلاء المحترمين البكوات آل نكد المحتشمين دام
بقاهم

جناب أخوتنا الأجلاء المحترمين

لا أقدر أن أصف مقدار الدهشة التي حصلت لي أمس عند قراءة تلغرافكم
الناعي إلينا أخانا المرحوم المبرور الطيب الذكر عمكم ووالدكم وخالكم سعيد بك
وذلك بغتة دون أن يسبق لنا علم عنه بالتياع وبعد ورود
تحريراتكم المعربة عن وجود الجميع بالانشراح ولكن أمر الغيب لا يدركه
أحد وهذه غاية كل حي وقد مضى فقيدنا والحمد لله على أحسن
ما يروم لنفسه من شرف المكانة وكمال الكرامة ونجابة الأنجال
وإن من خلف مثله فما مات ولئن أفل به كوكب فقد عاشت عنه
كوكب وطلعت نجوم في سماء الفضل ثواقب فنسأل الله له
الرحمة والرضوان ومثوى الجنان وأن ينسينا تلك الأخلاق الكريمة

عبيه

يحظى بمطالع جناب أخوتنا الأجلاء المحترمين البكوات آل نكد المحتشمين دام بقاهم

جناب إخوتنا الأجلاء المحترمين

لا أقدر أن أصف مقدار الدهشة التي حصلت لي أمس عند قراءة تلغرافكم الناعي إلينا أخانا المرحوم المبرور الطيب الذكر عمكم ووالدكم وخالكم سعيد بك، وذلك بغتة دون أن يسبق لنا علم عنه بالتياع، وبعد ورود تحريراتكم المعربة عن وجود الجميع بالانشراح، ولكن أمر الغيب لا يدركه أحد وهذه غاية كل حيّ، وقد مضى فقيدنا والحمد لله على أحسن ما يروم لنفسه من شرف المكانة وكمال الكرامة ونجابة الأنجال، وإن من خلّف مثله فما مات ولئن أفل به كوكب فقد عاشت عنه كواكب وطلعت نجوم في سماء الفضل ثواقب، فنسأل الله له الرحمة والرضوان ومثوى الجنان وإن ينسينا تلك الأخلاق الكريمة والمزايا الحميدة التي كانت تزهر في أفق فطرته الشريفة بنجابة فروعه الكرام، ونهجهم على سبيله واقتدائهم بدليله حتى يكون في كل منهم سرّ أبيه لأن سر الشريف في سليله، وهو تعالى المسؤول، وأن يلهمنا جميعاً الصبر الجميل لفقده ويهبكم العمر الطويل من بعده، والآن قياماً بواجبات التعزية لأسرة تربطنا وإياهم روابط إخاء، وإن كان لنا مع غيرهم روابط ولاء ونتوارث عن الآباء والأجداد مساهمتنا لهم في السرَّاء والضرَّاء، اقتضى ترقيم هذا الكتاب الحاوي تضاعف الأسف من عدم وجودنا الآن بين ظهرانيكم، والأمل بأن توافونا بأخبار صحتكم

---

(١) من محفوظات الأستاذ نديم نايف حمزة.

مع ذكر علة الفقيد التي سبقت انتقاله إلى رحمته تعالى وتفاصيل مأتمهِ، والله يجعل هذا المصاب لأحزانكم ختاماً ودام بقاكم.

عنهم **عنهم**

أمين المصطفى أرسلان **شكيب أرسلان**

الشام في ٦ ذي القعدة/ ٣٢٠

البارح عند وصول تلغرافكم قدمنا الجواب تلغرافياً حالاً، كذلك أخواننا البكوات عماد وعموم المهاجرين هنا كان عندهم مأتم بهذه المصيبة الجليلة، جعلكم الله نعم العوض.

قصيدة نسيب النكدي



رسالة من الأمير إلى المشايخ آل نكد في (عبيه)، ينقل إليهم فيها شكر والي الشام الموجّه إليه القصيدة من نظم الشاعر نسيب النكدي. صادرة عن الشام، مؤرخة في ٢٨ شوال سنة ١٣٢٠ هـ، ١٠ شباط ١٩٠٢ م[1].

جناب إخوتنا الأجلاء الفضلاء المحترمين

بعد سؤال الخاطر تناولنا رقيمكم اللطيف الحاوي من مبادي شهامتكم ما ليس عندنا بأمرٍ جديد، والمتضمن من درر بلاغتكم ما يتقلد بهِ كل جيد، أما ما شكوتموه من نحس الزمان فقد طالما اشتدت عداوته للكرام ولكن عسى أنه بهمة جنابكم يستقيم الأمير وتعود الأيام، ويكون ما حصل من قبيل المحنة التي لا بد منها لتمحيص اليقين من الشك أو النار التي لا بد منها لإتقان السبك، وأن تكون سحابة صيف ولو جاءت في الشتاء، وقد ابتدأت المساعي أن تثمر وأن تدل على حسن الانتهاء، ولدينا من الأخبار ما تقر به أعين الأصدقاء على أنه ليس لهذه الفرقة الصادقة العثمانية من رجوع عن الشكوى والمهاجرة والمقاومة بكل وسيلة، حتى تحصل على حقوقها وينزع الأمر من يد من ليس له أهلاً، وتطلق ممن ليس بكفوء أن يكون لها بعلاً، والأحوال الحاضرة ليست في الشوف فقط بل في جميع الجبل لا يقر عليها من عنده ذرة من صدق التابعية للدولة العلية.

القصيدة الفريدة الغراء، والسمط الذى تقلد به جيد الشعراء، والنور الذي انبثق في حاشية هذا الظلام، والدرر الذي تتوجت به ناصية هذه الأيام، والشعر الذي على مثله الخناصر تعقد وبمثله يطيب ذكرى حبيب وأحمد، قد صار تقديمه لدولة الناظم المعظم فاستوجب منه امتناناً ومال له طرباً وافتناناً، وصدر أمره لي بإهدائكم سلامه وثناءه وتشكره وولاءه، وكان اعتمد أن يكتب لكم كتاباً مخصوصاً، لكنه اعتذر لكثرة الأشغال وقيامي مقامه بهذا الواجب.

(١) من محفوظات الأستاذ نديم نايف حمزة.

ثم إن القصيدة تليت في نوادي الشام وكان لها ذكر يفوق العطر والبشام، دليلاً على ما عندنا من علو الهمم ورسوخ القدم فضلاً عن براعة العبادة ورشاقة الإشادة، وقد كانت من مفاخر لبنان لا حرم الله الوطن أنفاسكم، والآن في معرض الأمل بدوام بشائر انشراحكم اقتضى تنميق هذه الأسطر الجوابية ودام بقاكم.

شكيب

الشام ٢٨ شوال/ ٣٢٠

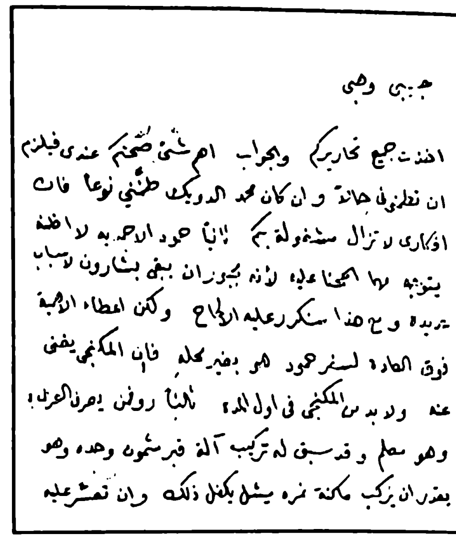
وفاة الشيخ محمد عبده

عندما مات الإمام الشيخ محمد عبده حزن عليه الأمير شكيب حزناً شديداً، فبعث إلى الشيخ عبد الكريم سلمان برسالة تعزية مؤرخة في ١٥ تموز سنة ١٩٠٥، وقد نشرت في كتاب د. أحمد الشرباصي «الأمير شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام».

جاء فيها:

«أيها الأستاذ منذ عقلت على نفسي لم أدرِ مصيبة عظمت عليَّ مثل هذه المصيبة، حتى لو قلت إن مصابي بوالدي لم يكن أعظم عندي لصدقت، مع أني يوم وفاة والدي كنت شارخاً، وأنا الآن ذرفت على الخمس والثلاثين وصرت كهلاً وألفت نفسي المصائب، وما يوازي حزني على ارتحال الأستاذ إلاّ ندمي على تأخير زيارته حتى مات ولم أره، وكتبه عندي وهو يستدعيني ويستنجز وعدي».

تعيينات في قائمقامية الشوف


حبيبي وهبي
اخذت جميع تحاريركم والجواب اهم شيء صحتكم عندي فيلزم
ان تطمنوني حالاً وان كان محمد الدويك طمّني نوعاً فان
افكاري لا تزال مشغولة بكم ثانياً حمود الاحمدية لا اظنه
يتوجه مهما الحينا عليه لانه مجبور ان يبقى بشارون لاسباب
عديدة ومع هذا سنكرر عليه الالحاح ولكن اعطاء الاهمية
فوق العادة لسفر حمود هو بغير محله فان المكنجي يغني
عنه ولا بد من المكنجي في اول المدة ثالثاً روفمن يعرف العربي
وهو معلم وقد سبق له تركيب آلة قبرشمون وحده وهو
يقدر ان يركب ماكنة نمره ميشل يكفل ذلك وان تعسّر عليه

رسالة من الأمير إلى صديقه الشيخ وهبة طليع، تتعلق بمسائل تعيينات في قائمقامية الشوف، يوم كان الأمير شكيب قائمقاماً على الشوف، وقد أرّخت نهار السبت ٢٨ تموز سنة ١٩٠٥ م[١].

حبيبي وهبي

أخذت جميع تحاريركم والجواب أهم شيء صحتكم عندي فيلزم أن تطمنوني حالاً، وإن كان محمد الدويك طمّني نوعاً ما فإن أفكاري لا تزال مشغولة بكم، ثانياً حمود الأحمدية لا أظنه يتوجه مهما ألحنا عليه لأنه مجبور أن يبقى بشارون لأسباب عديدة، ومع هذا سنكرر عليه الإلحاح ولكن إعطاء الأهمية فوق العادة لسفر حمود هو بغير محله، فإن المكنجي يغني عنه ولا بد من المكنجي في أول المدة، ثالثاً روفمن يعرف العربي وهو معلم وقد سبق له تركيب آلة قبرشمون وحده، وهو يقدر أن يركب ماكنة نمره ميشل يكفل ذلك وإن تعسّر عليه أي روفمن فإن ميشل يبعث كورميل أو كروسويل بعد خلاص أحدهما من شغله، ولكن لا يظن حصول لزوم لذلك، رابعاً روفمن كان مسافراً للشام منذ ٣ أيام تأخر لأجل إحضار اللوازم، ثم اليوم كان ميعاد سفره فمرض فتأخر إلى بكرة الأحد، خامساً لم نترك من الجهد شيئاً لأجل العجلة، ومن أعظم أسباب بقائنا في بيروت مع الحر الشديد وكون صحتنا تستدعي الصيفية هو تعجيل شغل نمره، ولكن المثل يقول أحبك يا رب قدرتي فالآن عجلوا أنتم بإرسال روفمن والهمة صارت همتكم وهمته.

علي بك جنبلاط عيَّن صهركم محمود أفندي نجم وكيل أملاك، فأنا أرسلت له مع محمود أفندي جمول تشكراً على ذلك، لكن طلبت منه أن يمهله في الحضور نحو شهر حتى تكون المطحنة دارت، وأنتم لا تدعوا محمود يحضر قبل دورانها، وإن حضر فيلزم توجهكم محله فانظروا في ذلك. ثم إن المتصرف كان اختلف مع قائمقام الشوف لأجل تعيين مدير بعاليه، وهذه

---

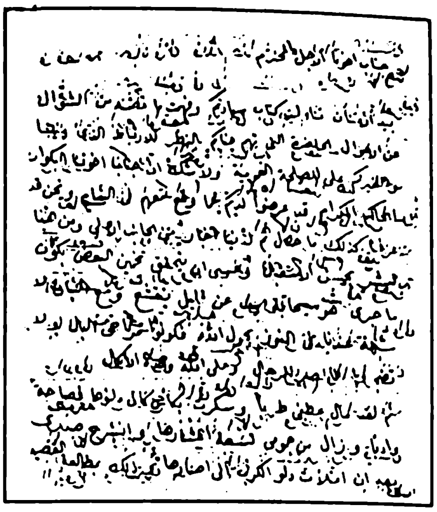
(١) من محفوظات الشيخ وهبة طليع.

أول مرة خالف فيها القائمقام خاطر المتصرف، وحيث رأى المتصرف من القائمقام نغمة جديدة ثقلت عليه أرسل له تحريراً بأنه حيث يخالفه لم يبق محتاجاً إلى خدمته، فاعتبر سامي ذلك عزلاً ونزل إلى عين عنوب وشاع تعيين توفيق مجيد محله (ونعم الخلف) وقيل مصطفى عماد، ولكن بعد ذلك أرسل المتصرف بطلب الشيخ حسين حماده وأبلغه أنه لم يعزل الأمير وأنه من اليوم إلى الأربعاء إذا رجع رجع، وإلاَّ فحيث ترك مأموريته بدون سبب فإنه ينظر في أمر الخلف، وادَّعى أن المكتوب الذي كتبه له لم يكن القصد منه العزل، الحاصل هذه تصرفات مزفَّرية أما عطوفته فلم يرضَ برجوع سامي إلا على شروط، والمخابرة جارية والشيخ حسين حماده كان عرَضَ للمتصرف اسمنا وأنه لا يوافق غيرنا إن أصرَّ على عزل الأمير فنحن كتبنا إلى الشيخ حسين بهذا النهار أن يسحب كلامه لأننا لا نقبل قائمقامية الشوف في سنّ هذا الرجل، ولكن أعطيناه أسماء بعض مرشحين والمسألة هي في هذه النقطة، أما علي بك الحبيب فأرسل لنا محمود جمول يستغيث بنا وبعطوفته لأجل منع تعيين توفيق مجيد أو عبد الحميد تلحوق أو مصطفى عماد أو واحد من هؤلاء، وهو يريد رجوع الأمير وإلاَّ أن يكون شقيقنا نسيب أو الأمير توفيق خليل إذا كنا نحن لا نقبل. والحاصل الأمور مضطربة والحالة حالة حرجة والمتصرف هو المزفر الهمة أنه الصواب، فأخبروا ابن عمنا الأمير أمين وسلموا لنا عليه وطمنوه عن عطوفة والده وعن أخوته وأخبروه أن مرشحية توفيق خليل أرجح من الكل الآن. هذا ما لزم ودمتم.

شكيب

بيروت السبت ٢٨ تموز/ ٤٠٥

قصيدة سعيد النكدي



رسالة من الأمير شكيب إلى سعيد بك النكدي، مؤرخة في ٢٤ رمضان سنة ١٣٢٠ هـ، ٢٦ كانون الأول ١٩٠٢ م. يهنئه فيها بقصيدة عصماء يتناول فيها بعض القضايا السياسية[١].

جناب أخونا الأجل المحترم

بيد الامتنان تناولت كتاب سيادتكم، وفهمت ما تضمنه من السؤال عن الأحوال الحاضرة التي تهمّ جنابكم، بالنظر للارتباط الذي بيننا ولغيرتكم على المصلحة العمومية، ولا شك أن جناب أخوتنا البكوات أنجالكم الكرام قد عرضوا لديكم عمّا وقع معهم في الشام ونحن قد عرفنا كذلك ما حصل، ثم لدينا أخبار من الجانب الأعلى، ومن هنا نبشر بحسن الاستقبال وعسى أن يتحقق تخمين البعض بكون ما جرى هو سحابة صيف عن قليل تنقشع، ومع الثبات لا شبهة عندنا في الفوز بحول الله فكونوا مرتاحي البال ولا تضجروا فالصبر للرجال وعلى الله وحده الاتكال.

ثم لقد مال عطفي طرباً وسكرت بكأس كان ملؤها فصاحةً وأدباً، وزال من همومي تسعة أعشارها وانشرح صدري، بعد أن امتلأت دلو الكرْبُ إلى أصبارها، وذلك بمطالعة القصيدة الفريدة العذراء في بابها إلي، ما وطىء داخل إلى الآن قدس حجابها التي هي نظم أخي في الأدب، وأعزّ من أخي في النسب جناب نجلكم نسيب بك وفقه الله وأمتع به الوطن والطائفة، فوالله لقد قرأت منها الذي أخطر ببالي بلاغة الأوائل وفصاحة سحبان وائل، فللّه هذا الشعر العالي النفيس وللّه هذا الصبح المنبثق في هذا الغلس، ولعمري إنها وحدها أجمل تاريخ لهذه الواقعة تتدفق من جوانبها الشهامة المعروفية والأنفة النكدية والنخوة اللبنانية، ولقد طالعتها مراراً وتعاطيت كأسها تكراراً وسأتلوها لشعراء هذا العصر وأبعث بها إلى (مؤيد) مصر، وإن كان مانع فأنشرها منسوبةً إلى أحد بكوات الدروز وإلاّ فيصرَّح بالاسم، فقد ضننت بها أن تبقى محجوبة مجلببة وأن لا تسير مشرّقة

(١) من محفوظات الأستاذ نديم نايف حمزة.

مغرّبة، والأولى عندي طبع عدة نسخ منها وتقديمها لدولة الوالي مطبوعةً، وتوزيع الباقي على أعيان الشام وعلمائها فإن فيها نكاتاً وأسراراً ومعاني أبكاراً، وقد تهزُّ أعطاف الشيوخ وتسترقُّ جوامد الطباع وتستثير نيران قيسو بمجرد السماع. وما شبهتها إلاّ بقصيدة لسان الدين بن الخطيب وزير الأندلس المستصرخ صاحب المغرب لنصرة مولاه صاحب غرناطة فلتراجع في نفح الطيب. . .

قلَّ من داناها ولا يعرف الصبابة إلا من عاناها. وتلك قصيدة رائية. وهذه لامية وقد شفعتُ الآن لامية العرب بأختها ولم تبقَ فريدةً في نعتها، وسيكون لها أجمل الوقع عند الناظم ويستدلُّ منها على خطورة المقام، فضلاً عن براعة الناظم وتأتي أحدَّ السيوف في هذا الموطن. ولا بد لكلّ جيشٍ من منشد وقائل، كما لا بدَّ له من مرشد وقائد، ولعمري لقد جمعتم القول والطول وقرنتم بين الخُطِّ وسمرها. . .

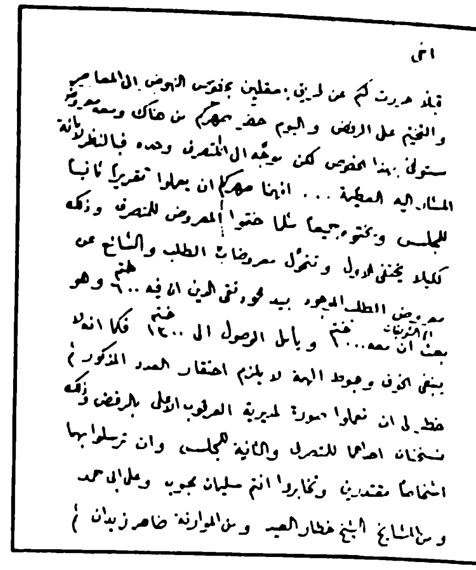
والآن أُومل الجواب فإن صادف رأي بطبعها تصويباً طبعناها في المطبعة الأدبية بعض نسخ منها، وتقدمت لدولة الناظم وصارت سمراً في مجالس الأعاظم، وإن لزم الاقتصار على نسخة خطية منها كذلك يجوز، على أنه إن لوحظ شيء في طبعها يُطبَع غفلاً من الإمضاء ولكم مع هذا علو الرأي ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

بيروت في ٢٤ رمضان/ ٣٢٠

اتفاق على الرفض

رسالة من الأمير شكيب إلى رشيد بك نخلة صادرة عن بيروت في ١٣ آذار ١٩٠٦، يتحدث فيها عن قضايا متصرفية عالقة يجب البتّ بها[(١)].


أخي
قبلا حررت لكم عن طريق بعقلين بخصوص النهوض إلى المعاصر
والتختيم على الرفض واليوم حضر صهركم من هناك ومعه معروض
مستوفى بهذا الخصوص لكن موجّه إلى المتصرف وحده فبالنظر لأمانة
المشار إليه العظيمة... أفهمنا صهركم أن يعملوا تقريراً ثانياً
للمجلس ويختموه جميعاً مثلما ختموا المعروض للمتصرف وذلك
لكيلا يختفي الأول وتتحول معروضات الطلب والشائع عن
معروض الطلب الموجود بيد محمود تقي الدين أن فيه ٦٠٠ ختم وهو
بعث إلى الشويفات أن معه ١٠٠٠ ختم ويأمل الوصول إلى ١٣٠٠ ختم فكما أنه لا
ينبغي الخوف وهبوط الهمة لا يلزم احتقار العدد المذكور ثم
خطر لي أن تعملوا صورة لمديرية العرقوب الأعلى بالرفض وذلك
نسختان إحداهما للمتصرف والثانية للمجلس وأن ترسلوا بهما
أشخاصاً مقتدرين وتخابروا أنتم سليمان محبوب وعلي أبي حمد
ومن المشايخ الشيخ خطار العيد ومن الموارنة ظاهر زيدان ثم

أخـي

قبلاً حررت لكم عن طريق بعقلين بخصوص النهوض إلى المعاصر والتختيم على الرفض، واليوم حضر صهركم من هناك ومعه معروض مستوفًى بهذا الخصوص، لكن موجَّه إلى المتصرف وحده فبالنظر لأمانة المشار إليه العظيمة. . . أفهمنا صهركم أن يعملوا تقريراً ثانياً للمجلس ويختموه جميعاً مثلما ختموا المعروض للمتصرف، وذلك لكي لا يختفي الأول وتتحوَّل معروضات الطلب، والشائع عن معروض الطلب الموجود بيد محمود تقي الدين أن فيه ٦٠٠ ختم وهو بعث إلى الشويفات أن معه ١٠٠٠ ختم ويأمل الوصول إلى ١٣٠٠ ختم، فكما أنه لا ينبغي الخوف وهبوط الهمة لا يلزم احتقار العدد المذكور، ثم خطر لي أن تعملوا صورة لمديرية العرقوب الأعلى بالرفض وذلك نسختان إحداهما للمتصرف والثانية للمجلس، وأن ترسلوا بهما أشخاصاً مقتدرين وتخابروا أنتم سليمان محبوب وعلي أبي حمد ومن المشايخ الشيخ خطار العيد ومن الموارنة ظاهر زيدان، ثم تصير مخابرة الكل لأن طريق عميق تضرّ بعين زحلتا ضرراً بليغاً، وهذه مصلحة عمومية لهم، وفي الورهانية يرسل أخونا سعيد بك أبي علوان علماً لهم من جهة وكذلك أخونا عجاج بك فيختمون، وأما أغميد فتتبع عين زحلتا ونحن نرسل إليهم ويلزم مخابرة شبلي كنعان لأجل بمهريه وإن لزم إرسال كارت إلى بعضهم في عين زحلتا وإلى شبلي أفبدونا، وتذاكروا بمآل كتابنا هذا مع أخوتنا البكوات والمشايخ آل عماد وآل أبي علوان وجاوبونا مع مأمون. المناصف قاطبةً رفضت الاشتراك، وإقليم الخروب جارِ العمل فيها، وبعقلين والسويجاني ثمانون في المائة معنا، ومجدل

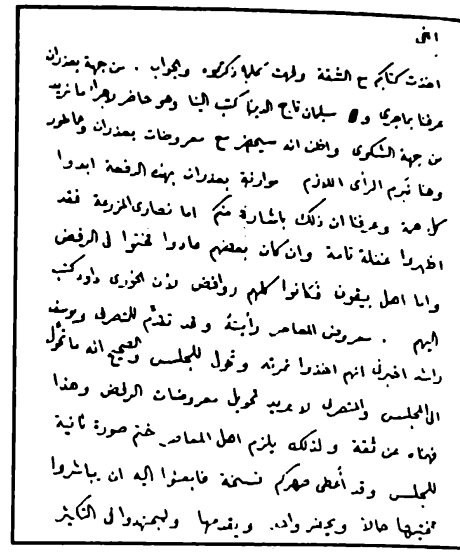
---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

معوش اتفقت على الرفض، والشوف الحيطي مناصفة فيما أظن أنتم أسرعوا في شغلكم بالعرقوب. تأكدت أن خبر المعروض للأستانة أدخل على قلب المعلوم من الخوف ما لم يدخل عليه من سبب آخر، هذا وطمنوا عن صحتكم وسلموا على ابن عمكم فارس بك العباس ودمتم.

المخلص شكيب

بيروت في ١٣ آذار/ ٩٠٦


اخي
اخذت كتابكم مع الشفقة وفهمت كلما ذكرتموه والجواب . من جهة بعذارن
عرفنا بما جرى و[illegible] سليمان تاج الدين كتب الينا وهو حاضر لاجرا ما نريد
من جهة الشكوى واظن انه سيحضر مع معروضات بعذران وعماطور
وهنا نبرم الرأي اللازم موارنة بعذران بهذه الدفعة ابدوا
كل همة وعرفنا ان ذلك باشارة منكم اما نصارى المزرعة فقد
اظهروا غفلة تامة وان كان بعضهم عادوا فختموا في الرفض
واما اهل بيقون فكانوا كلهم روافض لان الخوري داود كتب
اليهم . معروض المعاصر رأيته وقد تقدم للمتصرف ويوسف
راشد اخبرني انهم اخذوا نمرته وتحول للمجلس والصحيح انه ما تحول
الى المجلس والمتصرف لا يريد تحويل معروضات الرفض وهذا
فهمناه من ثقة ولذلك يلزم اهل المعاصر ختم صورة ثانية
للمجلس وقد اعطى صهركم نسخة فابعثوا اليه ان يباشروا
تختيمها حالا ويحضر واحد ويقدمها وليجتهدوا في التكثير

قضايا مع المتصرف

رسالة من الأمير شكيب إلى رشيد بك نخلة، صادرة عن بيروت في ١٤ آذار، ١٩٠٦. تتعلّق بقضايا وتعيينات وسياسة محلية[١].

أخـي

أخذت كتابكم مع الشقة وفهمت كل ما ذكرتموه، والجواب: من جهة بعذارن عرفنا بما جرى وسليمان تاج الدين كتب إلينا، وهو حاضر لإجراء ما نريد من جهة الشكوى وأظن أنه سيحضر مع معروضات بعذران وعماطور، وهنا نُبرم الرأي اللازم. موارنة بعذران بهذه الدفعة أبدوا كل همة وعرفنا أن ذلك بإشارة منكم، أما نصارى المزرعة فقد أظهروا غفلة تامة وإن كان بعضهم عادوا فختموا في الرفض، وأما أهل بيقون فكانوا كلهم روافض لأن الخوري داود كتب إليهم. معروض المعاصر رأيتهُ وقد تقدَّم للمتصرف، ويوسف راشد أخبرني أنهم أخذوا نمرته وتحول للمجلس والصحيح أنه ما تحوَّل إلى المجلس، والمتصرف لا يريد تحويل معروضات الرفض وهذا فهمناه عن ثقة، ولذلك يلزم أهل المعاصر ختم صورة ثانية للمجلس، وقد أُعطي صهركم نسخة فابعثوا إليه أن يباشروا تختيمها حالاً ويحضر واحد ويقدمها، وليجتهدوا في التكثير ما أمكن. من جهة المتصرف لا لزوم أن نعيد شيئاً معروفاً قد أمر بالضغط لأجل ختم المعروضات، وإن وجد منًّا ركاكة فلا يهدأ ولا يرتدع وإن وجد مصادمة سكت، وهذا الخلُق فيه تجرَّب ألف مرة وعبثاً نظن أنه تغيَّر منه شيء وتأبى الطباع على الناقل، والآن كل فكره أنه يستبدّ بمعروضات الرفض ويحوّل معروضات الطلب ويدخل مع المجلس، وبالدسائس الناصيفية يكتسب الأكثرية ويأخذ قرار المجلس بطريق عميق، ونحن ندافع الشر قبل وقوعه لأنه إن نال هذا القرار بادر بالتحصيل وأكثر، الأهالي لهم أشغال لا يقدرون على المقاومة، وإذا حاولوا ذلك بهيئة عامَّة شكاهم إلى الأستانة ونسب إليهم

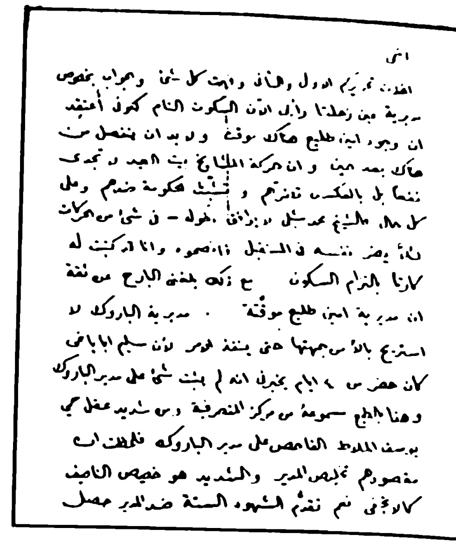
---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

التمرُّد وهيهات تحصل مقاومة عامّة، فلذلك نتعب جهدنا في أخذ الأكثرية منذ اليوم لكيلا يقدر المجلس على إعطاء قرار، ولكي يتسلَّح ضد الطريق وبكركي والدبس نفسه واعدان بمنع من ينتسب إليهما في المجلس عن ختم قرار كهذا، ولكن المهم حصولنا على الصوت الأكثر. أما الشيخ محمود فيدَّعي أنه صار معه ألف ختم ونحن نقدِّر المقاومين في بعقلين والشوفين بنحو ألفين، وفي المناصف المقاومة عامّة والرفض يتختَّم صورة للمتصرف وصورة للإدارة، كذلك في إقليم الخروب المقاومة أكثر وعندكم أكثر وفي مجدل المعوش وعين زحلتا الصوت متفق على الرفض، ومع كل هذا لا يلزم التطوُّع في الآمال والاحتياط أعقل والاستدراك أحزم، والمتصرف جرَّب الاستبداد في انتخاب حمد بك حماده فنجح معه، فصار مقتنعاً بأنه لا يوافق إلا هذه السياسة ولا يفلح معه إلا المصادمة العنيفة، لذلك كتبت لكم قبلاً بشأن المعاصر والآن أكرر بتختيم صورة للإدارة. ثم كتبت إليكم عن طريق قاسم بك حماده من بعقلين وربما يكون وصلكم الآن، والآن أُعيد الكتابة وهو أن تعملوا نسخاً للعرقوب الأعلى ونسخاً لمجدل معوش وتوابعها وتصير المباشرة بتختيمها، وذلك لأنها تقوّي أكثريتنا وإن لزم إرسال أوراق إشارة إلى عين زحلتا وبمهريه والمعوش أفيدوا لنرسل إليهم، وهنا عجاج بك حضر نفهمه اللازم وأمين بك شكور عارض المتصرف وجادله في شأن هذه الطريق، فسيِّروا المعروضات في الناحيتين وواصل عدة أوراق كارت ابعثوا منها لمن تستحسنون الإرسال إليه، وبادروا بالعمل وجاوبونا لنكتب أيضاً رأساً. من جهة الأخبار تغيَّر والي سورية والمشير وصار محل الأول شكري باشا الذي جاء وحقق على مزفر وصار محل المشير فريق من الأستانة، وتعيَّن المشير والياً وقومنداناً معاً على أشقودره (الأرناؤوط) والناظم لجزر البحر. وأما في لبنان فالشيخ كنعان للمتن والأمير يوسف لكسروان والبيطار للبترون، وفي الشوف صار الشيخ إسكندر الخوري محل مراد السعد وأمين الحلاق محل الأمير سعيد ملحم وما قصَّر الباشا فيهم، والسياسة كما تعهدونها والكل ينتظرون انتهاء هذه المدة المزفرية المنحوسة وطمنونا عنكم ودمتم.

شكيب

بيروت في ١٦ آذار/٩٠٦



السكوت التام

رسالة بلا تاريخ من الأمير شكيب إلى رشيد بك نخلة، حول مديرية عين زحلتا وقضايا سياسية أخرى[١].

أخـي

أخذت تحريركم الأول والثاني وفهمت كل شيء، والجواب: بخصوص مديرية عين زحلتا رأيي الآن السكوت التام كوني أعتقد أن وجود أمين طليع هناك مؤقت، ولا بدَّ أن ينفصل من هناك بعد حين، وإن حركة المشايخ بيت العيد لا تجدي نفعاً بل بالعكس تضرّهم وتثبّت الحكومة ضدهم. وعلى كل حال فالشيخ محمد شبلي لا يوافق دخوله في شيء من الحركات لئلا يضرّ نفسه في المستقبل فانصحوه، وأنا قد كتبت له كارتاً بالتزام السكون مع ذلك بلغني البارح عن ثقة أن مديرية أمين طليع مؤقّتة. مديرية الباروك لا أستريح بالاً من جهتها حتى ينفذ الأمر، لأن سليم أبا ياغي كان حضر من ٤ أيام يخبرني أنه لم يثبت شيء على مدير الباروك، وهذا بالطبع مسموعةُ من مركز المتصرفية ومن شديد عقل. حمي يوسف الملاط الفاحص على مدير الباروك فلحظت أن مقصودهم تخليص المدير، والشديد هو خصيص الناصيف كما لا يخفى نعم تقدُّم الشهود الستة ضد المدير حصل بعد هذه الأخبار، ولكن بالنظر لجهل الشهود بالقراءة والكتابة أخشى تلاعب الفاحص، وقد أفهمنا أنا وسيدي العم داود حلاوة أن يسألكم الاستعلام من مركز المتصرفية عن نتيجة تحقيقات الملاط، فإن كانت مطابقة للواقع فهذا ما نبغي وإلاَّ يعطى علم لسيدي العم إذ يمكن حينئذٍ الاعتراض على الفحص وتعيين فاحص آخر، فعسى أن يكون الملاط عرض الواقع وكفى الله المؤمنين القتال. وأما الخلف فالمصلحة من كل الوجوه تستدعي رجوع عجاج بك «ولو كان خطار أحمد من بتلون يلتزم حينئذٍ الرحيل بالنظر لطول أناة البك» أرى واجباً هذه المرة

---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

ملازمتكم لمركز المتصرفية للسهر على مسألة المدير وخلفهِ، فإن الأيدي المزفَّرية لم تزل تتحرك ولا يزال للسياسة الماضية أنصار في المركز يقلبون الحقائق، وعليكم دائماً بعرض اللازم لسيادة بصبوص ومخابرة سليم بك المعوشي، لأنه يفهم ويُخلص معنا وله يد مع الأمير قبلان. ومن جملة ما يلزم السعي فيه عدم تعيين ملحم حمدان محل طليع لأن سعيد حمدان قاضي مذهب وعضو استئناف الحقوق وعضو هيئة الاتهام، والناس شكوا جداً من تعصبه وفي الدفعة الأخيرة ملأت مكاتيبهُ البلاد في استنفار الحزب الثاني ضد المتصرف، فهل تكون مكافأتهُ بتعيين ابنه في كتابة المجلس، وكيف تكون حالة الشاكين عليه خصوصاً أهل باتر الذين لهم الدعاوى الطويلة العريضة والشكاوى الصحيحة عليه فيما لو ابتدأ هذا الدور بالالتفات نحوه، فإن قيل إن مركز أمين طليع جنبلاطيّ ويلزم استبدال هذا بجنبلاطيّ، فمع عدم مراعاة أولئك لهذه القاعدة نقول يوجد جنبلاطية غير أمين طليع وملحم حمدان، فهذا أحمد تقي الدين بن عبد الغفار هو جنبلاطيّ وأقدر في الفهم والعلم من كلٍّ منهما.

الشيخ رشيد الخازن عرض للمتصرف أنه متى شرَّف كسروان يأمر بإرسال خبر له بواسطة ناصيف الريس، وقصد بذلك الوصاة به بأسلوب أما أن يتكلم بلسان البطرك ويثني عليه فغير معقول، ولم يحصل خرق حجاب بينه وبين المتصرف حتى يأخذ لنفسهِ هذه الحريَّة، نعم هو صاحب لناصيف المذكور مخدوع به، وقد أفهمناه أنا وسيدي العم خطأه وما يرتكبه في كبيرة ميلهِ إلى ناصيف من إساءة مراكز مهمَّة هي تغنيه عن ناصيف الذي لا يقدر أن ينفعه في هذا الدور، كما لم ينفعه حينما كان قادراً، وقد أظهر الاعتراف بصحة رأينا وأقاربه فيليب وفريد اللذان كانا معه في عين عنوب كانا من رأينا محضاً. بركات أبو ملهم قط لم يكن في الماضي مخصوصاً بنا بل بالعكس تحقق لنا من بعض أقاربه سوء أدبه وخباثة نيتهِ حتى ومن غيرهم أيضاً، والذي أجراه مع يوسف إبراهيم ابن أخي حنا أفندي سليمان هذا الذي هو في قهوتنا، هو من جملة فصول بركات الفظيعة ومما لا تتحمله الطبيعة البشرية، ومقصده إهانتهُ وهو يعلم أنه عندنا ومخصوص بنا، وقد سحبه بدعوى أن على صانعهِ ٥٠ غرشاً وحاول حبسه، فلما توقف ضربه أمام الناس ضرباً آثارهُ ظاهرة في وجههِ، ومع كل هذا فنحن اكتفينا بأن يصير تبديله من صوفر وأقنعنا يوسف إبراهيم بترك الدعوى التي لو جرت ملاحقتها أفضت إلى طرد بركات من الخدمة، فلما ورد تحريركم وقلتم ما قلتم وخصوصاً أن سيادة المطران يوصينا أيضاً به، عدنا كتبنا إلى فؤاد بك شقير بإرجاعهِ وقام صعب أبو ملهم الموجودان هنا بطلب منا يعترضان علينا من جهة بركات لعلمهما بأطواره، فلم نسمع لهما مع اعتقادنا صحة كلامهما وذلك إكراماً لكتابتكم. دائماً قدموا واجباتنا لسيادة الجوهر الصافي والحبر الطاهر المطران بصبوص الوافر الاحترام وعرفونا عن كل ما يجدّ. متى حضرتم للباروك اعملوا زيارة لداود حلاوة حيث زاركم ٤ مرات ولم تزوروه وهو صديقكم ودمتم.

المخلص شكيب

تعزية

رسالة من الأمير شكيب إلى مدير مال قضاء الشوف رفعتلو حسن بك خضر من بعقلين، وهي تعزية بفقد والدته، مؤرخة في ١٨ كانون الثاني سنة ١٣٢٥ هـ. ١٩٠٧ م[١].

جناب أخونا الفاضل المحترم

بمزيد الأسف والحزن بلغنا انتقال المرحومة قرينتكم الصالحة إلى جوار ربها، فأصابنا من هذا المصاب على قدر اشتراكنا معكم بالإحساسات وعلى قدر قيمة المفقودة، إذ كان يبلغنا عن صفات المرحومة وتقواها ما يضاعف الأسف على فقد مثلها من بين الجواهر الكريمة، فنسأل الله أن يجعل العوض سلامتكم وأنجالكم ودام بقاكم.

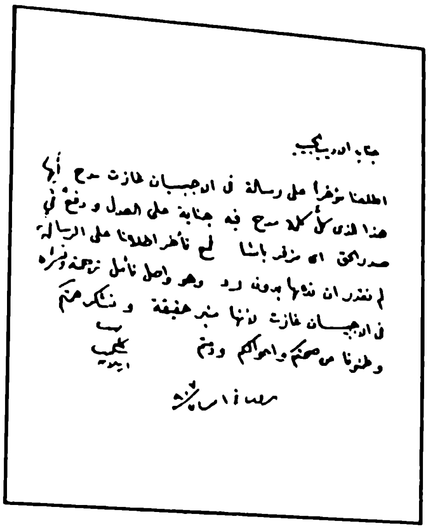
أخوكم

شكيب أرسلان

١٨ كانون الثاني ١٣٢٥ هـ.

---

(١) من محفوظات المحامي محمد أمين خضر.



الأمير ومظفر باشا

رسالة مقتضبة من الأمير مؤرخة من بيروت، في ١ نيسان سنة ١٩٠٧ م، إلى الأستاذ عباس المصفي بصدد مقالة كتبها رداً على ما نشر من مديح مظفر باشا لا يستحقه[١].

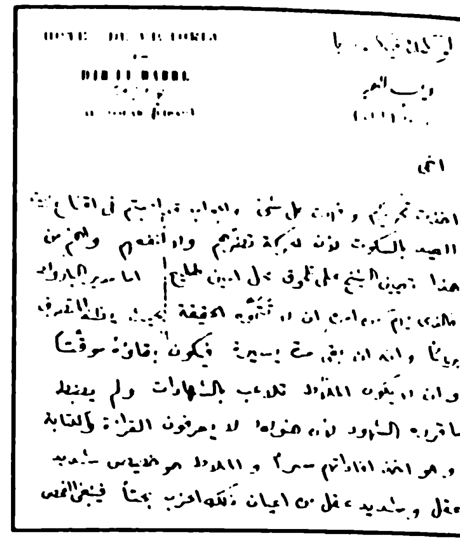
جناب الأديب الحبيب

اطَّلعنا مؤخراً على رسالة في الأجبسيان غازت مدح أيها هذا الذي كلُّ كلمة مدح فيه جناية على العدل، ودفعٌ في صدر الحق أي مزفر باشا. فمع تأخر اطلاعنا على الرسالة لم نقدر أن ندعها بدون رد، وهو واصل نأمل ترجمته ونشره في الأجبسيان غازت، لأنها منبر حقيقة ونشكر همتكم وطمنونا عن صحتكم وأحوالكم ودمتم.

شكيب أرسلان

بيروت في ١ نيسان/٩٠٧

(١) من محفوظات الشيخ سامي المصفي.



سياسة محلية

رسالة من الأمير شكيب إلى صديقه رشيد بك نخلة يخبره فيها عن تعيينات معينة وسياسات محلية، صادرة عن صوفر في ٢٠ آب سنة ١٩٠٧ م(١).

أخـــي

أخذت تحريركم وفهمت كل شيء، والجواب: قد أصبتم في إقناع بيت العيد بالسكوت لأن الحركة تضرّهم ولا تنفعهم، وأهمّ من هذا تعيـين الشيخ علي تلحوق محل أمين طليع. أما مدير الباروك فالذي يهمّ من أمرهِ أن لا تتموَّه الحقيقة بحيث يظنه المتصرف بريئاً، وأنه إن بقي مدة يسيرة فيكون بقاؤهُ مؤقّتاً، وأن لا يكون الملاَّط تلاعب بالشهادات ولم يضبط ما قرره الشهود، لأن هؤلاء لا يعرفون القراءة والكتابة وهو أخذ إفاداتهم سراً، والملاط هو خصيص شديد عقل، وشديد عقل من أعيان ذلك الحزب بحتاً فينبغي الفحص عن التحقيقات، حتى إذا كان التلاعب واقعاً يصير عرض الواقع لدولتهِ. وأما الزائر المعهود فأظنه يقيم بعين زحلتا أيّاماً ويعود إلى عاليه وسفره قريب. الأمر الذي أوصيتموني بكتمانه هذا أنا نفسي أوصيكم أن تكتموه أكثر، ولا سيما أنني أنا معلن دائماً رضاي بهذه الحالة، وهي انفتاح باب العدل وإنصاف المظلوم ولا أبتغي الزيادة. وأما تعيـين الوقت الذي سمعتموه فهو من باب الظن فقط وأنا أظن الأمر أطول مما يظنون، وعلى كل فطَيّ الحديث أوفق. وأما ترددكم إلى المركز فهو لازم لأجل السهر على دسائس بعضهم، لأنه كما قلت لكم سابقاً لا يزال لسياسة مزفر أعوان يريدون إدخال الغش على المتصرف وقلب الوقائع لديه، والزائر المعهود يخوِّف بعضهم والناصيف أيضاً يدسّ الدسائس ويبثّ السموم، وهو مقتدر على الغشّ ولا يوجد إلى الآن من يخاصمه هناك، فالمركز اليوم مزلَّة أقدام بواسطة الأعداء المخادعين الباقين في مناصبهم على ما في قلوبهم من الغلّ.

---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

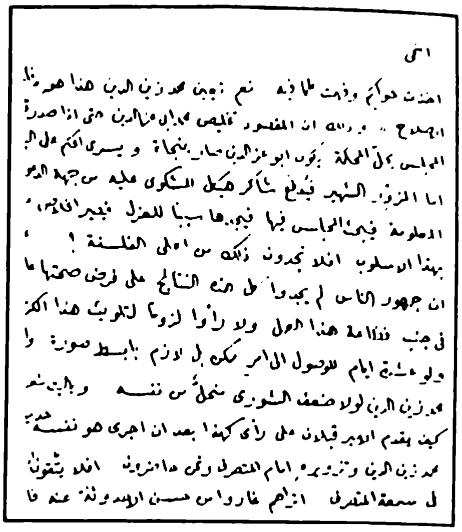
بلغني عن ثقة أن دولة المتصرف ينوي التشريف صوفر في أواخر الجمعة الحاضرة، وأنه يُشعر اللوكندة هنا قبل تحرُّكهِ من بيت الدين بيومين، وحيث إن في النيّة لدى تشريفهِ جمع جمهور غفير من أهالي الجرد والمتن لأجل ملتقاه، أحب أن تستعلموا لي عن ذلك من سعيد بك البستاني بل من الأمير قبلان نفسهِ، ومتى تقرر اليوم ترسلوا لي ساعياً مخصوصاً بالإفادة حتى أتمكن من إعطاء الخبر إلى أهالي هذه الجهات، واجعلوا ذلك مكتوماً عن الغير.

حنا بك الضاهر لا أكرهه بل أحبُّه وإن كان خاله كنعان لا يرى له عدوّاً أكبر مني في اعتقاده، ولكن مسألة رجوعه إلى صوفر محافظاً لها ظروف أحكيها لكم عند المقابلة بحيث إنني أنا نفسي لا أقدر أن أكتب فيها حرفاً، وأمّا رجوعه على غير يدي أو حضوره لتبديل الهواء مع بقاء الضابط الموجود، وحكيت لكم ظروف هذه القضية تعذرونني في عدم كتابة كارت الآن بهذا الشأن. بلغني أن رشيد مزهر يسعى في الرجوع إلى بعقلين وإن لم يرجع فإنه مصر على الاستعفاء، قرأت كتاباً بهذا المعنى من المختارة فبلغوا من يلزم أن رجوع رشيد مزهر إلى بعقلين جناية على العدل وجرح لقلوب المظلومين، ونبّهوا الأخ سعيد بك البستاني إلى ذلك وداوموا أخباركم ودمتم سنداً.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

صوفر في ٢٠ آب/ ٩٠٧



إصلاح إداري

وهذه رسالة من الأمير شكيب إلى رشيد بك نخلة حول بعض المناقلات في المناصب ورأي الأمير فيها، صادرة عن صوفر في ٣٠ أيلول سنة ١٩٠٧ م[١].

أخـي

أخذت جوابكم وفهمت كل ما فيه، نعم تعيين محمد زين الدين هذا هو «فلسفة الإصلاح» وذلك أن المقصود تخليص محمد أبي عز الدين، حتى إذا صدر قرار المجلس بحلّ المحكمة يكون أبو عز الدين صار بمنجاة ويسري الحكم على الباقين، أما المزوِّر الشهير فيُدفَع شاكر هيكل للشكوى عليه من جهة الدعوى المعلومة، فيبحث المجلس فيها فيجدها سبباً للعزل فيصير الخلاص منه بهذا الأسلوب، أفلا تجدون ذلك من أعلى الفلسفة؟ على أن جمهور الناس لم يجدوا كل هذه النتائج على فرض صحتها عاذرةً في جنب فظاعة هذا العمل، ولا رأوا لزوماً لتلويث هذا الكرسيّ ولو عشرة أيام للوصول إلى أمرٍ ممكن بل لازم بأبسط صورة، وأن محمد زين الدين لولا ضعف الشورى منحلٌ من نفسه، ويا ليت شعري كيف يقدم الأمير قبلان على رأي كهذا بعد أن أجرى هو نفسه حديث محمد زين الدين وتزويره أمام المتصرف ونحن حاضرون، أفلا يتّقون الله في سمعة المتصرف، أتراهم غاروا من حسن الأحدوثة عنه فأرادوا أن يخدشوها بمثل هذه التصرفات الصغيرة، لقد ساء وقع مسألة زين الدين جداً عند الجميع وحصل الخوف من أمور ثانية تماثلها. . .

يهمني جداً عدم سقوط إسكندر حنا فاعملوا جهدكم مع أعضاء المجلس، ويا ليت شعري إن كانت المحكمة مسؤولة فأيّ عدل يجوز خلاص الرئيس وسقوط عضو نزيه، مع كوني آليت أن لا أتدخَّل فيهمني بقاء إسكندر هذا، وقد فهمت تأجيل سفر دولته إلى شمالي لبنان وعلى كل حال

---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

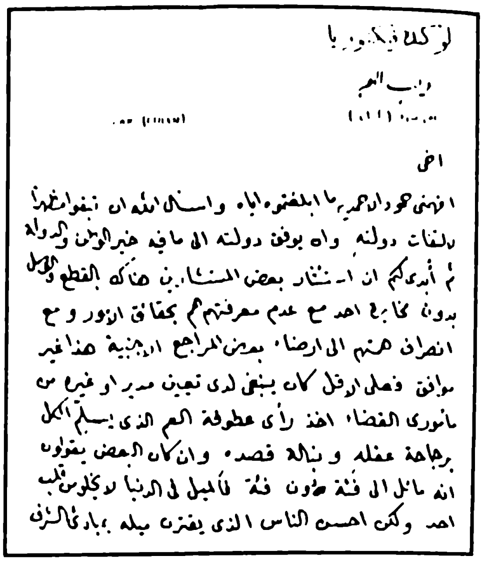
فقد صرت قليل السؤال عن كل ما يجري، وبهذا النهار مرَّ دولتهُ من هنا إلى البقاع لكن أنا لم أشاهده وإنما بلغني أن عطوفته قابله بعاليه. صحتي جيدة والحمد لله وأنتم لا تغفلوا عن صحتكم ودام بقاكم.

شكيب

صوفر في ٢٠ أيلول/ ٩٠٧

تذمر من تدخلات

وهذه رسالة من الأمير إلى رشيد بك نخلة مؤرخة من عين صوفر، من لوكندة فيكتوريا لصاحبها ديب الهبر، يبدي فيها بعض التذمر من تدخل بعض المستشارين للدولة العثمانية وقضايا أخرى، أرَّخها الأمير في ٢٦ تشرين الأول ١٩٠٧[١].



لوكندة فيكتوريا
ديب الهبر

اخي
افهمني حمود الاحمدية ما ابلغتموه اياه واسأل الله ان تبقوا مظهراً
لالتفات دولته وان يوفق دولته الى ما فيه خير الوطن والدولة
ثم أبدي لكم ان استشار بعض المستشارين هناك بالقطع والوصل
بدون مخابرة احد مع عدم معرفتهم هم بحقائق الامور ومع
انصراف همتهم الى ارضاء بعض المراجع الاجنبية هذا غير
موافق فعلى الاقل كان ينبغي لدى تعيين مدير او غيره من
مأموري القضاء اخذ رأي عطوفة العم الذي يسلم الكل
برجاحة عقله ونبالة قصده وان كان البعض يقولون
انه مائل الى فئة دون فئة فالميل في الدنيا لا يخلو من قلب
احد ولكن احسن الناس الذي يقترن ميله بمبادئ الشرف

أخـي

أفهمني حمود الأحمدية ما أبلغتموه إياه وأسأل الله أن تبقوا مظهراً لالتفات دولته وأن يوفق دولته إلى ما فيه خير الوطن والدولة، ثم أُبدي لكم أن استئثار بعض المستشارين هناك بالقطع والوصل بدون مخابرة أحد، مع عدم معرفتهم هم بحقائق الأمور ومع انصراف همتهم إلى إرضاء بعض المراجع الأجنبية هذا غير موافق، فعلى الأقل كان ينبغي لدى تعيين مدير أو غيره من مأموري القضاء أخذ رأي عطوفة العم الذي يسلِّم الكل برجاحة عقلهِ ونبالة قصده، وإن كان بعضهم يقولون إنه مائل إلى فئة دون فئة فالميل في الدنيا لا يخلو من قلب أحد، ولكن أحسن الناس الذي يقترن ميله بمبادىء الشرف فيبقى ناموسه عنده ميزاناً، وأما الميل الذي يصوّر مثل محمد زين الدين رجلاً شريفاً نزيهاً فأجدر بأصحابه أن يكونوا معروفين لدى دولة الآمرِ بصفاتهم، وأنهم ليسوا من ذوي الضمير الطاهر ولا ممن ينبغي أن يُقام وزن لأميالهم. أمين بك نكد عتب جداً وكتب إليَّ يظهر يأسه من مديريته في المناصف، ولقد ذهب هذا ضحية ميل الأمير قبلان إلى محمد أبي عز الدين، ثم بلغني أن مديرية الشحار ستنحلّ فأحب أن تنبّهوا الفكر إلى سليم افرام مدير مجدل معوش السابق، وتحرروا إلى سعيد بك البستاني بذلك وأنا سأكتب إليه أيضاً. عندي ملاحظات عديدة ومحررات متى حضرتم إلى صوفر أُطلعكم عليها، وأنا هنا إلى عشرة أيام وأُقبلكم ودام بقاكم.

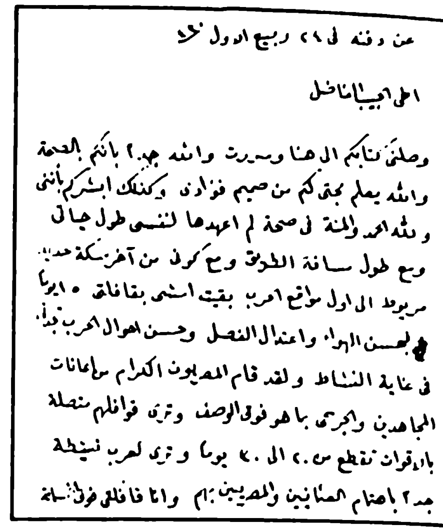
شـكـيـب

صوفر في ٢٦ تشرين الأول/ ٩٠٧

---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

المسألة المتعلقة مع الحرمة التي من بني بدر عند المقابلة نتذاكر بها. سررت جداً بمديرية القعقور لكن أخاف أن لا يكون حسين أبو خزعل في المحكمة فيصير صعباً وجود محل يناسبهُ.


عن دفنه في ٢٤ ربيع الاول ٣٣٠
اخي الحبيب الفاضل
وصلني كتابكم الى هنا وسررت والله جداً بأنكم بالصحة
والله يعلم محبتي لكم من صميم فؤادي وكذلك ابشركم بأنني
ولله الحمد والمنة في صحة لم اعهدها لنفسي طول حياتي
ومع طول مسافة الطريق ومع كوني من آخر سكة حديد
مربوط الى اول مواقع الحرب بقيت امشي بقافلتي ١٥ يوماً
فبحسن الهواء واعتدال الفصل وحسن احوال الحرب تجدني
في غاية النشاط ولقد قام المصريون الكرام من اعانات
المجاهدين والجرحى بما هو فوق الوصف وترى قوافلهم متصلة
بالاقوات تقطع من ٢٠ الى ٣٠ يوماً وترى العرب نشيطة
جداً باهتمام العثمانيين والمصريين بهم وانا قافلتي فوق الخمسمائة

القضية الليبية

قامت الثورة ضد الإيطاليين في ليبيا على ضعف العرب من حيث الأسلحة والعتاد الحربي، وحزَّ في نفس الأمير ألاّ ينهض العرب قاطبة لنصرة الوطنيين الأحرار في ليبيا. وكأننا به أراد أن يعطي المثل الصالح بنفسه فعزم على الذهاب شخصياً للجهاد هناك فمرَّ بمصر حيث لبث أربعين يوماً كتب فيها أربعين افتتاحية لإحدى الصحف المصرية، وبالنظر إلى إصراره على الذهاب إلى الحرب، وتمكيناً له من ذلك دون إثارة الشبهات، عيَّن ناظراً عاماً لبعثات الهلال الأحمر المصري. وبهذه الصفة ذهب إلى ليبيا في رحلة شاقة وصفها في رسالته. وهناك التقى أنور باشا واشتركا شخصياً جنباً إلى جنب في عدد من المواقع الحربية. مؤرخة عن دفنه، في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ، ١٤ آذار سنة ١٩١١ م.

عن دفنه في ٢٤ ربيع الأول/ ٣٣٠

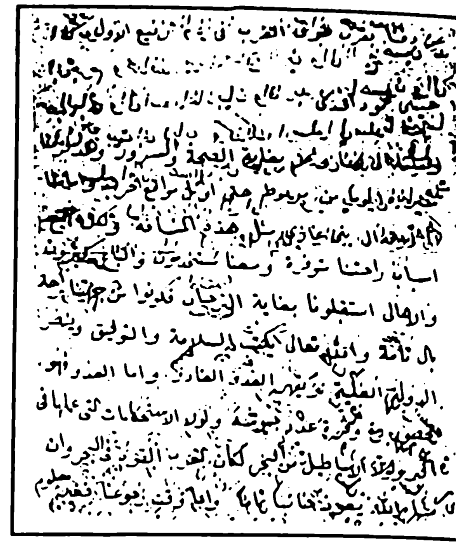
أخي الحبيب الفاضل

وصلني كتابكم إلى هنا وسررت والله جداً بأنكم بالصحة والله يعلم محبتي لكم من صميم فؤادي، وكذلك أبشركم بأنني ولله الحمد والمنة في صحة لم أعهدها لنفسي طول حياتي، ومع طول مسافة الطريق ومع كوني من آخر سكة حديد مربوط إلى أول مواقع الحرب بقيت أمشي بقافلتي ١٥ يوماً، فبحسن الهواء واعتدال الفصل وحسن أحوال الحرب تجدني في غاية النشاط، ولقد قام المصريون الكرام من إعانات المجاهدين والجرحى بما هو فوق الوصف، وترى قوافلهم متصلة بالأقوات تقطع من ٢٠ إلى ٣٠ يوماً وترى العرب نشيطة جداً باهتمام العثمانيين والمصريين بهم، وأنا قافلتي فوق الخمسمائة جمل من أصلها ٦٨ جملاً تحمل أمتعتي وخيامي ومطبخي ولوازمي ولوازم أتباعي وحدها، فجميع ما يتصور العقل من أسباب الرفاهية توفَّر لي ولم يكن مقصدي السفر مع الهلال الأحمر بل قصدت الجهاد من الشام بنفسي وعلى نفقتي، لكن عند وصولي إلى مصر أبى الأصحاب أن يدعوني أذهب وحدي، وأجبروني بلطفهم أن أكون ناظراً عاماً

لبعثات الهلال الأحمر، وسيلةً لرفاهية السفر وعدم الاضطرار إلى التكتّم، وهم مع ذلك يلحّون بسرعة عودتي، ونفس الجناب الخديوي العالي لم يسمح بسفري إلا على شرط سرعة الأوبة، وأنه لقد أوصاني حفظ الله مهجته بنفسي وأظهر لي من الحنو عند الوداع ما لا يمكن أن أرى أكثر منه من والدتي إذا ودعتها، ولقد شاهدت من إقبال المصريـين ما أخجل أن أعيده وأعدّده، وأنا الآن بين العرب هنا كأحسن ما أُوجد بين عرب بلادنا، وأسأل الله عفوه ورضاه والمنة بقهر العدو الباغي وحفظ الشرف العثمانيّ. وأما ما ذكرتموه وأظهرتموه فلا أرتاب في إحساساتكم وأنا بالفعل أقل جداً مما ذكرتم، ولكنني أعلى كثيراً مما عوملت به وكوفئت من بعض أبناء الوطن، بل من بعض من اتخذتهم أصحاباً ولم أقصّر معهم في شيء، فأخذوا يمالئون عليَّ الأعداء بدون أدنى فائدة فأنا أشكر لهم ولغيرهم نعمة إضجاري التي حملتني على السفر، وأبدلني الله إخواناً بإخوان وأوطاناً بأوطان وكتب لي شرف الجهاد والتعرُّف بسائر البلاد، وهو المسؤول أن يتمّم بالخير. وسلامي إلى الأخ أمين بك قويدر حماده وإلى أخيكم وأولادكم ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

الطليان محصورون في أساكل معلومة ولا يقدرون أن يخرجوا، وكلما خرجوا صُدّوا ولولا أساطيلهم لما أمكنهم الثبات في البرّ، ومع وجود أساطيلهم واستحكاماتهم لو كان عند العرب أسلحة وذخيرة بقدر عددها لطردتهم من مدة، ولقد شاهدت الحال بعيني وأنا الآن أكتب وأصوات المدافع من البحر بأذني. نعم يلزمني ٤ مراحل حتى ألتقي بأنور بك الذي كان بطل الحرية، فصار بطل الجهاد وهو معسكر فوق درنة ربَّنا نصراً.



الأمير في الحرب الليبية

رسالة من الأمير كتبها من دفنا قرب طبرق الغرب بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ. ١٤ آذار سنة ١٩١١ م. إلى صديقه محمود الطويل حماده من بعقلين، يعرب فيها عن قوة العرب في أثناء الحرب وخسارة الطليان.

عن دفنا بقرب طبرق الغرب في ٢٤ ربيع الأول/ ٣٣٠

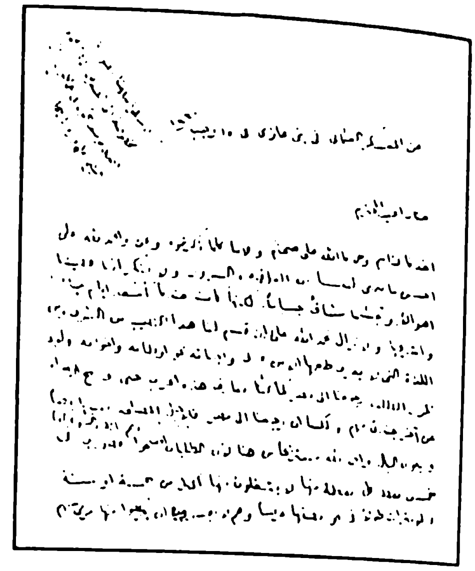
حبيبي محمود أفندي

وصلنا إلى هنا ونحن بغاية الصحة والسرور، وقد لزمنا سير ١٥ يوماً من مريوط حتى أوائل مواقع الحرب، وأمامنا إلى درنه إلى بني غازي مثل هذه المسافة، ولكن جميع أسباب راحتنا متوفرة ومعنا مستخدمون وأتباع كثيرون والأهالي استقبلونا بغاية الترحاب، فكونوا من جهتنا براحة بال تامة والله تعالى يكتب السلامة والتوفيق وينصر الدولة العلية ويقهر العدو الغادر. وأما العدو فهو محصور مع وفرة عدد جيوشه، ولولا الاستحكامات التي عملها في البر ولولا الأساطيل من البحر لكان العرب أَلْقَوهُ في البحر، وإن شاء الله يعود خائباً تماماً. وأما وقت رجوعنا فغير معلوم، فالجماعة هنا يريدون بقاءَنا معهم وأصحابنا بمصر يلحّون في سرعة إيابنا، والمرجع إلى إرادة الله تعالى. وعلى كل حال فنحن شاكرون جدّاً مساعي الذين في لبنان، أضجرونا حتى تركنا المأمورية واخترنا السفر. سلامي إلى محمد أفندي حسن ناصيف أبي عجرم، ومحمد أفندي يوسف صلاح الدين، وإلى الشيخ حسين حمد عبد الباقي، وإلى أسعد آغا ذبيان وأقاربه لا سيما حسون، وإلى المشايخ بيت أبي ذياب، وكذلك أرسلوا لي سلاماً مخصوصاً إلى سليم أفندي حسين شبلي حماده، وحسن أفندي محمد شبلي حماده، وليكن جوابكم إلى إدارة المؤيَّد يصلني أينما وجدت، واعلموا أنني شاكركم دائماً الإخلاص الذي شاهدته منكم ودمتم.

المخلص شكيب

أمس طول النهار نسمع أصوات المدافع من جهة طبرق، واليوم صباحاً وردتنا البشائر بأن

الواقعة انجلت عن قتل ٢٠٠ طلياني ومسك عدة أسرى منهم وغنيمة ٥٠ بارودة، وقد قتل من العرب ٢٠ وجرح ٤٠ شخصاً. وأما في درنه وبني غازي فالوقائع متواصلة وفي كلها الفوز للعثمانيين، وآخر مرة في درنه كانت خسارة الطليان ١٦٠٠ قتيل ومن العرب قتل ٨٠ رجلاً، ونحن لم نكن نصدق هذه الأشياء حتى جئنا وحضرنا وشاهدنا بأعيننا.



معارك العثمانيين والطليان

ويكتب الأمير رسالة إلى أحد أصدقائه، عن المعسكر العثماني في بنغازي بتاريخ ١٥ رجب ١٣٣٠ هـ، الموافق ١ تموز ١٩١١ م. يكشف فيها عن المعارك التي دارت بين العثمانيين والطليان وقوة كل فريق منهما. ويُؤسفنا أن الورقة الأخيرة من هذه الرسالة قد تلف أسفلها فأضاع علينا السطر الأخير المشفوع بتوقيع الأمير.

عن المعسكر العثماني في بني غازي في ١٥ رجب/ ١٣٣٠

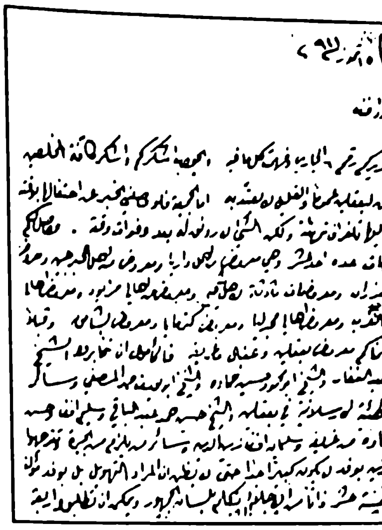
جناب الحبيب المحترم

أخذنا كتابكم وحمدنا الله على صحتكم وفهمنا كل ما ذكرتموه، ونحن والحمد لله على أحسن ما تتمنى لنفسنا من العافية والسرور، ولا ننكر أننا قضينا أهوالاً وتجشمنا مشاقّ جساماً، لكنها كانت عندنا أسعد أيام حياتنا وأشرفها، ولا نزال نحمد الله على أن قَسَم لنا هذا النصيب من الشرف ومن اللذة التي لا يعرف طعمها إلا من عرف واجباته نحو أوطانه وإخوانه، ولولا تكرر الطلب برجوعنا إلى مصر لما كنّا نفارق هذه الحرب حتى يخرج الأعداء عن آخر جندي منهم، ولكننا إن رجعنا إلى مصر فلأجل المصلحة نفسها أيضاً ويكون البال والحمد لله مستريحاً من هنا، لأن الطليان أصبحوا وهم مائة وخمسون ألفاً محصورين في خمس نقط، كل نقطة منها لا يشغلون منها أكثر من خمسة أو ستة كيلومترات طولاً في نحو نصفها عرضاً، وهم لا يجسرون أن يخرجوا منها مرمى سهم، وكلما جرَّبوا الخروج انهزموا بأشنع صورة، وتركوا مئات من القتلى وغنم العرب بنادقهم وذخائرهم وألبستهم، ولو كان عندنا المدافع اللازمة لكان محققاً تعالى إخراجهم من البرّ عن آخر واحد أو محوهم بحد السيف، رغم ما بنوه من الاستحكامات حول مراكزهم ورغم أسطولهم في البحر. ومع هذا فالأمل وثيق بالنظر لبسالة العرب وما حفّ الله العثمانيين في هذه الحرب من الإمدادات الصمدانية التي خرَّبت قواعد الفنون وحققته، إن النصر إنما هو من عند الله فقط يؤتيه من يشاء أن لا تطول هذه الحالة كثيراً ويضطرّ الطليان إلى ترك هذه البلاد مذمومين مدحورين، ولا نقدر أن نشرح لكم الوقائع لأن ذلك يطول ولكن بالإجمال لم أعلم منذ وصولي

هنا أن الطليان فازوا بوقعة واحدة، بل العرب يتحرَّشون بهم كل ليلة ويعملون ألف وسيلة لإخراجهم فلا يخرجون إلا نادراً مع جميع الاحتياطات اللازمة من البر والبحر، ولكنهم متى حمي الوطيس انهزموا إلى الحصون. وقد بلغنا أنهم الآن يحاربون الدولة في الجزر حيث يعلمون أن العساكر التي فيها قليلة، ولو كانوا رجالاً لكانوا يتقدمون في هذه البلاد التي جاءوا لفتحها وحصروا أهلها من كل جهة، والتي أهلها ليس عندهم شيء من المُعدَّات التي عند الطليان، ولكن والله قد شاهدنا من شجاعة هؤلاء القوم واستخفافهم بالموت ما حقق لنا أنهم من ذريَّة بني هلال الذين كانوا في هذه الأرض. منذ بضعة أيام تقدم طليعة نحو ١٢٠ ألف بدوياً هنا في بنغازي فاقتربوا جداً من حصون الطليان، فطمع هؤلاء فيهم فأخرجوا لهم نحو ثلاثة آلاف في مقدمتهم عسكر عبيد سود يقدمونهم أمامهم لأنهم أشجع من الطليان، وظنوا أنهم يمحون هذه الشرذمة القليلة، فلم تمض ساعة حتى كسرهم العرب القلائل وقتلوا منهم ٦٠ رجلاً وغنموا سلاحاً وذخيرةً وخيلاً، ولما سمع المعسكر الرصاص تحرك كله فلم يصل إلى محل الحرب إلا وقد دخل الطليان الاستحكامات، وكنت ذلك اليوم طريح الفراش لعملية جراحية أجريتها فأرسلت الجماعة الذين معي فوصلوا أيضاً مع الجيش بعد هزيمة الطليان. وبالاختصار صارت شهوة عظيمة عندنا أن يخرجوا للحرب على أنهم حاولوا الخروج في جهة طرابلس بمحل اسمه ظنظور، وكانوا ٣٠ ألفاً فانكسروا كسرةً شنيعة وذلك منذ ٢٠ يوماً، وكذلك حاولوا الخروج في خُمس فانهزموا وتلف منهم نحو ألف قتيل منذ ١٥ يوماً. وأما هنا فإنهم كل يوم أو يومين يرسلون علينا الطيَّارات والبالونات ترمي علينا الديناميت، ولكن صار العرب يرمونها بالرصاص ومع كون إصابتها صعبة جداً فهي أيضاً لم تنفعهم إلا بالاكتشاف، ومنذ حضوري إلى معسكر بني غازي أي منذ شهر لم يمت من ديناميت الطيَّارات إلا بدويّ واحد. وأما في درنه فجميع الوقعات التي شهدناها بذاتنا كانوا فيها منهزمين، ولولا مدافعهم التي تبقى مقذوفاتها مثل المطر لكان العرب يمحونهم بإذن الله، والله تعالى يردُّهم خائبين ويعزّز هذه الأمة العثمانية ويُفهمها معنى الوطنيَّة ويلهمها رشدها واتحادها وينقذها من ذل الطاعة للأجنبيّ، ولا يعلم قدر الصحة إلا من ابتُلي بالسقم. تقولون إنكم منتظرون رجوعنا إلى الوطن لأجل الحزب المخصوص بنا ونحن لم نقطع علاقتنا مع وطننا ولا نسينا حزبنا ولا أصحابنا، ولكن من جهة قائمقامية الشوف لا نقبل الرجوع إليها ومن جهة الوطن والمخصوصين فقد شاهدنا من بعض أبناء الوطن وبعض المخصوصين من معرفة الجميل. . . ما جعل لنا صبراً على فراق الوطن فإننا رأينا من إساءات بعض المخصوصين ما لم نَرَهُ ممن هم من حزب آخر، ولم ننسَ أولئك الذين رقَّيناهم من درجات الأنفار إلى رتبة بكباشي وقائمقام بماذا كافأونا، ولم ننسَ مخصوصين جعلناهم مشايخ قرى وضابطة وسواري وبياده، فمنهم من أخذ يحرك علينا في الدعوى المعلومة ومنهم من شهد شهادات

مضرَّة، ومن الناس من كان همّهم إنشاء جمعيات بحجة ترقية الشعب، والحال أنهم يقصدون مقاومتنا ظنّاً بأنهم يُتعبوننا بذلك، إلى غير هذا من الأمور التي لم تكن تخطر على بالنا لولا ما ذكَّرتمونا بها عند ذكر المخصوصين والوطن، ولسوء الحظ إننا مع إعلاء أنفسنا عن هذه السفاسف قد أعطانا الله ذاكرة قويَّة فلا ننسى الحوادث بالسهولة، فلهذا نرجّح البقاء بين الذين يقدرون قدر الأتعاب والمساعي ويعرفون فضل الإنسان، ونحن مع ذلك لا ننسى أصحابنا الحقيقيين ولا وطننا. أما ما ذكرتموه عن المتصرف فنعلم من أين مصدرهُ ونحن نعلم أنه اضطُرّ اضطراراً بواسطة سامي الفاروقي وشخص آخر إلى إجراء ما أجراه معنا، مع أننا خدمناه بأمانة وحافظنا عليه في وقت بل في أوقات حرجة لم يكن له فيها ملجأ سوانا، ومع هذا فنحن نشكر فعله معنا لأننا ممنونون من النتيجة، ولكن سواءً هذا المتصرف تجدَّدت مدته أم لا فلا بد لنا من الخلاص من سلطة ناصيف الريس وأذنابه في لبنان، وإن كان تجدد للمتصرف مدة وأبقى ناصيف وأذنابه فإنني واثق بحول الله أنه لا يكمل الخمس السنوات الثانية، وعند رجوعنا يرى بعينهِ فأُحب أن يفهم المتصرف من فمك ذلك الشخص الذي عنده وهو صديقكم أن تمسّكه بناصيف وذيول ناصيف سيكون الضربة القاضية عليه، وأن تجديد مدته لا يمنع الحركات والشكايات... هذا وسلامي إلى الدكتور الفاضل أمين بك الحلبي وإلى محمد أفندي حسن وشبلي.

أرسلوا سلامنا بصورة مخصوصة إلى الصديق الوفيّ محمود أفندي يوسف جمّول في عماطور وإلى الشيخ علي ورد في نيحا.



قضايا محليّة

رسالة وجهها إلى صديقه محمود الطويل حماده من «بعقلين» في أثناء تسلّمه قائمقامية الشوف في سنة ١٩١١ م، يذكر كيفية تقديم العرائض للمتصرفية بخصوص مطاليب القرى المحقة وملاحقتها لدى مركز المتصرفية في بيت الدين. كتبها من بيروت، ١٥ تموز، سنة ١٩١١ م.

بيروت/ ١٥ تموز/ ٩١١

حبيبي محمود أفندي

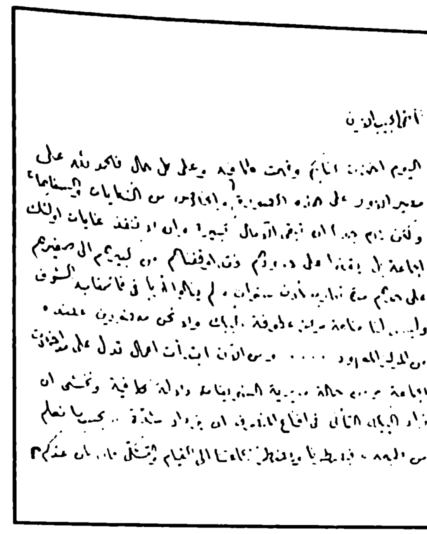
أخذت تحريركم رقم ٦ الجاري وفهمت كل ما فيه، والجواب أشكركم وأشكر كافة المخلصين وأنا ممتنّ لبعقلين عموماً والقليل لا يعتدّ به، أما الجمعية فلو وصلني الخبر عن احتفالها بوقته لكتبت إليها تلغراف تهنئة، ولكن الشيء لا رونق له بعد فوات وقته. ووصل لكم معروضات عدة أحد عشر وهي معروض من أهل داريا، ومعروض من أهل البرجين، ومعروض أهالي بعذران، ومعروضات ثلاثة لأهل شحيم، ومعروض من أهالي مزبود، ومعروض أهالي سوق الغرب، ومعروض أهالي مجدليا، ومعروض كترمايا، ومعروض بشامون، وقبلاً كنا سلمناكم معروض بعقلين وعنبال وغريفة، فالمأمول أن تتخابر مع الشيخ أبو أحمد عبد الغفار والشيخ أبو محمود حسين حماده والشيخ أبو يوسف حمد المصفي، وسائر أعيان الهيئة الأرسلانية في بعقلين، والشيخ حسين حمد عبد الباقي وسليم أفندي وحسن أفندي حماده من غريفة وسلمان أفندي زين الدين، وسائر من يلزم من الجيرة وتتوجهوا إلى بيت الدين بوفد لا يكون كبيراً جداً، حتى لا يظن أن المراد التهويل، بل بوفد مؤلف من نحو خمسة عشر ذاتاً من الأجلاء يتكلم بلسان الجمهور، ويمكن أن تطلبوا أربعة أو خمسة أشخاص من وجوه الإقليم مثل الشيخ حسين حمدان والشيخ سليم قبلان والخواجه مسعود سعاده وتقدموا هذه العرائض إلى المتصرف، وحيث إن أهالي عماطور ربما يأتي منهم وفد أيضاً فسلموا معروض بعذران إلى علي أفندي عبد الصمد ليعطيه إلى عمه محمود

أفندي، وليكن قدوم العماطرة من بعد وفدكم بيومين أو بعد ذلك بجمعة شاكرين همتكم كثيراً، والرجال بالتجاريب ودمتم.

المخلص شكيب

١٥ تموز/ ٩١١

أشار بعض العقلاء أن الوفود ينبغي أن لا تكون كثيرة العدد بل الوفد نحو ١٠ أو ١٥ شخصاً فقط من الوجوه.



وقف الافتراءات على الأمير

كلنا يعلم أنه كانت تقوم مشاكسات سياسية كثيرة ضد الأمير شكيب، ويظهر في هذه الرسالة بعض آثارها، ونرى الأمير فيها يطلب إلى أمين بك التدخل في الأمر، ويلاحظ أن طلبه ينطلق من موقع العزة والامتناع لا موقع الرجاء والاستخذاء. كتبها من صوفر، في ٧ آب، سنة ١٩١١.

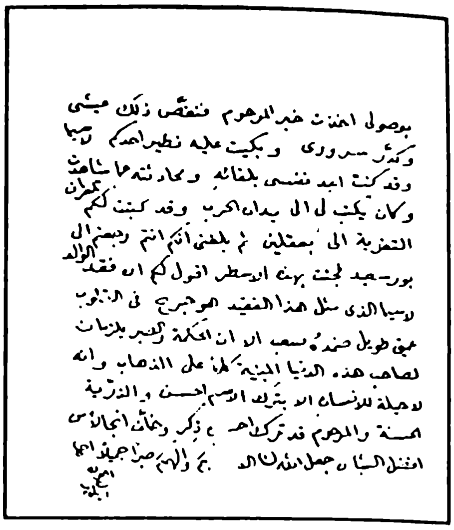
أخي الحبيب الأمين

اليوم أخذت كتابكم وفهمت كل ما فيه، وعلى كل حال فالحمد لله على مصير الأمور على هذه الصورة والخلاص من النكايات والسفاهات، ولكن يهم جداً أن تبقى الآمال الكبيرة وأن لا تنفذ غايات أولئك الجماعة بل يقفوا على حدودهم، فقد أوقفناهم من كبيرهم إلى صغيرهم على حدهم مدة تقارب ثلاث سنوات ولم ينالوا أرباً في قائمقامية الشوف، وليس لنا مناعة مركز عطوفة البيك ولا نحن معضودين عضده من المركز المعهود.... ومن الآن ابتدأت أعمال تدل على مداخلات الجماعة ومن حالة مديرية الشويفات دلالة كافية، ونخشى أن زاد البيك التأني في إقناع المتصرف أن يزداد شدّةً «بحسب ما نعلم من طبعه» فيضطرنا ويضطرّ جماعتنا إلى القيام والتشكّي، فإن كان عندكم وعند سيادة عمكم حكمة لهذا الأمر فأجروا ما في وسعكم، وإلاّ فإننا نحن لا يفكنا سوى الموت عن نسيب بك، ولكن لا نقدر أصلاً أن نطيق مطاولاتِ مصطفى عماد حباً بأحد، ولو كنا نقدر أن نتحمل الانضمام إلينا وأبت طبيعتنا ذلك، والآن نحن موجهون وجهنا شطر ولاية سورية وعازمون قريباً على التوجه إلى هناك وهو الفكر الذي كان معنا من قبل، لكن إن كانت السياسة ستمشي على خاطر هؤلاء الزعانف فلا تهمنا متصرفية ولا مبعوثية ويضطرّنا الأمر أن ننهض نحن ومن شاء مصاحبتنا من كل الجبل نهضة من له عادة أن لا يبالي بالخصام مع الأشدّاء، فكيف مع من لم نتعوّد احترامه... وإنما نحن في مشكل من جهة عطوفة حليفنا فلعله بحكمته وعزمه يكفينا هذا الموقف الحرج ودام بقاكم.

شكيب أرسلان/ صوفر في ٧ آب/ ٩١١

وفاة حمد بك حماده

وهذا كتاب تعزية من الأمير شكيب إلى صديقه الدكتور سليمان حماده يعزيه بوفاة والده المرحوم محمد بك حماده عضو مجلس إدارة جبل لبنان في أيام المتصرفية. مؤرخ في ٤ شوال سنة ١٣٣٠ هـ، الموافق ٢٧ أيلول سنة ١٩١١ م.


بوصولي اخذت خبر المرحوم فنغص ذلك عيشي
وكدر سروري وبكيت عليه نظير احدكم لاسيما
وقد كنت اعد نفسي بلقائه ومحادثته عما شاهدت
وكان يكتب لي الى ميدان الحرب وقد كتبت لكم تلغراف
التعزية الى بعقلين ثم بلغني انكم انتم رجعتم الى
بورسعيد فجئت بهذه الاسطر اقول لكم ان فقد الوالد
لاسيما الذي مثل هذا الفقيد هو جرح في القلوب
عميق طويل ضمده صعب الا ان الحكمة والصبر يلزمان
لصاحب هذه الدنيا المبنية كلها على الذهاب وانه
لا حيلة للانسان الا بترك الاسم الحسن والذرية
الحسنة والمرحوم قد ترك احسن ذكر وخلف انجالا من
افضل الشبان جعل الله لنا العوض بكم والهمكم صبرا جميلا

الإسكندرية في ٤ شوال/ ٣٣٠

أخـي

بوصولي أخذت خبر المرحوم فنغَّص ذلك عيشي وكدَّر سروري وبكيت عليه نظير أحدكم، لا سيما وقد كنت أعِد نفسي بلقائهِ ومحادثته عما شاهدت وكان يكتب لي إلى ميدان الحرب، وقد كتبت لكم تلغراف التعزية إلى بعقلين ثم بلغني أنكم أنتم رجعتم إلى بورسعيد، فجئت بهذه الأسطر أقول لكم إن فقد الوالد لا سيما الذي مثل هذا الفقيد هو جرح في القلوب عميق طويل ضمدهُ صعب، إلا أن الحكمة والصبر يلزمان لصاحب هذه الدنيا المبنية كلها على الذهاب وأنه لا حيلة للإنسان إلا بترك الاسم الحسن والذرّية الحسنة، والمرحوم قد ترك أحسن ذِكر وخلَّف أنجالاً من أفضل الشبان جعل الله لنا العوض بكم وألهمكم صبراً جميلاً.

أخـوكـم
شكيب أرسلان

الدعوة إلى مساعدة طرابلس الغرب

في سنة ١٩١١ م اعتدت إيطاليا على طرابلس الغرب (ليبيا)، فغضب الأمير شكيب غضباً شديداً، وكتب إلى مختلف الجهات يحرِّض على نجدة العرب في طرابلس، ويحث على مدهم بالأموال والسلاح، مبرقاً إلى المسؤولين في الأستانة، ومنهم شوكت باشا ناظر الحربية. فبعث بهذه الرسالة إلى السيد محمد رشيد رضا في مصر، يدعوه إلى العمل على مساعدة طرابلس، مؤرخة في ١٣ شوال سنة ١٣٣٠ هـ، الموافق ٢٦ أيلول سنة ١٩١١ م. (وقد نشرها د. أحمد الشرباصي، في كتابه «شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام» دار الجيل، ١٩٧٨).

صوفر في ١٣ شوال

خصـوصـي

سيدي الأخ الفاضل

أعلم أن جهادكم في تهذيب الأنفس وإقامة الشريعة على قواعد العلم، وأخذ المؤمنين بحقيقة الدين، وإثلاج الصدور ببرد اليقين، هو الجهاد الأكبر والبلاء الأسنى، والذي فيه استكمال الحسنى، وإن الأمة التي تفهم الدين فهمكم، وتفقه الشرع فقهكم، لا يُخشى عليها من اعتداء إيطالي، ولا استبداد أجنبي.

ولكن جهادكم هذا غرس لم يحن إيناعه، وزرع لم يئن ارتفاعه، ودون وصول ثمرته إلى درجة الوفاء بالغرض أيام وليال، وأعوام طوال، بما رسخ من الأوهام، وسدِك[1] العقول من صدأ الترهات.

ونحن الآن في خطب مستعجل الرأب، وفتق مستلزم سرعة السد، ولا يفيدنا فيه تعنيف مفرط، ولا لوم مقصر، ولا جواء خائن أو مستهتر، ولا يغنينا مع إلحاح وافد الشر، وإطلال نازل البأس، إكبار الإهمال، والوقيعة بمدبري هذه الأعمال، بل علينا قبل ذلك واجب أعجل، وهو تلافي ما فرط فيه غيرنا، وإبلاء العذر فيما يطلبه الرأي العام منا.

(١) سدك على وزن فرح: لزم.

وقد ظهر لنا بعد تقليب وجوه الحيل كلها، وتمحيص آراء الإغاثة بأجمعها، أنه لم يبق إلا طريق البر، وأن هذا الطريق مهما كان شاقاً صعباً طويلاً معطشاً، فإنه هو الوصلة الوحيدة والممر الممكن. وإن طريقاً سلكه آباؤنا مراراً في فتوحاتهم ومغازيهم لجدير بأن نسكله نحن في أحرج موقف وأضيق مجال. فإن لم تساعد السياسة على إمرار جنود منظمة، فلا أقل من متطوعة، وإن لم يمكن نهوض متطوعة فلا أقل من تسريب ذخائر وأرزاق على ظهور الجمال، بحيث لو بُدىء بتسيير قُطُر الجِمال قريباً صار المدد متصلاً، فإن في طرابلس وبنغازي والصحراء ومن قوم السنوسي رجالاً يشاغلون إيطاليا سنين طوالاً لو جرى مسألة معيشتهم[1] إذ ذاك، إذ هناك رجالات كثيرة، وفروسية ونجدة، وبغضاء للعدو، ولدى الدولة عدة آلاف من الجند وأسلحة وعدة، وإنما يخشى على أولئك من الجوع وقلة الطعام.

أفلا ينهض الإسلام في كل هذه الممالك إلى إغاثتهم بما يُمسك أرماقهم على الأقل، حتى تطول الحرب، ويستمر الدفاع، فإن طول أجل الحرب يستدعي تدخل الدول، ويفت في عضد تجارة إيطاليا، ويثير عليها ثائر سكانها، فتنتهي النازلة بصورة ليست فيها هذه الغضاضة وهذا الذل، ولا يطأطأ فيها الرأس أمام الطلياني. فيا ما أحلى الغلبة للإنكليزي بالقياس إلى هذه الحالة، ويا ما أحلى طعم الموت إذا صرنا ننهزم أمام من هزمهم الأحباش!.

أفلا يمكنهم في مصر عقد الاجتماعات لوضع هذه الإعانة في موضع التحقيق، وإيفاد السعادة إلى الهند وإلى السنوسي؟. فأما من الهند فتمكن النجدة بالمال، وأما من الصحراء فبالرجال، وأما من جهة الضباط لتدريب الأهالي فالدولة تقوم بهذا الأمر.

وما نستصرخ إخواننا المصريين أولي اليسار وأهل الحمية إلا للمدد المادي إن تعذر كل مدد غيره، وأي شهم يضطلع بهذا العمل أكثر منكم؟ وأي عمل هو أشرف من هذا؟ وأي سقوط حالاً واستقبالاً أعمق من سقوطنا إذا ذهبت طرابلس الغرب؟.

لا جرم أن حسن الدفاع عنها ليقف بالطامحين عن سائر حوزتنا، ويحفظ علينا هذا النزر الباقي من كرامتنا، وإن التخاذل عن هذه النجدة يكون الإجهاز على مهجتنا العمومية إذ تعلم أوروبا أنه ليس ثمة من حياة ولا من أحياء، وإن هناك إلا أعداء بدون اعتداد.

قصدت استيراء زندكم في هذا الغرض، وليس ذلك على همتكم بعزيز، ونحن في انتظار الجواب، شد الله بكم الأزر، ووفقكم إلى هذه الغاية، أفندم.

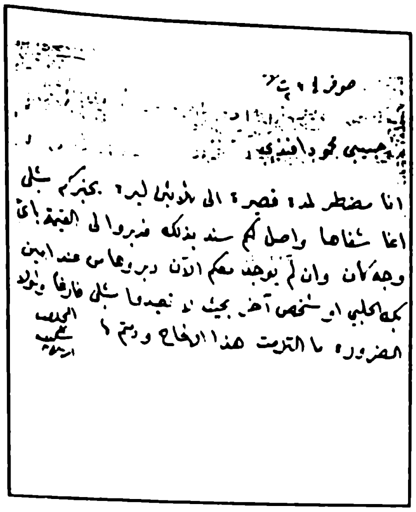
أخوكم شكيب أرسلان

---

(١) أي لو حلت مسألة إطعامهم.

الأمير يقترض من محبيه

ويكتب الأمير من صوفر بتاريخ ٧ تشرين الثاني في سنة ١٩١١ م، إلى صديقه محمود الطويل حماده من بعقلين، يطلب فيها مالاً، ومن هذا يستدلُّ على أن الأمير شكيب أرسلان لم يكن موسراً كما كان يظنه الناس.


صوفر ٧ ت ث

حبيبي محمود افندي

انا مضطر لمدة قصيرة الى ثلاثين ليرة يخبركم شبلي اغا شفاها واصل لكم سند بذلك فدبروا لي القيمة باي وجه كان وان لم يوجد معكم الآن دبروها من عند امين بك الحلبي او شخص آخر بحيث لا تعيدوا شبلي فارغاً ولولا الضرورة ما التزمت هذا الالحاح ودمتم

المخلص شكيب

صوفر في ٧ تشرين الثاني/ ٩١١

حبيبي محمود أفندي

أنا مضطر لمدة قصيرة إلى ثلاثين ليرة، يخبركم شبلي آغا شفاهاً واصل لكم سند بذلك، فدبروا لي القيمة بأيّ وجه كان، وإن لم يوجد معكم الآن دبروها من عند أمين بك الحلبي أو شخص آخر، بحيث لا تعيدوا شبلي فارغاً ولولا الضرورة ما التزمت هذا الإلحاح ودمتم.

المخلص شكيب

إعادة الجرحى والمنكوبين في ليبيا

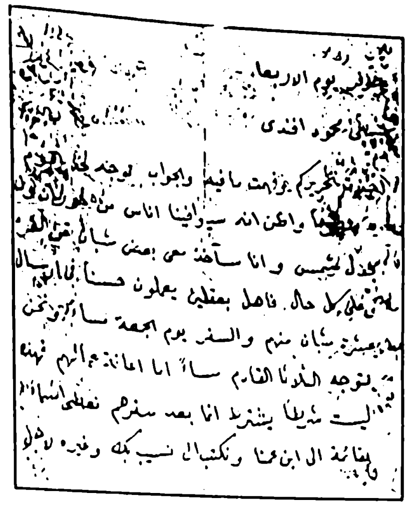
وكتب صاحب السعادة الأمير شكيب من سويسرا، إلى الشيخ محمد فراج المنياوي رئيس جمعية العلماء في مصر، يدعوه إلى ضرورة المساهمة في إعانة جرحى الريف والمنكوبين في الحادث الذي حصل لهم. وهذه صورة الكتاب المذكور الذي نشرته جريدة «الأهرام» بتاريخ ١٩ شباط ١٩٢٥ :

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي رئيس جمعية تضامن العلماء

أُقدم لفضيلتكم ورقة مائة فرنك سويسري أي نحو أربعة جنيهات، أرجو ضمّها إلى إعانة جرحى الريف، وهي كما لا يُخفى لا تغني ولا تسمن من جوع، ولكنني أروح بها عن وجداني بعض الثقل الذي أشعر به من إهمالنا أولئك المساكين، وقد أشرت إلى أبنائنا طلبة العرب في (برلين) بأن يتبرعوا بما استطاعت أيديهم في هذا السبيل. وجاءني من رئيس جمعيتهم الناهض زكي بك كرم الدمشقي أنهم سيفعلون. هدى الله الجميع ولا سيما الأغنياء.

شكيب أرسلان

طلب متطوعين للحرب الليبية



رسالة بلا تاريخ وجّهها الأمير إلى صديقه محمود الطويل حماده من بعقلين، وفيها ما يتعلق بطلب متطوعين للحرب في ليبيا، ومن هنا نؤكد، بأن الأمير شكيب كان للجهاد كما كان للقلم أيضاً.

صوفر يوم الأربعاء

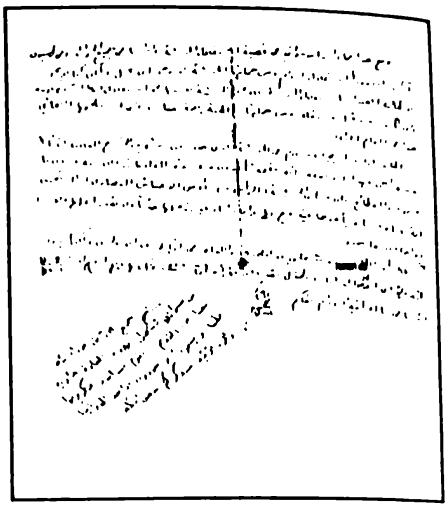
حبيبي محمود أفندي

أخذت تحريركم وفهمت ما فيه، والجواب: توجه لحد اليوم ٥٠ متطوعاً وأظن أنه سيوافينا أناس من حوران ومن مجدل شمس، وأنا سآخذ معي بعض شبان من الغرب، وعلى كل حال فأهل بعقلين يعملون حسناً في إرسال عشرة شبان منهم والسفر يوم الجمعة مساءً، ونحن نتوجه الثلاثاء القادم مساءً. أما إعانة عيالهم فهذه ليست شرطاً يشترط، إنما بعد سفرهم نعطي أسماءهم بقائمة إلى ابن عمنا ونكتب إلى نسيب بك وغيره لأجل السعي في إعانة، ونحن نعمل جهدنا في الشام بعمل شيء، لكن إذا فتحنا الباب يلزم أن يصير عمومياً ونتكلف كثيراً. فالخرجية بالممكن من جهة بيروت بدون لزوم لكلام زيد وعمرو. الحالة حالة حرب وهم يترقبون العدو سواءً تعرض أم لا، ولكن نحن لا نؤخر سفرنا عن جمعة، ومتى وقع شيء في بلادنا نرجع إن شاء الله حالاً، وإن لم يقع نكون أدّينا ما علينا من الخدمة المقدسة فعلاً لا بالكلام كما جرت العادة هنا. وعلى كل حال نشكر همتكم. أرسلوا بطلب الشيخ حسين حمد عبد الباقي وتذاكروا معه بمآل كتابنا هذا، وليبذل جهده والعذر بالعسر المالي هو غريب، لأن البقاء هنا لا يرفع العُسر والذي يذهب إلى الجهاد حاله أفرج، وعلى الله الاتكال ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

بطيّه بطاقة لسعيد بك أمين حماده والثانية للشيخ مصطفى العيد أرسلوهما إليهما والثالثة لزيدان أبي ذياب.



مساعي الأمير في القضية الليبية

رسالة مهمة من رسائل الأمير، لم نعثر على الصفحة الأولى والصفحة الثانية منها، وهي تدلُّ على بعض ما بذله الأمير في سبيل العرب والمسلمين، وقد توسط مع السلطات الإيطالية، وبخاصة مع موسوليني، الذي كان يكنّ احتراماً كبيراً للأمير، ويلبّي جميع طلباته، وقد بلغ الأمير أن هناك ثمانين ألف عربي نقلوا من الجبل الأخضر في طرابلس الغرب إلى الصحراء ومات منهم الكثير، واستولى الإيطاليون على الأوقاف الإسلامية، والأملاك الخاصة، فتوسط الأمير لإعادتهم، في الوقت الذي لم يجرؤ أحد من قادة العرب والمسلمين على التظاهر، وأن يقول لطاغية إيطاليا وديكتاتورها ماذا تفعل بطرابلس؟ فكل هذه الأعمال التي قام بها تعود إلى مرونة الأمير وبُعد نظره وتبصره بالأمور، ومكانته الرفيعة في الأوساط الدولية. ولا يوجد تاريخ للرسالة.

... مكاتيب صريحة من الكتلة الوطنية الطرابلسية في الإسكندرية يقولون لي فيها: لم يكن عرب برقة في يوم من الأيام مستريحين، كما هم في هذه المدة بواسطتك، جزاك الله عن الإسلام خيراً.

٤ ـ طلبت من زعيم إيطاليا الاهتمام بالتعليم الإسلامي واللغة العربية في مكاتب الحكومة، فقال لي: هذا موجود إلاّ أنه كان عندك ملاحظات في هذه أو في غيرها فاكتب عنها إليّ. ثم سألت بعد ذلك عن حالة التعليم الإسلامي فأجابوني بأنهم ازدادوا بها اعتناء، ثم أنشأ موسوليني مدرسة عالية في طرابلس لأجل العلوم الإسلامية.

٥ ـ طلبت منه منع التبشير المسيحي بين المسلمين فقال لي: هذا ممنوع قطعياً وإن بلغك أقل شيء من هذا المعنى فأخبرني. فسألت بشير بك السعداوي ألدّ أعداء الطليان عن هذه النقطة، فأجابني بأنها غير موجودة وأنهم حلّت بهم مظالم كثيرة، أما التبشير بالمسيحية فليس موجوداً.

ولما رجعنا من اليمن ومررنا بمصوّع وأسمَرَه، أقبل علينا المسلمون من كل طبقة فسألناهم

عن أحوالهم، فأجابونا تفصيلاً عن كل شيء بما لا يسعه هذا المقام، ومما هو موجب للرضى بل للسرور، وأما من جهة التبشير فقالوا إنه ممنوع، وإن مبشراً خالف الأمر وتعرّض للمسلمين فحبسوه ثم طردوه وأرجعوه إلى أوروبا. فقست بين هذه الحالة وبين أعمال الدول الأخرى، فقلت: لا بد من شكر موسوليني، فقد قال لي في هذا قولاً ووجدته كله صدقاً.

٦ ـ كانت إيطاليا استولت على أوقاف المسلمين في طرابلس تديرها بمعرفتها، فطلبت أن إدارتها بمعرفة لجنة إسلامية صرفة. فمن عدة أشهر تشكل مجلس أوقاف في كل بلدة، وتسلّم أوقاف المسلمين وخرجت من يد الحكومة الإيطالية.

٧ ـ كانت إيطاليا استولت على أراضي الزوايا السنوسية وعلى أملاك البيت السنوسي، فطلبت إعادة هذه الأراضي إلى الزوايا المذكورة وفتح الزوايا التي كانت لا تزال مقفلة، فصدر الأمر بذلك وتنفذ وجرى ضم أملاك السنوسية إلى أراضي الزوايا وهذا من مدة قريبة.

٨ ـ طلبت العفو العمومي عن جميع المحبوسين بسبب الثورة أو الجهاد، فكتب موسوليني بيده إلى الماريشال بالبو والي طرابلس، وأرسل إليه كتاباً مني إليه أستوصيه فيه إياه خيراً بالمسلمين، فأخرجوا من السجون ثلاثمائة شخص كان محكوماً عليهم بالحبس عشرين سنة وثلاثين سنة، ثم أرسل إليّ زعيم إيطاليا يقول: إن كان عندك معلومات عن وجود أناس لا يزالون محبوسين فأرسل لي أسماءهم. فاستعلمت من الكتلة الطرابلسية في الإسكندرية فأيدوا لي خبر العفو عن الثلاثمائة شخص، وذكروا لي أسماء عشرين شخصاً كانوا لا يزالون في السجون، فأرسلت هذه الأسماء إلى رئيس الحكومة الإيطالية، فما مضى شهر حتى جاءني الخبر بأن هؤلاء أيضاً أطلق سراحهم.

٩ ـ جرى ترميم جوامع كثيرة قديمة وتشييد جوامع جديدة لم تكن موجودة، وذلك بسبب ما نصحنا به من وجوب تعظيم الشعائر الإسلامية. نعم لا تزال أراضي كثيرة مضبوطة منها ما هو من المشاعات ومنها ما هي أملاك خاصة، وموسوليني وعد بإجراء طريقة لهذه المسألة أيضاً، إما بإعادة الأملاك نفسها أو بدفع تعويض عنها. ونحن لا نزال نتابع السعي في هذه المسألة، لأن هذه الأملاك كثيرة كان يعيش بها ألوف من المسلمين.

عمّا مضى قبل مداخلاتي أنا جرت مظالم كثيرة ولولا ذلك ما أقمت تلك القيامة، ولكن بعد مداخلاتي اصطلحت الأحوال في طرابلس إلى حد أنه لم يقدر أحد على إنكار ذلك، وكان المرحوم السيد رشيد رضا كتب في مقال قائلاً: إن الأمور التي ذكر الأمير شكيب أنه كان السبب في إصلاحها في طرابلس، لم يقدر أحد أن ينكر حصولها، ولا أن يكذّبه بشيء.

أيكون يا أخي بعد هذا ممكناً أن أقول لموسوليني: أيها الفاعل التارك لماذا شننت الغارة على الحبشة؟ هو أستحيى عشرات الألوف من المسلمين لأجل خاطري وإن كان بالحقيقة نفع بذلك وطنه. ثم إنه أحيى التعليم الإسلامي. ثم رد إلى المسلمين أوقافاً وأراضٍ تساوي الملايين. فإن كنت أشتمه فيكون ذلك غير طبيعي ثم لا يعود معقولاً أن يكمل سياسته هذه مع المسلمين، ولا يكون ممكناً أن يرد الأراضي إلى أصحابها. مهما كان وقع في الماضي فسياستنا يجب أن تكون عملية لا خيالية، ولو أنَّا قادرين أن نطرد الطليان من طرابلس بقوة السلاح ما تأخرنا لحظة واحدة، ولا استعملنا السياسة مع موسوليني. ولكن الحالة هي معروفة لديكم جميعاً وقوة إيطاليا معروفة، فقد خاصمت إنكلترا أعظم دولة، وخاصمت ٥٢ دولة في جمعية الأمم وصمّمت، وساقت ثلاثمائة ألف عسكري إلى الحبشة، وكسرت تلك الأمة الحبشية الباسلة التي قامت بأجمعها تناضل عن استقلالها، ومع هذا فما دارينا موسوليني في قضية استقلال الحبشة، ونشرنا في جميع الجرائد وفي لانسيون آراب أن مبدأ استقلال الأمم ومن جملتها الحبشة لا نرضى أن يختل. ولكن كما لا يجوز لإيطاليا العبث باستقلال الحبشة فلا يجوز للحبشة نفسها محو استقلال الإمارات الإسلامية التي كانت من قبل مستقلة، ومن جملتها سلطنة «جمة جفار» التي استلحقها النجاشي هذا في العام الماضي.

اطلبوا كتاب تاريخ الإسلام في الحبشة الذي صدر من شهرين للمؤرخ العلامة الآثاري يوسف أحمد، فهو كتاب صغير مائة صفحة تأخذون منه زبدة المعلومات اللازمة، وترون ما يجري من الفظائع على مسلمي الحبشة: الرأس من رؤوس الأحباش النصارى إذا استحسن أية فتاة مسلمة يأخذها فيتزوج بها، وإن شاء فيستعملها خِدْناً ولا يقدر أهلها ولا أبواها أن يعارضوه.

طال هذا الكتاب، شغلني عن عملي هذه الليلة في كتابي عن الأندلس، ولكن ليس بكثير عليّ أن أخصك بكتاب مطوّل تقدر أن تقرأه لمن شئت، ولكن بدون لزوم لنشره حيث نشرنا في مآله كثيراً ودام بقاكم.

لأخيكم

شكيب أرسلان

ستتضح جميع الحقائق عن الحبشة من نفسها فلا تستعجل، فهذه العادة جارية معنا من القديم: نقوم بسياسة فينكرونها علينا ويشتموننا، ثم يعودون فيما بعد إلى رأينا، والمرة الآتية سنذكر لكم بعض الأمثلة.

الأمير ومهجري ليبيا

رسالة من الأمير شكيب إلى بشير السعداوي الزعيم الليبي، الذي اشتغل في قضية بلاده في نزاعها مع إيطاليا، وفيها أُمور تتعلّق بالمهجرين العائدين إلى طرابلس الغرب.

أخي بشير لا عدمته

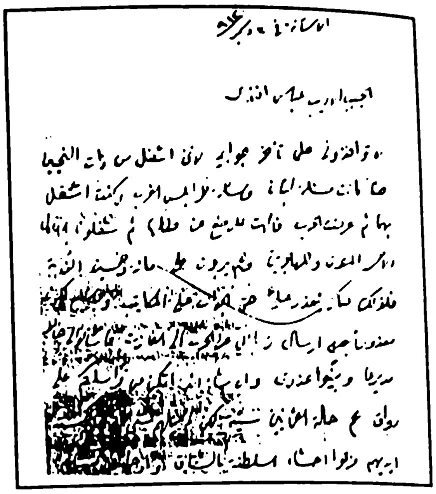
جاءنا الأخ إحسان سامي حقي من الشام وأبلغني سلامك، وسرني أنك ولله الحمد بالصحة، ولكن ساءني ما أخبرنيه عن لسانك نقلاً عن أناس حضروا من طرابلس، وهو أن العرب أهل الجبل الأخضر لم يعودوا كلّهم إلى أوطانهم، والحال أن زعيم إيطاليا نفسه لما طلبت منه إعادة المنفيين والمشردين بأجمعهم قال لي: لا أظن بقي منهم أحد ولكني مع ذلك سأسأل.

لهذا أنا أرجو منك أن توافيني في الحال بما حدثك به هؤلاء القادمون من طرابلس عن الأحوال كلها، ولكن بعد الاستقصاء منهم وتحليفهم أن لا يقولوا إلاّ الحق، وأن تأخذ منهم ومن غيرهم معلومات عن الذين من عرب الجبل الأخضر باقٍ في صحراء سرت ومن أي القبائل هم وما عددهم؟ إني أريد أن أعرف كل هذا، حتى أراجع رومه وأذهب بنفسي لتعقّب هذه المسألة وغيرها مما يتعلّق بطرابلس.

إنني عندما مررت بمصوع وأسمره وغفار أثناء رجوعي من اليمن، جاءني كل أعيان المسلمين وذلك من حجازيين ويمانيين ومصريين ومسلمين وأحباش بأجمعهم. أثنوا على معاملة إيطاليا لهم من كل الوجوه، واستقصيت في السؤال وأجابوا عن كل شيء، ومن يومين قرأت في جريدة «البوبولار» لسان حال الحزب الاشتراكي في فرنسا، رسائل عن حوادث تونس يقول كاتبها: إن من جملة أسباب هيجان التونسيين على فرنسا، هو أن إيطاليا بدأت تحسن معاملة المسلمين في طرابلس، وأن فرنسا في تونس لا تريد أن تغيّر خطتها، فهذا كلام له معناه ومع هذا فافحص لي أنت مدقّقاً، وأجبني عن حقيقة الواقع لأعلم ماذا أقول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوك

شكيب أرسلان



الجيش العثماني والحالة السيئة

رسالة وجّهها الأمير إلى الشيخ عباس المصفي، وفيها يصف حالة العثمانيين وأحوال السلطنة والانقسام في الجيش والوضع الداخلي في الأستانة. كتبها من الأستانة في ٣ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩١٢ م، الموافق ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ[١].

الأستانة في ٣ ديسمبر ١٩١٢

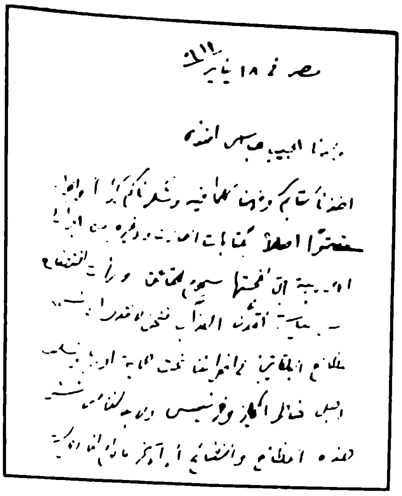
الحبيب الأديب عباس أفندي

لا تؤاخذني على تأخر جوابي لأنني أشغل من ذات النحيين، هنا كانت مسألة لبنان ومسألة طرابلس الغرب وكنت أشتغل بهما، ثم عرضت الحرب فألهت المرضع عن طفلها، ثم شغلونا بالهلال الأحمر المصري والمهاجرين وهم يربون على مائة وخمسين ألف نسمة، فلذلك صار يتعذر عليّ حتى الجواب على المكاتيب. وبالطبع أكون معذوراً بعدم إرسال رسائل عن الحرب إلى «الغازت» فاسألوا خاطر مديرها، وبيّنوا عذري وإن شاء الله أتمكن من مراسلتكم على رواق. نعم حالة العثمانيين سيئة لكن لم ينلهم شيء إلا بما كسبته أيديهم، مزقوا أحشاء السلطنة بالشقاق، أدخلوا الانقسام حتى في الجيش ولا يزال إلى هذه الساعة الجيش حزبين وكل منهما ينتقم من الآخر، ولم يكن شغلي في الأستانة سوى تأييد حزب على حزب إن كان في زمن الاتحاديين أو الآن، فأهملوا الجيش وأهملوا السياسة الخارجية واتفق ممالك البلقان بدون علمهم وزحفوا عليهم بغتة، وكانوا صرفوا ١٢٠ ألفاً من عساكرهم فجاء الأعداء بعدد أوفر ومدافع أكثر، وبعد ذلك أماتوا العسكر جوعاً، فالعجب ليس من كونهم لم ينتصروا، بل العجب من كونهم لم ينهزموا. أكثر ممّا وقع وكل ما حصل هو نتيجة منطقية عادة لأمة تخرب بيتها بيدها، ولو انتبهوا قليلاً لكانوا في ١٥ يوماً دخلوا عواصم الدول الأربع وجعلوها قاعاً صفصفاً، وليس عندي وقت لأشرح لكم، وأنتم تطلعون على الجرائد الأجنبية فتعلمون كل شيء. أما سورية فإنها غير داخلة في شيء ولا أمل لأولئك الذين يغنّون ذلك الموّاليا. . سلامي إلى الجميع من أحبابي ودمتم حسبي.

شكيب

(١) من محفوظات الشيخ سامي المصفي.

القضايا العربية


مصر في ١٨ يناير ١٩١٣

ولدنا الحبيب عباس أفندي

رسالة من الأمير، صادرة عن مصر، في ١٨ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٣، الموافق ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ هـ. إلى عباس المصفي، الذي كان مديراً لمكتب جريدة (الأهرام) في الإسكندرية، يتناول فيها الردّ على ما كانت تكتبه صحف أوروبا حول القضايا العربية، والدولة العثمانية[1].

مصر، في ١٨ يناير، ١٩١٣

ولدنا الحبيب عباس أفندي

أخذنا كتابكم وفهمنا كل ما فيه وشكرناكم كثيراً، والجواب: ستهتمّوا أصلاً بكتابات الغازت، ولا غيره من الجرائد الأوروبية التي لفحتها سموم الحقائق ورأت افتضاح سرّ سياسة التمدُّن الكذّاب، فنحن لا نقدر أن نسمع بفظائع البلقاني في إخواننا تحت حماية أوروبا ونسكت لأجل خاطر إنكليز وفرنسيس، ولا بدَّ لنا من نشر هذه الفظائع والفضائح إلى الآخر ما دام لنا دولة وملّة، ومتى قُضي على الاستقلال العثمانيّ القضاء الأخير كما هم يأملون، فعند ذلك يمكنهم أن يذبحونا وأن يمنعونا من الأنين، أما إلى الآن فلا نزال دولة مستقلة وأمة مستقلَّة لنا جرثومة استقلال نرجع إليها.

وكان أولى بالجرائد التي أغضبها هذا الكلام أن تغضب لسكوت أوروبا المتمدّنة عن تأديب البلقاني السكوت الذي جعلها شريكة في هذه المسؤولية.

فأمّا ما ستبثّه الغازت والردّ عليها فلم أعلم للآن الكتابة ولا معناها، وبعد الاطّلاع على ذلك سنردّ عليها من «المؤيد» نفسه، كما أنني الآن سأكتب شيئاً عمومياً بهذا الموضوع، وأقول لمشايخ الأوروبيين بدلاً من أن يغضبوا يلزم أن يخجلوا بأعمال قومٍ هم يحافظون عليهم، وهم منهم ولا يجسرون أن يفعلوا لولاهم.

(١) من محفوظات الشيخ سامي المصفي.

وينبغي أن تعلموا أنني بغاية السرور من تأثير هذه الكتابات بالأوروبيين، لأنها دليل على أنهم عرفوا كوننا أحسسنا بالألم وأن السبات الذي يعهدونه فينا وهو سبب نجاحهم للآن علينا قد زال منّا.

ولا يهمُّني أصلاً غيظهم لأن التلغراف الذي كتبته إلى السير إدوار غراي فيه كلمات جارحة للأوروبيين ضمناً، وللحكومات المدّعية التمدُّن أكثر مما يمكن أن يخاطب وزير أصغر دولة شرقية.

وأما ما سألتموني عنه مما يجب أن تفعلوا فهو أن تترجموا لهم كل ما شاءوا ولا تهتمّوا ولا تكترثوا، ولكن إن أخذوا رأيكم الخصوصي تقولون لهم أنا أوافقكم على الدفاع عن أنفسكم، لكن لا أرى موافقاً لسياستكم الدفاع عن فظائع البلقان التي ثبتت رسمياً ولا محاولة تغطية الحقائق، وإن هذا لا يقدمكم شيئاً إلى الأمام، بل يؤخركم في نظر الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً.

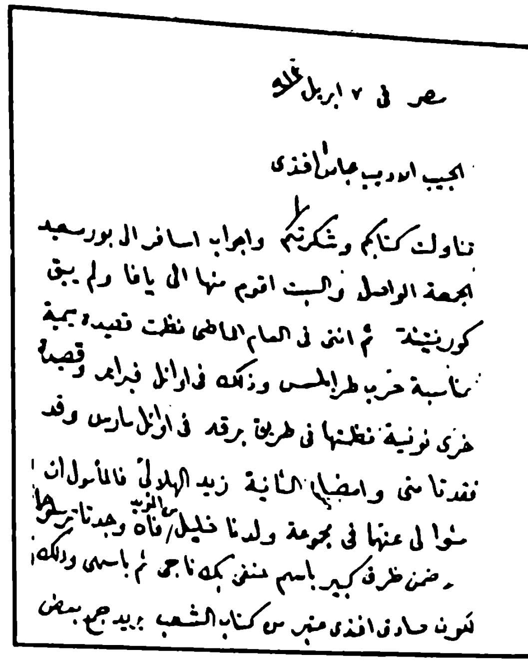
إنني أعلم أن الأوروبيين يعرفون العربي وإنما ينبّه أفكارهم مثل هذه المقالات بعض المسيحيين الذين تحرقهم هذه الكتابات، فيريدون الانتقام من أصحابها بالوشاية إلى الأوروبيين.

وبالاختصار نحن قوم نريد أن يفهموا أننا فهمنا حقيقتهم التي طالما حاولوا سترها للآن، وقد نلنا الغاية في ذلك وإن أرادوا السفاهة فإننا سنمزّق أستارهم أكثر من الأول ولا نبالي بغطرستهم ويمكنكم أن تقولوا لهم ذلك أيضاً، وأن الأولى عدم توسيع الجدال لأن الاستعداد على نشر تاريخ الشرق والغرب من الأول إلى الآخر، والمقارنة بين ما فعلوه هم وما فعلناه نحن بالتفصيل، وليختاروا لأنفسهم ما يحلو، وإن اطلعتم على أشياء أخرى أفيدونا فقط ودمتم.

شكيب

أصبتم أن تفهموهم أن هذا هو لسان جميع العثمانيين، وإن شاءوا فليراجعوا الجرائد التركية حتى الجرائد المخصوصة بكامل باشا صديق الإنكليز، بل لا بد أن يكونوا سمعوا ما يقول كامل باشا نفسه.

قصائد ضائعة


مصر في ٧ ابريل ٩١٣

الحبيب الاديب عباس افندي

تناولت كتابكم وشكرتكم والجواب اسافر الى بورسعيد
الجمعة الواصل والسبت اقوم منها الى يافا ولم يبق
كورنتينة ثم انني في العام الماضي نظمت قصيدة ميمية
بمناسبة حرب طرابلس وذلك في اوائل فبراير وقصيدة
اخرى نونية نظمتها في طريق برقة في اوائل مارس وقد
فقدتا مني وامضاء الثانية زيد الهلالي فالمأمول ان
تبحثوا لي عنها في مجموعة ولدنا خليل من المؤيد فان وجدتا ترسلوهما
حالاً ضمن ظرف كبير باسم حنفي بك ناجي ثم باسمي وذلك
لكون صادق افندي عنبر من كتاب الشعب يريد جمع بعض

رسالة من الأمير مؤرخة من مصر، في ٧ أبريل (نيسان) سنة ١٩١٣ م، الموافق ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ هـ. يسأل فيها عباس أفندي المصفي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) الذي كان يعمل في جريدة «الأجشيان غازيت» في الإسكندرية، عن قصيدتين ميمية ونونية أضاعهما، ويرجو إليه البحث عنهما في مجموعة المؤيد وإرسالهما إليه، لأن الأستاذ صادق عنبر عامل على جمع بعض القصائد للأمير يصدرها بترجمة له، ومن المؤسف أن مشروع الأستاذ عنبر لم نَرَ ثماره[1].

مصر في ٧ أبريل/ ٩١٣

الحبيب الأديب عباس أفندي

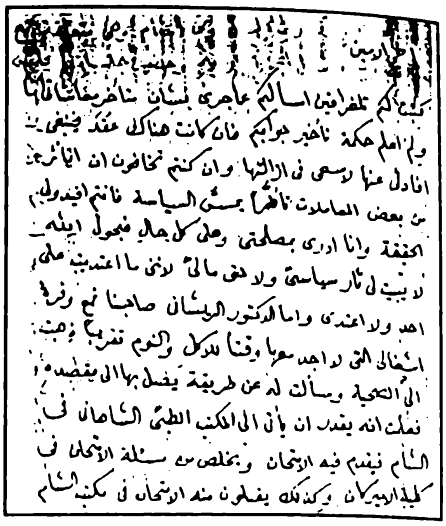
تناولت كتابكم وشكرتكم، والجواب أسافر إلى بور سعيد الجمعة الواصل والسبت أقوم منها إلى يافا، ولم يبق كورنتينة. ثم إنني في العام الماضي نظمت قصيدة ميمية بمناسبة حرب طرابلس وذلك في أوائل فبراير، وقصيدة أخرى نونية نظمتها في طريق برقة في أوائل مارس، وقد فقدتا مني وإمضاء الثانية زيد الهلاليّ، فالمأمول أن تبحثوا لي عنهما في مجموعة ولدنا خليل من المؤيد فإن وجدتا ترسلوهما حالاً ضمن ظرف كبير باسم حنفي بك ناجي ثم باسمي، وذلك لكون صادق أفندي عنبر من كتاب الشعب يريد جمع بعض قصائد ومختارات لي ويقدم عليها ترجمة، وقد ألحّ علي في ذلك، ودائماً طمنونا عنكم وسلامي إلى الحبيب مصطفى أفندي أبي عز الدين ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

(١) من محفوظات الشيخ سامي المصفي.

وفرة مشاغل الأمير


أخي الأمين
كتبت لكم تلغرافين اسألكم عما جرى بشأن متأخر معاشاتي ولم
اعلم حكمة تأخير جوابكم فان كانت هناك عقد فينبغي
افادتي عنها لاسعى في ازالتها وان كنتم تخافون ان اتأثر
من بعض المعاملات تأثراً يمس السياسة فانتم افيدوني
الحقيقة وانا ادرى بمصلحتي وعلى كل حال فبحول الله
لا يبيت لي ثار سياسي ولا حق مالي لانني ما اعتديت على
احد ولا اعتدي واما الدكتور الريشاني صاحبنا فمع وفرة
اشغالي التي لا اجد معها وقتاً للاكل والنوم تقريباً ذهبت
الى الصحية وسألت له عن طريقة يصل بها الى مقصده
فعلمت انه يقدر ان يأتي الى المكتب الطبي الشاهاني في
الشام فيقدم فيه الامتحان ويتخلص من مسألة الامتحان في
كلية الاميركان وكذلك يقبلون منه الامتحان في مكتب الشام

هذه الرسالة التي أرسلها إلى أحد أعيان جبل لبنان، تدلُّ على كثرة الأشغال التي كانت ترهق الأمير شكيب، وخاصة الجواب عما كان يصل إليه من رسائل تعدُّ بالمئات، وتدلُّ أيضاً على ما كان يتمتع به الأمير العظيم من مكانة عالية وشأن رفيع. كتبها من الأستانة في ١١ رجب سنة ١٣٣٢ هـ، الموافق ٦ حزيران سنة ١٩١٣ م.

الأستانة العلية في ١١ رجب/ ٣٣٢

أخي الأمين

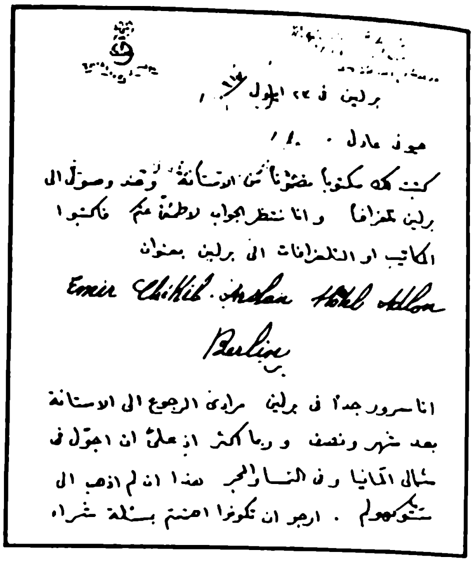
كتبت لكم تلغرافين أسألكم عما جرى بشأن متأخر معاشاتي ولم أعلم حكمة تأخير جوابكم، فإن كانت هناك عُقَد فينبغي إفادتي عنها لأسعى في إزالتها، وإن كنتم تخافون أن أتأثر من بعض المعاملات تأثُّراً يمسُّ السياسة فأنتم أفيدوني الحقيقة وأنا أدرى بمصلحتي. وعلى كل حال فبحول الله لا يبيت لي ثار سياسيّ ولا حق ماليّ، لأنني ما اعتديت على أحد ولا أعتدي. وأما الدكتور الريشاني صاحبنا فمع وفرة أشغالي التي لا أجد معها وقتاً للأكل والنوم تقريباً، ذهبت إلى الصحية وسألت له عن طريقة يصل بها إلى مقصده، فعلمت أنه يقدر أن يأتي إلى المكتب الطبيّ الشاهاني في الشام فيقدم فيه الامتحان، ويخلص من مسألة الامتحان في كلية الأميركان، وكذلك يقبلون منه الامتحان في مكتب الشام بالعربي فبلغوه ذلك، وإن كنتم الآن لستم في الشويفات فاكتبوا له وأريحوني من أن أكتب له رأساً، فإنني آخذ يومياً من ١٥ إلى ٢٠ مكتوباً كلها في الأشغال، وقريباً من ذلك تلغرافات وكلها في الأشغال، وعليَّ تعقيب مشروعات كثيرة في حوران وقرارات المجلس القومي العمومي بالشام وهي متعلقة بجميع النظارات، وشغل أنجمن الخارجية وحضور جلسات المجلس الطويلة وجلسات القلم العمومي الذي هو مدير الحركة كلها، فأنا معذور في اختصار الكتابة ولكن الناس يتصورون أن الأستانة هي كبعبدا، أو صاحب الشغل يعتقد أنه لا يوجد غيره في حالهِ، فيكتب الواحد تلغرافاً فإذا في ثالث يوم لم يأخذ الجواب ثنَّى ثم ثلَّث. وأشد ضرر واقع عليَّ هو من اعتقاد الناس كوني لا أهمل مسألة وأنني لا بد أن أسعى، فأنا جلبت هذا التعب كله

لنفسي والله تعالى يأخذ باليد ولا يخزينا ولا يخجلنا أمام أبناء وطننا، وسلامي إلى الأصحاب جميعاً مع استمداد دعاء سيادة الشيخ المفضال وتبليغ أشواقي إلى الشيخ حسين وولده الداماد الكريم. وأما سعادة الرشيد فالتلغرافات بيننا وبينه متصلة فضلاً عن المكاتيب، ولا ثقلة بهكذا مخابرات لأنها كلها في أمور حيوية للبلاد ومشروعات عائدة بسعادة ألوف من العباد ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

قضايا شخصية مع الأمير عادل

رسالة إلى شقيقه الأمير عادل وفيها مسائل شخصية طريفة، كتبها من برلين بتاريخ ٢٣ أيلول سنة ١٩١٣ م[١].



برلين في ٢٣ ايلول ٩١٣
عيوني عادل
كتبت لك مكتوباً مضموناً من الاستانة وعند وصولي الى
برلين تلغرافاً وانا منتظر الجواب لاطمئن عنكم فاكتبوا
المكاتيب او التلغرافات الى برلين بعنوان
Emir Chékib Arslan Hôtel Adlon
Berlin
انا مسرور جداً في برلين مرادي الرجوع الى الاستانة
بعد شهر ونصف وربما اكثر اذ عليّ ان اجول في
شمالي المانيا وفي النمسا والمجر هذا ان لم اذهب الى
ستوكهولم . ارجو ان تكونوا اهتمتم بمسألة شراء

برلين في ٢٣ أيلول/ ١٩١٣

عيوني عادل

كتبت لك مكتوباً مضموناً من الأستانة، وعند وصولي إلى برلين تلغرافاً، وأنا منتظر الجواب لأطمئنّ عنكم، فاكتبوا المكاتيب أو التلغرافات إلى برلين بعنوان

Emir Chékib Arslan Hôtel Adlon

Berlin

أنا مسرور جداً في برلين مرادي الرجوع إلى الأستانة بعد شهر ونصف وربما أكثر، إذ عليَّ أن أجول في شمالي ألمانيا وفي النمسا والمجر، هذا إن لم أذهب إلى ستوكهولم. أرجو أن تكونوا اهتممتم بمسألة شراء كرم زيتون لي وكرم زيتون لكم. وأن تكونوا قبضتم المبلغ الذي لنا قِبَل خليل بك مردم بك بالشام، واستحضرتم الصندوق الذي عند عثمان باشا المحمد في طرابلس. وإن لم تكونوا تمّمتم ذلك فلا تحضروا إلى الأستانة قبل الإتمام.

وسلموا على نسيب وحسن وأقبّلهم وأقبّلكم ألف مرة، نسأل الله أن يجمعنا على أحسن حال عيوني.

أخـوك

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

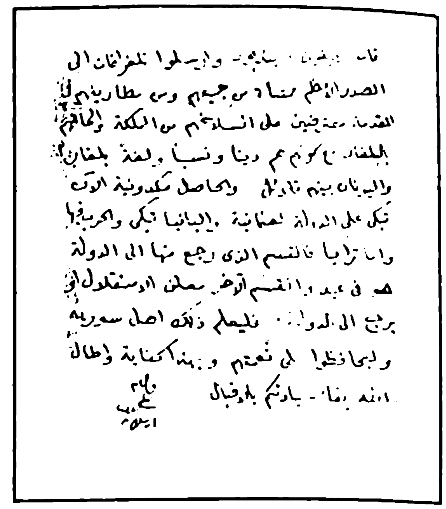
لا تنسوا أن تقبّلوا عني عيون ابن العم أمين وابن العم عارف، سألني عن أمين هنا حقي باشا سفير الدولة الذي نحن ممنونون من معاملته لنا جداً. عمل لنا وليمة ودعا بعض كبار الخارجية الألمانية ونحن عملنا أمس له وليمة ودعونا ٢٠ شخصاً من كبار العثمانيين والألمان مع سفيرنا وسفير العجم.

قدموا احتراماتي لحضرة المتصرف إسماعيل حقي بك أفندي، الذي أسأل الله توفيقه لتخفيف ويلات المساكين.

لا تنسوا بيت توفيق مجيد إذا جاء قمح إلى الجبل، ولا تنسوا قبل حضوركم أن تؤمّنوا مؤونة البيت من المقروصة ومن غيرها.

ثم قبلاً كنت كتبت إليكم أنه باقٍ أربعون ليرة لفريد بك جنبلاط، فهذه أيضاً أرسلوها إليه وخذوا منه الكمبيالة التي علينا عنده.

لا تنسوا عند أول الريّ أن تزرعوا في خلده والحلايج والخلوة وصوفر، عسى أن لا تكون السنة القادمة نظير هذه السنة في قلة المطر، ولا يجوز أن يُهمَل زرع المقروصة الشتوي كما أُهمل الشتاء الماضي بين جرح رِجل حسون ذبيان وولادة مولود لعجاج عبد الصمد.



قضايا دولية في نظر الأمير

رسالة من الأمير شكيب إلى صديقه المطران باسيليوس حجار مطران صيدا للروم الكاثوليك، أرسلها من الأستانة في ٤ تشرين الأول سنة ١٩١٣ م، وفيها يشير الأمير إلى تقارب سيحصل بين فرنسا والسلطنة العثمانية، وإلى قضايا الحرب الماثلة على الأبواب[١].

الأستانة في ٤ تشرين الأول/ ٩١٣

سيادة الحبر الجليل المفضال أدام الله شريف وجوده

بعد استمداد الدعاء والتماس التوجهات والاستفسار عن مزاج سيادتكم، عسى أن تكونوا رافلين في حلل الحبور والهناء، أعرض أنني منذ فارقتكم لا يزال فؤادي عندكم ولساني لهجاً بذكر محامدكم، ولم أتأخر إلى الآن عن الكتابة إلا من وفرة الأشغال وكثرة الزيارات والاجتماعات مع طول المسافات التي تعلمونها. وقد كان في الأول شغلنا في مسألة الإصلاحات إذ أخذت عدة جلسات واجتماعات، ثم ذهبنا إلى أدرنه وفداً كبيراً، ثم رجعنا وحصل عقد مؤتمر جميعة الاتحاد والترقي فواظبنا على الحضور، والآن صرنا على وشك النهاية. وبعض رفاقنا كمحمد باشا العظم وغيره انصرفوا إلى الشام، والباقون أصبحوا على أهبة الرجوع، وأنا كنت عازماً على السفر إلا أن الصدر الأعظم أشار عليّ أن أتأخَّر الآن، ومع هذا فلا بد من أن أعود إلى الوطن، وبعد إقامة مدة فيه أعود إلى الأستانة. مولانا السلطان قابلته من جملة الوفد العربيّ وكنا وقوفاً جميعاً، وبعد ذلك قابلته مقابلة خصوصية نحو نصف ساعة وجلست أمامه. أوما وليّ العهد فقد دعانا مرّةً وزرناه مرةً أخرى، وجميع رجال الدولة شاهدنا منهم كل انعطاف ومحبة. وقد شاهدنا أنور بك في أدرنه وفرح بنا فرحاً زائداً، وعملوا لنا احتفالاً باهراً وقرأنا قصيدة رنَّانة أمام الجيش. والجيش في أدرنه وفي قرق كليسه أي في تلك المنطقة هو ٤٠٠ ألف، ولذلك سلَّم البلغار بكل مطالبنا ولو أردنا أن نأخذ كل شيء أخذناه، لكن الدولة اعتدلت نوعاً لكي لا تزيد حقد البلغار وهم الآن متقربون جداً

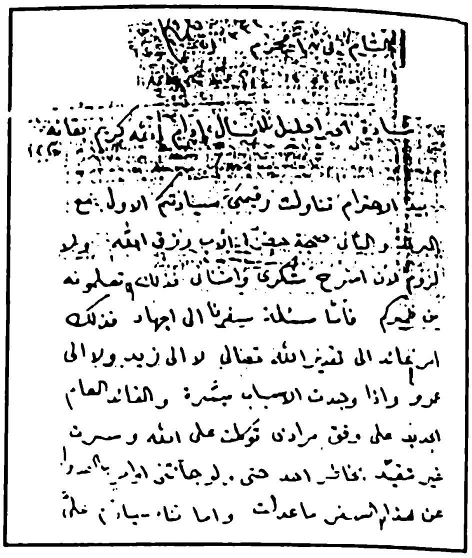
---

(١) من محفوظات الدكتور منير إسماعيل.

ها وطالبون التحالف معها. والصلح كما بلغكم انعقد مع البلغار وإن لم ينعقد مع اليونان، وبقي
ونان مصرّين فالأرجح الحرب. وبالإجمال فإن الحكومة الحاضرة في الأستانة هي غير الحكومة
ماضية، ولا ينكر هذا الفرق إلا الأعمى فهؤلاء قوم يشتغلون وفيهم إخلاص وجرأة، وكفاك أن
روبا هددتهم من أجل أدرنه فأجابوا: لا نكون وحدنا محافظين على المعاهدات وغيرنا يخرقها من
ى جهة، وإن استرجاع هذه الولاية ضروريّ لحفظ الأستانة، وحفظ الأستانة ضروريّ لراحة
روبا. والحاصل إذا حصلت الدولة على الراحة بضع سنوات فقط، تترقى المملكة ترقّياً عظيماً.
مما يسر أن علاقات الدولة مع فرنسا تحسَّنت كثيراً بهذه المدة، وتقرر عقد قرض مع فرنسا نحو
٤ مليون ليرة وهو قرض عظيم تتمكن الدولة به إجراء جميع ما تريد من الإصلاحات. وقد
خبرني مولانا السلطان أيده الله أنهم أمّنوا كلفة عدة دوارع بحرية، فضلاً عن كون الدريدنوط
شاديه الذي هو أحسن دريدنوط في العالم سيحضر قريباً فنسأل الله أن يختار ما فيه الخير وأن يؤيد
هذه الدولة ويسعد الوطن، لأنها إذا ضعفت تعرَّضت الأوطان للخراب. هذه مكدونية الآن صارت
ميداناً للسفك والهتك والدمار، فبعد أن انتهى المسيحيون من المسلمين قام بعضهم على بعض،
والعداوة بين اليونان والبلغار أشد ما يتصوره العقل، كذلك بين البلغار والصرب، والأرناؤوط قد
قاموا والحرب اشتعلت بينهم وبين الصرب، وبين الأرناؤوط عصائب بلغارية كثيرة. وأغرب من كل
هذا أن البلغار الذين التحقت بلادهم باليونان يصيحون طالبين الرجوع إلى الحكم العثماني، وأن
اليونان الذين تقررت بلادهم للبلغار مثل أهالي كوملجنه ودده أغاج قاموا مع المسلمين وحملوا
السلاح وهم الآن يقاتلون البلغار، وبلاد كوملجنه أعلنت استقلالها وهي إسلام ويونان، وأغرب من
هذا أن معهم أيضاً قليلاً من البلغار أنفسهم وكلهم يقولون إمّا الاستقلال أو الحكم العثمانيّ،
وأغرب من الأغرب أن الدولة في هذا الصلح أعطت البلغار بعض قرى كل أهلها بلغار واقعة على
حدود البلغار الأصلية من جهة البحر الأسود، وفيها بعض أروام وليس فيها مسلمون، فلما أيقن
أهالي هذه القرايا والقصبات أنهم انسلخوا من الحكم العثماني قاموا يبكون ويندبون، وأرسلوا
تلغرافات إلى الصدر الأعظم ممضاة من جميعهم ومن مطارينهم في المقدمة معترضين على
انسلاخهم من المملكة وإلحاقهم بالبلغار، مع كونهم هم ديناً ونسباً ولغةً بلغاراً واليونان بينهم
قلائل. والحاصل مكدونية الآن تبكي على الدولة العثمانية وألبانيا تبكي والحرب فيها، وأما تراكيا
فالقسم الذي رجع منها إلى الدولة هو في عيد والقسم الآخر معلن الاستقلال أو يرجع إلى الدولة.
فليعلم ذلك أهل سورية وليحافظوا على نعمتهم وبهذا كفاية، وأطال الله بقاء سيادتكم بالإقبال.

شكيب أرسلان

سلامي إلى الأب الخوري يعقوب وإلى داود أفندي عيسى وعبد اللّه أفندي افرام وإبراهيم بك
الطرابلسي ووديع أفندي جدعون والخواجه إلياس نجم وولده.



بين الأمير والمطران حجار

رسالة من الأمير إلى سيادة المطران باسيليوس حجار، مطران صيدا وصور للروم الكاثوليك، صادرة من الشام في ١٨ محرم سنة ١٣٣٣ هـ، الموافق ٧ آذار سنة ١٩١٤ م، وفيها يذكر الأمير السفر الذي كان ينتويه وهو للمحاربة إلى جانب الجيش التركي، وقد جمع يومئذٍ فرقة من شبّان الدروز وذهب بهم إلى حرب الترعة، وفي الرسالة ذكر الوالي يومذاك منيف بك (من ٢٥ أيلول ١٩١٥ إلى ١٥ أيار ١٩١٦)، وشبلي المذكور في الرسالة هو شبلي بك حماده، ووالي بيروت كان في ذلك الحين زكي باشا، أما المسألة التي أشار إليها الأمير فهي نقل جنود عثمانيين كانوا متمركزين في لوكندة في صيدا، وكان سيادة المطران يسعى إلى نقلهم منها[1].

الشام في ١٨ محرم/ ٣٣٣

سيادة الحبر الجليل المفضال أدام الله كريم بقائه

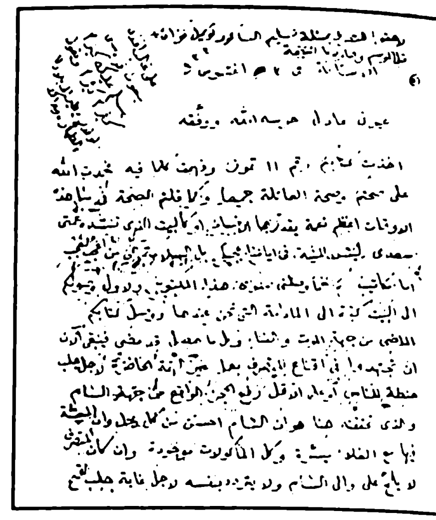
بيد الاحترام تناولت رقيمَي سيادتكم الأول مع البريد والثاني صحبة حضرة الأب رزق اللّه، ولا لزوم لأن أشرح شكري وامتناني فذلك تعلمونه من ضميركم. فأمّا مسألة سفرنا إلى الجهاد فذلك أمر عائد إلى تقدير الله تعالى لا إلى زيد ولا إلى عمرو، وإذا وجدت الأسباب ميسَّرة والقائد العام الجديد على وفق مرادي توكلت على الله وسرت غير متقيّد بخاطر أحد، حتى لو جاءتني أوامر بالعدول عن هذا السفر ما عدلت. وأما ثناء سيادتكم عليَّ لدى دولة الوالي وجواب دولته لكم فهذا كله محض لطف من كل منكما. وأما مسألة ما فعله شبلي بك فقد كدَّرتني ولكن علمتم أفكاري من قبل، ولذلك لم أتعجب مما حصل، والآن مرسلون إليه كتاباً تقرأونه وتبعثون به إليه. فأما زكي باشا فلم يشأ أن يتعاطى هذه المسألة لأنه مسافر وخلَفُه يحضر غداً، ومع ذلك فيقول إنه لا بد من سؤال والي بيروت عن هذه القضية. والمعنى أنه إذا كان الوالي لا يستحسن وضع العسكر في

---

(١) من محفوظات الدكتور منير إسماعيل.

اللوكندة فإنه لا يكون فيها، فبعد حضور جمال باشا بيومين إذا حضر الخوري أو خوري آخر محله، وقدم استدعاء إلى جمال باشا نتكلم نحن اللازم، وإن أمكنكم حل المسألة بواسطة الوالي مع تحسين بك قومندان لبنان والساحل يكون أحسن. وعلى كل الأحوال خذوا المسألة بالتأني فلا بد من حصول النتيجة، وأطال الله بقاء سيادتكم.

شكيب أرسلان



قضايا خاصة مع الأمير عادل

رسالة وجّهها الأمير إلى شقيقه الأمير عادل مؤرخة من الأستانة في ٣ أغسطس (آب) ١٩١٤ م، الموافق ٢١ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ. تتعلّق بمسائل الإعاشة للأهالي، وتدخل والي (بيروت) وبخصوص أموال وأرزاق وتعيينات إدارية، إلى غيرها من المسائل السياسية المختلفة. لكننا لم نعثر، مع الأسف، على نهاية هذه الرسالة.

الأستانة في ٣ أغسطس/ ٩١٤

عيوني عادل حرسه الله ووفّقه

أخذت كتابكم رقم ١١ تموز وفهمت كل ما فيه، فحمدت الله على صحتكم وصحة العائلة جميعاً، وكما قلتم الصحة في مثل هذه الأوقات أعظم نعمة يقدّرها الإنسان أو كالبيت الذي تنشده عمتي سعدى:

ليس المنية في أيامنا عجباً   بل السلامة هي من أعجب العَجَبِ

أما مكاتيب منكم فما وصلني سوى هذا المكتوب، ولأول وصولكم إلى البيت كتبتم إلى المادامة التي نحن عندها ووصل كتابكم الماضي من جهة الموت والفناء، وكل ما حصل قد مضى فينبغي الآن أن تجتهدوا في إقناع المتصرف بعمل غير الهمة الحاضرة، لأجل جلب حنطة للناس أو على الأقل رفع الحجز الواقع من جهة الشام، والذي تحققته هنا هو أن الشام أحسن من كل محل، وأن المعيشة فيها مع الغلاء ميسَّرة وكل المأكولات موجودة، وإن كان المتصرف لا يلحّ على والي الشام ولا يتردد بنفسه لأجل غاية جلب القمح تخيب الآمال وتحبط الأعمال. أما استبداد عزمي بك بأخذ دراهم دور أيتام الجبل وأرزاقها وإقفال الدور المذكورة فلم أفهم له معنًى، لأنه إذا ادَّعى أن الجبليين يذهبون إلى بيروت، فمما لا إنكار ولا جدال فيه أن بقاء دور الأيتام في الجبل مفتوحة كان أولى، وعدم مداخلة والي بيروت بأمور لبنان هو كذلك لازم، وعليه نحن عرضنا للصدر الأعظم عما فعله عزمي بك وطلبنا إعادة المال والأرزاق، فأبرق إليه الصدر بمزيد الشدة فأجاب إنه

ردَّ المال ولكن اضطر إلى صرف الأرزاق في دور أيتام بيروت التي فيها كثير من اللبنانيين، والحاصل من نفس جوابه أيّد كلامنا ولكن ما لبث المتصرف أن كتب هو أيضاً أنه هو مشترك مع عزمي بك في أمر إعاشة الفقراء من الجبل وبيروت، فعسى أن يكون ذلك ولا يكون الحامل له على هذه الكتابة هو نفوذ عزمي بك عليه، فإننا كما قلنا للصدر: الفاجر يأكل مال التاجر، وإسماعيل حقي بك أديب مهذب فاضل دمث الأخلاق وغيره ليس كذلك. هذا ولم يكتفِ عزمي بك بالبحث عن سيئات علي منيف بك والاجتهاد في إظهار خيانته وغلوله، حتى اجتهد في إثبات كوننا نحن أخذنا أرزاقاً باسم المدرسة الداودية واتَّجرنا بها، ولما أكّدنا تحامله علينا إلى هذا الحد فضلاً عما كنا نسمعه من قبل عن لسانه، اضطررنا أن نكتب إليه مكتوباً هو على رأي مستشار الداخلية عبارة عن أوليتماتوم، وقد أرسلنا صورته إليكم لتطلعوا المتصرف عليه إذ أنه من الضروري أن يعرف الحقيقة، وعسى أن يشتكي عليَّ عزمي بك إلى جمال باشا أو إلى هنا فيضطر إلى إطلاعهم على مكتوبي فتظهر الحقيقة، إذ لا أعلم ماذا يكون قال لهم في غيابي، فإنه محقق سوء أخلاق هذا الرجل وميله إلى ضرر جميع الناس الذوات وتشويه سمعتهم، مع أننا نحن ليس لنا معه أدنى سيئة أصلاً. ولما ذهب فؤاد بك جنبلاط إلى بيت أخيه علي الذي تمتع به وبمفروشاته عزمي مدة ٣ سنوات، ووجد الغرفة المقفلة التي كان عليها عصا حديد مفتوحة وجميع الأمتعة التي فيها مفقودة، وراجع الوالي وأجابه بالإنكار والانتهار والاحتقار، جاء فؤاد بك وحكى لنا فأشرنا عليه بأن لا يتكلم أصلاً في هذه المسألة، وأكّدنا له أن الوالي أعلى من هذه الأمور، فبينما نحن نحافظ على ناموسه إذا به يسعى في تلويثنا فلا يمكن أن نسكت له، لأنه من الصنف الذي لا يزيده السكوت إلا تمرُّداً وإضراراً وهنا معروف بطبيعته هذه، ونحن حكينا لكم هذا أيضاً لتكونوا على حذر منه، فإن أقرب الناس إليه يحذره.

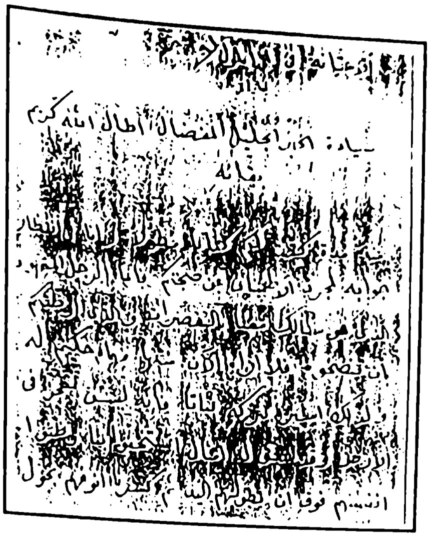
أما المأمورون فلا تهم مسائلهم في جانب مسألة الإعاشة، فلا ينبغي أن يشغلكم معها شاغل. سررت بتعيين محمد سامي نكد للشويفات نظراً لفقرهِ، كما أن شفيق أقام مدة أشهر هناك فلم نقصر في حقه، كذلك أصبتم في تعيين شفيق سعيد للشحار وانصحوه أن يصلح مسلكه بقدر طاقتهِ، وأما نقل علي تلحوق إلى الدائرة الاستئنافية فيمكن بواسطتكم مع المدعي العمومي، أما أنا فإذا طلبت ذلك من مستشار العدلية فهو يسأل جلال بك حالاً، وأما تعيين عباس أفندي أو أحمد تقي الدين محله فهذا موافق، ولكن إذا صار أحمد تقي الدين من يصير قاضي صلح مكانه هذه مأمورية لا بد أن يكون فيها مثله وعندي الأولى بقاؤه فيها ذلك أحسن له وللمصلحة، أو تجعلوا جميل بك سعيد تلحوق في رئاسة المحكمة أو قضاء الصلح ويكون محله في في المجلس العمومي الشيخ رشيد القاضي.

أخبرني أنور باشا أنه رآكم في عاليه وسأُقابله غداً لأجل بعض مذكرات وأحكي له الحقيقة عن مسألة عدد من ماتوا جوعاً، وسبب عدم مناقشتكم لذلك الذي أنكر ذلك... ولا تحسبوا حساباً للكلمة التي قالها وتوكلوا على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبُه.

لا أزال أرى أنه يلزم أن تدعوا الشريف سيدنا الأمير حيدر باشا ومعه أخوه وأنجاله وتدعوا معه جمال باشا وفؤاد بك، فإن أجاب الدعوة جمال باشا فذاك وإلا فادعوا الشريف وجماعته، وقبل الدعوة استحضروا طاقم المطعم من الشويفات، ومن جهة الطباخين فهم موجودون بكثرة بعاليه والأدوات كلها متوفرة. والحاصل لا عذر لنا في عدم دعوة دولتهِ إلى الطعام عندنا....

لاحقوا المتصرف بمسألة تسليم الساكور لوكيل فؤاد مجيد قبل الموسم وجاوبونا النتيجة.

توقعات الأمير عن الحرب الأولى



رسالة من الأمير شكيب إلى صديقه المطران باسيليوس حجار مطران الكاثوليك في صيدا، يخبره فيها عن الحرب وعن التحشدات التي حصلت من جانب الفريقين المتصارعين، بعضها تحقق وبعضها الآخر لم يتحقق لأن نتائج الحرب وتوقعاتها لا يدرك نتائجها إلاّ الله. وتاريخ الرسالة في ١ أيلول سنة ١٩١٤ م[(١)].

الأستانة في ١ أيلول/ ٩١٤

سيادة الحبر الجليل المفضال أطال الله كريم بقائه

منذ مدة كتبت لكم كتاباً مطولاً وأنا في انتظار جوابه لمجرد الاطمئنان عن صحتكم. فأمّا الرجل المعهود الذي هو سالك معنا بالتقصيرات، والذي أوصيتكم بأن تنصحوه فلا أراه الآن منتبهاً مهما حكيتم له، ولذلك أشير بتركه بتاتاً فإنه ليس بمعجز في الأرض، وقد سبق له أمثال استخفّوا بنا وظنوا أنفسهم فوق أن تطالهم اليد، ثم كسرنا أنوفهم بحول الحق لا بحولنا فاتركوا المشار إليه وشأنه. ثم إنه ورد لي من وكيلكم بصيدا ومن سائر الرؤساء الروحانيين، وورد لي من غير صيدا أيضاً مراجعات تلغرافية بخصوص مواليد سنة ٨٥ إلى ٩٨، وأنه بموجب المادة ١٤٦ من قانون أخذ العسكر هؤلاء تابعون ويركو الحرب، فنحن راجعنا دائرة أخذ العسكر وجاوبناهم بشخص وكيل مطرانخانه الكاثوليك أن تلك المادة قد نُسخت بمادة جديدة، وصار هؤلاء أيضاً عسكراً بدون اكتفاء بويركو حرب، وغير مقبول إلا البدل النقديّ فقط ضمن شرائطه المخصوصة به. والحاصل أن النفير العام الذي صار هذه المرة لم يحصل مثله للآن، ويقال إن الذي صار تحت السلاح إلى اليوم تجاوز المليون كما أنهم يأملون جمع نصف مليون إلى حد ١٥ يوماً من تاريخه، والولايات الساحلية كلها فيها عساكر والباقي يتحشد في الحدود الروسية وفي الروملي، وقد شعرت الروسية أن الحرب موجهة عليها فسعى هنا رجالها كثيراً في تلافيها، وعرضوا عدة شروط من جملتها عدم

(١) من محفوظات الدكتور منير إسماعيل.

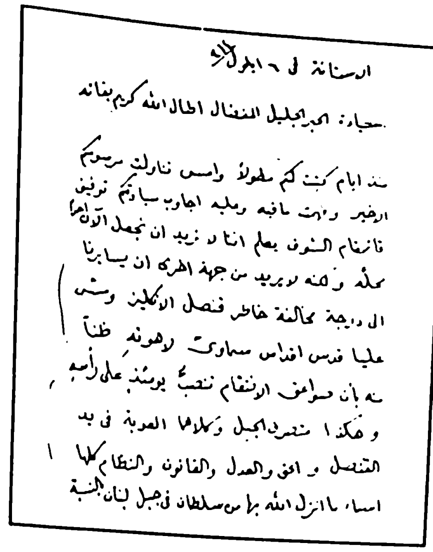
التعرض للدولة مدة ٣٠ سنة، وترك مسألة المرور بالبواغيز، وأخذ قرض من فرنسا، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، وغير ذلك، فأجابوهم بأنهم لا ينوون الحرب وإنما قالوا لهم إن ضبط إنكلترا للدارعتين رشاد به والسلطان عثمان كان بطلبكم، وهذا الذي هيّج العثمانيين فإذا سعيتم في استرجاعهما لنا حالاً فربما سكنت الأمة. ولكن الروس متحققون أننا لا بد أن نفتح حرباً ولذلك يحاولون أن يعيدوا الاتحاد البلقانيّ ويجعلوه في وجهنا ولهم في البلغار أناس، غير أن رومانيا لا تمشي مع روسيا، وبلغاريا متفقة مع الدولة، والدولة آخذة احتياطات كثيرة من جهة الروملي فالخوف قليل، وسواء تم اتفاق بلقاني بواسطة طلعت بك الذي هو مع خليل بك في بوخارست أو لم يتم اتفاق بلقاني عمومي، فلا يخشى من بلغاريا ورومانيا أن تنقلبا علينا، وأما اليونان فلا نخشى منها وهي الآن خائفة جداً تتزلف تارةً إلينا وتارةً إلى البلغار. وعليه فإذا حصلت بيننا وبين الروس حرب وهي إلى الآن لم تحصل فتكون في حدود أرزنجان، وربما أنزلنا عساكر في سواحلهم أو أنزلوا في سواحلنا، والأسطولان العثماني والروسيّ صارا إلى الآن متعادلين لكن لا يوجد عند الروس دريدنوط مثل الغوبن، فيرجحون الآن الأسطول العثماني في البحر الأسود. وقد حشدت الروسية أمامنا جيوشاً جرّارة في حدود باطوم وفي سواحلها، ووضعت في سباستابول ١٥٠ ألف عسكريّ، وعلى كل حال من دون حرب شاغلنا من الروس نحو ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ألف إلى الآن. أما حوادث الحرب فقد ظهر لي من الجرائد السورية الآتية إلى هنا أنها كلها مع الائتلاف المثلث، وأنها تنقل تلغرافات رويتر الإنكليزي وهافاس الفرنساوي والمقطم، وقرأنا فيها أشياء مضحكة جدّاً والحقيقة معروفة وهي أن حرب أوستريا مع الصرب، كان النمسويون في الأول دخلوا الصرب وكسروا الصربيين وهؤلاء انسحبوا إلى الوراء ولم يتعرضوا، فلما هجمت الروسية على النمسا حشدت هذه كل القوى اللازمة على حدود غاليسيا فخفّ جيشها في أرض الصرب، فاغتنم الصربيون هذه الفرصة وهاجموا النمسويين وأخرجوهم من الأراضي التي كانوا أخذوها، وخسر الفريقان خسائر باهظة. ولكن خطة النمسا هناك منع الصرب عن التقدم فقط، والصربيون مصيرهم إلى الهلاك لأنهم يموتون جوعاً وبلادهم خربت، والأرناؤوط قاموا من الوراء يأخذون بالثأر الذي لهم والبلغار ضدهم. وأما حركات الجيوش الروسية والنمسوية فإلى اليوم الحرب بينهما سجال لكن مع رجحان النمسويين نوعاً، لأنهم فازوا في وقعتين كبيرتين وأخذوا من الروس في كل منهما نحو ألفين إلى ثلاثة آلاف أسير، والآن ناشبة واقعة كبيرة جداً منذ ٧ أيام على طول الخط مسافة ٤٠٠ كيلومتر لم تعلم نتيجتها بعد، وأما على حدود ألمانيا الشرقية فمن جهة بولونيا الألمان كسروا الروس، ولكن تقدم الروس من شرقي بروسيا واجتازوا نحو ٤٠ كيلومتراً من أرض ألمانيا، وقد صادمتهم قوة ألمانية أقل منهم جداً فصارت تتسحّب إلى الوراء بموجب خطة مرسومة معلومة،

حتى إذا توغلوا في أرض بروسيا انكسروا في وقعتين الأولى انكسر فيها خمسة جيوش وثلاث فرق روسية أي أكثر من ٣٠٠ ألف عسكري، وطاردهم الألمان إلى أن أدخلوهم حدود بلادهم وأخذوا منهم ألوفاً أسرى ومدافع، ثم أمس ورد الخبر بأنهم كسروا الروس كسرة كبيرة أخذوا منهم ٣٠ ألف أسير فيها. ولا شك أن جيوش الروسية جرَّارة وأنها تحشد ٥ و ٦ ملاييـن لكن غير مظنون أنها تقدر على النمسا وألمانيا معاً، لا سيما إن دخلنا نحن في الحرب بقيت الحرب مع فرنسا، فالألمان رأوا حدود فرنسا من جهة بلجيكا أضعف مما هي من جهة الشرق، فأغاروا على بلجيكا وأخذوا لياج ونامور في بضعة أيام مع أنهما أحصن استحكامات الدنيا، ثم أخذوا بروكسل وهم الآن يحاصرون أنفرس، وقد تقدم منهم جيش إلى فرنسا وهزم الفرنسيس والإنكليز مجموعين في سان كانتين، وتقدموا منها حتى صاروا على مسافة ١٠٠ كيلومتر من باريس، وسمعت من سفير ألمانيا هنا أن خيلهم في ضواحي باريس، أما الإنكليز فكانوا نحو ١٠٠ ألف مقاتل ففي أول وقعة انكسروا وقتل منهم ألفان باعتراف رئيس وزارئهم، وجرح نحو ٨ آلاف وأُخذ أركان حربهم أسرى، وفي الثانية أُخذ منهم ٧ بطاريات مدافع ونحو ٨ آلاف أسير، وقد أخذوا ثأرهم عن هذه الهزيمة بأن أسطولاً منهم مؤلفاً من ٥٠ قطعة هاجم ثلاثة أو أربعة طرادات في ميناء جزيرة هليجولاند فأغرق أكثرها. ثم إن الجيش الفرنساوي كان هجم على الألزاس وأخذ ملهوز ثم استردَّها الألمان منه وأخرجوه منها، فاحتلَّ نقطاً أخرى واتخذ خطة الهجوم أملاً بالوصول إلى ستراسبورغ حينما الألمان منهم جانب عظيم مشغول ببلجيكا، لكن لم يستفد الفرنسيس من هجومهم مع كونهم أبرزوا أقصى ما يتصور العقل من الشجاعة والتدبير، بل انهزموا في الآخر من الألزاس واللورين ودخل الألمان أرضهم من عدة أماكن، وأخذوا قلاعاً كانت معدودة من أحصن قلاعهم وهم الآن يحاصرون بلفور، وقد كانت الجرائد الفرنساوية تخفي الأخبار والحكومة الفرنساوية تكتم عن الشعب خوفاً من الثورة، لكن لما اقترب الألمان من باريس أعلن رئيس الجمهورية أن الحالة حرجة، ووطنوا أنفسهم على الدفاع إلى آخر نفس ولو دخل الألمان باريس. وأما الخسائر من الجانبين فجسيمة جداً يقال إنه يتلف كل يوم من الفريقين ١٠ آلاف، ومظنون أنه تلف من نحو شهر أي من أول الحرب إلى اليوم ٢٠٠ ألف رجل، وقد وقع في يد الفرنسيس بعض أسرى من الألمان لكن أسرى الفرنسيس عند الألمان نحو ١٥ ألف ومأخوذ منهم ٢٠٠ مدفع، وهذا يدل على شدة الدفاع الذي دافعته عساكر فرنسا. وأما العدد بين الجيشين فكان متساوياً إلا أن الإنكليز والبلجيكيين كانوا مرجحين للعدد في جانب الفرنسيس، وستحصل وقائع أشد مما حصل لأننا الآن في أول الحرب، وقد ظهر أن الجيش الألماني في حسن التعبية ومهارة القيادة مع الاستماتة في الحرب هو أوَّل جيش في الدنيا، وعندهم مدفع اختراع لهم حفظوا سرَّه سعة فوهته ٤٢ سنتيمتر لا يقف في وجهه شيء. هذه

حوادث الحرب الحقيقية ولا نريد أن نتكهن عما سيحصل فيما بعد لأن علم الغيب عند الله، ولأن الحرب إلى الآن لم تظهر نتائجها القطعية، ولكن نأسف كثيراً على فرنسا لأنها أمة متمدنة محبوبة لا تستحق هذه المصائب. ولكن لما جرت حرب البلقان الظالمة أتذكر أنني كتبت مقالات أقول فيها: إن أكبر خطأ لفرنسا هي أنها وافقت على هذه الحرب لا بل أقرضت البلقانيين المال اللازم كله، ولو حبسته عنهم أو لو ضغطت على روسيا ما جرت حرب البلقان، ولكنها أرادت مجاراة السلاف في مآربهم فصارت حرب البلقان التي ستكون هي سبباً للحرب العمومية التي سيصيب فرنسا منها أعظم المصائب، ومتى رجعت إلى الوطن قريباً يخطر لي أن أسحب هذه المقالة التي كتبتها منذ سنة ونصف، وأقابلها بالحوادث الحاضرة ليعلم الناس أنني كنت أرى بعيني هذا المشهد. والحاصل فرنسا انسلقت كما يقال في مرق السلاف وهي لا تستحق هذا أصلاً، وهنا في الأستانة لا يريدون نجاح الائتلاف المثلث لأن الأمة العثمانية تعتقد أن فوزه هو اضمحلال السلطنة العثمانية، لكن يأسفون لمصائب فرنسا ويتمنون لو اتفقت مع ألمانيا وكفت نفسها هذه الأمور، فقد أصيبت بما أصيبت به سنة ٧٠ ومنذ ٤٢ سنة هي تستعد وقد أقرضت روسيا ٢٠ ملياراً كل ذلك لتأخذ ثأرها من ألمانيا، وهذه المرة أعاد التاريخ نفسه والله أعلم يحكم لا معقب لحكمه. لا أنتظر منكم الجواب على كتابي هذا لأنني عازم على السفر بطريق البرّ بالسكة الحديدية حيث أنور باشا سيأمر لنا بقطار مخصوص، وربما أتحرك بعد جمعة وأبقى في الطريق إلى الشام إلى الجبل جمعتين أرانا الله وجه سيادتكم على خير وأدام الله بقاكم.

شكيب أرسلان

الأوضاع في قائمقامية الشوف


الاستانة في ٦ ايلول ٩١٤
حضرة الحبر الجليل المفضال اطال الله كريم بقائه
منذ ايام كتبت لكم مطولاً وامس تناولت مرسومكم
الاخير وفهمت ما فيه وعليه اجاوب سيادتكم توفيق
قائمقام الشوف يعلم اننا لا نريد ان نجعل الآن احداً
محله ولكنه لا يريد من جهة اخرى ان يسايرنا
الى درجة مخالفة خاطر قنصل الانكليز ومس
علينا قدس اقداس سماوي لاهوته ظناً
منه بان صواعق الانتقام تنصب يومئذ على رأسه
وهكذا متصرف الجبل وكلاهما العوبة في يد
القنصل والحق والعدل والقانون والنظام كلها
اسماء ما انزل الله بها من سلطان في جبل لبنان بالنسبة

رسالة صادرة عن الأستانة بتاريخ ٦ أيلول ١٩١٤ م، إلى سيادة المطران باسيليوس حجار مطران صيدا وصور للروم الكاثوليك، يذكر فيها شيئاً من أوضاع قائمقامية الشوف التي كان يتولاها، كما أن فيها تلميحاً إلى ما كان لقنصل الإنكليز من تأثير في المتصرف والقائمقام. ومن المعلوم أن الأمير شكيب قد عزله المتصرف مظفر باشا (١٩٠٢ ـ ١٩٠٧) إرضاء لقنصل بريطانيا. إلاّ أن الصفحة الأخيرة من هذه الرسالة مفقودة.

الأستانة في ٦ أيلول/ ٩١٤

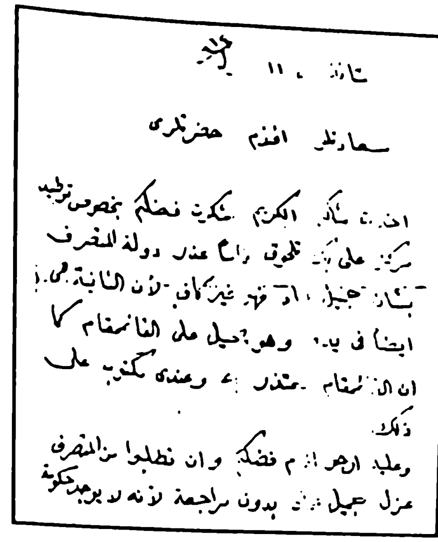
سيادة الحبر الجليل المفضال أطال الله كريم بقائه

منذ أيام كتبت لكم مطولاً وأمس تناولت مرسومكم الأخير وفهمت ما فيه وعليه أجاوب سيادتكم، توفيق قائمقام الشوف يعلم أننا لا نريد أن نجعل الآن أحداً محلَّه، ولكنه لا يريد من جهة أخرى أن يسايرنا إلى درجة مخالفة خاطر قنصل الإنكليز ومسّ عليا قدس أقداس سماويّ لاهوته، ظناً منه بأن صواعق الانتقام تنصبُّ يومئذٍ على رأسه، وهكذا متصرف الجبل وكلاهما ألعوبة في يد القنصل، والحق والعدل والقانون والنظام كلها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان في جبل لبنان بالنسبة إلى إرادة القناصل المقدّسة، وأنتم تقولون ما خطر ببال أحد أن الحزب الأرسلاني مات ولا أحد يتصور أن يحتقركم في لبنان، وأنا أقول لسيادتكم إن الحقائق لا تتغيّر بالألفاظ وإنني مهما كنت أرفع نفسي عن المداخلة في أمر مدير وعضو الخ، وطلب تواصي وصرف نفوذ هنا لأجل أمور صغيرة كهذه، فلا يجوز أن أخدع نفسي وأتسلّى بالمحال، وأفكر أن أحوال حزبنا في الجبل مرضية عندما تكون حقوقهم مدوسة بالأقدام. فحص المتصرف محكمة الشوف وعزل رئيسها الذي هو من أصحابنا بسبب تافه، وفي الوقت نفسه يأبى أن يفحص دائرة الجزاء لكيلا يمسّ مصطفى عماد، فهذا لا نقبله أصلاً ولا بد من تفتيش الدائرة وعزل مصطفى المرقوم بموادّ موجودة بيدنا قدمنا نسختها للمتصرف. عزل علي تلحوق من المحكمة ووضعه في مديرية عاليه، ثم قام قنصل الإنكليز الآن يطلب عزله بدون سبب هكذا لكونه يخصنا، حال كون أهالي الباروك منذ سنتين

يشكون من جميل عماد وقد قدموا للمتصرف الجبان لا ئحة فيها ٤٧ مادة كل واحدة تكفي للعزل، فللآن لم يتجاسر أن يجري عليها تحقيقاً فما هذا المتصرف وما هذه الحكومة؟ وقول توفيق إنني أنا كنت قائمقام وعجزت عن عزله، الصحيح أنني أنا أقنعت يوسف باشا بعزله ولكنه طلب مني تعيين تامر بك محله، وأنا خوفاً من اغبرار عجاج بك توقفت عن ذلك أملاً بإقناعه بعجاج بك، وفيما بعد أحببت أن أعين تامر بك لكن كان النفور بدأ بيني وبين المتصرف، فلم يعد يفعل شيئاً سوى مقاومة نفوذي إلى أن تركت القائمقامية، أما حضرة توفيق فالمتصرف ليس مقاوماً له بل هو معطيه كل النفوذ اللازم. ولقد كتبت مؤخراً إلى حبيب باشا أطلب منه عزل جميل وعدم التعرض لعلي تلحوق....

رأي الأمير في تعيينات المتصرف

رسالة من الأمير شكيب إلى حبيب باشا سعد، كتبها من الأستانة بتاريخ ١١ أيلول سنة ١٩١٤ م، وتتعلق ببعض التعيينات من جهة المتصرف ورأي الأمير فيها، إلى تدخلات بعض القناصل وتراجمة القناصل في القضايا الداخلية.


الأستانة ١١ ...
سعادتلو افندم حضرتلري
اخذت مثلكم الكريم شكرت فضلكم بخصوص توطيد
مركز علي بك تلحوق فأما عذر دولة المتصرف
بشأن جميل عماد فهو غير كاف لأن الثانية هي
ايضاً في يده وهو يحيل على القائمقام كما
ان القائمقام يعتذر به وعندي مكتوب على
ذلك.
وعليه ارجو اتمام فضلكم وان تطلبوا من المتصرف
عزل جميل عماد بدون مراجعة لأنه لا يوجد حكومة

الأستانة في ١١ أيلول/ ٩١٤

سعادتلو أفندم حضرتلري

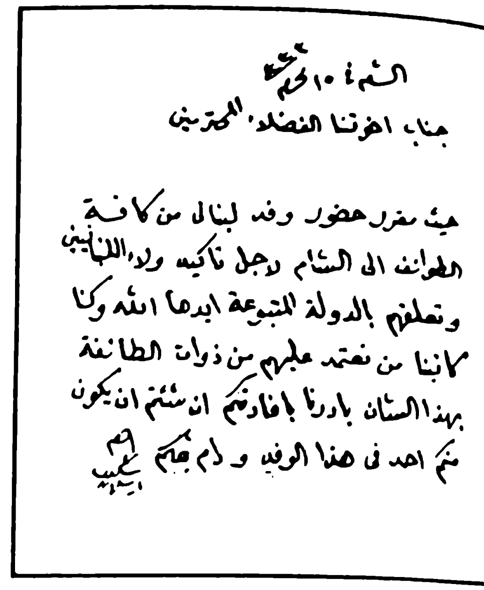
أخذت مثلكم الكريم شكرت فضلكم بخصوص توطيد مركز علي بك تلحوق. فأمّا عذر دولة المتصرف بشأن جميل عماد فهو غير كافٍ لأن الثانية هي أيضاً في يده وهو يحيل على القائمقام، كما أن القائمقام يعتذر به وعندي مكتوب على ذلك.

وعليه أرجو إتمام فضلكم وأن تطلبوا من المتصرف عزل جميل عماد بدون مراجعة، لأنه لا يوجد حكومة عندها أدنى شعور بحيثيتها ترضى ببقاء جميل عماد فيها، مع كل أحواله وأعماله وتكرر الشكايات من الأهالي عليه.

وإن تشيروا على صاحب الدولة الوزير الخطير أيضاً بالتفتيش المدقق على دائرة الجزاء، إذ لا بد من عزل مصطفى عماد بمخالفته للقوانين كما صار عزل علي تلحوق بدون ذنب يذكر.

وإذا كان المتصرف يستنكف من ذلك فلا عجب إذا لجأنا إلى تدابير مخالفة لامتيازات لبنان، لا سيما مع إلغاء الامتيازات الأجنبية التي تهم الدول أكثر من امتيازات لبنان، ومع كون الاعتراض الوارد على ذلك الإلغاء صورياً، وإنني على كل حال أفضّل مداخلة الأستانة في أشغال الجبل على هذه العبودية الموجود بها الجبل تجاه القناصل وتراجمة القناصل، وحيث إنني مسافر بعد بضعة أيام إلى الوطن فأرجو أن يكون ما طلبته تاماً وإلا يحصل لدولته وجع رأس، والأمر لسعادتكم أفندم.

شكيب أرسلان



الشام في ١٥ محرم ٣٣
جناب اخوتنا الفضلاء المحترمين
حيث مقرر حضور وفد لبناني من كافة الطوائف الى الشام لاجل تأكيد ولاء اللبنانيين وتعلقهم بالدولة المتبوعة ايدها الله وكنا كاتبنا من نعتمد عليهم من ذوات الطائفة بهذا الشأن بادرنا بافادتكم ان شئتم ان يكون منكم احد في هذا الوفد ودام بقاكم
شكيب

وفد بتأييد الدولة العليّة

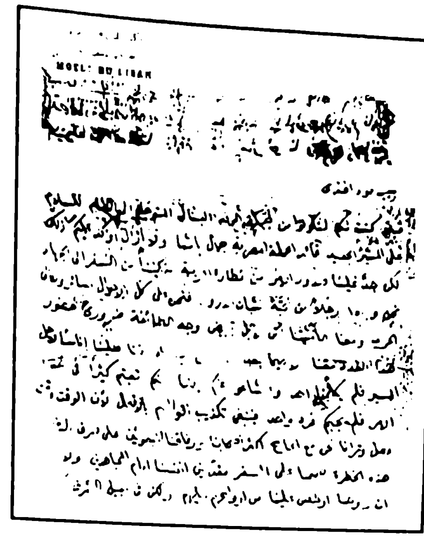
رسالة من الأمير شكيب موجهة إلى العموم، بعث بها إلى علي بك آل ناصر الدين في (كفرمتى)، يطلب فيها اختيار مندوب ليكون في عداد الوفد اللبناني من مختلف الطوائف إلى الشام لأجل تأكيد الولاء للدولة العثمانية، مؤرخة في ١٥ محرّم ١٣٣٣ هـ، الموافق ٤ كانون الأول سنة ١٩١٤ م.

الشام في ١٥ محرم/ ٣٣٣

جناب أخوتنا الفضلاء المحترمين

حيث مقرر حضور وفد لبناني من كافة الطوائف إلى الشام، لأجل تأكيد ولاء اللبنانيين وتعلقهم بالدولة المتبوعة أيدها الله، وكنا كاتبنا من نعتمد عليهم من ذوات الطائفة بهذا الشأن، بادرنا بإفادتكم إن شئتم أن يكون منكم أحد في هذا الوفد ودام بقاكم.

شكيب أرسلان



دعوة إلى الحرب في ليبيا

رسالة يكتبها الأمير من صوفر في ٢١ محرم سنة ١٣٣٣ هـ، الموافق ١٠ كانون الأول ١٩١٤ م، إلى صديقه محمود الطويل حماده من بعقلين. يكلفه فيها العمل على جمع الرجال ليسافروا معه للحرب في ليبيا ضد إيطاليا، ويطلب إليه حث الناس على التطوع لإرسالهم إلى جبهات القتال.

صوفر في ٢١ محرم/ ٣٣٣

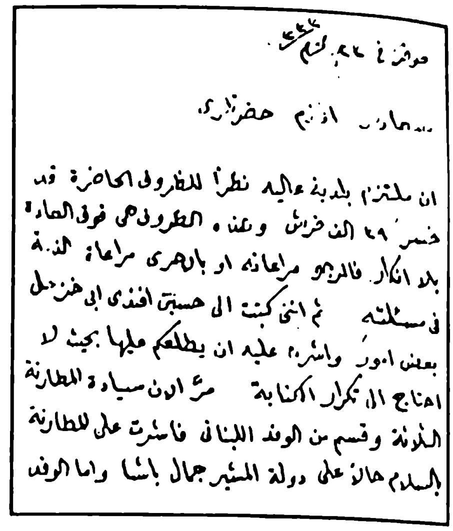
حبيبي محمود أفندي

قبلاً كتبت لكم لتكونوا من جملة الوفد اللبناني المتوجه إلى الشام، للسلام على المشير الجديد قائد الحملة المصرية جمال باشا، ولا أزال أؤكد عليكم ذلك، لكن جدَّ علينا صدور الأمر من نظارة الحربية بتمكيننا من السفر إلى الجهاد نحن و ١٥٠ رجلاً من نخبة شبان الدروز، فنحن على كل الأحوال سائرون إلى الحرب ومعنا حاشيتنا، لكن لأجل تبييض وجه الطائفة ضروريّ حضور هذا العدد معنا لا سيما بعد أن أشاع الحساد أننا طلبنا أناساً لأجل المسير فلم يكلّمنا أحد، وأشاعوا عنكم أيضاً أنكم تعبتم كثيراً في هذا الأمر فلم يجبكم فرد واحد، فينبغي تكذيب أقوالهم بالأفعال لأن الوقت وقت فعل، وترانا نحن مع إلحاح أكثر أصحابنا ورفاقنا المبعوثين على صرف النظر عن هذه الخطرة صممنا على السفر مقدّمين أنفسنا أمام المجاهدين، ولا نظن أن روحنا أرخص علينا من أرواحهم عليهم ولكن في سبيل الشرف كل غالٍ رخيص. فالمأمول أن تبذلوا الهمة في إرسال من تقدرون على إقناعه من بعقلين وجوارها، ومن جهة اللوازم والسلاح والمؤونة فكل شيء من كيس الدولة وأنا في انتظار جوابكم هنا، وإن كان حضورنا إلى بعقلين مفيداً للمصلحة نتوجه لكن بشرط أن يحصل نتيجة، وأما من جهة الجرد فإن عدة أشخاص كتبوا أسماءهم معنا فالهمة الهمة إلى ستر ناموسنا وناموس الطائفة ودمتم.

المخلص/ شكيب أرسلان

إن كان مصطفى أبو شهلة في بعقلين أبلغوه... ليكون معنا. واصل مكتوب إلى بيت أبي ذياب في الجاهلية.

قضايا محليّة ودوليّة


صوفر في ٢٣ محرم/٣٣٣

سعادتلو افندم حضرتلري

ان ملتزم بلدية عاليه نظراً للظروف الحاضرة قد
خسر ٣٩ الف غرش وهذه الظروف هي فوق العادة
بلا انكار فالمرجو مراعاته او بالاحرى مراعاة الذمة
في مسألته ثم انني كتبت الى حسين افندي ابي خزعل
بعض امور واشرت عليه ان يطلعكم عليها بحيث لا
احتاج الى تكرار الكتابة مرّ الان سيادة المطارنة
الثلاثة وقسم من الوفد اللبناني فاشرت على المطارنة
بالسلام حالاً على دولة المشير جمال باشا واما الوفد

رسالة كتبها الأمير شكيب إلى نجيب بك السعد، من صوفر في ٢٣ محرّم سنة ١٣٣٣ هـ، الموافق ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٤ م، عن تنظيمات الوفود لمقابلة جمال باشا، وإشارة إلى عناية الأمير بجمع المجاهدين للسفر إلى حدود مصر[1].

صوفر في ٢٣ محرم/٣٣٣

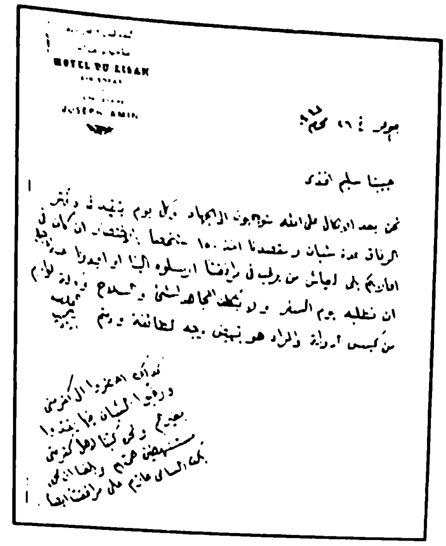
سعادتلو أفندم حضرتلري

إن ملتزم بلدية عاليه نظراً للظروف الحاضرة قد خسر ٣٩ ألف غرش، وهذه الظروف هي فوق العادة بلا إنكار فالمرجو مراعاته أو بالأحرى مراعاة الذمة في مسألته. ثم إنني كتبت إلى حسين أفندي أبي خزعل بعض أمور وأشرت عليه أن يطلعكم عليها بحيث لا أحتاج إلى تكرار الكتابة. مرَّ الآن سيادة المطارنة الثلاثة وقسم من الوفد اللبناني فأشرت على المطارنة بالسلام حالاً على دولة المشير جمال باشا، وأما الوفد فالأولى أن ينتظر بعضه بعضاً حتى يدخلوا هيئة واحدة، كما صار الكلام بيننا وبين دولة نجيب باشا ولذلك راجعنا التأكيد على جماعتنا بسرعة السفر بحيث لا يتأخرون عن قطار الأحد، هذا وهم معذورون بالتأخر لأن بعضهم لم تصلهم مكاتيبي إلا اليوم، وأنتم أكِّدوا على بقية الوفد بالسفر لأن الذين مرّوا ما عدا سيادة الأحبار هم بضعة ذوات فقط فلا يكفون عن الجبل. أما نحن فكنا نود لو بقينا في الشام بأثناء مجيئهم، إلا أننا مباشرون جمع المجاهدين للسفر إلى حدود مصر فلا نقدر أن نتأخر، وإنما قبل سفرنا ننزل إلى الغرب وإلى بيروت ونودعكم سائلين الله أن نشاهدكم بخير والإرادة لكم أفندم.

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات النائب السابق الأستاذ فؤاد السعد.



دعوة إلى الجهاد

رسالة من الأمير إلى سليم العياش من بعورتة، أرسلها من لوكندة لبنان، عين صوفر، مؤرخة في ٢٦ محرّم ١٣٣٣ هـ، الموافق ١٥ كانون الأول سنة ١٩١٤ م، يحث فيها الشباب على مرافقته إلى الجهاد. والجهاد المقصود هو الحرب مع الجيش العثماني ضد الحلفاء(١).

صوفر في ٢٦ محرم/ ٣٣٣

حبينا سليم أفندي

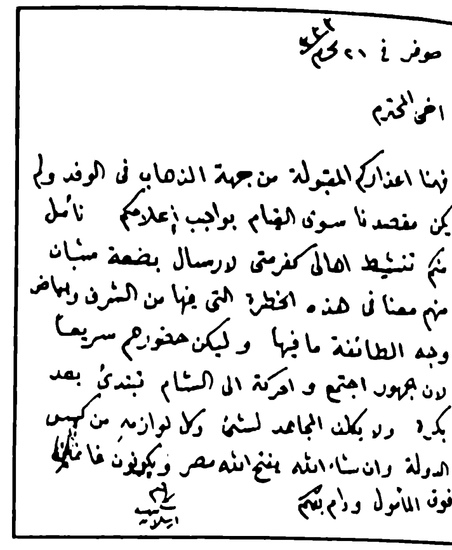
نحن بعد الاتكال على الله متوجهون إلى الجهاد، وكل يوم يتقيد في دفتر الرفاق عدة شبان ومقصدنا أخذ ١٥٠ شخصاً. بالاختصار إن كان في أقاربكم بني العياش من يرغب في مرافقتنا أرسلوه إلينا أو أفيدونا عنه لأجل أن نطلبه يوم السفر، ولا يتكلف المجاهد لشيء والسلاح وكافة اللوازم من كيس الدولة، والمراد هو تبييض وجه الطائفة ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

كذلك أحضروا إلى كفرمتى ورغّبوا الشبان فيها يقتدوا بغيرهم، ونحن كتبنا لأهل كفرمتى مستنهضين همتهم وبلغنا أن محمد بك السامي عازم على مرافقتنا أيضاً.

(١) من محفوظات الأستاذ فيكتور سحّاب، بيروت.



صوفر في ٢٨ محرم ٣٣٣

اخي المحترم

فهمنا اعذاركم المقبولة من جهة الذهاب في الوفد ولم
يكن مقصدنا سوى القيام بواجب إعلامكم نأمل
منكم تنشيط اهالي كفرمتى لارسال بضعة شبان
منهم معنا في هذه الخطرة التي فيها من الشرف وبياض
وجه الطائفة ما فيها وليكن حضورهم سريعاً
لان الجمهور اجتمع و الحركة الى الشام تبتدئ بعد
بكرة ولا يكلف المجاهد لشيء وكل لوازمه من كيس
الدولة وان شاء الله يفتح الله مصر ويكونون غانمين
فوق المأمول ودام بقاكم
شكيب ارسلان

متطوعون للحرب في الترعة

رسالة من الأمير شكيب إلى الأمير علي آل ناصر الدين، ليقبل فيها عذره لعدم تمكنه من الذهاب في الوفد، ويحثّه على إرسال شبّان متطوعين دروزاً للجهاد في ترعة السويس مع الجيش التركي في الحرب الليبية ـ الإيطالية، مؤرخة في ٢٨ محرّم سنة ١٣٣٣ هـ، الموافق ١٧ كانون الأول سنة ١٩١٤ م[١].

صوفر في ٢٨ محرم/ ٣٣٣

أخي المحترم

فهمنا أعذاركم المقبولة من جهة الذهاب في الوفد ولم يكن مقصدنا سوى القيام بواجب إعلامكم، نأمل منكم تنشيط أهالي كفرمتى لإرسال بضعة شبان منهم معنا في هذه الخطرة التي فيها من الشرف وبياض وجه الطائفة ما فيها، وليكن حضورهم سريعاً لأن الجمهور اجتمع والحركة إلى الشام تبتدىء بعد بكرة، ولا يكلف المجاهد لشيء وكل لوازمه من كيس الدولة، وإن شاء الله يفتح الله مصر ويكونون غانمين فوق المأمول ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات الأمير نديم آل ناصر الدين.

الأمير شكيب وخليل مردم

رسالة من الأمير مؤرخة في ١٥ محرّم ١٣٣٥ هـ، الموافق ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦ م، إلى خليل مردم بك، حول طباعة كتابه الجديد، وفيها يطلب إرسال المسودّة.

١٥ محرم/ ٣٣٥

سيدي الأخ الجليل لا عدمته

لا أقدر أن أصف لك سروري بقراءة كتابك الذي فيه بشرتان لا بشرى واحدة، الأولى حصولك على العافية بعد الالتياث، والثانية رضاك عني، وإنه لفوز لو تعلمون عظيم. تقولون لي إن غاية ما ترجونه أن تكونوا فائزين برضاي، فوالله قد ضحكت عندما تلوت هذه الجملة، لأنكم تعلمون يقيناً أن رضاكم عليّ يساوي الدنيا عندي، ولا أقول لكم أكثر من ذلك.

نعم كنت أشتاق شوقاً مبرحاً، ولا أكتب لكم نظراً لعتبي عليكم، والعتب على قدر المحبة، وذلك أني لم أسعد بمشاهدتكم يوم جئتم إلى أوروبا. ومع هذا فغضب المحب أقصر عمراً من أن ينتظر عذراً، وأنتم لم ترتكبوا ذنباً، ولكنه بالنسبة إلى محبتي لكم قد كان حوباً كبيراً، وقد تكرمتم عليّ بالمكاتبة، رأيت نفسي سعيداً وذهب العتب والعتاب، وقلت لا ينبغي للإنسان أبداً أن يقنط من رحمة الله. فوالله بدون مداعبة، أعد هذه النعمة عظيمة جداً ولا توجد نعمة يا أخي أعظم من نعمة الحب الروحي المنزّه، الذي يشعر به الإنسان نحو النوابغ من البشر.

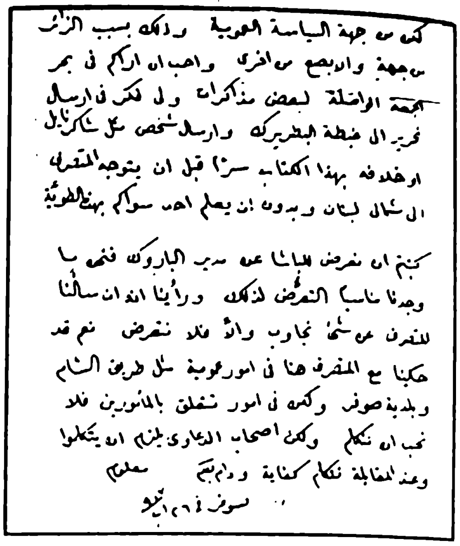
لنعد الآن إلى الكتاب، فأنا لا أخشى تقصيراً وأنتم مشرفون عليه. تقولون إنه قد طُبع منه حتى الآن مائة وثلاثون صفحة إلى تاريخ مكتوبكم، أفلا يمكن أن يبعث لي بنسخة مما طبع الآن؟ ثم أرجو أن تذكروا لي كم نسخة سيطبع هل هو ألف، أم ألف وخمسمائة؟ إن كان يلزم دراهم فمروني حتى أقدم اللازم، وآخر دعواي أن تكونوا راضين حق الرضا عن أخيكم.

أخـوك

شكيب أرسلان

أمور عمومية

رسالة من الأمير إلى رشيد بك نخلة، حول مسائل حياتية وقضايا مياه وأُمور أخرى سياسية، صادرة عن صوفر في ٢٦ آب سنة ١٩١٧ م[(١)].


لكن من جهة السياسة العمومية وذلك بسبب الزائر
من جهة والابصع من الاخرى واحب ان اراكم في بحر
الجمعة الواصلة لبعض مذاكرات ولي فكر في ارسال
تحرير الى غبطة البطريرك وارسال شخص مثل شاكر نايل
او خلافه بهذا الكتاب سرًا قبل ان يتوجه المتصرف
الى شمالي لبنان وبدون ان يعلم احد سواكم بهذه الطوية

كنتم ان نعرض للباشا عن درب الباروك فنحن لما
وجدنا مناسب التعرض لذلك ورأينا انه ان سألنا
للتعرض عن شيء نجاوب والا فلا نتعرض ثم قد
حكينا مع المتصرف هنا في امور عمومية مثل طريق الشام
وبلدية صوفر وكذلك في امور تتعلق بالمأمورين فلا
نحب ان نتكلم ولكن اصحاب الدعاوي يلزم ان يتكلموا
وعند المقابلة نتكلم كتابة ودمتم
صوفر ٢٦ آب ٩١٧

صوفر في ٢٦ آب/٩١٧

أخـــي

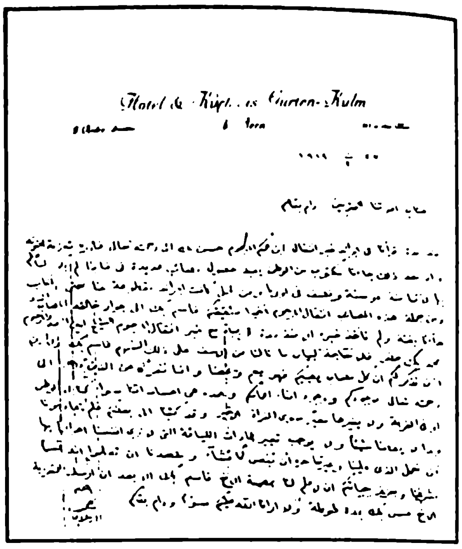
فهمت كامل ما ذكرتموه، وأجاوبكم: أولاً بخصوص دعوى المدير إننا كتبنا إلى إسكندر أفندي حنا نسأله عن سبب عدم طلب شهـود رشيد المضروب إلى المحكمة، ونوصـيه بطلبهم حتى لا يقدروا بعد ذلك على تبرئة المدير، وأفهمنا والد رشيد أن يفيدنا عما يجدّ فإن حُكم على ابنه يستأنف ونلحق المسألة في الاستئناف. فأما اعتقادي الخصوصيّ فهو أن الحكم سيكون على رشيد المذكور، وأن محمد أبي عز الدين وحسن الخطيب يعضدان المدير، وأن يوسف الملاط أيضاً لا يراعي محـمود حسن من الباروك ولو في الحق لأجل أن يغيظ رئيس دائرة الجزاء، وأن دولة المتصرف جديد والذين هم حواليه لا يدلّونه على الحقيقة بل كلهم يراعون زائر عين زحلتا، وأكثرهم هم تحت سلطة ذلك الأبصع... فماذا تنتظر منهم، وإن الأقوال يقولونها أمامكم هي تظاهر ومداهنة لعلمهم بأن جميع ما يقال لكم يصل إلينا. وأنا لا أكتم عنكم أنني صرت سيّىء الظن لا من جهة عدم نفوذ أمر يُظن أنني منتظرهُ، لكن من جهة السياسة العمومية وذلك بسبب الزائر من جـهـة والأبصـع مـن الأخــرى، وأحـب أن أراكـم فـي بحـــر الجمعـة الـواصلـة لبعـض مذاكرات، ولي فكر في إرسال تحرير إلى غبطة البطريرك وإرسال شـخص مثل شاكر نايل أو خلافه بهذا الكتاب سراً، قبل أن يتوجه المتصرف إلى شمالي لبنان، بدون أن يعلم أحد سواكم بهذه الطويّة.

---

(١) من محفوظات المحامي سعيد بك نخلة.

كتبتم أن نعرض للباشا عن مدير الباروك فنحن ما وجدنا مناسباً التعرُّض لذلك، ورأينا أنه إن سألنا المتصرف عن شيء نجاوب وإلاَّ فلا نتعرض. نعم قد حكينا مع المتصرف هنا في أمور عمومية مثل طريق الشام وبلدية صوفر، ولكن في أمور تتعلق بالمأمورين فلا نحب أن نتكلم، ولكن أصحاب الدعاوى يلزم أن يتكلموا، وعند المقابلة نتكلم كفاية ودام بقاكم. معلوم.

شكيب أرسلان



وفاة قاسم بك حماده

رسالة من الأمير شكيب بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ م، إلى أحمد بك النعمان حماده وأشقائه في «بعقلين»، يعزيهم فيها بوفاة شقيقهم قاسم بك، ويعبر عن إحساساته العميقة تجاه من فقدهم، لأن الوفاء كان من أنبل الأمور التي تعلق بها الأمير في حياته[١].

٢٣ تشرين الثاني/ ١٩١٩

جناب أخوتنا المحترمين دام بقاهم

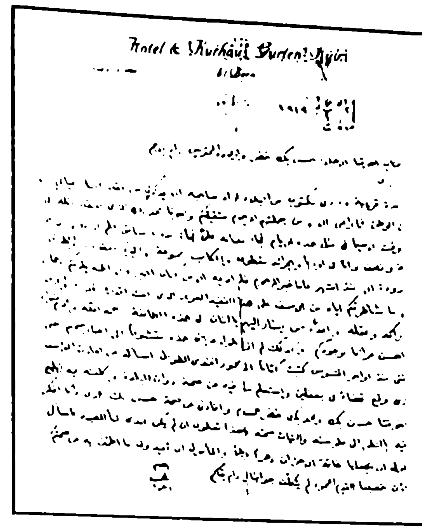
منذ مدة قرأنا في الجرائد خبر انتقال ابن عمكم المرحوم حسن بك إلى رحمته تعالى فبادرنا بتعزية أخوته، وإذ بعد ذلك جاءنا مكتوب من الوطن يفيد حصول مصائب عديدة في غيابنا لم يكن لنا علم بها، لأننا منذ نحو سنة ونصف في أوروبا ومن قبل كانت الجرائد مقطوعة عنا وحتى المكاتيب. ومن جملة هذه المصائب انتقال المرحوم أخينا شقيقكم قاسم بك إلى جوار خالقه المصاب الذي جاءنا بغتةً ولم نأخذ خبره إلا منذ مدة قريبة، مع خبر انتقال المرحوم الشيخ أمين العيد والمرحوم محمد بك خضر، فلا حاجة لبيان ما نالنا من الأسف على ذلك الشهم قاسم بك ولا لزوم لأن نذكر لكم أن كل مصاب يصيبكم فهو يعمّ ويخصنا، وإننا نتعزَّى عن الذين درجوا إلى رحمته تعالى بوجودكم ووجود أبناء أعمامكم، وهذه هي إحساساتنا سواء كنا في الوطن أو في الغربة ولا يغيرها مغيّر سوى الفراق الأخير. وقد كتبنا إلى بعضكم فلم يجاوبونا فهذا لا ينقصنا شيئاً ولا يوجب تغيير عادات اللياقة التي لا نرى أنفسنا أحراراً بها، نحن نعمل الذي علينا وغيرنا حر أن يفعل ما يشاء، ومقصدنا أن تعلموا أنه قسماً بشرفنا وبعزيز حياتكم أن لا علم لنا بمصيبة الأخ قاسم بك، إلا بعد أن أرسلنا التعزية بالأخ حسن بك بمدة طويلة، ولا أرانا الله عليكم سوءاً ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات الأستاذ سهيل حماده.

وفاة محمد بك خضر



رسالة بعث بها إلى حسن بك خضر وأولاده في «بعقلين» مؤرخة من برن، ٢٣ تشرين الثاني، ١٩١٩ م، يشاطرهم الأسى والحزن بفقد المرحوم محمد خضر، كما يستفسر فيه عن حادثة وقعت في بعقلين أخبره عنها أحد أصدقائه، كان لها الأثر البعيد في نفسه، مروراً ببعض القضايا العائلية الخاصة(١).

برن ٢٣ تشرين الثاني/١٩١٩

جناب أخوتنا الأجلاء حسن بك خضر وأولاده المحترمين دام بقاهم

منذ مدة قريبة وردني مكتوب من البلاد أراد صاحبه أن يذكر لي من فقد أثناء غيابي من أعيان الوطن، فما راعني إلا ومن جملتهم المرحوم شقيقكم وأخونا محمد بك الذي يفتقد مثله في كل وقت ولا سيما في مثل هذه الأيام، فجاء مصابه عليَّ فجأة بدون سابق علم إذ مضى بي نحو سنة ونصف وأنا في أوروبا والجرائد مقطوعة، والمكاتيب ممنوعة، والبُرُد مفقودة، والطرق مسدودة إلا منذ أشهر. فأما خبر المرحوم فلم أعرفه إلا من كتاب أخير ولا أظنه يلزمكم برهان على ما شاطرتكم إياه من الأسف على هذا الفقيد العزيز، الذي كنت أقدره قدره وأعرف إدراكه وعقله وأعدُّه ممن يشار إليهم بالبنان في هذه الطائفة، رحمه الله وأكرم مثواه وأحسن عزاءنا بوجودكم. وكذلك لم أزل طول غربتي هذه متشوفاً إلى أخبار صحتكم، حتى إنني منذ أواخر أغسطس كتبت كتاباً إلى محمود أفندي الطويل أسأله عن الحادث المؤسف الذي وقع قضاءً في بعقلين، وأستعلم منه فيه عن صحة ذوات البلدة وكلّفته فيه بتبليغ أخوتنا حسن بك ومحمد بك خضر السلام، وإفادتي عن صحة حسن بك الذي دائماً أفكر فيه بالنظر إلى علوّ سنّه والتياث صحته، هذا وتعلمون أنه لم يكن عندي نبأ المصيبة فأسأل الله المولى أن يجعلها خاتمة الأحزان دهراً طويلاً، والمأمول أن تفيدوني ما أطمئن به عن صحتكم لأن خصيصنا القديم المحمود لم يتكلّف جوابنا ودام بقاكم.

شكيب أرسلان

مني السلام والتعزية أيضاً إلى أخوتنا أمين بك قويدر وقاسم وسليم بك يوسف وسائر آل اليوسف.

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

وفاة سليم بك المعوشي

يوم توفي سليم بك المعوشي في آذار سنة ١٩٢١، كان الأمير شكيب متغيباً في ألمانيا (برلين)، وكان بين الرجلين تعاون ومودّة. فتوجّه الأمير إلى آل المعوشي بهذه الرسالة وفيها تعزية واستبراء من فرية ألصقت به. نشرت في مجلة «الفصول اللبنانية» العدد ١٢، ١٩٨٤، مؤرخة في برلين ٢٨ آذار سنة ١٩٢١ م.

برلين ٢٨ آذار/ ١٩٢١

جناب إخواننا الأجلاء آل المعوشي المحترمين دام بقاهم

لا تحضرني عبارة أرضاها للبيان عما أصابني من فقد المرحوم المغفور له أخي وأخيكم سليم بك المعوشي، الذي لم يكن يفوت يوم من أيام غربتي إلا وأفكر فيه وأحنّ إلى لقائه، وتحدثني نفسي بالأيام التي يقدر لنا فيها استئناف أنس الاجتماع، فكان بينا أنا في هذه الآمال أن جاءني نعيه الأليم الذي أعادها أحلاماً ورد نهارها ظلاماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

لم نفقد بمصاب الأخ السليم عضداً فقط، وركناً وخلاً كريماً، وولياً حميماً، وصديقاً موروثة لنا محبته عن الآباء والأجداد موصولة بيننا وبينه أحاديث الصداقة بأوثق الإسناد، بل خسرنا بارتحاله الفذ الذي تحتاج إليه الأوطان، والعلم الذي يشار إليه بالبنان، والفقيه المتبحر، والسياسي المستبصر، والوطني الصادق الوطنية، والرجل التام الإنسانية، والذي قلّما يطمع لبنان بأن يجد له كثيراً من الأنداد، والذي يليق على مثله أن يتشح الوطن بأثواب الحداد. نسأل الله أن يلهمنا ويلهمكم الصبر على هذا المصاب، وأن يحسن مثوى الفقيد في جوار خلده، ويجعلكم نعم الخلف من بعده. إنه تعالى سميع مجيب.

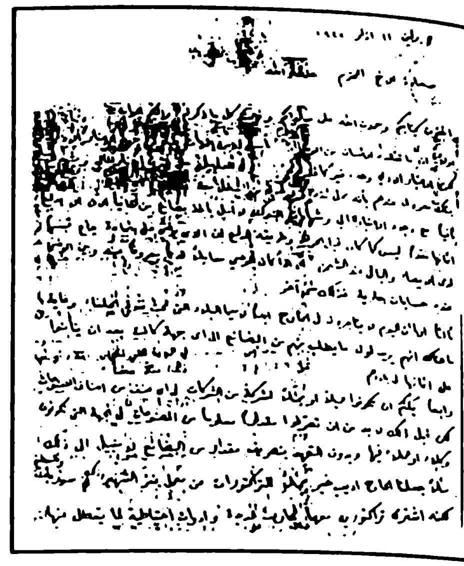
ما قصرت في أيام عملي، ولا سيما أثناء الحرب، في دفع أي ضرر قدرت على دفعه، وإماطة أي أذى كان في استطاعتي التوصل إلى منعه، وإنني، وإن لم أقدر على كل ما أردت ولم تشأ الأقدار أن تساعدني في كل ما قصدت، فمما لا يقدر أحد أن يكابر فيه أن الله وفقني لدفع كثير من الأضرار، وإنقاذ عدد عديد من أبناء الأوطان، وتهوين غربة آخرين ممن أُبعدوا عن الديار، وغير ذلك من الأمور التي أذكرها لأحيا بالباؤ والفخر. ولا منّة على أحد بما سبق من التعب، وإنما

أذكرها لنتيجة واحدة وهي: أن كل ما فعلته كاد يكون نسياً منسياً، لا بل جوزيت من البعض بعد المدح بالقدح، وبعد الاعتراف بالإنكار، وبعد الإقبال بالازورار، وكأن جميل ما قدمت كان ظاهراً مع إقبال الدهر، فلما أدبر أدبرت الحسنات، لا بل انقلبت سيئات، إلا فرداً واحداً بقيت عنده جرأة أن يدافع عني، في أيام الانقلاب، ويجهر بالحق، وهو يعلم أنه مرّ المذاق، على كثير ممن سيقرأون ذلك الخطاب، ألا وهو المرحوم سليم بك المعوشي الذي أعلن في بعض الجرائد، حسبما بلغني من أخي عادل، أنه وإن كان كلامه سيؤذي الكثيرين فلا يستطيع إلا أن يقول الحق، وهو أن الأمير شكيب أرسلان لم يكن له دخل فيما أتاه جمال باشا من الأعمال بل كان ناقماً عليها.

نعم وجدت عند تحول الدهر واحداً من الخلّان لم ينكرني، وصاحباً أبت شيمته أن يرى التحامل عليّ ولا ينصرني، وهو المرحوم الذي فقدناه اليوم، والذي مهما حزنت عليه فلا أُلام. رحمه الله وجزاه عني خير الجزاء، وأحسن لنا ولكم العزاء، ودام بقاكم.

أخوكم
شكيب أرسلان

الصناعة والزراعة في البلاد العربية



رسالة من الأمير، كتبها من برلين إلى نبيه العظمة (في شرقي الأردن) في ١١/٢/١٩٢٢ م، حول ضرورة النهضة الزراعية في البلاد العربية، وخاصة في شرقي الأردن، لمواجهة الخطر الصهيوني وأيضاً لسمعة الاستقلال السياسي. وقد نشرت في كتاب «الرعيل العربي الأول، حياة وأوراق نبيه عادل العظمة» لخيرية قاسمية، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١.

برلين ١١ آذار/ ١٩٢٢

سعادة الأخ المحترم حفظه الله

أخذت كتابكم وحمدت الله على سلامتكم وفهمت كل ما ذكرتم وإليكم الجواب:

أولاً: إن ما تقلده الإنسان من الوظائف وما سبق له من الخدمات يفيد من جهة الاعتبار الأدبي، لكن الاعتبار الأدبي وحده غير كافٍ لدى التجار وفي المعامل حتى يقترن بالاعتبار المالي، ويشهد للإنسان بنك معروف عندهم بأنه محل ثقة ولا خوف من الشغل معه.

ثانياً: مع وجود الاعتبار المالي وشهادات البنوك لا أمل بأخذ بضائع من ألمانيا الآن إلا بدفع أثمانها نقداً، ليس كما كان قبل الحرب. وطريقة الدفع أن الذي يوصي على بضاعة يدفع قسماً لدى الإيصاء والباقي عند الشحن، إلا إذا كان الموصي معامِلاً قديماً معروفاً بينه وبين الموصى عنده حسابات جارية فذلك شيء آخر.

ثالثاً: الألمان اليوم لا يتاجرون في الخارج أبداً، لا سيما البلاد التي تحت نفوذ الحلفاء، وغاية ما هناك أنهم يرسلون ما يطلب منهم من البضائع إلى أي جهة كانت بعد أن يتأمنوا على أثمانها في بلادهم.

رابعاً: يمكنكم أن تكونوا عميلاً وممثلاً لشركة من الشركات في أي صنف من أصناف المصنوعات، لكن قبل ذلك لا بد من أن تصرّفوا مقداراً معلوماً من المصنوعات في الجهة التي

تكونون وكلاء وعملاء فيها، وبدون التعهد بتصريف مقدار من البضائع لا سبيل إلى ذلك. مثلاً جعلنا الحاج أديب خير ممثلاً للتراكتورات عن معمل بنز الشهير وذلك في سورية وفلسطين، لكنه اشترىء تراكتورين معهما محاريث عديدة وأدوات احتياطية لما يتعطل منها، وتعهّد بتصريف ١٠ تراكتورات في السنة وهو يأخذ شيئاً معلوماً في المائة ولا يعطي بنز تراكتوراً إلا عن يده، أما ثمن التراكتور قوة ٢٥ حصاناً فهو مع الشحن والسيكورتاه واصلاً إلى بيروت خالصاً مخلصاً ومع المحاريث، وقطع الاحتياط ١٩٠ ألف مارك أي ١٨٠ ليرة إنكليزية، حال كون صبحي أفندي العيطة أخبرني أن بعض أهل الشام استجلب تراكتوراً أميركياً بهذه القوة نفسها كلّفه ألف ليرة إنكليزية. على أنه من جهة حسن الصنعة فلا يمكن أن تكون صنعة في الدنيا فائقة صنعة ألمانيا، لا سيما المعامل الشهيرة مثل محل بنز.

خامساً: أنا كنت أرسلت إلى الحاج فوز النابلسي كتالوكات من التراكتور المذكور وكتالوكات أخرى من المحاريث اليدوية، وشرحت عليها مختصر ما هو مكتوب بالألماني، وأطلت بالي كثيراً، وتعبت في درس هذا الموضوع كثيراً، وقلت لهم إن وجدتم شراء التراكتور غالياً عليكم (يومئذ كان يكلف واصلاً إلى حيفا ٤٠٠ ليرة إنكليزية وهو الذي من قوة ٢٠ إلى ٢٥ حصاناً) فما عليكم إلاّ أن تشتروا في الأول محاريث أوروبية على اليد، كلفة الواحد منها ثلاثة جنيهات إنكليزية إلى ٥ إلى ٧ بحسب النوع، لأنني بعثت إليهم بكتالوك فيه جميع الأنواع، أي ما يلزم للسهل وما يلزم للجبل وما يلزم للأرض العميقة وما يناسب الأرض العالية الخ. فبدلاً من أن تشقّوا الأرض على عمق ٥ سنتيمات تشقّوها إلى ١٥ أو ١٨ أو ٢٠، وبين هذا وذاك فرق عظيم.

واستجلبت نظرهم إلى ما يصنع اليهود في مزارعهم بفلسطين، وبيّنت لهم أن شرق الأردن بلاد زراعية محضة ففائدتهم أقرب ما تكون هي من الزراعة، ولا بد لمضاعفة ثروتهم وواردداتهم وحفظ استقلالهم وقوميتهم من استعمال الأدوات الزراعية الحديثة وترك الطرق القديمة، وكتبت في ذلك أيضاً فيما أتذكر إلى الأخ مظهر بك أرسلان وحضضته على تشويق الأهالي إلى استعمال الآلات الزراعية الحديثة لأن بها قوام الثروة المحلية، ولم آخذ على شيء من ذلك جواباً وصرت أخشى أن يكونوا ظنوا أنني رجل سياسي قد خدعني بعض الألمان في أمور لا أعلم بها، وكلفوني أن أصرّف لهم بضاعة مزجاة لا تنفع، فتركت المراجعة بهذا الشأن مع أنه كان ينبغي أن يفهموا أن تمييز كون الآلات الحديثة خيراً من القديمة لا يلزمه أن يكون الإنسان تاجراً أو صناع يد، كما أن معرفة الفبارك الشهيرة في ألمانيا لا تحتاج فلسفة، فالفبارك التي لنا علاقة معها هي أشهر معامل ولنا أعوان وأصحاب يساعدوننا في الانتخاب وهم من أهل الصناعة. ثم إننا أشرنا عليهم أن يبدأوا أولاً بما هو متيسّر وسهل استعماله مثل السكك اليدوية وهي رخيصة الثمن فليجربوا بها، ومتى رأوا فائدتها يستكثروا منها ومما هو أعلى درجة أرجوكم أن تطلبوا الكتالوكات من الأخ الحاج فوز فلا شك أنه حافظها.

سادساً: يعتذر بعضهم عن استعمال الآلات الزراعية الحديثة بكونها إن تعطلت ليس هناك من يصلحها، والجواب أمّا الآلات البسيطة فأي حداد كان يصلحها، وأما التراكتورات الكهربائية فإن صار الإيصاء على عدد منها يمكننا أن نرسل من هنا ميكانيكاً خاصاً يسيّرها، ويعلم تلاميذه كيفية العمل بها مدة أشهر، ثم يعود ثم نفتح محلاً للقطع الاحتياطية الضرورية.

سابعاً: التركتورات تنفع لتسيير محاريث الفلاحة ثم آلات الحصاد ثم آلات الدراس ثم نقل الحبوب والقش وسائر الأثقال، وعندما ينتهي ذلك تستعمل لتنوير البيوت.

ثامناً: عدا الآلات الزراعية التي بحسب رأينا هي أقرب البضائع فائدة وأولاها استعمالاً في بلادنا، إن كنتم تريدون نرسل لكم كتالوكات بضائع أخرى مثل السكاكين والمواسي والمقاريض، وهناك منسوجات وأدوات معدنية لا يمكن أن يجدها التاجر في غير ألمانيا بالأثمان التي هي فيه بألمانيا.

ثامناً: إن كان يوجد في شرق الأردن معادن من فضة أو فحم أو فوسفات أو بترول أو غير ذلك، أرسلوا إلينا مقداراً من تراب كل معدن نحو ٣ أو ٤ كيلو لأجل تحليله هنا، وبعد ذلك يرسل الجواب عما إذا كان يستحق الشغل أم لا، فهذه مسألة مهمة فائدتها عامّة للبلاد.

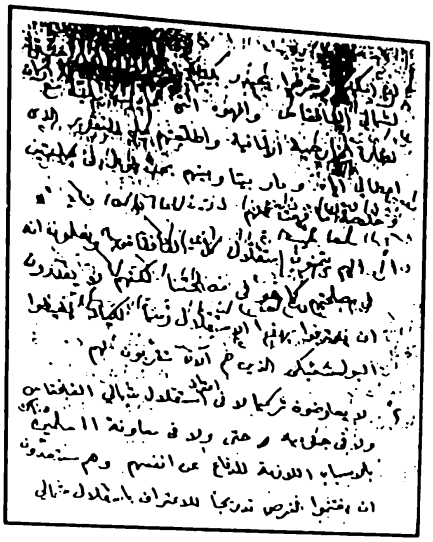
تاسعاً: كانت الحكومة العثمانية تشتري هي بنفسها الآلات الزراعية، وتوزعها على الألوية، وتوكل بها مأموري الزراعة لحمل الفلاحين على استعمالها، ومع أن مأموري الزراعة كانوا مقصرين في هذا الأمر فكان يرجى على طول المدة أن يعوّدوا الأهالي، فهل سعت الحكومة في شرقي الأردن بترويج الآلات الزراعية الحديثة، أو اشترت أنموذجات للاستعمال وحملت عليها كبار المزارعين مثل الحاج فوزي النابلسي والجوابرة والبشارات وسعيد باشا خير ومزارعي الجركس وغيرهم، إن هذا هو من أقدس وظائف الحكومة. وإن كنا نقصر حتى عن هذا الأمر فلماذا نقول إن الأتراك جامدون ليسوا بأهل إصلاح، والعرب أسرع فهماً وأنشط إلى الإصلاح وأقرب إلى المدنية.

ينبغي لحكومة شرقي الأردن أن تعلم كونها محطّ أنظار، وأنها تؤخذ مثالاً وقياساً فإن نهضت كان لجميع عرب سورية حجة بكونهم أكفّاء لإدارة أنفسهم، وإلاّ قالوا لنا دائماً هذه شرقي الأردن حكومة عربية بحتة فماذا فعلت؟ إن الاستقلال له لوازم لا يتم بدونها وبهذا كفاية لمن كان أدرى مني مثلكم وأطال الله بقاكم.

أخوكم/ شكيب أرسلان

قريباً أكتب إلى عادل فقبّلوا لي عيونه وعيون غالب.

37 Grolmann Sh Berlin



مُسارّة مع الأمير عادل

وبعث بهذه الرسالة إلى شقيقه الأمير عادل، وقد كتب فوقها «خصوصي ومحرم» ولم تحمل توقيعه، حول بعض الأمور السياسية الدوليّة.

خصوصي ومحرم

إن أمكنكم تعرّفوا بحيدر بك ناظر الأمور الخارجية لشمالي القافقاس، وأفهموه أنني تحادثت ملياً مع أركان نظارة الخارجية الألمانية، وأطلعتهم على التقرير الذي أعطاني إياه، ودار بيننا وبينهم بحث طويل في جلستين وخلاصة ما فهمت منهم:

١ ـ أنهم يتمنون استقلال كل القافقاس ويعلمون أنه في مصلحتهم كما هو في مصلحتنا، لكنهم لا يقدرون أن يعترفوا بهذا الاستقلال رسمياً لكيلا يغيظوا البولشفيكي الذين هم الآن متقرّبون منهم.

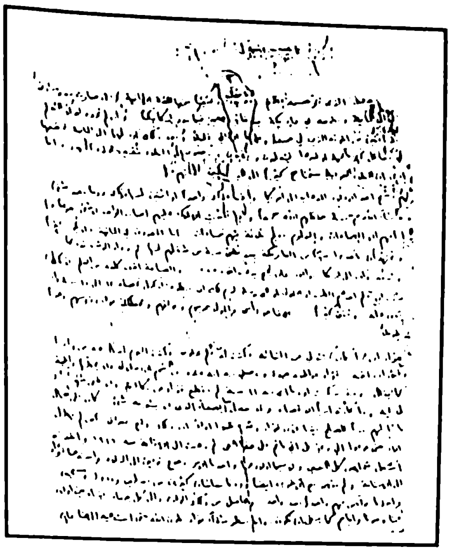
٢ ـ لا يعارضون تركيا لا في اعتراف استقلال شمالي القافقاس ولا في جنوبيه، حتى ولا في معاونة المسلمين هناك بالأسباب اللازمة للدفاع عن أنفسهم، وهم مستعدّون أن يغتنموا الفرص تدريجاً للاعتراف باستقلال شمالي القافقاس وجنوبيه، لكن الآن لا يقدرون أن يعترفوا بذلك رسمياً وغاية ما اقتنع الروس بالاعتراف به هو استقلال كرجستان فقط، ولو لم يقتنع بذلك الروس ما أمكن ألمانيا أن تعرفه أيضاً رسمياً. أما الطاغستان وأذربيجان وأرمنستان فلا يقدرون أن يعترفوا ولا بواحد منها اليوم.

٣ ـ يمكن أهالي الطاغستان وأذربيجان والأرمن أن يراجعوا الروس هم وتركيا أيضاً بالطرق الخيثة، لعل الروس يتركونهم كما تركوا الكرج، ويمكنهم أن يدافعوا عن استقلالهم بالقوة، ألمانيا لا تعارض في ذلك.

٤ ـ من جهة نفس مدينة باكو لا تقدر ألمانيا أن تتركها تماماً لتركيا، لأن الروس يطالبون بها

ولا يستغنون طرفة عين عنها، وأحسن وجه لباكو هو تسوية على وجه يكون لروسيا وألمانيا ولتركيا منافع فيها. فألمانيا تساعد على هذه التسوية وتترك تركيا حُرة فما بقي.

هذه هي الخلاصة أفهموه إياها سراً وأبقوا هذه الورقة معكم، ونحن ما تركنا شيئاً مما يلزم أن نحكيه إلا حكيناه.



محبة بعد خصومة

رسالة أخنى عليها الزمان، فضاع قسم منها، لكن الباقي يكفي للتدليل على ما كان يحفظ الأمير لابن عمه الأمير فؤاد، من محبة بعد خصومة قامت بين الأسرتين زماناً، لأن المغرضين كانوا قد أشاعوا أن الأمير شكيب كان وراء نفي الوطنيين ومنهم الأميرين فؤاد ورفيق، لكن هذه الخصومة انقلبت إلى مودة عندما ظهرت الحقيقة ولمس الناس الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير شكيب في «الأستانة» لتخليص معظم المنفيين. كما أن في الرسالة أمور أخرى يكون من المفيد الاطّلاع عليها. والرسالة ليس لها تاريخ.

لا من واحد وحده

ولدك خليل الذي نموّ جسمه عظيم دعه يدرس شيئاً من اللغة الألمانية، ومتى صارت معه مبادىء يأتي إلى ألمانيا ونضعه في فابريكة يشتغل ويصير فيما بعد ميكانيكياً، وإن لم تجده أهلاً للتعلم فخذ اثنين من أخوته الذين في صيدا وعلّمهما الألماني قليلاً، وبعد ذلك أرسلهما إلى ألمانيا فنضعهما في معامل كهربائية أو غيرها، فيتعلمون وينتفعون ويرجعون إلى البلاد متقنين هذه المهن، وأنا أرى أن البلاد العربية ستحتاج كثيراً إلى الميكانيكيين لقلتهم فيها.

ثم رشّح أحد الأولاد للذهاب إلى أمريكا وأبق عندك واحداً أو اثنين لمساعدتك عندما تصير شيخاً، ما شاء الله هم خمسة حفظهم الله جميعاً. وإذا تقسّمت الأملاك عليهم أصاب الواحد لا شيء تقريباً، فما أمامهم إلا الصناعات والعلوم فعلّم ثلاثة منهم صناعات. أما المصروف في ألمانيا فلا يكون كثيراً ونجتهد أن يأخذوا شيئاً من الفابريكة بعد مضيّ سنة من شغلهم فيها، ثم يزداد المرتّب تدريجاً، وتسفير واحد إلى أمريكا موافق فإن نجح يذهب أخوه عنده. والصناعة أخف كلفة من العلم لأنك إن شئت أن تعلّم أحدهم الطب أو الحقوق أو الهندسة لزم لك أن تنتظره ليكمل تحصيله ١٢ إلى ١٥ سنة، وأنت تنفق عليه وتنفق كثيراً. فهذا هو رأيي والمولى يحرسهم ويوفقهم ويجعلك فوق رؤوسهم دهراً طويلاً.

فؤاد ابن عمنا كان كتب لي عن التياثه فكتبت له من شهر فلم يجاوب. فكتبت اليوم أسأل عنه من ولدنا رفيق ابن أخيه. فؤاد عواطفه جيدة ويرضيني منه أنه عنده من الشمم الأرسلاني فلا يحطّها واطية كما يقال. ومنذ سكنت أوروبا أي منذ ١١ سنة لم ينقطع فؤاد عن مكاتبتي ولا مضى شهراً لم يكتب لي فيه وما كلّفته أمراً إلا قضاه، وقد حصل بيننا الصفاء الذي لا يشوبه شيء. كان نفي جمال باشا لهم سبباً للصلح بيننا لأن فؤاد وغيره ظنوا أولاً أن ذلك وقع بمعرفتي، لكن لم يطل الأمر حتى عرفوا أني بريء بل أني ناقم على هذا النفي، ثم ذهبت إلى الأستانة سنة ١٩١٦ وأخذت أشتغل بتخليص كل المنفيين ولا سيما أولاد عمنا، وأخذنا الأمر برجوع توفيق إلى البلاد واستدعينا فؤاد إلى الأستانة ولم نقصّر مع الآخرين أيضاً، وزدنا معاشات كثيرين من مسلمين ودروز ومسيحيين وأخذنا نخلص منهم واحداً بعد واحد. والحاصل من ذلك الوقت زال كل جفاء بيننا وبين أولاد عمنا، وصرنا وإياهم كما ينبغي أن نكون. وأنا منتظر شفاء فؤاد بإذن الله حتى أستدعيه إلى هنا، فإن بين مطلع كل شمس ومغربها...

فأخونا محمود بك جنبلاط كان عليه لحم كثير جداً وهذا مُضرّ وضاغط على القلب وزائد في صلابة الشرايين، فعسى أن يكون الآن خفَّ هذا اللحم والشحم وينهض بالعافية، ويستعمل الترتيب الذي نحن نستعمله والله يهبه السلامة. ومحمود بك ليس متجاوزاً الواحدة والستين من العمر، وأشهد أنه طيب القلب بعيد عن الضرر كريم النفس لطيف العشرة فيه خلال طيبة كثيرة.

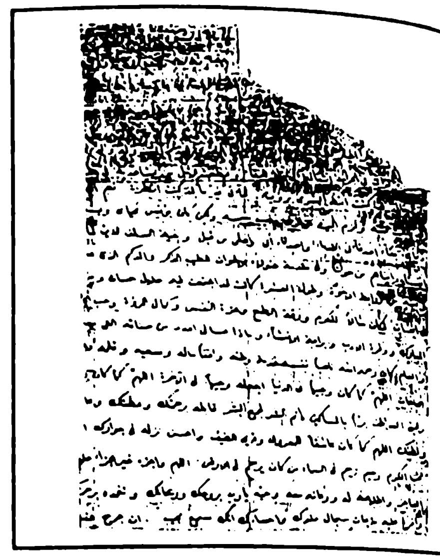
بلغني أن نجيب بن علي بك جنبلاط تزوج بنت حدَّاد ـ غير بنت حداد بطمه صاحبة أبيه ـ وأنت كتبت لي فيما أتذكر شيئاً عن ذلك، لكني نسيت أيَّ عائلة حداد أخذ نجيب بك العلي منها؟.

أما قصة تأهل سعيد لك ابن فريد بك بالصورة التي تأهَّل بها فقد آلمتني جداً من كل وجهٍ. أفرغ الله على أخينا فريد بك وأخوته صبراً جميلاً. يسرّ الإنسان بالذريّة ويربّي أولاده ويتعب عليهم وينتظر قرة العين بهم، فكثيراً ما يكونون سبب العكس. أقول أفرغ الله على فريد بك صبراً حتى لا يصيبه لا سمح الله ما أصابه جدي الأمير حسن أرسلان. فإن جدّي سكن مدةً بيروت في نحو سنة ١٨٤٥ وما بعدها، وكان عمي مسعود ووالدي مراهقين يتعلمان عند اليسوعيين في المدرسة المسماة باليسوعية العتيقة. فعلِق التعليم المسيحي بقلب عمي مسعود ولم يعلق بقلب والدي مع أنه أصغر منه. وتنصَّر الأمير مسعود سراً وهرَّبَه اليسوعيون في وابور ذاهب إلى أوروبا ماراً بطرابلس. فلما بلغ جدّي جنّ جنونه ووجد وابوراً فأدركه في طرابلس وركب في زورق أمام الوابور الذي فيه عمي مسعود، وناداه وحكى معه كثيراً حتى يرجع فلم يرجع. وسارت الباخرة ورجع جدي لا يعي من الغمّ. وأخذ أعيان طرابلس يسلّونه وما كان يتسلّى، وأورثه الحزن مرض القلب وبعد ذلك توفي

فجأةً بسكتة قلبية وكان قضى عمره حتى مات يتحسّر على مسعود. هذه نتيجة تعليم الصغار عند هؤلاء الجماعة وهم غير مدركين.

أما الدكتور سعيد جنبلاط فلما صارت الحرب العامة كتب إلى والده مكتوباً من باريس ملآن طعناً في الدولة العثمانية، ولم يعرف أن الدول أثناء الحروب تستعمل «السانسور»، ومن حسن الحظ أن أخي عادل يومئذٍ كان مأمور سانسور فوقع المكتوب في يده.. وهكذا تخلَّص آل جنبلاط من ضرر هذا المكتوب. أي أن الدكتور متهوّر من الأصل. وقضية قتل ابن المقدم رشيد كذلك تهور من الاثنين....

وفاة حسن بك خضر



كتاب تعزية بعث به الأمير إلى سليم بك خضر وشقيقه أمين بك، بوفاة والدهما المرحوم حسن بك خضر (١٨٣٦ ـ ١٩٢٢)، الذي توفي في ١١ آذار سنة ١٩٢٢ م. وكان حسن بك وجيهاً ألمعياً، ومحدثاً لبقاً، وخطيباً لسناً فصيحاً، وقد أحرز من الدولة العثمانية، امتياز الرتبة الثانية، والوسام العثماني الرابع، والميدالية الحجازية المذهّبة. وهذه الرسالة تنمُّ على ما كان يكنّ له الأمير من احترام وتقدير، وما كانت تشدُّ بينهما من أواصر ودّ ومحبة[1].

برلين ٨ نيسان/ ١٩٢٢

جناب أخواتنا الأفاضل المحترمين

بينما كنت أنتظر أخبار السلامة عن الأخ الحميم والصديق القديم المغفور له والدكم الكريم، إذ ويا للحسرة قرأت في الجرائد انتقاله إلى دار البقاء، وقطعت الأمل من مشاهدته في هذه الحياة وكنت كمن قال:

قد كنت أنتظر البشرى برؤيته   فجاءني غيرُ ما قد كنت أنتظر

نعم إن المرحوم كانت قد عَلَت سنُّه ولزم البيت وأزف مغيب شمسه، ولكنه كان يؤنس محيّاي ويسلّيني من كروب دنياي، بقاء أصدقائي القدماء وأصدقاء أبي وأهلي من قبل بقية السلف الذين لمّا عقلنا على أنفسنا رأيناهم من حولنا، وفي مقدمة هؤلاء الإخوان الطيب الذكر والدكم الذي عدا ما بيننا وبينه من روابط الأخوّة وطول العشرة. كانت قد اجتمعت فيه خلال حسان، يندر وجودها في إنسان، فكان مثالاً للكرم ورقّة الطبع وعزّة النفس وكمال المرؤة وحبّ الخير، مع سموّ المدارك ووفرة الأدب وبراعة الإنشاء، وماذا عساني أردّد من صفاته التي يعلمها الخاصّ والعام. كان رحمه الله ناصباً نفسه لخدمة وطنه واقفاً ماله وسعيه وقلمه لإغاثة ذوي الحاجات. اللّهم كما

(١) من محفوظات المحامي محمد أمين خضر.

كان وجيهاً في الدنيا اجعله وجيهاً في الآخرة، اللّهم كما كان رحيم القلب رقيق العواطف برّاً بالمساكين دائم البشر لجميع البشر، قابله برحمتك وعطفك وعامله ببرّك ولطفك، اللّهم كما كان عاشقاً للمعروف وقرى الضيف أحسِن نزله في جوارك، إنك كريم تحلّ الكرم رحيم ترحم في السماء من كان يرحم في الأرض، اللّهم أجْزِه خير الجزاء على حبّه هذا العاجز وإخلاصه له ووفائه معه، وحيِّه يا رب برَوحك وريحانك، وتغمَّده برحمتك ورضوانك، وأفرغ عليه مترعات سجال عفوك وإحسانك إنك سميع مجيب. إن جرح هذا المصاب سيبقى في فؤادي طويلاً لا يخفف حرقته سوى كون المرحوم خلّف سليلين نجيبين وشهمين كريمين يُحيِيان جميل سيرته ويمشيان على أثر فضله، فلا نكون حرمنا رؤية وجهه الصبيح وشخصه العزيز وهذا سبيل العالمين جميعهم. فليهنأ راحل كالمرحوم ترك ما تركه من الاسم، وخلّف ما خلّفه من حسن الأحدوثة، واستوفى ما استوفاه من الحياة المعمورة بالمكارم، وأبقى مثلكما قمرين نيّرين يكمّلانه بعد وفاته، ويخيلان أنه لم يزل في حياته، جعل الله العوض بسلامتكما، وعزّانا بوجودكما، وإنني لا أعزّي كافة من يلوذ بكم على هذا المصاب، بل أهل بعقلين، بل آل معروف عامة وأبناء الوطن قاطبة، وما أحراني أن أعزّي نفسي ودام بقاكم.

أخوكم

شكيب أرسلان

الأمير والشريف الحسين

رسالة من الأمير إلى حضرة الشريف الحسين بن علي، وفيه قضايا سياسية مهمة حول الثورة العربية. وقد نشره الأمير في جريدة (سوريا الرسمية) ونقله الخوري لطف اللّٰه نصرا في كتابه «الحرب الكونية الأولى»، صحَّحه وطبعه الخوري ثابت الديراني، مطبعة الجهاد، ١٩٢٢ م، بيروت.

الأمير النبيل سليل العترة الفاطمية وطراز العصابة الهاشمية أطال الله بقاءه وسدد إلى الصواب آراءه آمين

لا يخفى أن من الأحاديث المأثورة المشهورة عن جدك سيد الثقلين ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين».

فإذا كان الأمر كذلك أيها الأمير ويطابق على صحة العقل وتظاهر بداهته الحديث، فما قولك بالمؤمن يلدغ ألف مرة؟ وما ظنك بالمؤمن ابن المؤمن والشريف ابن الشريف ولي نعمة الإيمان، ومشرق نور الإسلام، وأمير بلد الله الحرام، أن يلدغ من حجر قد سبق أنه لدغ منه غيره من المؤمنين لا من مرة ولا مرتين بل مراراً يضيع عندها الحساب، ولا يستوفيها كتاب؟.

أيها الأمير عندنا في بر الشام مثل سائر: إن أنت لم تمت ألم ترَ من مات؟ فعلى فرض أن الإنكليز لم يخونوك إلى الآن أيها الأمير، أفلا تنظر إلى من خانوا قبلك؟ وعلى تقدير أنه لم يأتِ وقتك أفلا اعتبرت بمن أمهلوا قبلك ثم أخذوه؟.

وإذا كانوا لم يعترضوك إلى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن، ولا حاولوا إدخال عسكرهم إلى البلد الحرام، ولا وضعوا ضبّاطهم على أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، تفادياً من العجلة التي قد تخالف الحكمة، وتجر الوحشة على حين لم يسترح بالهم ولا تحققت آمالهم، أفليس عندك أنت بمكانك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ وقياس الحاضر على الماضي وقوة الاستنتاج، ما يدلك على أنك بعد ركود العواصف ومضي الأزمة وانقضاء الغرض من مراعاتك ومداراتك، صائر إلى ما صار إليه غيرك، ولاحق بمن تقدمك من ملوك الإسلام الذين وقعوا في حبائل الإنكليز طوعاً أو كرهاً، فما زالوا حتى عفوا آثارهم، وأطفأوا منارهم، وجعلوهم في الغابرين.

أتظن أيها الأمير أن الإنكليز يغدرون بكل هؤلاء الملوك والممالك ويستثنونك أنت من الجميع، فيتعلمون فيك الوفاء ويخرقون من أجلك خطة الغدر التي ساروا عليها إلى يومنا هذا مع كل من ظللته الخضراء، وأقلته الغبراء، حال كون غرضهم في محو إمارتك وأخذ بلدك أعظم من غرضهم في أخذ غيرك، وحال كون مصلحتهم في طي سجلك أهم من مصلحتهم في حذف أي إمارة من إمارات الإسلام، لأنهم يرون أنهم إن استولوا على الحرمين الشريفين فقد استولوا على الرأس، فصارت في أيديهم أرواح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وعاد المسلمون لا يملكون معهم عيناً تطرف ولا نفساً يصعد، وأمنوا جانب انتقاضهم عليهم في مستقبل الأيام. وكل فتوحاتهم لا يحسبونها شيئاً بالقياس إلى نشر أجنحتهم على الحجاز وعلى البلد الأمين ـ والعياذ بالله ـ وجعله من جملة مستعمرات بريطانيا العظمى.

أم غرك كون الإنكليز عقدوا معك عهداً؟ قل لي بحرمة جدك أيها الشريف ابن الشريف كم عقداً عقد الإنكليز ولم ينقضوه؟ وكم عهداً أبرموه ثم لم يجعلوه أنكاثاً؟ وما أخالك تجهل التاريخ وتكابر في المتواتر من شأنهم في الإخلال بالعهود والمواثيق إلى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلى في جميع معاملاتهم، سواء مع المسلمين أو مع سائر الأمم؟.

ناشدتك الله أيها الأمير هل أنت مصدق في ذات صدرك وذخيرة نفسك أن للإنكليز عهداً يرعونه معك أو مع غيرك، أو ذماماً يحفظونه لك أو لسواك إذا قضت سياستهم بعكسه، أفلم تكن تقرأ أو لم يخبرك أبوك الأمير الكبير أنه قرأ إعلانات حكومتهم الصريحة الرسمية مراراً، بأنهم يخلون مصر عندما يستتب فيها الأمن ويعيدونها إلى أهلها؟ فماذا كان بعد ذلك سوى أنهم لبثوا يلتهمونها تدريجاً حتى انتهوا باستلحاقها بدون أدنى مبالاة بعهود خطية، ولا بمواعيد رسمية، وضموها إلى سائر مستعمراتهم؟ وإن أحسوا بأدنى مقاومة لأفكارهم في أرض مصر ينسخون هذه الحكومة القائمة فيها كالشبح الماثل، ويجعلونها ولاية كسائر الولايات. ولا نطيل عليك بسرد ما صنعوه في الهند وزنجبار وجنوبي اليمن ومسقط والبحرين والكويت والعجم وبلوخستان وغيرها، وكل مبادئهم مع هذه البلاد لم تكن إلا كمبادئهم معك، فكان من البديهي أن ينتهي معك الأمر كما انتهى مع غيرك.

وإلى كم أيها الأمير تمر بنا المثلات ولا نعتبر، وتعظنا الحوادث ولا نذكر؟ ونكون أشبه بالغنم يأخذها الجزار للذبح واحداً بعد واحد وهي لا تعقل ماذا يصنع بها حتى يصير السكين في أعناقها؟.

فإذا كان من المقرر عند أهل الشرق والغرب أن الإنكليز ينكثون عهودهم لما هو أقل شأناً من

الحجاز، وتلك البقاع المقدسة التي تهوي إليها أفئدة المسلمين من كل حدب، فهل هناك في يدك من قوة مادية تمنعهم من دخول قلب بلادك ويكونون مضطرين أن يحترموك من أجلها؟ أو تردعهم فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب إمارتك، لا بل والإيقاع بك واستئصال جرثومتك؟.

لا جرم أنك تقدر أن تدعي بوجود بعض عشائر من العرب توفر القوة التي تكفل دفع إنكلترا بجيوشها الجرّارة عن مكة والمدينة، ولا أحد من الخلق يرتاح إلى هذه الدعوة، فأنت إذاً باتفاق كلمة جميع العقلاء وأهلك وقومك باقون تحت رحمة إنكلترا ورهن إرادتها، موكول أمركم إلى أمانتها وكرم أخلاقها.

لا قوة معنوية تتكلون عليها من حفظ العهود، وتأكيد الوعود، بعدما رأينا سياسة إنكلترا مع غيرك، ولا قوة مادية من جيوش منظمة ومدافع وذخائر وأعتاد وطيارات وبوارج وغواصات، وما أشبه ذلك مما تلتزم إنكلترا معه جانب الأدب والكياسة، فبماذا أنت آمن شر تلك الدولة على جزيرة العرب ولا سيما على الحجاز منذ أحقاب وأية ضمانة عندك على كونها لا تقلب لك ظهر المجن، فتندم حين لا ينفعك الندم؟ وبعد أن يكون تسلط غير المسلمين على أقدس تراب عند المسلمين منذ ١٣ قرناً.

ليس من باباوية في الإسلام أيها الأمير، ولا مزية للمسلم على المسلم إلا بالتقوى؛ وأقرب الناس إلى الرسول أطوعهم لوصاياه، وأنت لا تجهل ما في كلام الله وأحاديث جدك المصطفى ﷺ مما يثبت لك أن مزيتك هذه المتعلقة بسلالة الرسالة وبنوة النبوة، إنما تبدأ عند حفظ حدود الله لا غير.

أم تظن أن الغاية تبرر الواسطة كما يقولون؟ وأنك إنما تريد لتضع أساس دولة عربية تبدأ في أول أمرها بالنشوء تحت حماية إنكلترا، حتى إذا بلغت أشدها استقلت تماماً، وأن تلك هي سنة النشوء والارتقاء؟ فاعلم أيها الأمير أن الذين يزينون لك هذه الأوهام هم قوم قد عرفناهم ونعرفهم لا أخلاق لهم، ابتلى الله بهم هذه الأمة كما ابتلي كل الأمم بأمثالهم، وما هم في واقع الحال سوى سماسرة الإنكليز يسعون أن يتمموا لإنكلترا صفقة البلاد العربية، وأسماؤهم مقيدة في دفتر المبالغ السرية التي تنقدها إنكلترا سماسرتها السياسيين كُـلاًّ على قدر خدمته، يدخل هؤلاء عليك وعلى غيرك بمثل هذه الأعاليل التي هي أسخف من أن يتنزل عاقل مثلك لاستماعها فضلاً عن أن يتلقاها بالقبول.

هل الإنكليز الذي حلموا في المنام بطائر حلّق فوق الهند فهبوا مذعورين، وأرسلوا ببزاة طياراتهم لاصطياده في لوح الجو يرضون أن هذا العرق العربي النجيب الذي سبق له ما سبق في

التاريخ العام، يتمكن من تأسيس دولة عربية مستقلة على ضفاف البحر الأحمر دهليز الهند تسد على الإنكليز طريق حياتهم ومجاري أنفاسهم أي وقت شاءت؟ أيظن أولئك المخدوعون بالإنكليز أنهم صاروا أدهى من رجال بريطانيا وأعلى كعباً في السياسة وأبعد نظراً في عواقب الأمور، حتى انتبهوا إلى ما غفلت هي عنه وفكّروا في مستقبل الأمة البريطانية.

أم هذه الأمة البريطانية التي هي أربعون مليوناً خامر عقولها الجنون فصارت تسعى بإرادتها في تأسيس استقلال للعرب على طريق الهند، أو في مقابلة مصر والسودان وتبحث عن حتفها بظلفها؟.

قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ ثاراتها، ماذا إلى اليوم أمّنوا من حقوق العرب بقيامهم؟.

ليقولوا لنا ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقرّ بفضلهم، لأننا عرب نحب كل من أحب العرب ونبغض كل من أبغض العرب، ولا نبالي بالقال والقيل أمام الحقائق.

أترانا اكتفينا بأن يتلقبوا بألقاب الحكام ذوي السلطان؟ فهل الملك بالألقاب والألفاظ الضخمة؟.

ليتلقب واحدهم بملك الملوك أو سلطان السلاطين، وهو ذو قوة نعرفها كما هي فماذا يؤثر على الأمة الإسلامية أو يفيدها بذلك؟.

إن قلت إنك مستقل في الحجاز وإنها أول بلاد عربية استقلّت، أجبناك إن الحجاز وحده لا يمكن أن يستقل عن إنكلترا طرفة عين ما دام الحجاز عيالاً على الخارج وعلى ما وراء البحر وما ليس هناك استقلال اقتصادي ممكن. وإن قلت إنه يقدر أن يستغني عن البحر وأن يعيش من الداخل فأي داخل دخل عليك لهذه المملكة الجديدة؟.

قد استولى الإنكليز على العراق العربي فهل سلّموكم شبراً واحداً من أرض العراق؟.

قد دخلوا فلسطين منذ ستة أشهر، فهل قالوا هو ذا فلسطين لكم أيها العرب أرسلوا من يدبرها؟ بل كان قصارى أمرهم بمجرد دخولهم القدس أن صرّحوا على لسان المستر بلفور في مجلس البرلمان بأنهم سيتركون فلسطين لليهود.

ثم إن هؤلاء باشروا منذ مدة بتهيئة معدات دولية مستقلة فلسطينية يهودية، تبدأ من رفح جنوباً، وتنتهي بصيدا وجبل لبنان شمالاً، وهذه هي بعثات اليهود متقاطرة إلى يافا والقدس.

أفهذه باكورة مساعدة أصحابكم الإنكليز للأمة العربية، أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون؟.

طرد نحو مليوني عربي من ديارهم وتشريدهم في الأقطار وحملهم على مثل ما حمل عليه آباء اليهود في سبي بابل.

هذا ما وعد به الإنكليز اليهود صريحاً وامتلأت به صحف أوروبا، وأنتم تبذلون دماء العرب في المظاهرة لمن يريدون هذا الشر المستطير بالعرب، فوأسفاه.

هل كانت تهنئتكم أنتم يا أمراء مكة ومعدن الإسلام للقائد الإنكليزي، الذي دخل القدس وأزال منها ملك الإسلام نحو سبعة قرون، لأجل كون الإنكليز يريدون تسليم نصف سوريا لليهود وطرد العرب منها على إبقائهم خولاً تحت حكم اليهود المطرودين من جميع أقطار الأرض، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أبعدت الدولة العليّة نحو ألفين أو ثلاثة آلاف نسمة من أهل سوريا إلى الأناضول، وكانت طول مدة إقامتهم تنفق عليهم مائة وخمسين ألف ليرة كل شهر، وقامت قيامتهم وقيامتكم وقيامتنا جميعاً، وملأنا الدنيا عتباً واحتجاجاً. ولكن ما قولك أيها الشريف علي، وما قولك يا أباه القائم لأجل العرب، وما قولك يا أيتها الأمة العربية في مليوني نسمة من أبناء قحطان وعدنان، يُحملون على ترك القدس ويافا وغزة والرملة وأريحا والسلط والكرك والشوبك والغور وطبريا ونابلس وحيفا والناصرة وعكا وصفد وصور إلى صيدا وحدود جبل لبنان، وذلك لأجل أن يسكن محلهم السكناج الطائرون على بلادنا من جميع أقطار الأرض.

أيكون هذا العمل مقبولاً لكونه صادراً من الإنكليز.

بالأمس كانت الدولة العثمانية تمنع تملّك اليهود في فلسطين لأجل أن تبقى البلاد عربية. أترضى لنفسك وأنت ابن رسول الله وسنام العرب أن تكون حليفاً لمن يضمرون في حق الأمة العربية مثل هذه النية الخبيثة، لا بل يلعنونها في مجلسهم النيابي وتطبل وتزمر بها جرائدهم الكبرى.

ثم أنت هذا لا تكتفي أن تهادن الإنكليز أو توادعهم، حتى تأتي بنفسك أنت وبعض الأعراب وتبايعوا العرض الزائل على جواهر البلدان والخطط الزهراء، التي اشتراها آباؤكم وآباؤنا جميعاً بمهج أكبادهم وأقاموا لها أسواراً من جثث أجسادهم، وفتحوا في الحروب الصليبية عوداً على بدء، تأتي أنت ويأتي إخوانك في مقدمتهم.

ويا للأسف راضين بهذا الفعل الذي يجل أمثالكم عنه وتهاجمون بهؤلاء الأعراب الذين يخربون بيوتهم بأيديهم، ولا يعلمون ما وراء الأكمة من العساكر الإسلامية والسكة الحجازية،

وتسفكون دماء المسلمين بأيدي المسلمين بل ودماء العرب بأيدي العرب، وذلك لأجل أن يستولي اليهود على أوطان العرب، ولأجل أن تبرد سوريا والعراق لإنكلترا تلك الغاية التي لو أفلحت لم يصبكم منها سوى الخسارة والندامة، وإذا فشلت كانت الخسارة أكبر والمصاب أدهى وأمرّ.

تقدمون سوريا لتحفروا قبور العرب بأيدي العرب وتعاونوا العدو على طرد العرب من ديارهم التي سكنوها منذ ١٣ قرناً، وأنتم ترون أنكم عاملون على جمع شمل الأمة العربية. لعمري إن كان هذا ذهولاً لقد آن أن نعرف الحقيقة، وإن كان لأجل الحطام فاعلموا أننا لسنا ممن يبيع وطنه بالمال، وإن قلتم إنكم لم تريدوا الدخول في حرب الإنكليز مع كونه هو وارث ممالك الإسلام والمستعبد لمائة وعشرين مليون نسمة منهم، كان عليكم بالأقل أن تختاروا العزلة وتلقوا حبلها على غاربها، فإما أن تجاهدوا وتجوبوا الفيافي وتتدرعوا الليالي وتثيروا حياً على حي وقبيلة علي قبيلة، كأنكم ساعون لأنفسكم وموقنون أن مردّ هذا الأمر إليكم. فمن من الناس يسلم أن الإنكليز إن استولوا ـ لا قدّر الله ـ على الشام، وذلك لا يكون إلا ببذل مئات الألوف من الأموال والرجال، يتركونها لكم ويطبخون هم حتى تأكلوا أنتم. أو أن أهل سوريا وهم طوائف شتى وكل طائفة منها تطاول العنان وترى نفسها فوق الأقران يرضون أن يكونوا تابعين لأي كان. ثم ما كفى هذا كله حتى أرسلتم مشايخ الدروز أولاً وثانياً في الاعتصاب معكم أملاً بتحريك هذا الجبل وجعله وسيلة لمقاصدكم ومقاصد الإنكليز في سوريا، ولما لم يجيبوكم إلى دعاكم جئت أيها الأمير علي إلى الأزرق على مسافة يوم من جنوبي الجبل تغري بعض جهلائهم بالمال، وتحاول زرع التفرقة فيما بينهم. أغريت أعراب البوادي وقسمت بعضهم على بعض، فخاطبك رؤساء الدروز وصناديدهم وأخشنوا لك الخطاب مع سموّ أصلك وتقديس بني معروف خاصة لأبناء فاطمة الزهراء.. ولا ينفع قول من يقول إن هؤلاء الدروز ليسوا من أهل السنّة، فاعلموا يا قوم أن السنّة هي بالأفعال لا بالأقوال، وأن الدين ليس ملكاً لأحد، وأن هؤلاء آل معروف الذين طالما طعن فيهم الطاعنون لدى الدولة العلية، أظهروا أنهم أشد إخلاصاً من الطاعنين للدولة، وأعظم حمية على الوطن وأهله منهم.

ولو سألت الإنكليز الذين خالفتهم لأخبروك أنهم طالما سعوا في استجلاب أهل معروف لأنفسهم، سواء في جبل لبنان أو في جبل حوران وذلك منذ سبعين سنة. ولكنهم أفهموهم أنهم إن أحبوهم فعلى الفرنسوي وغيره من الإفرنج، فأما على الدولة الإسلامية فلا.

ولقد صدقوا القول بالفعل. ومن جملة الشواهد كتابهم إليك وإلى صديقك السيد البكري، ومنها تفهم أنهم آذنوكم بالخصام وأن الهوادة بينكم وبينهم إلا إذا رجعتم إلى الدولة العثمانية

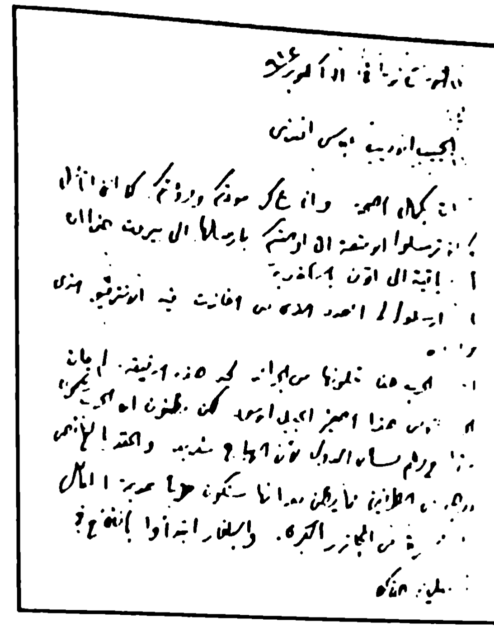
وأعدتم المياه إلى مجاريها. وإن كان والدك الجليل حريصاً على خدمة الإسلام والمسلمين فليدع التحرش بسوريا وبخط حديد المدينة، وليتركنا والإنكليز ولا يلوث اسمه الشريف بمعرة مناصرتهم، لأنه إن لم يفعل وتم الأمر للإنكليز أوشك أن يعود ولياً من ولاة الإنكليز في مستعمراتهم، وأن يفقد حكمه حتى على العربان الذين هم الآن عصبته وجنوده، لأنه لما كان هؤلاء الجهلة قد عرفوا طريق الإنكليز ومدوا أيديهم إلى دنانيرهم، فصار الإنكليز قادرين أن يستجلبوهم بهذه الواسطة على من شاؤوا وفي أي وقت شاؤوا.

وأما إذا كنت مصراً على ممالاة الأجنبي الزاحف إلى بلادنا والطامع إلى استعبادنا، كما استعبد غيرنا من قبلنا، وكما أعلن استلحاقه لمصر وفتوحه للقدس فهنأته بالتلغراف المنشور في جرائد أوروبا الذي صورته محفوظة عندنا، فاعلم أيها الأمير أن الدولة العثمانية وحلفاءها ما داموا في الدنيا لا يتركون سوريا للإنكليز، وأنه يجوز أن تصطلح الدول على كل شيء وتضع الحروب أوزارها وتعاد السيوف إلى أغمادها، إلا على قضية إعطاء سوريا لإنكلترا، وأننا نحن السوريين لا نرضى أن يأخذ بلادنا أجنبي ولا إنكليزي، ولا أن يستعمرها أجنبي ولا يهودي، ولا أن يتولاها عربي تحت سيطرة أوروبي، وفي هذا كفاءة لقوم يعقلون.

مبعوث حوران

شكيب أرسلان

المسلمون في بلاد البلغار



رسالة مؤرخة في ١١ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٢ م، إلى عباس أفندي المصفي، يذكر له فيها أوضاع الدول في الحرب، وأن البلغار بدأوا يسيئون معاملة المسلمين ويرتكبون بحقهم الفظائع[١].

الأستانة في ١١ أكتوبر/ ٩٢٢

الحبيب الأديب عباس أفندي

وصلت بكمال الصحة وأنا شاكر مودتكم ومروءتكم، كما أني أتأمل منكم أن ترسلوا الأمتعة التي أوصيتكم بإرسالها إلى بيروت، هذا إن كانت باقية إلى الآن بالإسكندرية.

ثانياً أرسلوا لي العدد من الغازت الذي فيه الأنترڤيو الذي عملناه.

أخبار الحرب هنا تعلمونها من الجرائد، لحد هذه الدقيقة لم يعلن الحرب إلا من هذا الصغير الجبل الأسود، لكن مظنون أن الحرب ستكون من الجميع رغم مساعي الدول، لأن الهياج شديد والحقد بالغ أقصى درجة من الطرفين، مما يظن معه أنها ستكون حرباً عديمة المثال بل مجزرة من المجازر الكبرى. والبلغار ابتدأوا بالفظائع في المسلمين هناك.

مساكين أهل طرابلس، قامت دول أربع على الدولة وجاءت إيطاليا تهدّدها بإنزال العساكر في الروملي فاضطرَّت إلى صلح غير شريف بلا شك، لكن العرب مقاومون وقد عرَّفوا الدولة بتلغرافاتهم أنهم يعطونها الحرية تدافع عن نفسها وهم يدافعون عن وطنهم. والحرب بعد هذا الصلح في طرابلس ستكون أشد من الأول وأوحش، لأنها لم تبق حرب بين دولتين بل بين دولة وأهالي، وستضطر إيطاليا إلى تغيير هذه الشروط وإعطاء الأمير الذي يعيّن من قِبل الدولة النفوذ

(١) من محفوظات الشيخ سامي المصفي.

اللازم لإسكات العرب. والحاصل أن على الشرق مصائب لا بد من أن يشرب كأسها إلى أصبارها وتلك الأيام نداولها بين الناس.

بلغني أن جبرائيل تقلا بك هو هنا، لكن للآن لم أشاهده. قدِّموا واجباتي إلى السيدة والدته، سلموا على أخيكم وعلى محمد أفندي صلاح الدين وطمنونا دائماً عنكم ودمتم.

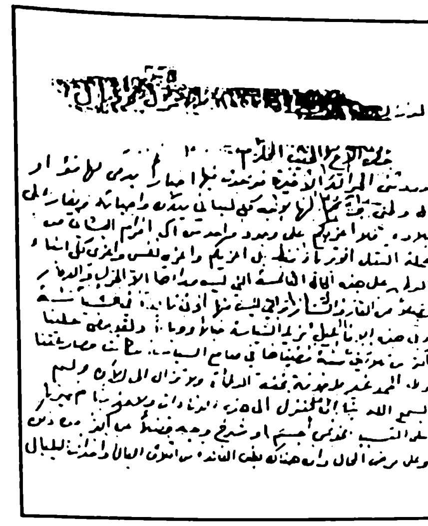
المخلص شكيب

العنوان بواسطة سعادتلو

قاسم بك عز الدين بمجلس الصحة الأعلى

سلامي إلى مصطفى أفندي أبي عز الدين.

خلاف دير القمر والمناصف



رسالة نقلاً عن جريدة «دير القمر» العدد ٥٤٢ من لوزان، بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٢٣ م، لصاحبيها نعّوم افرام البستاني ووديع افرام البستاني، أرسلها الأمير إلى عبد الله بك البستاني قائمقام القضاء بمناسبة حادثة دير القمر الأخيرة، وهو الخلاف الدموي بين الديريين وأهل المناصف وذهب من جرّائه عدة قتلى من الفريقين، وإحساساته العميقة ووطنيته الصادقة تجاه ما يحدث للوطن من آلام.

لوزان ٦ شباط ١٩٢٣ نزل رويال

حضرة الأخ الحبيب المحترم

وردتني الجرائد الأخيرة فوجدت فيها أخباراً يدمي لها فؤاد كل وطنيّ، ويجهم لها وجه كل لبناني يدرك واجباته ويغار على بلاده، فلا أعزيكم على وجود واحد من آل افرام البستاني من جملة القتلى الأبرياء فقط، بل أعزيكم وأعزي نفسي وأعزي كل أبناء الوطن على هذه الحال القائمة التي ليس وراءها إلا الخراب والدمار، فضلاً عن العار والشنار والتي ليس منها أدنى فائدة في السياسة، لا بل هذه الأفاعيل تزيد السياسة خبالاً ووبالاً. ولقد مضى علينا أكثر من ثلاثين سنة قضيناها في معامع السياسة، وكانت مصارعتنا ولله الحمد غير موصوفة بخفة الوطأة ولا تزال إلى الآن ولم يسمح الله بنا أن ننزل إلى هذه الدناءة، ولا عذّبنا ضميرنا على التسبب بخدش جسم أو شرخ وجه. فضلاً عن أكثر من ذلك وعلى فرض المحال وأن هناك بعض الفائدة من إقلاق البال وإحداث البلبال، فهل يسعى المرء في خراب وطنه وإزهاق أرواح الأبرياء غير مبالٍ بالله ولا بعباده ولا بشيء من هذه الاعتبارات الضرورية للهيئة الاجتماعية، لأجل ما يقدره من فائدة سياسية أجزل من التأليف بين أبناء الوطن الواحد.

أما سفك دم الأبرياء من أي فريق كانوا وأية صورة وقع، فهو منتهى السفالة والأمد الأقصى عن التوحش وهو سلاح العاجز الذي قصر عن إتيان الأمور من أبوابها، فلجأ إلى هذه الفظائع. هذا

ما أقوله على ظن أن هذه الحوادث المؤلمة هي آثار السياسة، وإن كنت بعيداً عن الوطن لا أعرف حقيقتها.

وعلى كل حال فإنني أقبح أشد التقبيح هذه المخازي الموبقة وأسأل الله أن يلهم أبناء وطننا الصواب، وأن يعيد مياه الصفاء إلى مجاريها بتعقل زعماء البلاد وذوي السداد ودام بقاكم.

أخـوكـم
شكيب أرسلان

عرب سويسرا في القرون الوسطى

وكتب الأمير من لوزان بتاريخ ١٢ مايو (أيار) ١٩٢٣ م رسالة إلى الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» في مصر، جواباً عن ملاحظة أبداها السيّد رضا في مجلته تعليقاً على رسالة كتبها الأمير بعنوان «العرب في سويسرا في القرون الوسطى». وتدور هذه الرسالة عن العرب في إيطاليا في القرون الوسطى. وقد نشرت هذه الرسالة في عدد «المنار» ١١ سبتمبر، الجزء التاسع، سنة ١٩٢٣ م.

حضرة الأستاذ العلاّمة حجة الإسلام مفتي الأنام السيد محمد رشيد رضا أيده الله ونفع به

جواباً على ملاحظتكم بشأن ما ذكرته في رسالة «العرب في سويسرا في القرون الوسطى» من كون العرب اكتسحوا روما، وقولكم أحقيقة أراد الكاتب بهذا أو مجازاً لأن العرب لم يفتحوا روما ولا سلبوها. أقول:

ورد في التواريخ أن العرب صعدوا إلى روما من مصب نهر التيبر، واجتاحوا البلدة، وأخذوا من كنيسة مار بطرس تابوتاً من فضة، ولكنهم لم يستقروا بروما.

ثم إن العرب كانوا يختلفون إلى ضواحي روما ويشنُّون الغارات فيها. وفي إحدى المرار اجتمع عليهم الأهالي فهزموهم، فخلص منهم فئة إلى البحر، وفئة استؤصلت بالسيف، وفئة من بقايا السيوف لاذت بمكان منيع هناك، وناضلت عن نفسها وبقيت تحمي نفسها، إلى أن وقع الصلح بينها وبين أهل البلاد، ولأسباب مجهولة عندنا تفاصيلها تركوها توطن تلك الأرض. فالآن على مسافة ٤٠ كيلومتراً من روما قرية اسمها «سارازينسكو» Sarrasinesco من اسمها يعرف أن أهلها أصلاً مسلمون، لأن سارازينو معناه مسلم كما لا يخفى، وليس الدليل على كون أهل هذه القرية عرباً هو الاسم فقط، بل حدّثني الكونت كولالتو صاحب جريدة روما الإيطالية التي تصدر بالقاهرة، وهو من جلّة أدباء الطليان وفحول الكتاب، أن أهالي قرية سارازينسكو هم إلى يومنا هذا حافظون عاداتهم العربية ومآكلهم العربية، ولا يزالون يعزفون بآلات الطرب العربية مما لا يوجد عند قوم سواهم في إيطاليا، وأن سحناتهم إلى هذا اليوم سحنات العرب لا يتمارى في ذلك من رآهم.

ويوجد آثار للعرب فيما عدا روما من بر العدوة الإيطالية. مثلاً بلدة لوشيرة بين نابولي

وكالابرة كان فيها الملك فريديريك هوشتافن الألماني في نحو السنة الألف والمائتين والخمسين للميلاد، وكان عنده عسكر من العرب نحو ٢٠ ألفاً، وآثار مساكنهم لا تزال إلى هذه الساعة.

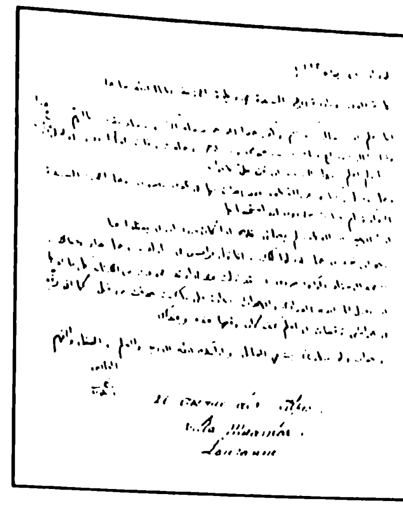
وغير خافٍ أنني أنا لم أقل إن العرب افتتحوا روما ولا استولوا عليها، بل إنهم اكتسحوها. ومما يؤيد صحة هذه الروايات، أنهم كانوا لروما جيراناً مكاسرين بوجودهم بصقلية من جهة وبصردانية من أخرى، ثم بنزولهم بجهات جنوى على ما ذكرت في رسالة «العرب في سويسرا».

وإنني أضيف إلى ما ذكرت في تلك الرسالة شيئاً اطّلعت عليه في «سان ريمو» مؤخراً، وهو أنني قرأت في دليل تلك المدينة البديعة التي هي اليوم من أبهى مشاتي أوروبا، أن العرب استولوا عليها في القرن العاشر (للميلاد)، ولا عجب، فإن سان ريمو هي على مقربة من فراكسيناتوم التي هي أول بلدة نزل العرب بها في أوائل القرن العاشر حسبما تقدم في رسالتنا.

ومما علمته مؤخراً من آثار العرب بإيطاليا أن في بلاد اسمها كالياري Cagliari في صردانية، قرى كل من رأى أهلها وخالطهم علم أنهم عرب، ونساؤهم لا يختلطن بالرجال في مجامعهم، ولا يخرجن إلا متنقبات إلى هذا اليوم، سمعته من ضابط إيطالي من أركان الحرب الكبار، كان أقام مدة بتلك الديار. ومن بحث وجد للعرب في أوروبا آثار أكثر جداً مما روى المؤرخون.

لوزان ١٢ مايو سنة ١٩٢٣

شكيب أرسلان



الأمير وميّ زيادة

رسالة من الأمير، صادرة من لوزان، مؤرخة في ٢٤ حزيران سنة ١٩٢٣ م، إلى من يدعوها «كاتبة العصر ونادرة الدهر الآنسة ميّ زيادة»، ويسأل فيها هل قرأت كتابه «أناتول فرانس في مباذله» ومسائل أخرى.

لوزان ٢٤ يونيو ١٩٢٣

كاتبة العصر ونادرة الدهر السيدة ميّ زيادة المحترمة أطال الله بقاءها

أنا أعلم أن شغلك كثير جمّ، ولكن هذا العاجز شغله أكثر وشغله مقرون بالهمّ، ومع هذا فلما طال انقطاع كتبك نسيت همومي ومشادهي وهلعت، وقلت لعلّها غضبى أو لعلي اقترفت ذنباً ولم أعلم، فهل للسيدة أن تمنّ عليّ بالجواب؟.

وهل وصلت كتابتي عن المقتطف، فقد بعثت بها في ظرف مضمون، وهل أعجبت السيدة النقّادة، أم جاءت من دون أمد استحسانها؟.

الجزء الأخير من المقتطف لم يصلني، فأرجو إذا كان صدر أن لا يغفلوا عنا.

أرجو أن تفيديني هل أرسلوا لك «أناتول فرانس في مباذله»، وهل حاز رضاك، وهل تصفّحه الأستاذ الدكتور صرّوف؟ قد نزلت عند إرادته فحذفت من الكتاب كل ما لا يليق أن يصل إلى أيدي العذارى والأحداث، زيادة على ما كنت حذفت من قبل، كما أني رقّعت في الحواشي ترقيعات لا أعلم كيف كان وقعها عنده وعندك.

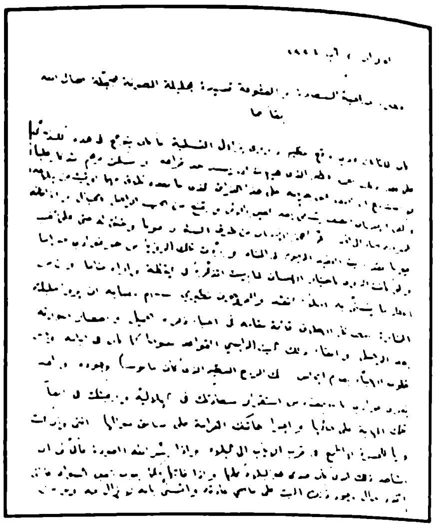
وجواب ولو سطرين يشفي الغليل، وأدامك الله للأدب والعلم والعقل والفهم.

المخلص شكيب أرسلان

26 avenue des Alpes

villa miramar

Lausanne



وفاة نسيب باشا جنبلاط

رسالة من الأمير شكيب من لوزان، بتاريخ ٢ آب سنة ١٩٢٣ م. وجّهها إلى السيدة خولة أرسلان جنبلاط، حرم نسيب باشا جنبلاط في البرامية، يعزّيها بوفاة زوجها[١].

لوزان ٢ آب ١٩٢٣

حضرة صاحبة السعادة والعطوفة السيدة الجليلة المصونة المبجَّلة أطال الله بقاءها

كان لكتابك عندي وقع عظيم، إذ روى بزلال التسلية ما كان يتوهج في هذه الكبد الحرَّى على فقد ذلك العميد الخطير، الذي هيهات أن يسدّ أحدٌ فراغه، وسكن بمرهم التذكار قلباً لا أستطيع أن أصف عمق جرحه على هذا الفراق الذي ما بعده تلاق مهما أُوتيت من البلاغة، ولكن الإنسان ضعيف يتسلَّى بعد العين بالأثر ويقنع من الحبيب الراحل بالخيال، وإذا فاته المخبر عنه صار إلى الخبر، علَّم العجز الإنسان من طرق السلوان فنوناً وخلق له حتى على الغيب عيوناً. فقد رأيت الفقيد المرحوم في المنام وبرَّدت تلك الرؤيا من حرّ فؤادي ضراماً، ولو كانت الرُّؤى باختيار الإنسان لما رحت أتذكَّرهُ في اليقظة وأراه مناماً. وإن من أعظم ما يتسلّى به أخلاّء الفقيد والمجروحون نظيري بسهم مصابه، أن يروا حليلته الممتازة بفضائل الأخلاق قائمة مقامه في إحياء ذكره الجميل، وإحضار صورته بعد الرحيل، وإبقاء ذلك البيت الراسي القواعد مفتوحاً كما كان في أيامه، وجبر قلوب الأحبَّاء بعدم إيحاش ذلك الربع العظيم الذي كان مأنوساً بوجوده. ولقد تعزَّى فؤادي بما سمعته من استقرار سعادتك في الهلالية، ورغبتك في إبقاء تلك المهابة على حالها، وإجراء هاتيك الكرامة على سابق منوالها. إنني وإن كنت ويا للحسرة لا أطمع في قرب الإياب إلى البلاد، وإذا يسَّر الله العودة، فأنّى لي أن أشاهد ذلك الذي كان عندي هو البلاد كلها، وإذا فاتها فكما يفوت العين السواد، فإنني أتلذذ بخيال وجود ذلك البيت على ماضي عادته، وأتسلَّى بأنه لا

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

يزال فيه ولو من جنس النساء من تباري الرجال في إعطاء السيادة حقها ووفية الأصالة دينها. وأسأل الله أن يُجمل بوجودك العزاء ويقيك طوارىء الأرزاء، وأرجو وإن كنت قد صرت بعيد الدار نائي المزار، أن تعتبري في محرر هذه الأسطر أخاً حميماً ووليّا إن كان شخصه بعيداً فما زال ولاؤه مقيماً، فإنَّ خير الود ما كان صميماً وأصح الولاء ما كان من كل غرضٍ سليماً، وأطال الله الكريم بقاءك.

أخـوك
شكيب أرسلان

اهتمام الأمير بالقضايا الإسلامية

وكتب الأمير شكيب في رسالة إلى السيد محمد رشيد رضا، معلّقاً على رأي الإمام محمد عبده بشأن الحواشي في كتاب «حاضر العالم الإسلامي»، والرسالة بتاريخ ٩ أيلول سنة ١٩٢٣ م، قال فيها:

«... أما الحواشي فقد اضطررنا لها، لأن الكتاب موضوعه العالم الإسلامي، وقد أشار إلى الأصول، وشوّق إلى الفروع، فلزم أن نشرح كل مسألة، ونذكر أخبار كل بلد من بلدان المسلمين في الحال الحاضرة، ليعلم المسلمون بعضهم بعضاً، ويطّلعوا على ما يدرس لهم ويُطبخ، وليس المسلمين بالتخصيص فقط، بل قرأت في الكتب المؤلفة على أفريقيا ـ لأنني اشتريت أكثر من ١٠٠ مجلّد على أخبار المستعمرات ـ ما يعمله البلجيكيون في الكونغو، والفرنسيس في النيجر والسنغال وغينيا والكاميرون ووادي ومداغسكر والقومور، والإنكليز في شرقي أفريقيا والأوغاندة، لتقليص ظل العرب والعربية.

هذا عدا مساعيهم في ذلك في جزائر العرب، فليس الإسلام مهدداً فقط بل العربية. ولعمري هل يعيش هذا بدون هذه؟.

فلو كنت أردت أن أؤلف كتاباً خاصاً بالعالم الإسلامي، لزمه وقتٌ أطول ومال وفرص لا تتاح لي بالحال التي أنا فيها، فقلت: ما لا يُدرَك كله لا يترك جلّه، وجعلت هذه الحواشي وسيلة للغرض الذي ذكرناه».

قضية المنفيين من لبنان

عندما قرأ الأمير مقالة كتبها أمين الغريب صاحب جريدة «المهاجر» و«الحارس» في عام ١٩٢٣ م، حول قضية المنفيين من لبنان إلى الأستانة، وجهود الأمير ومساعيه للتخفيف من آلام المبعدين بل إرجاعهم إلى بلادهم، بعث إلى صديقه سليمان بدور صاحب «البيان» الصادرة في نيويورك بهذه الرسالة لكي تنشر في الجريدة المذكورة. وفيها جواب ضافٍ وصريح يوضح كل ما كتب بشأن المنفيين، وما قام به من جهود في سبيلهم. نقلاً عن مجلة «الفصول اللبنانية» العدد ١٢، ١٩٨٤.

حضرة الأديب الوطني صاحب «البيان» المحترم، وفقه الله

أرسل إليّ بعض الأحباب بالمقالة الواصلة إليكم بطيه بقلم الأديب الكاتب البارع أمين أفندي الغريّب من أجل صحفيي الشرق. فلا يسعني إلا أن أشكر هذا الشهم الأمين على ما أوصاه وجدانه الحي وأملاه رأيه الحر على قلمه البليغ وبيانه السديد، فنشره غير مبالٍ في الحق بلومة لائم تحت عنوان «حقائق يجب إعلانها»، فلولا أن تكون هذه المقالة في الدفاع عني لتوسعت في الشكر وأطنبت في الثناء وأكثرت من الإشادة، بخطة رجل لم يرضَ لنفسه ما رضيه كثيرون غيره من معرفة الحق الصراح وذلّ كتمانه، بل أبى به علوّ همّته أن يغار على قرية منع كثيراً من عارفيها من التصدي لهتك حجبها ما قدروه من رغبة بعضهم في إبقاء أمرها مستوراً أو حجابها مسدولاً.

قد جاء أمين أفندي الغريّب بتصداق آلائه الشريفة: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ فكان هو من أهل هذا الإنجيل الشريف الذي علم ما فيه من الدعوة إلى الحق، وأبى إلا أن يبيّن ما يعلمه وهو يكتمه، على حين أن كثيراً من حملة ذلك الكتاب المقدّس وممن يعلمون من الحقائق أكثر مما علمه أمين أفندي الغريّب، قد خالفوا أحكام ذلك الكتاب، ونسوا أو تناسوا تلك الأمانة التي أودعت عندهم ولن يسمع أحد لهم فيها صوتاً إلا أن يكون همساً خفياً.

ولقد ظهر من كلام الفاضل الأمين أنها قضية كانت تتلجلج في صدره من مدة طويلة، وأنه كان ينوي نشر ما يعلمه منها. وطالما ضاق صدره بتلك الأقاويل التي كان يسمعها ويتوهج صدره من سماعها، على ما فيه من برد اليقين ببطلانها، ولكنه كان ينتظر للبوح بما في نفسه ركود

الزعازع، واعتدال المنازع، واستعداد الأنفس لقبول الحقائق، وتطاول العهد على ثوران العواطف، فلما بلغه أنني بدأت بنشر مذكراتي ورأى أنه قد انفسح المجال لهذا الموضوع، وجد فرصة سانحة وغرة لائحة، وجاء يلقي عن قلبه ذلك الوقر الثقيل الذي كان لا يرى له منه ترويحاً، إلا بنشر الحقيقة على الملأ كائناً من كان من ثقل وقعها على مرض القلوب وموتى الضمائر.

أما هذا العاجز فبعد ما عانيت ما عانيته أثناء الحرب لأجل وطني، وما وقفته من عقلي وجسدي وكل قوة بي على خدمة أبناء وطني بدون استثناء، وما تعرضت له في هذه السبيل الوعرة من الأخطار حتى على حياتي، مما أشرت إلى شيء منه في ملخّص مذكراتي (لأن الذي نشرته هو إجمال فقط وعند التفصيل تظهر أمور أخرى كثيرة) فأقرّ وأعترف أنه لم يخطر ببالي، ولا دار في خلدي، ولا رأيت في منام، ولا تصورت ولا في الأوهام أنه يجيء وقت بدلاً من أن أكون فيه موضع التذكار والعرفان، ومحل الجزاء على الإحسان بالإحسان، أو المقابلة على الشيء ولو بجزء منه، أو على العمل بمجرد القول وبينهما من الثقة ما بينهما أردَّ بتحامل السياسة، وظلم الأغراض وظلمات القلوب إلى الوقوف موقف المدافع عن نفسه المبرّىء لعلمه المستشهد بالبيّنات والوثائق على طهارة يده. نعم، بعد كل ما عملته مما لم يعمله أحد غيري لمنع قتل أي كان، أكون اليوم مضطراً أن أبرهن على كوني لم أغرِ أحداً بقتل أحد ولا بنفي أحد.

أسف والله وألف أسف، أتأسف على حال زمان هؤلاء هم رجاله بل على وطن هذا مبلغ قيمة الحق فيه... وبمثل هذا يكافأ ناصحوه؟ أتأسف على أن تكون أنصار الحقائق عندنا بهذه القلة المخجلة وأن تكون السياسة هي كل شيء، تطمس من آثار الحق ما تشاء، وتخرس من ألسنة الحرية ما تريد، وتكمّ فم العارف فيكتم ما عرفه وينكر ما رآه.

أتأسف على الوطن الذي يعوزه هذا المقدار من الشجاعة الأدبية، وأقول لكم كم في هذه الحالة من أسباب للزهد في إسداء المعروف، ومن دواعي الوقوف عن عمل الجميل الذي قلّما يجنى ثمره الحلو إلا من خلال أشواك المتاعب.

يقول أمين أفندي الغريّب: «عندي لتأييد هذا الرأي عشرات من الرسائل الخاصة في أيام الحرب والنفي الكالحة، يستدل حتى أشد المعترضين من قراءتها على تناهي ذلك الرجل في إخلاصه»، الخ... وأنا عندي من بقايا هذه الرسائل والوثائق ما يملأ قمطراً، وعلم الله أنني لم أحفظ منها كل شيء وما بقي الذي بقي إلا عرضاً، وكيف أعنى بحفظ ذلك وما هجس في خاطري يوماً أن أحتاج إلى مثل هذه البينات، وهل يحتاج من يسدي يداً أو يؤدي خدمة أو يغيث ملهوفاً إلى الإشهاد على ذلك في محضر أو تسجيله في محكمة أو عند محرّر مقاولات؟ لا والله ما يفكر صانع

الإنسانية ومغيث البؤساء من إخوانه وأهل أوطانه بل من الغرباء عنه، أن يتحوّط لإثبات جميله بالشواهد ويستظهر عليه بالوثائق، وخير له أن يعدل عنه رأساً من أن يرتكب له هذه الصغارة. ولكن قد يجيء وقت يعتبر فيه أناس ما وقع مع غيرهم فإذا استصرخهم صارخ قالوا له: قبل أن تبدأ بأدنى عمل نشترط عليك أن لا تنكره ولا تنساه، ونريد منك أن تمضي لنا هذه الورقة وتشهد عليها العدول بأننا نحن الذين أنقذناك من هذه الورطة أو سعينا في تهوينها...

صدق أمين الغريّب في كل ما قاله ورواه، وإن كانت هناك كلمات قليلة لم ترو بحرفها لأنه يستحيل عليه بعد سنين أن يعيد كل ما دار بيننا بحرفه، ويستحيل عليَّ أنا أيضاً أن أتذكّر ما قلته يومئذٍ بحذافيره، فأما جوابي له عندما سأل هل لأخي عادل علاقة بتلك التهمة وهي الإغراء بالمرحوم سعيد عقل أنني قلت: «أنا اسمي الأمير شكيب» فلا بد أن أكون أوضحته بأني إنما أجاوب عن نفسي، وأخي عادل ليس بقاصر لأجاوب عنه. ولذلك لا محل لاستشهاد محرر «الوطن» وديع أفندي عقل بهذه العبارة أنها نوع من الاعتراف بكون أخي عادل ذا علم بتلك القضية. كلا، لا أنا ولا أخي عادل يطالبنا الحق تعالى بدم أحد ولا ذمتنا مثقلة بشيء من تبعة قتل سعيد عقل ولا غيره. ولو كان أخي عادل ذا يد لهذه الدرجة، لأنقذ كثيرين من الذين شنقوا من إخوانه ورفقائه وممن كان هو وإياهم أعضاء جمعية واحدة، لا سيما وقد أوردوا اسمه مراراً في تحقيقات تلك الدعوى كما هو معلوم عند كلّ أحد. أخي عادل كان من الجمعية العربية، وممن يكرههم جمال باشا، وممن اضطررنا أن ندافع أنا وعلي منيف بك متصرف لبنان عنه كثيراً، لنصرف عنه غضب جمال باشا. ومع هذا فلمّا أراد علي منيف بسبب صداقته معي ومع عادل شخصياً تعيين عادل قائمقام الشوف محل ابن عمي توفيق، عارضه جمال باشا في ذلك ومنعه من تعيينه وما رضي بتعيينه إلا لما أخفق رضا باشا في تشكيل آلاي متطوعين من أهل الجبل للقتال في أوطانهم إن مسّت الحاجة، واضطر جمال باشا إلى مراجعتي أنا، فوفّقت إلى تشكيل أربعة آلايات نحو ٩ آلاف رجل قيّدنا أسماءهم وأتممنا تشكيلاتهم في مدة شهر واحد، مع أن رضا باشا اجتهد أشهراً فلم يرضَ أن يتقيّد بمعيته متطوعاً سوى ٦٠ شخصاً. نعم، لما رآني قمت بهذا العمل الذي عدّه جليلاً، أبرق إليه علي منيف بك من بعبدا إلى القدس بالمساعي والمجاهيد التي بذلتها يومئذٍ، بحيث مكان آلاي واحد طلبه شكّلت له أربعة آلايات في وقت قصير، أبرق هو إلى علي منيف بك يقول له: «قبلاً نهيتك عن تعيين عادل أرسلان بك قائمقاماً للشوف، أما الآن فأوصيك بتعيينه»، ومع هذا فبقي يحذر من عادل ولا يعدّه مخلصاً، وبلغني أنهم قدموا له في الشام اسم عادل في جدول أسماء الذين يلزم نفيهم، فكتب على رأس اسمه أن يؤخر الآن (شمديلك). وبالجملة فعادل كان على حذر دائم من جمال باشا، وهذا لم يكن يودّه، ولولا كونه شقيقي لأصابه ما أصاب

غيره... فكيف يقال إنه هو الذي أثّر في قضية سعيد عقل أو غيره، ولعل قائلاً يقول إن تأثير الأمير عادل لم يكن بواسطة جمال باشا، بل بواسطة الديوان العرفي الذي كان في عاليه، فإذا كان عادل بتلك المثابة من التأثير على الديوان العرفي فلماذا لم يخلّص رفاقه الكثيرين الذين منهم من قتل ومنهم من نفي الخ... والحق أن الديوان العرفي كله لولا أمر جمال باشا القطعي لم يكن ليحكم بقتل أحد، بل كان مراد شكري بك الذي كان رئيس الديوان العرفي يبرئه البعض تماماً والحكم على البعض بالنفي فقط. ولما استقدمه جمال من عاليه إلى الشام وضيّق عليه في أمر الحكم بالعدم، أجابه: مهما ذهبت إلى جهة الشدة لا أقدر أن أحكم بذلك إلا على ثلاثة أشخاص، ومهما قسوت فعلى خمسة فقط وهم الذين عليهم أدلّة كثيرة. فأجابه جمال: أنت لا تعلم أهمية القتل السياسي، ثم هدّده بالقتل إن لم يحكم على الذين أمره بالحكم عليهم بالقتل، ومع هذا فلولا أن جمالاً استمال أكثر الأعضاء لما نال من العرفي الحكم الذي أراده. فقول وديع عقل إن الديوان العرفي بعاليه لم يجد على المرحوم سعيد شيئاً يوجب القتل هو صحيح، ولكن هل يا ترى وجد ذلك الديوان العرفي شيئاً على الزهراوي يوجب قتله؟ هل رئاسة الزهراوي لمؤتمر عربي في باريس يطالب ببعض الإصلاحات، مع إعلانه أننا لا نريد أصلاً الانفصال عن الدولة العثمانية هو ذنب يوجب القتل؟ وهل بعد تعيينه عضواً في مجلس الأعيان يصح القتل؟ فلماذا قُتِل؟ وماذا وجد الديوان على رشدي الشمعة مما يوجب القتل، وعلى ابن سلوم، وعلى الجزائري سليم وهو وجد ورقة يتبيّن منها أن شكري العسلي انتقد الحكومة لدى أحد القناصل يوجب قتل العسلي؟ وماذا فعل جرجي الحداد ممّا يوجب القتل؟ وماذا فعل الشيخ أحمد طبّارة، وعمر حمد، والعريسي، والأمير عارف الشهابي الخ... مما يوجب القتل. إن جميعهم من ذكر ومن لم يذكر كان قتلهم سياسياً بأمر جازم من جمال باشا لرئيس العرفي وأكثرية الأعضاء. وجمال باشا لم يقدم على هذا العمل بإغراء أحد من جميع أهل سوريا، بل باجتهاده الخاص واعتقاده أنها هذه مصلحة تركيا. فكما أن سعيد عقل بريء ممّا يوجب للقتل، فغيره بريء أيضاً وقد قُتِل، فهل يقال إن الآخرين قتلوا أيضاً بالإغراء؟ وقد عرف الخاص والعام في سوريا أن جمال باشا لم يكن يعمل برأي أحد، حتى ولا برأي من فوقه (وهو لم يكن يعتقد أن هناك سلطة فوقه) فلم يكن يسمع كلام أنور ولا طلعت ولا يجري من أوامر الصدارة والحربية إلا ما يعجبه، أو كما قال كاتب أوروبي يومئذٍ ما يوافق فيه اجتهاده اجتهاد الباب العالي. ثم كان يفتخر بأنه شنق صالح باشا صهر السلطان مع كون السلطان تشفّع له به، وقد كان شنقه مع من شنقهم من رؤساء سوريا وأدبائها على دفعتين، وكل دفعة بدون علم السلطان وبدون إعطاء الخبر إلى الصدارة العظمى. حتى إن البرنس سعيد حليم باشا لم يأخذ خبر الشنق إلا من أفواه الناس، فاحتجّ على جمال باشا ووبّخه، وتلغرافه مقيد في الباب

العالي. وكذلك شيخ الإسلام خيري أفندي استعفى من أجل هذه القضية وقال: «إذا كان نحن مجلس نظارة لا تخبر بقضية مهمة كهذه، فالمعنى أنه لا ثقة بنا إذاً، لا محل لبقائي في هذا المجلس.

إذاً قول محرّر جريدة «الوطن»: «وما الجناية الفظيعة التي وقعت في العهد الجمالي على هذه الأمة فذاكرة خالدة، وآلامها أبدية، ولا بد من معرفة الذين دفعوه إليها، الخ. . .» فالجواب عليه إن جمال باشا لم يكن في حاجة إلى أحد يدفعه، ولا كان يستشير غير نفسه، بل دفعه إلى هذا العمل ما أعلنه مراراً ولم يتردد فيه وسمعه منه عدد لا يحصى من أهل سوريا، وهو أن في سوريا حركة للانفصال عن الدولة، وأن هؤلاء (الذين شنقهم) هم في مقدمة هذه الحركة، فهو بموجب القانون العثماني مستريح الضمير بأنه لم يعمل إلا ما يوجبه القانون، وكان يقول للمسلمين ما توجبه مصلحة الخلافة، وللأتراك ما توجبه مصلحة تركيا. وقد أعاد فيه مذكراته (التي ظهرت منها النسخة الإنكليزية وليس فيها ذكري لا بخير ولا بشر) الأسباب التي حملته على ما أجراه ولم يتّهم بما فعله أحداً، وروى ماذا دار بينه وبين الإمام الكبير الشيخ بدر الدين الحسيني، وكيف أن الشيخ استعطف خاطره على أولئك الأشخاص وهو قد جاوبه بما أقنعه من كون هؤلاء خائنين للأمة وأن مصلحة الوطن وسلامة الأمة تقتضيان هذه الشدة. ولست أريد الآن الرجوع إلى بحث أتيت على مجمله في مذكراتي، ولكن أحب أن أجاوب وديع عقل الذي لا أشك في حسن نيّته وتحرّيه الحقيقة، والذي لا يُلام على آلامه لفقد ابن عمه ـ لا سيما شاب نادر ممتاز مثل المرحوم سعيد ـ إنني أنا أيضاً لا أُلام إذا قررت الحقيقة، وإذا قلت له إن جمال باشا هو الذي دفع الديوان العرفي إلى الحكم الذي جرى، اعتقاداً بأنه يخدم سلام السلطنة العثمانية، ويقتصّ من العاملين على الانفصال ويرهب بهم غيرهم، وأن سوء الظن بعادل أرسلان وشكيب أرسلان وزيد وعمرو يعذّب الضمير بدون فائدة، وإذا كان منتظراً قراءة مذكرات جمال فليقرأها فإنها تزيده راحة بال على أنه كيف كتب جمال، فهذه هي الحقيقة وشكري بك رئيس العرفي وغيره أحياء يرزقون.

بقي أن المرحوم سعيداً هو الذي أرسل إلى أهله بأن الضربة هي مني ومن أخي. فمن أين عرف رحمه الله ذلك؟ لا يعقل أن الديوان العرفي قال له ذلك، بل لا يعقل أن الديوان العرفي قال له إنك ستقتل، لا له ولا لغيره. وهذا كما حصل. إذاً على ماذا استند رحمه الله في هذا الظن؟ لا يكون إلا على القيل والقال، وهذا لا يصح برهاناً لا سيما أمر جلل كهذا لا يقاس بغيره. إن جميع أولئك الرجال الذين حلّ بهم اقتصاص جمال باشا كانوا ولا شك، لا سيما بعد اعتقالهم يكرهون الدولة العثمانية، وطبيعي أن يكرهوا كل من كان معها. وهذا العاجز كان في مقدمة من كان معها،

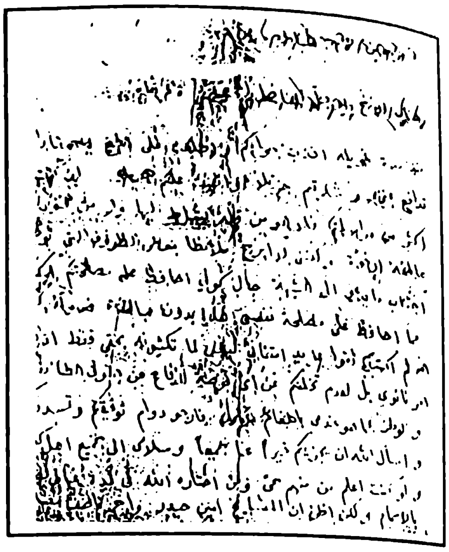
ما أنكرت ذلك، ولا أنكره ما دمت في الحياة (ليس هنا موضع بيان السبب في سياستي هذه) فكان كثيرون ممن يكرهون الدولة يكرهونني من قبيل المعطوف والمعطوف عليه، ولو لم أسيء إليهم، ويريدون أن يتهموني أمام الرأي العام بما أنا براء منه. وبعضهم كان يعتقد ذلك فعلاً في ضميره ظناً بأن محبتي للدولة العثمانية قد تحملني على السعي في الانتقام منهم، ولو علموا حقيقتي لعرفوا أن خالص محبتي للدولة العثمانية كان من أعظم الأسباب التي بذلت كل ما في وسعي مع جمال لأجل منعه من القتل، وكنت أقول له: اتق على الأقل ما يتلافى وكذلك محبتي للدولة، وخوفي عليها هنا من أهم العوامل في مراجعتي له في أمر المنفيين، وفي المساعي التي سعيتها من أجل خلاصهم في الأستانة، بالرغم من جمال وأثناء تهديد جمال. وكان إذا قال فعل، فالمرحوم الشيخ أحمد طبّارة عندما قبضوا عليه كان أول ما فكر فيه أن أرسل ـ رحمه الله ـ يستغيث بي، لظنّه أن ورود بعض مطاعن في جريدته بحقّي قد تركت أثراً في قلبي، فأراد أن يستلّ سخيمتي بمراجعتي في أمره، وأرسل أخاه إلي يطلب السعي في خلاصه، وكان يومئذٍ جمال أظهر الغضب من توالي شفاعتي بالمعتقلين، فراجعت علي فؤاد بك رئيس أركان الحرب ـ وهو من أعز أصحابي ـ ملحًا بأمر الشيخ أحمد طبارة خاصة، فضلاً عمّا راجعته به مراراً من أمر الجميع عامة، فثاني يوم أجابني علي فؤاد بك: كن مستريحاً، إنه لا ينال الشيخ أحمد طبارة شيء ما دام بريئاً، فأنا بشّرت بذلك أخاه، وفرحت فرحاً لا يوصف ظانًّا أنني أخلص رجلاً كان يسيء الظن بي. ولكن (القتل السياسي) الذي مرّ ذكره لم يجل على خاطري، وقلت في نفسي لا بد لهؤلاء إذا أرادوا القتل من الاستناد على مادة قانونية، وليس هناك مادة كهذه. فلما قُتِل الشيخ أحمد رحمه الله شعرت من ألم فجيعته ما لم أشعر به في حياتي، وكنت أتحرّق من كونه اتّكل على نفوذي ولم أستطع تخليصه، ويا للأسف، ولا تخليص سواه. فالمرحوم سعيد ظنّ أنني حاقد عليه لكليمات طعن ظهرت في جريدة الشيخ أحمد طبارة عندما كان يحرر فيها، كلمات لم تكن تحت إمضائه وربما لم يكن هو كاتبها. ثم على فرض أنه هو كتبها، بل كتب ما هو أشد منها، فهل يبعث ذلك إلى السعي في قتله؟ لو قيل إنني أنا وأخي تمنينا لسعيد عقل حبس شهرين أو ثلاثة أو ستة تشفّياً عن كليمات تنديد أو طعن أثناء جدل سياسي لما كان ذلك محموداً، ولكن الطبيعة البشرية ضعيفة، فقد يقال بل ذلك التمني كان ممكناً. ولكن هل يسعى الإنسان في إزهاق روح شاب كهذا لأنه ناله بكليمات... ومثل هذا سوء باولي الذي اتّهمني أيضاً ولم أعرفه، ولا رأيت وجهه في حياتي، ولا بيني وبينه لا جدال ولا نزاع، ولكن فيما يظهر أنه طعن بي مرة في جريدة وأنا لم أطّلع على ما كتب،ولا سمعت بذلك إلا فيما بعد. فهو وسعيد ظنّا ـ أصاب بغيب عن الصواب ـ أننا لا بد أن نكون حقدنا عليهما بسبب تلك الكليمات، أو أغضينا النظر عن الدفاع عنهما، فيكون بإغضائنا هذا ساعدنا على قتلهما، فقالا ما قالا. والحال

أن كتابات كهذه لا توجب كل هذا الحقد ولا تصل بالمرء، مهما كان متوحشاً، إلى السعي في القتل. ثم ماذا نقول في سائر الشهداء الذين منهم من كانوا أصدقاء لي، وطلبوا مساعدتي، ومنهم من كانوا أخوان أخي، هل كنا قادرين على إنقاذهم وتأخّرنا عن ذلك؟ وهل ننتقم أيضاً من أحبّائنا ورفقائنا ومن سالت دموعنا عليهم سيلان دموع أهليهم؟.

وبالاختصار فإن جمال باشا كان نشر أثناء وجوده بسوريا كتاباً محرّراً بالتركية وبالعربية، وقيل منه نسخة بالفرنسية لم أرها أنا، وطبعه في الأستانة، واطّلع عليه كثيرون وفيه تبرئة عمله، وبيان الأسباب القانونية والسياسية التي حملته على شنق من شنقهم في سوريا، وهو يعدّهم بأسمائهم واحداً واحداً، ويبيّن ما يزعمه من جريمة كل منهم. وكذلك قبل قتل جمال بأشهر قلائل نشر مذكراته، وأشار إلى ما عمله في سوريا، وتكلّم على القتل وأوضح أسبابه بدون أدنى مواربة، ولكن لم يدخل في التفاصيل. فهل بعد هذا كله نقول: من دفع جمال باشا إلى هذا العمل؟...

شكيب أرسلان

لوزان سنة ١٩٢٣



الأمير وعلي ناصر الدين

رسالة من الأمير شكيب إلى علي بك آل ناصر الدين، يخبره فيها بأنه اطّلع على ما كتبه عنه في جريدة «الصفاء»، ويثني ويشكره على مواقفه في الدفاع عن مصالح الطائفة. صادرة من مرسين، في ٢٥ شباط سنة ١٩٢٤.

جناب الأخ الأجلّ الفاضل المحترم دام بقاؤه

منذ مدة طويلة أخذت جوابكم واطّلعت على قطع «الصفاء» التي تدافع عني، وشكرتكم جزيلاً وأثنيت عليكم جميلاً. إن كنت لا أكثر من مراسلتكم فلا فهو من قلة نشاط إليها ولا من فتور في عاطفة الأخوة، ولكنني لا أبرح ملاحظاً بعض الظروف التي توجب اجتناب ما يدعو إلى الشبهة، حال كوني أحافظ على مصلحتكم أكثر مما أحافظ على مصلحة نفسي، هذا بدون مبالغة. فسواءً كتبت أم لم أكتب ثقوا بمزيد امتناني ليس لما تكتبونه بحقّي فقط، إذ هذا أمر ثانوي، بل لعدم تخلّفكم عن أيّ فرصة للدفاع عن حقوق الطائفة والوطن بما هو عندي بالمقام الأول، فأرجو دوام توفيقكم وتسديدكم، وأسأل الله أن يجزيكم خيراً عنّا جميعاً. وسلامي إلى جميع أهل كفرمتى، ولو كنت أعلم من منهم حيّ ومن اختاره الله في مدة غيابي لصرّحت بالأسماء، ولكن أظن أن المشايخ أمين حيدر وأحمد ناصيف مصلح أحياء، والحمد لله فاهدوهم وافر سلامي، وإلى ابن الشيخ حسن سليمان الغريب ودام بقاكم أخي.

أخـوكـم/ شكيب أرسلان

عنواني: فلان
بمنزل صاحب الدولة والسيادة
السيد السنوسي المعظّم
مرسين - تركيا

إن كان أبو نجيب مصطفى جمال في عبيه حيًا فلا تنسوا أن تهدوه سلامي.

فريد أبو مصلح

وهذه رسالة من الأمير شكيب من مرسين، ١٦ آذار سنة ١٩٢٤ م. إلى أحد المخلصين من إخواننا المهاجرين في الولايات المتحدة الأميركية، الذين خدموا وطنهم بأقلامهم وآرائهم، وكانوا السبّاقين إلى دعم القضايا الوطنية بكل ما يمكلون من مال. عنيت به الكاتب الألمعي النابه الشيخ فريد أبو مصلح، أحد أفراد الرعيل الأول وطنية وعلماً. نشرتها مجلة «الميثاق» في شهر نيسان ١٩٦٦.

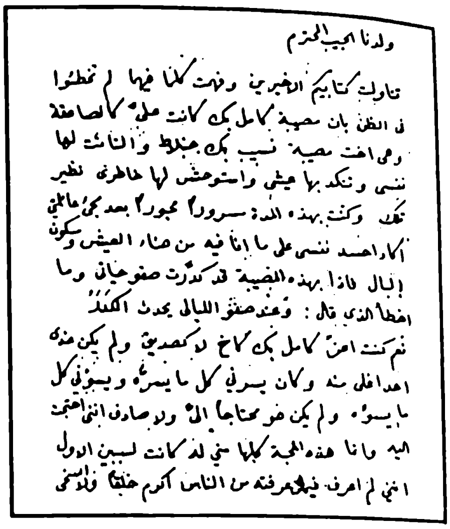
مرسين ١٦ آذار ١٩٢٤

منذ أشهر وصلني كتابك، وكان سروري به عظيماً، وعاقني عن الجواب بلايا الكتابات التي أنا فيها. فكنت أترقّب فرصة نصف ساعة أخاطبك بها: رائق البال، خالي الذهن، من عُدواء الأشغال، حتى أفضي إليك بما لا أفضي به إلى غيرك، وهذه السويعة لا أجدها. لا يلزمني أن أؤكد لك محبتي وابتهاجي لك، وذلك أنك فرع عائلة هي أخلص عائلات لبنان لعائلتنا، وقد انضمّ إلى محبتي لك من هذه الجهة، إعجابي بفرط ذكائك، وسعة اطّلاعك، وشمم أنفك. فأنا كنت أعجب بك ولو كنت غريباً، فكيف وأنت أقرب الأقربين. وقسماً بالله أنني قلت لكثيرين: إنني ما رأيت أحداً يفهم السياسة بين المفكّرين الشرقيين أحسن من الشيخ فريد أبي مصلح، وقلّما أجد فيهم من هو في سداد حجته. أشكرك على دفاعك عني مراراً، وأسأل الله زيادة علمك، وتسديد خطواتك. وآمل أن تخبرني ما هو شغلك بأميركا، وما هي درجة توفيقك؟ وثق بأنني لك بمقام الوالد ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

وفاة كامل بك الأسعد



ولدنا الحبيب المحترم
تناولت كتابيكم الاخيرين وفهمت كلما فيهما لم تخطئوا
في الظن بان مصيبة كامل بك كانت علي كالصاعقة
وهي اخت مصيبة نسيب بك جنبلاط والتاثث لها
نفسي وتنكد بها عيشي واستوحش لها خاطري نظير
تلك وكنت بهذه المدة مسرورا محبورا بعد مجيء عائلتي
اكاد احسد نفسي على ما انا فيه من هناء العيش وسكون
البال فاذا بهذه المصيبة قد كدرت صفو حياتي وما
اخطأ الذي قال: وعند صفو الليالي يحدث الكدر
نعم كنت اعز كامل بك كاخ لا كصديق ولم يكن عندي
احد اغلى منه وكان يسرني كل ما يسره ويسوءني كل
ما يسوءه ولم يكن هو محتاجا الي ولا صادف انني احتجت
اليه وانما هذه المحبة كلها مني له كانت لسببين الاول
انني لم اعرف فيمن عرفته من الناس اكرم خلقا ولا اسخى

كثيراً ما كان يؤلم الأمير موت الإصحاب والأصدقاء، وخصوصاً من كانت لهم في القضايا الوطنية، أعمال مذكورة، ومآثر مشكورة في العالم العربي أو العالم الإسلامي. وهذه رسالة من مرسين، ١٠ حزيران، سنة ١٩٢٤ م. بعث بها إلى المغفور له أمين بك خضر في «بعقلين» يشكو له ما أصابه عندما سمع بوفاة صديقه كامل بك الأسعد، بعد أن حزن كثيراً لموت نسيب باشا جنبلاط. كان الأمير وفياً لأصحابه، مخلصاً للذين عرفهم وأنس فيهم جدارة بالمحبة والمودة والصحبة[١].

ولدنا الحبيب المحترم

تناولت كتابيكم الأخيرين وفهمت كل ما فيهما. لم تخطئوا في الظن بأن مصيبة كامل بك كانت عليَّ كالصاعقة وهي أخت مصيبة نسيب بك جنبلاط، والتاثت لها نفسي وتنكّد بها عيشي واستوحش لها خاطري نظير تلك، وكنت بهذه المدة مسروراً محبوراً بعد مجيء عائلتي، أكاد أحسد نفسي على ما أنا فيه من هناء العيش وسكون البال، فإذا بهذه المصيبة قد كدَّرت صفو حياتي، وما أخطأ الذي قال: وعند صفو الليالي يحدث الكَدَرُ.

نعم كنت أعزّ كامل بك كأخ لا كصديق، ولم يكن عندي أحد أغلى منه، وكان يسرّني كل ما يسرُّه ويسوءني كل ما يسوءه، ولم يكن هو محتاجاً إليَّ ولا صادف أنني احتجت إليه؛ وإنما هذه المحبة كلها مني له كانت لسببين: الأول أنني لم أعرف فيمن عرفته من الناس أكرم خُلُقاً ولا أسخى يداً منه، إن كان ما يُروى عن حاتم الطائيء أو جعفر البرمكيّ صحيحاً فلا يفوتان كامل بك الأسعد، هذا مع الرقة واللطف وعذوبة المعاشرة والوفاء والتواضع، فليس فيه خُلُق إلا وهو يحبِّب إليه الناس وكأنها كلها فيه عقد درر، واسطته الكبرى الكرم. الثاني أننا كنا في المجلس عدة سنوات ولم يكن كامل بك أكثر الناس اجتماعاً بي، بل كان غيرهُ من الزملاء ألصق بي ولكن كان أشدّهم

(١) من محفوظات المحامي محمد بك خضر.

لي إخلاصاً، وكنت إذا خطبت في المجلس يملأه تصفيقاً ويظهر السرور على وجهه، حينما تكون وجوه آخرين يدَّعون المحبة قد ظهرت عليها علامات لا تدل على الإخلاص، فلهذا كنت أحب كامل بك وأقاتل عنه كالسيف. وشكوت عزمي بك والي بيروت إلى طلعت وخاصمته علناً لأجل كامل بك، ولمّا تحوّلت الأحوال وصار ما صار وقام بعض المتحاملين الذين لا يحبون أن يروا عميداً كبيراً في العرب نافذ الكلمة، فأخذوا يفترون على المرحوم كامل بك بما هو منه براء. كنت في سويسرا فنشرت مقالة أقول لهؤلاء المفترين لو كان كامل بك ما تقولون لكان فعل ما تتّهمونه به يوم كانت له اليد العليا وذلك أثناء الحرب، وأبديت وأعدت في هذا الموضوع بما لم يجد فيه المكابر مجالاً للإنكار، كما وقع في مذكراتي التي خرست لها ألسن الأعداء، وأطرقت لقراءتها رؤوس الكاشحين لا يجدون مقالاً لردّ كلمة منها، ذلك بسلطان الحق لا بقوة بياني. ولما هاجر المرحوم من وطنه كان قلبي معه طول هاتيك المدة، وما هدأ بالي حتى استقر في بيته. وإني وإن كنت لا أشاهده فكان وجوده مسلّياً لي وأملي غير منقطع من لقائه، فالآن ازدادت وحشتي من الدنيا بعد أن تصوّرت أن لا سبيل بعد الآن لمشاهدتي ذلك الحبيب. نعم، كان يرعاني كما أرعاه على البعد، وكان يهتم بي اهتمامي به، وجاء مرة عمداً ونحن في الأستانة لمشاهدة ولدي غالب، فتأمّل فيه وهو على يدي مربّيته، وبعد أن قبّله التفت نحوي وقال لي: يساوي رزق الدنيا أقرَّ الله عينك به، فكنت أشعر منه بحب حقيقي ولذلك أصفيته الود وحزنت عليه وسالت عبراتي، وأنا ممّن يؤثّر بهم الوداد ويرعون العهود. وقد مات لي عدة أحباب منذ سنين لا يزالون مصوَّرين أمام عيوني، ومنهم المرحوم أبوك، وشاهدت المرحوم نسيب بك مراراً في المنام. ثم يا ترى هل كثير في زعماء العرب مثل كامل بك الأسعد في مجموع صفاته، وهل كثير في أعيان سوريا في مركزه، وهل يرجو إخواننا الشيعة في زمن طويل أن يجدوا من يسدّ مسدّ كامل بك ويلمع لمعانه في أفقهم؟ تالله قد جلّ الخطب وفدح الأمر. وتمضي السنون والأعوام وأنزل في القبر وفي فؤادي جروح من ناقد العزيز الحبيب كامل بك رحمه الله وأسكنه أعلى منازل الخلد.

كتبت منذ ثلاثة أيام تعزية لأخويه محمود بك وعبد اللطيف بك، ومعها مرثية نظمتها من
باب ما يجيء لا ما يجب، لأن كسوف بالي وانكسار قلبي قد أثّرا في قريحتي وزاداها عجزاً، وها
أنا ذا أبعث إليك بصورتها اقرأها وضعها في الظرف المرسل بطيّه إلى الشيخ حسين الحبال، وتفضّل
بإرسال الظرف إليه لينشرها في أبابيل. وسأبعث بها إلى «البيان» في نيويورك مع قطعة نثرية أيضاً في
مناقب المرحوم كامل بك.

عرفت وصول مكاتيبي إلى من جاوبتهم وكاتبتهم، وفهمت كون ابن العم أمين زار بلدكم

بعقلين وتزيَّنت له بالأنوار، ونِعْمَ العمل خدمته لها في قضية الطريق، ونِعْمَ مقابلة الجميل بمثله. وبهذه المناسبة أقول بلغني مع الأسف أن أهالي الشوفين الحيطي والسويجاني لم يساعدا بعقلين بشيء، فهل ذلك صحيح، وكيف ارتضوا أن ابن صليما يساعد بعقلين وهم لا يساعدونها.

أسفت لكون بعض هذه البيوتات الكبيرة لا تزال تنهار، وأنه لولا متانة أُسسِها لعفت آثارها من زمن طويل، ولكن الله إذا أراد إسقاط أناس وإعلاء آخرين بعث من هذا النمط أشخاصاً جعلهم آلات لنفوذ القدر المقدور.

سررت جداً بأن الشيخ سعيد حمدان وإسبر أفندي ضيفان عند عطوفة السيدة خولة، وأنهما يجولان ويتنزهان، فمهما علت سنُّهما فلا يشبع الوطن منهما ونادر جداً أمثالهما، ولا يعرف قدرهما إلا من عاشر الناس وحنّكته تصاريف الأيام، والله قلَّما كتبت إلى بيروت إلا سألت عنهما ورجوت أن يكونا بصحة تامة.

اسألوا لي خاطر سعادة إخواننا فريد بك وأخوته. وواصلة لكم بطيّه صورة ولدي غالب أخذناها هنا مؤخراً، وقدّمت صورة ثانية لي وله معاً إلى عطوفة الست وذلك منذ ١٠ أيام، ودام بقاكم ولدنا.

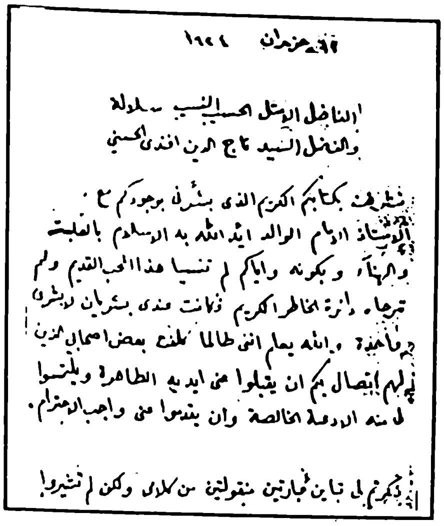
المخلـص

شكيب أرسلان

مرسين في ١٠ حزيران/ ٩٢٤

سأكتب إلى محمود بك وفضل بك الفضل تعزية أيضاً بالفقيد العزيز.

قضايا سياسية مع الشيخ تاج الدين الحسني



في ١٣ حزيران ١٩٢٤

الفاضل الأمثل الحسيب النسيب سلالة
والفضل السيد تاج الدين افندي الحسني

تشرفت بكتابكم الكريم الذي بشرني بوجودكم مع
الأستاذ الإمام الوالد أيد الله به الإسلام بالغلبة
والهناء، وبكونه وإياكم لم تنسيا هذا المحب القديم ولم
تبرحاه دائرة الخاطر الكريم فكانت عندي بشريان لا بشرى
واحدة. والله يعلم أني طالما كلفت بعض أصحابي الذين
لهم إيصال بكم أن يقبلوا عني أياديه الطاهرة ويلتمسوا
لي منه الأدعية الخالصة وأن يقدموا عني واجب الاحترام.

ذكرتم لي تباين عبارتين منقولتين من كلامي ولكن لم تشيروا

كتب الأمير هذه الرسالة في أثناء وجوده في تركيا، أرسلها في حينها إلى المغفور له الشيخ تاج الدين الحسني (رئيس الجمهورية السورية فيما بعد) نجل المحدّث الإسلامي الأكبر المغفور له الإمام السيّد بدر الدين الحسني، قاضي دمشق الشرعي، وفيها يتحدث عن أمور سياسية خاصة تميط اللثام عن بعض ما كان يجري من دسائس، وبما يوجّه إليه من بهتان كان ضالعاً فيها السياسي الفلسطيني المعروف أحمد الشقيري. الرسالة من مرسين، ١٣ حزيران ١٩٢٤ م.

مرسين ١٣ حزيران ١٩٢٤

حضرة الفاضل الأمثل الحسيب النسيب سلالة والفضل السيد تاج الدين أفندي الحسني

تشرفت بكتابكم الكريم الذي بشّرني بوجودكم مع الأستاذ الإمام الوالد أيّد الله به الإسلام بالغلبة والهناء، وبكونه وإياكم لم تنسيا هذا المحب القديم ولم تبرحاه دائرة الخاطر الكريم، فكانت عندي بشريان لا بشرى واحدة، والله يعلم أنني طالما كلّفت بعض أصحابي الذين لهم اتصال بكم أن يقبلوا عني أياديه الطاهرة، ويلتمسوا لي منه الأدعية الخالصة، وأن يقدّموا عني واجب الاحترام.

ذكرتم لي تباين عبارتين منقولتين من كلامي، ولكن لم تشيروا إليهما، فحبّذا لو صرّحتم لي ونقلتم كلاً من العبارتين التي رأيتم إحداهما تخالف الأخرى فكنت أجاوبكم.

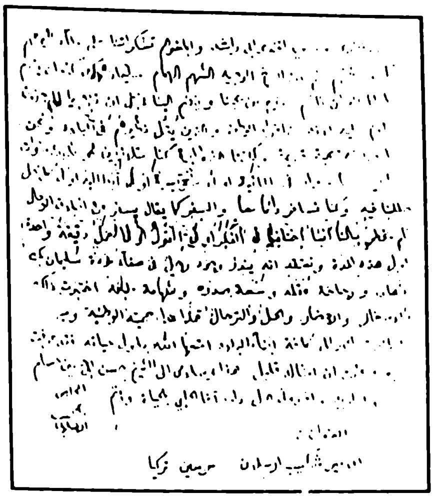
أنا لا أعتقد أن أحداً دفع جمال باشا إلى قتل أو نفي أحد، حتى إن رفقاءه في الأستانة لم يدفعوه إلى ذلك، وهذا أمرٌ تحقّقته قبل نهاية الحرب وبعد نهاية الحرب، وغاية ما هناك أنهم أظهروا أمامه الجبن والضعف، وأنه كان معتمداً على تجنيد شبان التورانيين له في تلك الشدة التي نزع إليها، ظانًّا أنه بكسب ميلهم إليه يصير هو رجل الدولة الوحيد. فأما من أهل سوريا فلست أنسب إلى أحد حتى ولا للشيخ الشقيري أنه هو كان السبب في خطة جمال باشا هذه، فجمال باشا هو وحده أبو عذرة تلك السياسة. لكن الشقيري الذي هو أول طال قاووق كما يقول الأتراك، كان

يحاول تغطية أعمال جمال وابتغاء العذر عنه لتكون له خدمة عنده، فتارةً كان يشيع أن سبب قتل من قتلوا هو أنور باشا عندما جاء إلى سوريا، وطوراً كان يقول إن حضرة الأستاذ الوالد عندما ترجَّى جمالاً بالعفو عن الذين انتهى الأمر بشنقهم، وأخبره جمال بحقيقة أمرهم عاد فقبِل عذرَهُ، وأحياناً كان يوسوس إلى بعض الشبان سراً أنني أنا لي يد في ذلك، وغير هذا من الدسائس التي ذلك الرجل معروف بها، وليس العجب أن يكون هذا دأبه بل العجب أن يكون غير هذا... وأما مولانا الإمام فهو أعلى من أن تؤثر في اسمه مفتريات الشيخ الشقيري أو غيره. وأرجو أن تنوبوا عني في تقبيل يديه وطلب دعائه ورضاه لي، ودائماً تتكرّموا ببشائر رفاهيته ورفاهيتكم، وأطال المولى بقاءكم.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

بمرسين ـ تركيا



الأمير وسليمان بك كنعان

رسالة من الأمير شكيب إلى الشيخ علي سليمان ورد من نيحا الشوف، مؤرخة من مرسين ١٦ تموز ١٩٢٤ م، وفيها يذكر صحبته لسليمان كنعان أحد أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان، والشيخ علي رافق الأمير في حملته مع المجاهدين إلى ترعة قناة السويس. وكان الأمير شكيب في أول الحرب الطرابلسية سنة ١٩١١ م قد ذهب من بلده إلى مصر يريد الالتحاق بالمجاهدين، ولكن الإنكليز منعوه، فانضمّ إلى رجال الهلال الأحمر المصري، وبذلك تمكّن من الاتصال بالمجاهدين، وقد خطب فيهم وأثار حميتهم وألهب فيهم الحماسة. وقد رأى الأمير العذاب الشديد في سفره، لأنه لم يكن هناك من مواصلات إلا الإبل والخيل. من هنا يتجلّى لنا بأن الأمير قد ضحّى كثيراً في سبيل الأمة العربية والإسلامية.

مرسين ١٦ تموز ١٩٢٤

جناب ولدنا الأجل الشيخ علي سليمان ورد المحترم حفظه الله

تناولت كتابكم رقم ٣ حزيران الماضي وحمدت الله تعالى على صحتكم، وجميع ما جاء فيه ليس بشيء لم أكن أعلمه من قبل، بل شواهد محبتكم وإخلاصكم بالأفعال لا بالأقوال من قديم الزمان خلفاً عن سلف، فكنت طول مدة غربتي أفكّر بكم وأشتاق إلى أخباركم وأتمنى أن تكونوا بخير وعافية. ولمّا ورد لي مكتوب من الشيخ حسن أبي حسين حسام الدين منذ نحو سنتين حينما كنت في ألمانيا، جاوبته وكلّفته بالسلام عليكم وسألته عما إذا كان ازداد أولاد ذكور في آل ورد، وجاوبني بعد ذلك أنكم ولله الحمد بخير وأنه بلّغكم السلام. وقد جاء مكتوبكم هذا بشرى جديدة ثلج بها الصدر وقرّت العين، وهكذا يكون كلما أخذت خبراً ساراً عنكم. اهدوا سلامي إلى أهلكم وإلى حضرة الأعزاء الأصدقاء الخوري سليمان أبي راشد ونسيب أفندي وسعيد أفندي أبي راشد، وأبلغوهم تشكّراتنا على وفاء شيمتهم وثبات صبغتهم. ثم إن الأخ الوجيه الشهم الهمام سليمان بك كنعان يقدم قريباً إلى الوطن، فأنتم وجميع من يحبّنا وينضمّ إلينا ينبغي أن تذهبوا إلى جزين للسلام عليه، لأنه من أفراد الوطن والذين يقل نظيرهم في البلاد، ونحن بيننا وبينه صحبة قديمة، ولكننا

هذه المرة كنا متلازمين نحو ثلاث سنوات ساكنين معاً سواءً في ألمانيا، أو في سويسرا، أو في إيطاليا، أو في كل محل حللنا فيه، وكنا نسافر دائماً معاً. والسفر كما يقال يسفر عن أخلاق الرجال، فلم يخطر ببالنا أننا اختلفنا في الفكر أو في القول أو في العمل دقيقة واحدة طول هذه المدة، ونعتقد أنه يندر وجود رجل في صفاء مودة سليمان بك كنعان ورجاحة عقله وسعة صدره وشهامة طبعة، اختبرت ذلك بالأسفار والإحضار والحل والترحال، هذا عدا حميته الوطنية ومبرّاته العائدة بالخير إلى كافة أبناء البلاد أمتعها الله بطول حياته، فقد عرفت الجميع وعلمت أن أمثاله قليل. هذا وسلامي إلى الشيخ حسن أبي حسين حسام الدين وأقاربه، وأفيدوني هل داود آغا الحلبي بالحياة ودمتم.

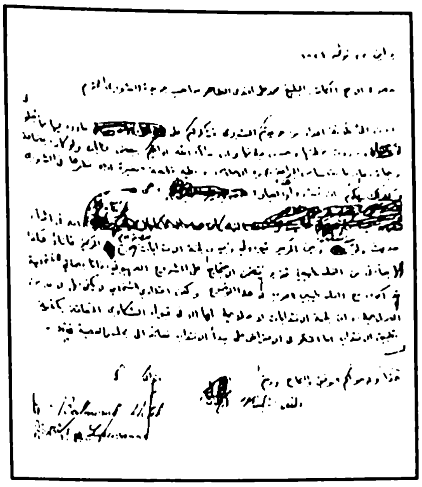
المخلص

شكيب أرسلان

العنوان:

الأمير شكيب أرسلان

مرسين - تركيا



الأمير والمركيز تيودولي

الرسالة الأولى التي وجّهها الأمير شكيب إلى صديقه محمد علي الطاهر، يذكر له فيها حديثاً دار بينه وبين المركيز تيودولي رئيس لجنة الانتدابات في عصبة الأمم المتحدة، مؤرخة في برلين، في ٢٢ نوڤمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٤ م، يقول له فيها:

برلين ٢٢ نوڤمبر ١٩٢٤

حضرة الأخ الكاتب البليغ محمد علي أفندي الطاهر صاحب جريدة الشورى المحترم

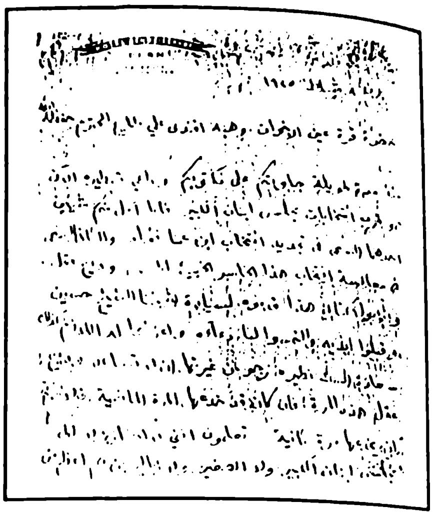
وردت إليّ ثلاثة أعداد من جريدتكم الشورى فشكرتكم على ما ورد فيها مما يتعلّق بي، وسررت بخطتها وحسن عبارتها. وإن شاء الله أوافيكم ببعض كتابات ولو كانت بضاعة مزجاة، فإن ما نقصنا من البراعة يجبره الإخلاص. وبطيّه قطعة صغيرة أرجو نشرها في الشورى وكذلك يمكنكم أن تنشروا هذه العبارة وهي:

أنه في أثناء حديث دار بين شكيب وبين المركيز تيودولي رئيس لجنة الانتدابات بعصبة الأمم، صرّح المركيز قائلاً هكذا: «جاءني من الفلسطينيين تقرير يتضمّن الاحتجاج على المشروع الصهيوني، فأنا بصفتي الشخصية قد أكون مع الفلسطينيين العرب في هذا الموضوع، ولكن اعتقادي الشخصي لا يكفي، بل لا بد من الصلاحية، وإن لجنة الانتدابات لا صلاحية لها إلا في قبول الشكاوى المتعلّقة بكيفية تطبيق الانتداب. أما النظر في الاعتراض على مبدأ الانتداب فعائد إلى مجلس العصبة فقط».

هذا وأرجو لكم التوفيق والنجاح ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان



مجلس لبنان الكبير

رسالة من الأمير، مؤرخة في ٨ شباط سنة ١٩٢٥ م، إلى الشيخ وهبه طليع، تتعلّق بانتخابات مجلس لبنان الكبير، ورأي الأمير فيها.

برن ٨ شباط ١٩٢٥

حضرة قرّة عين الأخوان وهبه أفندي علي طليع المحترم حفظه الله

منذ مدة طويلة جاوبتكم على مكتوبكم، وداعي تسطيره الآن هو قرب انتخابات مجلس لبنان الكبير. فأنا آمل منكم شيئين: أحدهما السعي في تجديد انتخاب ابن عمنا فؤاد، والثاني السعي في معاكسة انتخاب هذا الخاسر الخبيث المسمّى وديع عقل. وبوصول كتابي هذا قدّموه لسيادة شيخنا الشيخ حسين وقبّلوا أياديه والتمسوا لنا دعاءه واعرضوا له اللازم، كذلك سعادة الست نظيرة نرجو من غيرتها أن لا تساعد وديع عقل هذه المرة، فإن كان قد خدعها المرة الماضية فلا ينبغي أن يخدعها مرة ثانية. تعلمون أنني لا أحتاج لا إلى مجلس لبنان الكبير ولا الصغير ولا أبالي بمن هم أعظم من هؤلاء، ولكنني لا أحب أن الدروز ينتخبون وديع عقل بعد أن سفّه بحقّي واختلق عليَّ الكذب في الجرائد، وأمامهم من النصارى من شاؤوا فلينتخبوه، أما وديع فلا أرضى بانتخابه. إذا استشارني الدروز فيمن ينتخبون من النصارى فأحسن مرشح عندي سعيد بك البستاني أو إسكندر فضّول ابن عمه، ومع هذا فلا أُصرّ على أحد ولكن لا أرضى وديع عقل. وإذا كان فؤاد ابن عمنا يساعد وديع عقل فلا نكون راضين منه قولاً واحداً.

هذا وأنا منتظر جوابكم آمل أن يكون عندي في مرسين في تاريخ ٥ إلى ١٥ آذار. ومني سؤال خاطر سعادة الست نظيرة، وسلامي إلى الأخ أمين بك طليع وإلى حضرة شقيقكم محمد أفندي وولده الدكتور والشيخ أبي علي بشير الفطايري. وكان ورد لنا مكتوب من فؤاد أفندي محمود نجم أبي شقرا يوم كنا بألمانيا، وكذلك تلغراف وجاوبناه عليها إلى سويسرا، فهل هذا هو ابن

شقيقكم ونحن لم نكن نعلم أن عند صديقنا القديم ولداً اسمه فؤاد، فأخبرونا هل وصل إلى الوطن وكيف حاله، وسلامنا إلى حضرة والده وإليه. ثم اهدوا تحياتي أيضاً إلى الشيخ الجليل الطاهر أبي يوسف حمد المصفي وولده الدكتور، ولحضرة الشيخ أبي يوسف. عندنا جواب تأخرنا عنه بسبب السفر ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

المعادن في الجزيرة العربية

رسالة من الأمير كتبها من مرسين، تركيا، إلى نبيه العظمة (١٨٨٦ ـ ١٩٢٧) في (القاهرة) في ٢/٤/١٩٢٥ م، يشجّع فيها على عمل اقتصادي لتطوير البلاد العربية للبحث عن الثروات المعدنية. وقد نشرت في كتاب (الرعيل العربي الأول، حياة وأوراق نبيه وعادل العظمة) لخيرية قاسمية، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١.

أخي الأجل الأمثل نبيه بك العظمة المحترم أطال الله بقاءه

منذ نحو عشرة أيام كتبت إليك ما فيه الكفاية، ونبّهت فكرك وفكر رفاقك إلى قضية المشروع العظيم لري العراق الذي كان ينبغي أن تكون لكم منه فائدة، ولو بمقابلة أشغال تقومون بها فيه. حرّرت مآل مكتوبك إلى ثلاث محلات في ألمانيا وأنا منتظر الجواب حتى أفيدك إياه.

ورد لي من ألمانيا مكتوب ينبىء بمشروع عظيم يحصل منه ولا شك انقلاب كبير في العالم، وذلك أن الألمان اخترعوا ماكنة يشاهد بها كل ما تحت الأرض كما لو كان فوق الأرض، وهذه الماكنة تصلح لتحقيق المعادن والمياه وزيوت البترول وكل ما يلزم أو يفيد الاطّلاع عليه مما تحجبه طبقات الأرض، فكأن هذه الآلة مفتاح مخبآت الثروة.

وشروط استعمال هذه الآلة هي ما يأتي: أولاً: لا تباع أبداً. ثانياً: توجد مع مهندس خاص بها، فالمستأجر يدفع عن كل شهر ٢٠ ألف مارك ذهب (أي ألف جنيه). ثالثاً: المستأجر عليه عدا الأجرة أن يدفع في أحد البنوك ٣٠ ألف مارك تأمينات، بحيث إدا فقدت الآلة أو غُصبت تأخذ الشركة التي تخصّها هذه الماكنة هذا المبلغ تضميناً. رابعاً: لا ترسل هذه الآلة إلا لفحص الأراضي التي يكون تقدم تقارير من مهندسين معدنيين بأنها مظنة معادن، حتى لا تذهب التحريات والأوقات بدون فائدة، فمتى كان قد تقرر كون الأرض أرض معادن أو زيوت، يصير المهندس الذي يدير هذه الآلة هو الذي يعيّن النفط للحفر. خامساً: إن ظهرت زيوت ومعادن في محل، فالشركة المذكورة حاضرة لأخذ امتياز استثمارها.

والحاصل أن المشروع عظيم وهو اختراع غير سابق النظير، ويمكن أن تستفيد منه العراق في المعادن والأنفاط والزيوت، ويمكن أن يستفيد منه الحجاز وشرقي الأردن وفلسطين واليمن،

فحيّهلاً بالسعي يا أيها الأخ إن كنت ممن يسعى لفائدة عربية عامة مقرونة بفائدة خاصة. ويمكنكم أن تسعوا في استعمال هذه الآلة بمصر أيضاً، على أن الرأي عندي أن تخاطبوا بشأنها حكومة العراق لأنني أنا لا صلة لي معها، وأنتم لا تعدمون هناك صلة، والعراق لا يخلو من مهندسين يعرفون الأماكن التي فيها معادن أو يظنون أن فيها معادن.

حررت لأخي عادل بهذه المدة مرتين، ونحن جميعاً بخير ولله الحمد، وأطال الله بقاءكم.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

مرسين - تركيا

وداع الجنرال فيغان

رسالة بعث بها الأمير إلى أحد أصدقائه من رجال البرلمان الفرنسوي (لم يذكر اسمه)، وكان إرسال هذا الكتاب بمناسبة الحفلات التي أُقيمت في بيروت لوداع الجنرال فيغان عند مغادرته أرض سوريا. وقد نشرت هذه الرسالة جريدة «الشورى» بتاريخ ١٤ يناير (حزيران) سنة ١٩٢٥ م.

صديقي العزيز والنائب النبيل

إن جرائد الاستعمار الفرنساوي تفيض شرحاً ووصفاً لأبهة الوداع الذي جرى للجنرال فيغان عند مفارقته سوريا، محاولة الوصول إلى نتيجة كون الأهالي راضين بحالتهم الحاضرة.

فأنا ليس عندي أدنى انتقاد أوجّهه إلى الجنرال فيغان الذي كان ينفّذ سياسة دولته، وربما كان ينفّذها بصورة أمهر من الصورة التي نفّذها الجنرال غورو.

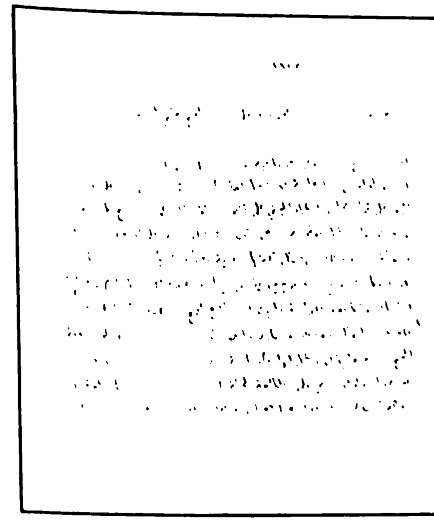
ولكنني أقول ليعفنا هؤلاء الناس من ذكر الاحتفالات والوداعات والاستقبالات، فإنه مهما كان عمل من هذا النوع للجنرال فيغان، فلا يبلغ ما عمل لجمال باشا الذي يلقّب الآن «بجمال السفّاح». وأين الاحتفالات التي صنعت للجنرال فيغان من الاحتفالات التي صنعت لأنور عند زيارته الأولى لسوريا.

ففيغان وغورو وفيصل وجمال وأنور، وهكذا رجوعاً إلى الوراء حتى نصل إلى مدحت باشا أبي الدستور العثماني، عُمِلت لكل منهم هذه المظاهر الفخمة، ولن يبلغ فيغان في هذا الأمر درجة أولياء الأمور الأتراك الذين يقال عنهم «برابرة» اليوم.

وأخشى أن يظن في فرنسا أن هذه المراسم المعتادة لممثّلي كل دولة حاكمة في سوريا، تدل على كون الأهالي راضين بحالتهم الحاضرة.

والحقيقة أن البلاد لا ترضى ولن ترضى حتى تحصل على حرّيتها واستقلالها، وبدون ذلك لا ترجى منها صداقة لفرنسا. هذه هي الحقيقة. وتقبّلوا يا صديقي العزيز تحياتي.

شكيب أرسلان



دخول مجلة المجمع إلى تركيا

كان رئيس المجمع العلمي محمد كرد علي، كتب إلى الأمير يتوسّطه بالسماح لمجلة المجمع العلمي بالدخول إلى تركيًا. فأجابه الأمير بهذه الرسالة من مرسين المؤرخة في ١٦ حزيران ١٩٢٥ م. وفيها إيضاح لواقع القانون التركي[١].

مرسين ١٦ حزيران ١٩٢٥

سعادة الأستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي المحترم

أخذت كتابكم الكريم وفهمت ما فيه، وبادرت إلى سؤال مدير البريد عن كيفية إعادة المجلة مع أنها علمية لا شغل لها في السياسة، فأطلعني المدير على الأمر الصادر المبني على قرار مجلس النظّار، المبني على قانون «تقرير السكون» بمنع كل المجلات والجرائد والرسائل الموقوتة، التي تصدر في البلدان التي على الحدود ـ أي سوريا والعراق ـ وذلك لاحتمال تضمّنها دعاية مضرّة بتركيا. هذا نص الأمر فليس في الإمكان أن مدير بريد مرسين يفسّر شيئاً من عنده، لأن الأمر عام ليس فيه استثناء. وإنما بعد المذاكرة رأيت أن يراجع المجمع شهبندر تركيا في بيروت فهو خبير بأحوال سوريا، ويمكنه إذا هو أراد أن يكتب إلى أنقرة بكون مجلة المجمع أدبية علمية لا مدخل لها بالسياسة. هذا إذا كان أراد. ولا أجد باباً غير هذا، ولولا حرصي على مطالعة المجلة لما مشيت في هذه السبيل خطوة، لأن الحالة تستدعي مزيد الحذر. وأرجو أن تودعوا الأعداد الخاصة بي من المجلة عند الأخ الأستاذ المغربي، حتى يبعث بها إليّ في الآتي، عندما يصح لي التحول من هنا إما إلى أوروبا أو إلى مصر. وأطال الله بقاءك سيدي الأخ.

أخــوك

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات المجمع العلمي العربي بدمشق.

تعقيب على رسالة في السياسة العربية

وكتب الأمير شكيب إلى السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» تعقيباً على رسالة سابقة كان قد بعث بها إليه حول قضايا وأمور سياسية. ونشرت هذه الرسالة في «المنار» الجزء الثالث، ٢١ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٥ م، الموافق ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٤ هـ.

حضرة الأستاذ الثقة الحجة مفخر العالم الإسلامي السيد رشيد رضا نفع الله به

سنة ١٩١٨ أي السنة الأخيرة من سني الحرب الكبرى، بلغني إذ أنا في الأستانة أن الأمير علياً ابن الملك الحسين بن علي أغار على أطراف حوران وجبل الدروز، واستجاش أهالي تلك الديار للقيام على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسيني العربي، الذي كان يعمل يداً واحدة مع الجيش البريطاني في جنوبي سوريا. وبلغني أيضاً أن الزعماء الذين استفزّهم لثورة أجابوه يومئذٍ بأنهم يأبون أن يقبلوا دعوة لم تكن لتفيد غير الأجنبي الطامح إلى الديار، والطامع في القضاء على ما بقي من ملك الإسلام. وأنذروه بالحرب إن لم يعد من حيث أتى، فحرّرت كتاباً مفتوحاً إلى الأمير علي بن الحسين أحذّره فيه عاقبة هذه الغارات، وأنهاه عن التضريب بين العرب خدمة لمصلحة العدو، وأقول له: أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنكلترا على جزيرة العرب، وفرنسا على سوريا، واليهود على فلسطين، وما أشبه ذلك مما ورد في مناركم في الجزء التاسع من المجلّد الخامس والعشرين.

إلا أنه بلغني فيما بعد أن الشريف الحجازي الذي ظهر يومئذٍ على ماء الأزرق جنوبي جبل الدروز على مسافة يومين منه، لم يكن الشريف علياً بن الحسين بل شريفاً آخر اسمه علي من قوّاد الجيش الحجازي، وقد تبجّحت بذلك «القبلة» في أحد أعدادها الصادرة سنة ١٩١٣، في عرض مقالة ردّت فيها على كتابي المذكور بعد نشره بخمس سنوات، بمناسبة ظهوره في مجموعة أخبار ووثائق عن الحرب لأديب مسيحي سوري. وقد جعلت «القبلة» المنحرفة في الواقع عن القبلة الحجة القاطعة (!!) على عدم صحة ما كتبته في هذا الكتاب المفتوح من أوله إلى آخره، كون الأمير علي بن الحسين لم يذهب إلى الأزرق.

مع أن ذهاب علي بن الحسين أو علي آخر إلى الأزرق لا يقدّم ولا يؤخّر شيئاً في جوهر

الموضوع. فالموضوع هو نهي هؤلاء الجماعة الثائرين يومئذٍ على الدولة، عن التهوّر في مناصرة دولة أجنبية كانوا يخدمونها ببذل دماء العرب، ليصلوا فيما بعد إلى غاية ليس منها شيء للعرب، كما حققت ذلك الحوادث ويا للأسف من بعد الحرب. وعلى فرض أن الأمير علياً بن الحسين لم يكن ذهب إلى الأزرق، فقد ذهب أخ له من الأشراف إلى الأزرق وكلهم كانوا في الثورة، سواء الذي ذهب إلى الأزرق أو الذي لم يذهب.

على أنني أنا كنت بعثت بالكتاب المفتوح المذكور إلى جريدة «الشرق» التي كانت تُطبع بالشام، وصادف أنني يوم ظهوره في تلك الجريدة كنت في برلين، فلم أطّلع على العدد الذي فيه هذا الخطاب من جريدة «الشرق»، ويظهر أنه قد سقطت فيه أغلاط كثيرة في الطبع، لا بل جرى تقديم وتأخير في بعض الجمل وأهملت جمل برمتها، فجاء المجاور لها قلقاً غير مستوٍ على وضين الأصل، ولم أشعر بذلك في وقته لأنني لم أطّلع على «الشرق» إذ أنا في الغرب. ومضت الأيام والأعوام إلى السنة الماضية ١٩٢٤، فإذا بجريدة أبابيل البيروتية قامت تنشر هذا المكتوب إما نقلاً عن جريدة «الشرق» أو عن مجموعة الأديب المار ذكره، لست أعلم عن أي مصدر أخذته، وقصار ما أعلم أنني أول ما رأيته مطبوعاً في جريدة أبابيل البيروتية أيضاً، والآن أراه في المنار منقولاً عن جريدة «الوطن» الصادرة في البرازيل. والذي أريد أن أنبّه عليه هو:

أولاً: أن المكتوب كان موجّهاً لا إلى الملك حسين رأساً، بل إلى والده علي.

ثانياً: أنه يوجد في المكتوب إشارة لا إلى إنكلترا فقط، بل إلى فرنسا أيضاً. فالجرائد البيروتية التي نقلته حذفت ما تعلّق بفرنسا ونشرت ما يمسّ إنكلترا خوفاً من قلم المراقبة. . . .

ثالثاً: يوجد في المكتوب أغلاط كثيرة مطبعية وكلمات محرّفة، مثل «وبنوة النبوة» جعلوها «بنور النبوة»، وكلمات مثل «أو ذماماً يحفظونه لك أو لسواك إذا قضت سياستهم غير ذلك» فأطاحوا جملة «غير ذلك»، ومثل «فيما لو قضت عليهم سياستهم عن سلب إمارتك» وأصلها «بسلب إمارتك» كما لا يخفى، ومثل «وما أخالك تجهل التاريخ وتكابر في التواتر بمن شأنهم في الإخلال بالعهود والمواثيق، إلى الحد الذي تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلّى في جميع معلاملاتهم، سواء مع المسلمين أو مع سائر الأمم» وأصلها «التواتر عمن شأنهم الإخلال بالعهود والمواثيق، إلى الحد الذي لا تقدر أن تنكر فيه هذه الحقيقة التي تتجلّى» الخ، ومثل «لا جرم أنك تقدر أن تدّعي بوجود بعض عشائر من العرب، توفّر القوة التي تكفل دفع إنكلترا بجيوشها الجرّارة عن مكة والمدينة، ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح إلى هذه الدعوة» وهي جملة لا يخرج لها معنى وأصلها «لا جرم أنك تقدر أن تدّعي وجود بعض عشائر من العرب، توفّر لك القوة التي تكفل بها

دفع إنكلترا بجيوشها الجرّارة عن مكة والمدينة، ولا أحد من عقلاء الخلق يرتاح إلى قبول هذه الدعوة»، ومثل «ولا سيما على الحجاز منذ أحقاب» وأصلها «ولا سيما على الحجاز الذي هو نصب عينها منذ أحقاب»، وأما جملة «وإذا كانوا لم يعترضوك إلى اليوم في داخل إمارة مكة أو في الحجاز، فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن، ولا حاولوا إدخال عسكرهم إلى البلد الحرام، ولا وضعوا ضباطهم على أبواب حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام تفادياً من العجلة» الخ فإن عبارة «فيمكنك أن تريح فكرك منها منذ الآن» كانت فيما أتذكّر موضوعة بين خطّين هكذا ـ فيمكنك منذ الآن أن تريح فكرك منها ـ وهي جملة معترضة والجملة الشرطية من عند قولي: «وإذا كانوا لم يعترضوك إلى اليوم» إلى قولي: «ولا وضعوا ضباطهم» الخ جوابها، أفليس عندك أنت بمكانك من الذكاء والفضل ومطالعة التواريخ الخ، وأما جملة «فما يؤثر على الأمة الإسلامية أو يفيدها» فهي من سبق القلم والمراد أن أقول: «فما يؤثر في الأمة العربية أو الإسلامية» بمعنى ما يؤثر بين الأمة أو في وسط الأمة. والخلاصة لم أجد فيما نقل عني كتاباً تعاورته الأيدي بالحذف والطرح والتقديم والتأخير، فضلاً عما أسقطه مرتِّبو الحروف مثل هذا الكتاب، فأرجو نشر هذا التصحيح ولكم الفضل.

شكيب أرسلان

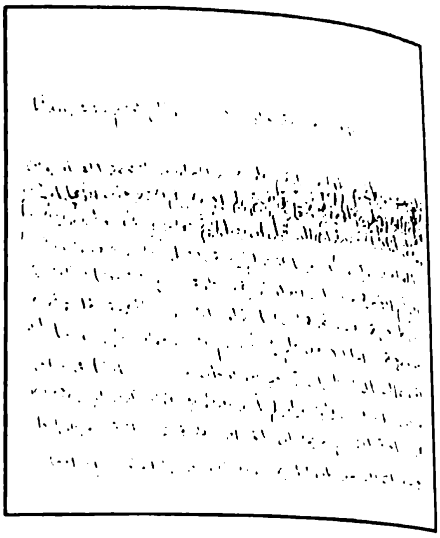
وفاة سليمان البستاني

بعث الأمير بكتاب تعزية إلى آل البستاني بوفاة العالِم الكبير سليمان أفندي البستاني (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥) مترجم إلياذة هوميروس، وأحد أعضاء مجلس الأعيان، ووزير الزراعة والتجارة في (الأستانة). وقد نشرتها مجلة «سركيس» في العدد ٧، تموز، ١٩٢٥.

«الشرق كله لا جبل لبنان بمفرده ولا آل البستاني وحدهم، قمين بأن يجلس للعزاء بمصاب فقيده أستاذ الأساتذة الفاضل الكامل الشهم الحلاحل علّامة العلماء والبحر الذي لا ينتهي، ولكل بحر ساحل، الطيب الذكر سليمان أفندي البستاني أحد أعضاء مجلس الأعيان وناظر الزراعة والتجارة في الدولة العثمانية سابقاً، الذي جاء نعيه، ويا للأسف، من أميركا حيث كان ذهب في العام الماضي بدعوة من الجالية العربية، التي أرادت أن تستضيء بنور مداركه وتستفيض من بحر معارفه. فعلى أبناء الوطن الأعزّاء إذا أرادوا أن يقوموا بحق هذا الرجل الذي هو إحدى مفاخر الشرق الكبرى، أن لا يقتصروا على التأبين والرثاء والنظم والنثر، بل إن كان أحد حقيقاً بأن يقام له تمثال وأن تسمّى باسمه الأحياء وتضاف إليه الجواد، فيكون العلّامة المشار إليه أكرم الله مثواه وأحسن عزاء السوريين وسائر الشرقيين على رزئه الجليل، وهيهات أن يأتي الزمان بمثله، إن الزمان بمثله لبخيل.

شكيب أرسلان

مرسين



عرض للسياسة المحليّة

رسالة كتبها من مرسين، بتاريخ ٢٤ تموز، سنة ١٩٢٥م، إلى صديقه الشيخ وهبة طليع (١٨٧٤ ـ ١٩٦١) وهي تدلُّ على سياسته وغرضه، ولين كلامه وصداقاته، وأخباره وعنعناته، وفيها يخاطب صديقه طليع بـ«زين الأخوان وبهجة الخلاَّن».

مرسين ٢٤ تموز ١٩٢٥

حضرة زين الأخوان وبهجة الخلاّن وهبة أفندي طليع المحترم حفظه الله تعالى

أخذت مكاتيبكم كلها وشكرتكم على هذه المعلومات الصحيحة الصادرة من فؤاد رجل مخلص حُرّ وصديق حميم، ولم أجاوب في وقته لأن الانتخابات كانت على لياليها ويجوز أن تلد قبل أن يصل إليكم جوابي، وقد ولدت وقامت بالعافية والحمد لله، وما كنت أبغيه حصل. ولكن تخبَّطت الأمور بهذه الأيام الأخيرة وحصلت انقلابات غير منتظرة، ومع كثرة تضارب الأمواج من كل جهة بقيت صخرة ابن عمنا فؤاد ثابتة وسط المعمعة، فلذَّة فوزه مزدوجة. أما الآخرون فلم يكن نصيبهم نصيب فؤاد، فإن صديقنا إسكندر أفندي البستاني اضطر أن ينسحب من الانتخاب وبعث يستأذننا في ذلك، ونحن كنا نريد أن يثبت ولو لم يأخذ الأكثرية لأنه يكون أثبت وجوده في ساحة الترشيح، ويجوز أن يأخذ الأكثرية في نوبة ثانية. ولكن انتخاب نجيب بك السعد كان لنا به سرور أكيد، لأنني أنا ونجيب بك أصحاب من ثلاث وثلاثين سنة، طرأ في لبنان تغيـيرات كثيرة ـ وبلادنا ما شاء الله سريعة التغيـير ـ وصحبتي مع نجيب بك السعد لم تنقص ذرّة، كما أن صداقتي مع حبيب باشا برغم جميع الانقلابات لم يزعزعها شيء ولن يزعزعها شيء، وقد أوصيت ابن عمنا فؤاد بأن يعود بعد الانتخاب إلى الصفاء الماضي مع حبيب باشا، لأنه يُشرى ولا يباع كما يقال، وأرسلت إلى حبيب باشا بالواسطة أرجوه مثل ذلك وأجابني بما أنتظره منه وما أعرفه من حسن خُلقه ورجاحة عقله. وبالجملة فأنا مسرور جداً من انتخاب نجيب بك. أما عدم نجاح أوغست باشا في الانتخاب فكنت أحب أن تخبروني عن كيفية الفوز والفضل، وكم صوتاً أخذ أوغست

أديب، وكم صوتاً أخذ نجيب السعد، وكم صوتاً أخذ عقل؟ ثم تخبروني من هم الذين أعطوا أصواتهم لابن عمنا فؤاد، ومن هم الذين لم يعطوا، وكذلك من هم الذين أعطوا أصواتهم لسعيد بك جنبلاط، ومن هم الذين أعطوا لأمين تقي الدين، ومن الذين أعطوا لجميل بك تلحوق، وكم صوتاً أخذ فريد بك العماد، ثم هل بقي قرابتكم أمين بك طليع مرشحاً نفسه. وقولوا للأخ أمين بك: سبب عدم توفيقه أنه اشترى مزرعة البقَيعة، ومن المعلوم أن المزارع جاه مثلما كان يقول المرحوم الشيخ أبو حسين قايدبيه، فهذا سبب عدم صفو خاطر السادات... ولولا ذلك لكان هو الأولى. ثم أخبروني لماذا انقلبت سعادة الست نظيرة على فؤادنا وهل الحق عليه أم عليها أم الظروف هكذا قضت، ثم ما هو السبب في طلوع ابن عمنا أمين إلى الشوف ومعه علي بك جنبلاط، ومن كانوا يريدون أن يساعدوا ومن كانوا يريدون أن يعاكسوا، ثم لماذا الست المشار إليها أغرت الحكومة بأن تشير إليهم بالخروج من الشوف وخرجوا مغاضبين، فهذه الأمور كلها أحب الجواب عنها بنداً بنداً كما هو الواقع، ولا أحد يقول لي بالصراحة مثلك.

سيادة المطران غسطين البستاني من أرقّ الذوات وأذكاهم وأشرفهم مبادىء، عرفته وهو بعدُ قسيس واعتقدت بأنه يكون له مستقبل، ووالده وأخوه من أصحابنا، كما أن لنا ميلاً خاصّاً لبني البستاني جميعاً، سواء الذين في الدير أو الذين في إقليم الخروب، هذا شيء قديم وهم يحبوننا كثيراً ويفرحون لفرحنا ويكدّرهم ما يكدّرنا، ونادر جداً في العالم عائلة يكون منها مُنجبون بعدد ما يكون من آل البستاني مع نسبة العدد، ذلك إذا أخذت منهم مائة شخص وجدت من المائة ثلاثين وأربعين أدباء وعلماء وفضلاء، حال كونك لو أخذت من غيرهم لا تجد شيئاً من هذه النسبة. ومنذ تبوّأ المطران غسطين كرسي الأسقفية تترامى إليَّ أخبار مساعيه الحسان بين النصارى والدروز، واجتهاده في اغتنام كل فرصة لمساعدة الدروز واستجلاب قلوبهم، إزالةً لما كان يطرأ من الجفاء بين الطائفتين وهو الجفاء الذي كاد يتفاقم لولا سياسة العقلاء من الفريقين، وفي مقدمة الجميع سيادة المطران غسطين البستاني. نعم إن أصل تلك الوحشة كان من جماعة أشقياء، وليس من عاقل يحمد عملهم أو يوافق عليه، ولكن الدم متى انفجر يكسر به العاقل والجاهل، ومع هذا فالمطران المشار إليه لم يكسر بشيء من هذه الحوادث، بل تغلَّب عقله وصفاء وجدانه على كل المؤثرات وبقي رسولاً حقيقياً للسلام في هذا الوطن العزيز. وأنا وإن كنت بعيداً عن الوطن فكنت أعلم كل ما يحدث فيه وأعرف المصلح وغير المصلح، وذلك لأن الناس كانت تكتب لي، ونظراً لخبرتي بأحوال الوطن إذا جاءني القليل فهمت منه الكثير، فكنت أرعى حركة المطران وأقول هذا هو الرئيس الروحي الذي ينبغي أن يوجد في مثل تلك الأوقات الصعبة، ونحمد الله على أن مياه الصفاء بين الطائفتين رجعت إلى مجاريها بحسن مساعي سيادته ومساعي العقلاء. وإني أنا غائباً كنت أو

حاضراً ليس لي وصية عند أبناء وطني سوى الاتحاد والتحابّ، لأن الطوائف المتنوّعة في الوطن الواحد ينبغي أن تكون بعضها لبعض ركناً، وكل واحد من هذه الفئة أو من تلك يسدي معروفاً إلى أبناء الفئة الأخرى يجب أن يعلم أنه يخدم جماعته بذلك قبل الجماعة الذين أسدى إليهم المعروف.

وفي أثناء الحرب الكبرى معروف أنني كنت أعِظ الجميع بالوئام والانضمام ولا سيما الدروز الذين كانوا يسمعون مني، أولاً لاعتقادهم بإخلاصي لهم، وثانياً لنفوذي يومئذٍ عند الدولة، فكنت اقول لهم: من كان منكم له صديق مسيحي يزوره في الشهر مرة، صار يلزم في هذه الظروف أن يشاهده في الجمعة مرة، وكل إنسانية تقدرون عليها نحو أبناء وطنكم النصارى فهذا هو وقتها، لأن الاتحاد على كل الأحوال هو العمار وهو الراحة، ولأن القبيح يقابل بمثله وأنتم لا تعرفون المستقبل، فالأحسن أن يأتي المستقبل وصحيفتكم بيضاء عند هؤلاء الجماعة، ولا يقدرون أن يمسكوا عليكم واحدة. وكما أني كنت أعِظ الدروز بمثل هذا الكلام وأنتم من جملة من عرف ذلك مني، كنت بذلت نفوذي مع أنور وطلعت في الأستانة ومع جمال، قبل أن اختلفت معه، في إقناعهم بكون السكينة في لبنان أنفع للدولة، وأنها بالسكينة توفّر على نفسها عساكر هي محتاجة إلى سوقهم إلى ميادين الحرب، فكان كلامي مقنعاً، ولي كتابات تلغرافية إذا كانت أوراق التلغراف في بيروت محفوظة فهي تشهد لي بما أقول. كما أني كتبت تحت خطي وإمضائي تعهّداً بأني أكفل نصارى جبل لبنان كلهم بأنهم لا يبدو منهم أقل حركة، وهذا التعهّد طلبته مني الدولة، ولم يعرف به في ذلك الوقت سوى المرحوم المطران حجار صديقي، وحلَّفته يميناً بالقربان بأن لا يقول ذلك لأحد، لأن إفشاء هذا السر فيه خطر على حياتي بحسب قانون العسكرية، وشاهد هذا الكلام ليس الافتخار بخدماتي التي لا منّة لي بها، ولكن كلمة قالها الشيخ المحنّك العاقل جرجس أفندي صفا، وهم أنهم كانوا يذكرون أمامه على ما سمعت أن الأمير شكيب أرسلان بذل كل جهوده حتى لا يقع شيء في الوطن، وحتى يكون النصارى راضين منه، فقال: «وهو بهذا خدم طائفته قبل النصارى». فهذا ما أريد أن أقوله، وهو أن كل ذي كلمة نافذة من الطائفة يستعملها في خير الطائفة الثانية، يجب أن يعلم أنه خدم بذلك قومه. وإنه مما يسرّ خاطري كثيراً أن أسمع أن وجوه الدروز يتردّدون إلى دير القمر، وأهل الدير يتردّدون إلى قرى الدروز كالعادة.

ومعلوم أني أنا معاكس على خط مستقيم مبدأ الانتداب، لا أتفق مع الحكومة المحتلة ـ مع عجزي وضعفي ـ على طرز الحكم الحاضر. وأطالب بحكومة وطنية ذات شخصية معروفة عند الدول، حكومة لسوريا وحكومة للبنان، كل منهما ممثّلة في جمعية الأمم، هذا مع اتفاق مع فرنسا على نقاط معيّنة مبيّنة، فيها مصلحة لنا ولها، وتضامن بيننا وبينها على حفظ سوريا ولبنان.

هذا هو خلاصة بروغرامي. وما دام هذا البروغرام غير منفَّذ ـ وسيأتي يوم يضطرون إلى قبوله ـ فأنا مخالف للجماعة المحتلّين، إلا أني لا أتفق معهم وأشكرهم، وأكون يداً واحدة معهم في نقطة واحدة، وهي: تأييد الأمن الداخلي في الجبل، وتوطيد الوئام بين الطوائف الساكنة فيه.

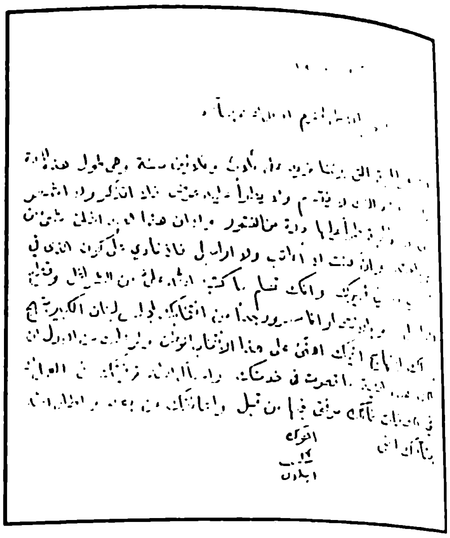
هذا وإن تشرفتم بالكرسي في بيت الدين اسألوا لي خاطر سيادة المطران الجزيل الاحترام، وإن زرتم دير القمر قبّلوا لي عوارض الأخ عبد اللّه أفندي افرام، والأخ نمر أفندي شمعون الذي كنت قديماً مغتاظاً منه، ولكني نسيت ذلك وعادت إلى قلبي محبته القديمة المتينة، ولولا أنها كانت محبة أكيدة ما كنت عتبت عليه.

ثم اهدوا سلامي وأشواقي إلى جناب الوجيه سلمان أفندي شمعون.

وإن كان الأستاذ العلاّمة جرجس أفندي صفا في الدير فاسألوا لي خاطره واهدوه مزيد أشواقي، لأنه صديق قديم ورجل كبير بعلمه وعقله ويسرني جداً أن أطمئن دائماً عن صحته. هذا واسألوا لنا خاطر سيادة شيخنا الشيخ حسين والتمسوا لنا دعاءه، وقبّلوا عوارض الأخ أمين بك طليع، واهدوا وافر التحيات إلى حضرات الأجلاّء المشايخ أبي قاسم أبي شقرا، ومحمود أفندي نجم (أبي شقرا) ، ومحمود أفندي رافع، ومحفوظ أفندي حمية، وإلى أنس المجالس الشيخ أبي علي بشير الفطايري ودمتم.

وسلامي وأشواقي إلى حضرة أخيكم محمد أفندي طليع.

شكيب أرسلان



تهنئة على النيابة

رسالة من الأمير شكيب إلى نجيب بك السعد، على أثر انتخابه نائباً عن جبل لبنان، وهي مؤرخة في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٥ م[١].

مرسين ٢٤ تموز ١٩٢٥

أخي الحبيب النجيب الأمثل المحترم أطال الله بقاءه

إن عمر المحبة التي بيننا يزيد على ثلاث وثلاثين سنة، وهي طول هذه المدة كالجوهر الفريد الذي لا ينقسم ولا يطرأ عليه عرض، فلا أتذكّر ولا أشعر أن هذه المحبة طرأ عليها ذرّة من الفتور، ولا أن هذا العهد أخلق شيء من ديباجته. وإن كنت لا أكاتب ولا أراسل فلاعتمادي على كون الذي في ضميري هو في ضميرك، وأنك تعمل ما كتبه الله عليَّ من الشواغل وقطع المراحل. وبالاختصار أنا مسرور جداً من انتخابك لمجلس لبنان الكبير، مبتهج بذلك ابتهاج أخيك، أهنّىء على هذا الانتخاب الوطن، ولو علمت من الأول أن لك هذه النية ما قصّرت في خدمتك. وأسأل الله توفيقك في العمل لا في الصفات، فإنك موفّق فيها من قبل، وأعانقك عن بعد، وأطال الله بقاءك أخي.

أخــوك

شكيب أرسلان

---

(١) من محفوظات النائب السابق الأستاذ فؤاد السعد.

رأي الأمير بالنشاشيبي

بعث الأمير شكيب رسالة إلى مجلة «الزهراء» في القاهرة، إلى صديقه محبّ الدين الخطيب، عبّر فيها عن إعجابه بخطبة الأستاذ النشاشيبي وحرصه على اللُّغة العربية، فنشرها الخطيب في الجزء التاسع، رمضان، سنة ١٣٤٤ هـ، آذار ١٩٢٥ م.

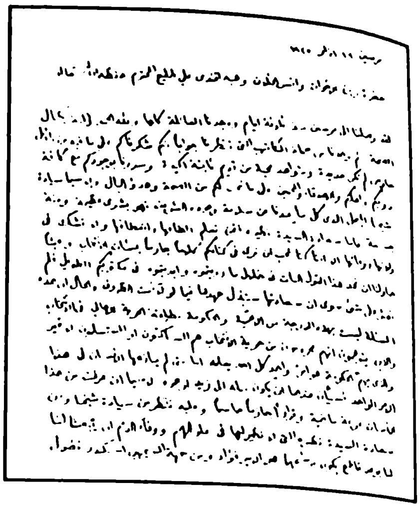
قرأت هذه الخطبة أولاً في الجرائد، وفُتِنت بها، وأُعجبت بما حوته من جزالة لفظ وبلاغة معنى وسداد حجة، ثم أُهديتْ إليَّ في كتاب نفيس الطبع أسيل الورق بهج المنظر، لم أرَ أليق منه قالباً لتلك الروح العالية، ولا أبدع صدَفة لهاتيك الدرة الغالية. وقد طرزت تلك الخطبة من دقائق لغة العرب بأحسن من وشي العجم. وإني وإن كنت سأبدي وأعيد مع أخي الأستاذ في بعض المواضيع التي تضمَّنها كتابه متى انتدح عندي الوقت، فمنذ الآن أقول إنه كتاب مع وجازته قد زخر عبابه، ومع قلّة قراطيسه قد قرطس نَشَّابه...

ولتهنأ العربية بهذا النصير قليل النظير، والعاشق الساهر الليالي في رعى نجوم التحقيق والتنقير. ومع أني هجرت الشعر فلم أملك نفسي إن قلت:

قد قالت اللغة الفصحى بغربتها   قد أحسن الله إسعافي بإسعافي
هو المجيب لمن قد بات ينشده   انصر أخاك لدى ظلم وأُسْ عافي

شكيب أرسلان

لوزان ٢١ مارس



مسائل سياسية

رسالة كتبها الأمير إلى الشيخ وهبه طليع، من مرسين بتركيا، في ١٩ آذار ١٩٢٥ م، يذكر فيها بعض المسائل السياسية، وقصة الانتخابات النيابية ورأي الأمير فيها.

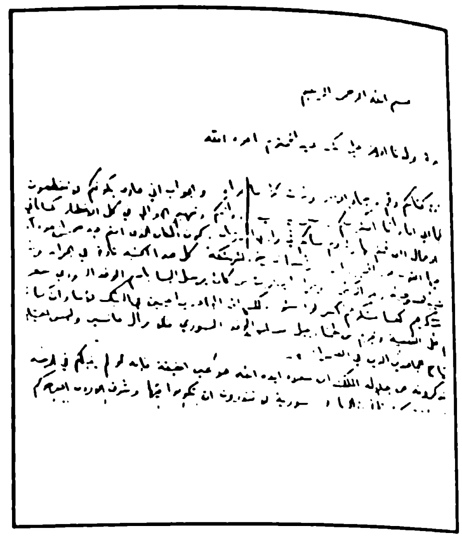
مرسين ١٩ آذار ١٩٢٥

حضرة زين الأخوان وأنس الخلاّن وهبه أفندي علي طليع المحترم حفظه الله تعالى

لقد وصلنا إلى مرسين منذ ثلاثة أيام، ووجدنا العائلة كلها ولله الحمد والمنة بكمال الصحة، ثم وجدنا من جملة المكاتيب التي تنتظرنا جواباً منكم، شكرناكم على ما فيه من دلائل خلوص لم تكن جديدة، وشواهد محبة من قديم ثابتة أكيدة، وسررنا بوجودكم مع كافة ذويكم وأهلكم والأصدقاء والمحبّين على ما نحبّ لكم من الصحة وهدوء البال، ولا سيما سيادة شيخنا المبجّل الذي كل نبأ عندنا عن سلامة وجوده الشريف فهو بشرى عظيمة ومنّة جسيمة. فأما سعادة السيدة نظيرة فنحن نعلم ألطافها وانعطافها، ولا نشك في ولائها ووفائها، إلا أننا كنا نحب أن نرى في كتابكم كلاماً جازماً بشأن الانتخاب، وعبثاً حاولنا أن نجد هذا القول الباتّ من خلال ما رويتموه وأبديتموه في مكتوبكم الطويل، فلم نعثر على شيء سوى أن سعادتها ستبذل جهدها فيما لو لاءمت الظروف، والحال أن هذه المسألة ليست بهذه الدرجة من الأهميّة، والحكومة مطلِقة الحرية للأهالي في الانتخاب، والذين يتوهّمون أنهم محرومون من حرية الانتخاب هم الساكتون أو المستسلمون لا غير، والذي يهمّ الحكومة هو أمرٌ واحد كل أحد يعلمه، أما متى لم ينازعها الإنسان في هذا الأمر الواحد، فسيّان عندها أن يكون ميله إلى زيد أو عمرو، لا سيما إن عرفت من هذا الإنسان عزيمة ماضية وقراراً جازماً حاسماً. وعليه ننتظر من سيادة شيخنا ومن سعادة السيدة نظيرة، التي لا نظير لها في علو الهمم ووفاء الذمم، أن يبعثا لنا بوعد قاطع بكون مرشحهما هو الأمير فؤاد، ومن جهة المسيحيين إسكندر فضّول البستاني، ولسنا نطالب بأن يعلن ذلك منذ الآن على الملأ، كلاّ، إن السياسة غير منكرة وإن المصانعة قد تكون لازمة أحياناً، لكن نأمل أن يكون هذا هو القرار الأخير

والسرّ الذي تنطوي عليه الطويّة. وأما كون حبيب باشا صاحبنا يلتزم ترشيح ابن عقل، فحبيب باشا ليس بالحكومة ولا يؤثّر على الحكومة، والخطب يسير لا ينبغي أن تهتمّ له الست. وأما رشيد نخلة فلم يخطر ببالي ترشيحه، وقد خطّأت ابن عمي أمين بمساعدته مع علمه بنفور الدروز الشديد منه، ولعل الحامل الأمين على ذلك هو صفاء قلبه، مع تزلّف رشيد إليه وتظاهره بالاستمساك بيتهم، ولكن كان ينبغي لابن العم أن يعلم كون ما وقع من مدة غير بعيدة لم يئن أن يُنسى، وأن مساعدته لرشيد نخلة يكون نصيبها الفشل كما حصل. والخلاصة أنا قد بيّنت أفكاري وهذه القضية، على فرض لم تكن نتيجتها وفق خاطري، فلا تقوم القيامة عندي، وكل أحد يعلم أنني منذ غادرت الوطن نفضت يدي من التدخُّلات المحلّية، إلا أنني هذه المرة عزَّ عليَّ أن يكون للدروز نائب مثل فؤاد، وأن يعدلوا عنه لغيره ممن ليس مثله، وأيضاً إن الدروز ينتخبون واحداً من النصارى مثل وديع عقل ليس بلائق لمنصب كهذه، وأكتفي من نعته بهذا... فهذا الذي آمل النظر فيه وأشهر رأيي فيه. وسلامي إلى الجميع لا سيما أمين بك طليع وأخيكم محمد أفندي ومحمود أفندي نجم والشيخ أبي علي بشير الفطايري ودمتم.

المخلص
شكيب أرسلان



الثورة السورية الكبرى

رسالة من الأمير إلى المجاهد علي عبيد، نشرها سلامة عبيد في كتابه «الثورة السورية الكبرى» بيروت، دار الغد، ١٩٧١. ونعيد نشرها لما احتوت من قضايا تتناول الثورة السورية ورجالاتها، وما كان يدور في الأفلاك من دسائس ومؤامرات على الأمة العربية، التي سعى الأمير طوال حياته لوحدتها وديمومتها، فضلاً عمّا في الرسالة من أمور أخرى ذات صلة بالقضايا الوطنية.

(غير مؤرّخ يرجّح أنه أواخر ١٩٢٩)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرة ولدنا الأعز علي بك عبيد المحترم أعزّه الله

أخذت كتابكم رقم ٥ جمادى الآخر وفهمت كل ما حواه، والجواب إني عارف بكونكم لا تقطعون سؤالاً عني، كما أني أنا دائماً أفكّر فيكم وأسعى في تخفيف أدوائكم، وتفهيم الجوالي في كل الأقطار بكتاباتي المتواصلة أهمية الأعمال التي قمتم بها، ولزوم بقائكم في وادي السرحان، وكون المكان الذي أنتم فيه صحراء جرداء إذا تأخر فيها القوت عن المخيم بها يوماً واحداً تعرّض للتهلكة. كل هذا أكتبه تارة في الجرائد وطوراً في المكاتيب الخصوصية وهو الأكثر. ومراراً جاوبت من كان يرسل إلينا باسم الوفد السوري بعض إعانة أننا نشكركم، لكننا نشكركم أكثر لو أرسلوا ذلك إلى المجاهدين المخيّمين في النبك، لأننا وإن كنا نتّفق كل يوم على القضية ونجرم من لحمنا لأجل نفقات الوفد السوري، فلا نزال عائشين وليس احتياجنا نظير احتياج المجاهدين الذين في الصحراء.

ما تذكرونه عن جلالة الملك ابن سعود أيّده الله هو عين الحقيقة، فإنه لو لم يقبلكم في أرضه فأي أرض يا ترى كنتم تلجأون إليها.. سوريا لا تقدرون أن تكونوا فيها، وشرق الأردن أخرجوكم منه عندما كنتم في الأزرق، وفلسطين كشرق الأردن وأشد منعاً، والعراق لا تقدرون أن تلجأوا إليه، ومصر كذلك، واليمن بعيدة لا تقدرون على الوصول إليها، فالمحل الوحيد الذي يمكنكم أن تكونوا به هو ملك ابن سعود لا غير وليس لكم في ذلك خيار، فإما الالتجاء إليه وإما

التسليم للعدو. . فحضرة سلطان باشا المتّفق مع الأمير عبد اللّه، كان ينبغي أن يعلم أن صديقه الأمير لا يقدر أن يلجئه في إمارته رغم الروابط التي بينهما. ولهذا فليس من اللائق أن يكون إنساناً ملتجئاً إلى ملك ومستظلاً في ظلّه، وهو في الوقت نفسه مرتبط مع أعداء ذلك الملك. . هذا لا يجوز. لست أنتقد عمل الطرشان هذا لأني مغتاظ منهم من جرّاء خصامهم مع أخي عادل، فقد علم الجميع أني كنت في الخصام أشدّ على عادل مني عليهم، ولكني أنتقدهم خجلاً من أن يعلم ابن سعود أنهم يقيمون بأرضه وهم مرتبطون بأعدائه.

فأما خصامهم مع عادل فما تركت واسطة لإزالة الخلاف إلا عملتها، وكتبت إلى سلطان أقول له: إن اختلفت مع عادل فأنا معك على عادل، وإن اختلفت مع غالب[1] فأنا معك على غالب. ومع أن هذا الكلام يلين الصخور الجلاميد فلم يتنازل للجواب. . وأنا لم أكتب إليه بهذه الرقّة إلا لما كان يأتيني من كل صوب، ولا سيما من أميركا من أنه لا يوجد غيري من يصرف هذا الخلاف، فحملت نفسي على هذه الكتابة وخشيت في هذا الخلاف من أمر واحد هو شماتة الأعداء. وهذا ما كان يرمضني ويطيّر رقادي، وأخيراً لمّا رأيت أنه لا يمكن رفع الخلاف مع وجود الطرشان في المراسلات الدائمة مع الشهبندر وأولاد لطف اللّه، أصررت على خروج عادل من النبك وآليت إلا أن يخرج أملاً بأن الخلاف يزول بذهابه من هناك، لأني أعلم أنه ما دام في النبك وحوله جمهور من الدروز، فلن يكون الطرشان راضين مهما فعل، فأنا أعرف الطرشان وآباء هؤلاء. وأرسلت ابن عمي الأمير أميناً بنفسه إلى النبك قائلاً له: لا ترجع إلى القدس إلا بعادل، ولمّا بلغني أن جماعتكم والأخ محمد بك الحلبي تعارضون في مجيء عادل، أرسلت إليكم بمكاتيب أعاتبكم وكل هذا حبًّا بفضّ الخلاف، وحتى لا نضطر إلى مخاصمة سلطان بعد أن ملأنا الآفاق ثناءً عليه. وإن كان الطرشان يعتقدون أني خفت على أخي من بطشهم فيكونون مخطئين، لأننا نحن نخاف من العار ومن الفضيحة وأما من الموت فلا نخاف. وليس أخي بدجاجة يذبحها ابن الأطرش ولا نحن ممن يخشون بطشهم، والدروز لا يخشى بعضهم من بعض، والمرجلة عندهم أقل البضائع قيمة لأنها عمومية فيهم، فكلام زيد أخي سلطان لابن عمنا أمين المتضمّن شيئاً من التهديد بحق عادل. . غلبنا أنفسنا وتركنا كل ملاحظة سوى ملاحظة إزالة الخلاف الذي كنت أخشى منه الفضيحة والشماتة، ولم أكن أخشى منه بطش زيد الأطرش ولا صياح الأطرش. . ولست أزعم أن الطرشان أخطأوا واغترّوا وأن أخي عادل لم يخطىء. كلا، فإن عادل أيضاً لا يملك طبعه، وإنه كثير الانشغال بالقيل والقال، وإنه يصدّق كل ما يسمعه ولا يتروّى في الأمور ولا يعلم أن في الدنيا شيئاً اسمه سياسة. وأنتم أيضاً الذين كنتم معه مخطئون في كونكم لم تقدّروا موقفكم،

---

(1) غالب ابن الأمير شكيب.

ولم تعلموا أن الخصام مع سلطان ليس كالخصام مع شهبندر ولطف اللّه، وأن سلطان لا نقدر أن نطعن فيه لأنه منّا وفينا ولأن تزكيته عند الناس جيدة جداً، ومن قبل رفعنا عليه ألوية الثناء في الخافقين. وكذلك لم تلحظوا أن هذا الخلاف يُدخل القنوط على قلوب الناس ويثبّط هم الجوالي في الإعانات. وهكذا حصل مع الأسف فكان ينبغي أن تطيلوا بالكم وأن تتحمّلوا المضض فراراً من مضض أشد. . .

* * *

اختلاف سلطان وعادل زاد القنوط إلى حد أن حزب سوريا الجديدة كاد يتفكّك، والأرجح أنه سيتفكّك لأن الناس يئسوا من هذه الحال، ولأن اختلاف الأفكاء وميل أناس إلى هذه الجهة وآخرين إلى تلك الجهة، أورث صدعاً لا يراب في وسط الحزب. فمن هذا لا أكتم أن السياسة التي في النبك من الجانبين لم تكن صواباً. وإنما أكثر ما أنقده على سلطان هو ليس اختلافه مع أخي، لأن المنافسة بينهما وهما في محل واحد كان لا بد منها، ولكن انحيازه إلى أولاد لطف اللّه الذين ليست وطنيتهم إلا حكاية وظائف وإمارات ومناصب وخزعبلات مما لم يعد خافياً على أحد، وكذلك انحيازه إلى الشهبندر الذي منذ رحل المجاهدون إلى النبك لم يترك وسيلة لقطع الإعانات عن المجاهدين إلا أجراها، وملأ أميركا مكاتيب بتزهيد الناس في إرسال الإعانات إلى النبك، بحجة أنها توكل ولا توزّع، وبحجة أن الدروز أخذوا حقوق المسلمين في الإعانات، وقد أحدث بهذه الواسطة شقاقاً في أميركا بين المسلمين والدروز، لو لم يتداركه عقلاء الفريقين لكان اتسع كثيراً. وما زال هو الذي يهيج المهاجرين الشوام الذين كانوا بمصر وفلسطين وعمان، قائلاً لهم: إن حزب الاستقلال العربي والحاج أمين الحسيني حصروا الإعانات في الدروز وأكلوا حقوقهم. . الخ. فهاج الشوام والغواطنة وقاموا على الحسيني كما تعلمون. وبالاختصار كل هذه الدسائس التي عملها الشهبندر كانت موجّهة على الدروز، وكل هجماته كانت على الدروز المخيّمين بالنبك الذين سلطان منهم. وكل الخلاف الذي وقع و و. . . الشهبندر وأولاد البكري في الجرائد وقصموا بذلك ظهر الثورة وأضاعوا على سوريا مجهوداتها ودماءها، إنما كان بسبب الإعانات التي زعم الشهبندر والبكريون أن الدروز استأثروا بها، حتى إن سعيد العاص هذا صرّح في الجرائد أن أصل قيام الدروز إنما كان لقبض الدراهم لا لأجل استقلال سوريا، وكلام سعيد العاص كان كلام جميع تلك الفئة، إلا إنهم هم كانوا يقولونه باللسان وهو نشره في الصحف.

فمن أغرب الأمور أن سلطان باشا ينسى كل هذه الأمور، وينسى دسائس الشهبندر وحزبه بحق الدروز الذي هو منهم، ويبعث بكتابة جارحة إلى شكري القوّتلي الذي كان ورفاقه من الشوام

يناضلون عن الدروز، ويقولون إنهم هم أحق بالإعانات من غيرهم، وأنهم هم أول من قاموا بالثورة، وأن الإعانات مع ذلك أكثرها آتية من جوالي الدروز في أميركا.

فهذا القوّتلي وحزب الاستقلال العربي الذين تعصّبوا للدروز ولم يبالوا بكلام الشهبندر وتلك الفئة، أخذ سلطان يعاديهم ويصاحب الفئة التي كانت تدسّ على قومه.. نعم عندما أتأمل في وصول غرض النفس إلى هذا الحد من رجل كنا نجعله ملاكاً من الملائكة، عندما أرى أنه يتّفق مع ابن لطف اللّٰه الذي جعل مسألة سوريا مسخرة في باريس، وساوم عليها هو وأخوته مائة مرّة، وهذا شيء لا يقبل مكابرة، وعندما أتأمل أن الشهبندر أيضاً جاعل نفسه زعيماً وطنياً ومعه قسم من الناس يجعلونه زعيماً وطنياً، وهو لا يعرف غير اللؤم والخبث ودسّ الدسائس والاعتداء على الناس لمجرد الحسد ـ كما اعتدى عليّ ولم يسبق لي معه إلا الجميل ولم يتقدم لي بحقه إلا الثناء ـ وهو الذي لغرض في نفسه شهر الخلاف في الجرائد قبل أن تنتهي مسألة سوريا بيننا وبين فرنسا، فإن عمله عمل أعظم عدو للقضية الوطنية، وعندما أتأمل أن أخي عادل بعد الخدمات التي أدّاها انتهى بالاشتغال بالقيل والقال مع الطرشان ولم يتنبه إلى حرج الموقف الذي نحن فيه، ولا عرف أن الإنسان العاقل يصبر على المرّ اتقاء ما هو أمرّ منه، وعندما أتأمل أشياء كثيرة أضجر وأقنط وأريد أن أسحب نفسي من كل هذه المسألة. أقول مراراً في نفسي ماذا يأتيني من هذه المهمة، مهمة الوفد السوري والقضية السورية.. أما من جهة المادة فقد تأتينا أنا وزملائي إعانات ضئيلة لكنها لا تفي بربع ما نصرفه من جيوبنا، وأما من جهة المعنى فالله مغنيني عنها وأقدر أن أخدم وطني وأنا في بيتي حر مستقل، ثم إنني لا أبغي لا زعامة ولا إمارة ولا شيئاً من كل ذلك، وكل هذا وقد عرض عليّ مكرراً ولم أقبله. وقد دخلت في سنّ الستين فأنا اليوم محتاج إلى الراحة ومعي أمراض كثيرة، إن لم أدارِ صحتي تتغلب عليّ. فأنا في الحقيقة أتمنى الخلاص، لكن الجوالي في أميركا بنوع خاص لا يتركونني ولا يقبلون لي عذراً ومن الوطن كذلك، حتى إني استعفيت مرتين فأقاموا عليّ القيامة، وبعضهم ظن أني ربما أريد أن أتصالح مع فرنسا وأعود إلى الوطن، وهذه الفكرة جعلتني أسحب استعفائي وأعود إلى العمل. مسألة حضور من يمثّل حزب الاستقلال ويمثّلكم في المؤتمر الذي عقده سلطان أنا لم أخالف فيها، لأني أحب ترقيع الأمور ومنع الفضيحة بأي وجه كان، ولو أمكن أن يعود الوئام بينكم وبين سلطان وجماعته وبين عادل وسلطان، وأن ينتهي القيل والقال أكون مسروراً جداً. مجيء سلطان الأطرش وجماعة معه إلى أرض حديثة[1] لم أكن به إلا مسروراً، لأنه إذا كان الجفاء بين فرقتين غير ممكن تلافيه فالأحسن أن نتباعد في السكن.

---

(١) واحة تابعة لإمارة شرق الأردن.

الملك ابن سعود الآن مشغول بالعصاة ولكنه بحول الله سيقضي عليهم قريباً، ومتى جاء إلى الحجاز أراجعه بشأن مساعدتكم. ذكرتم أنكم تسكنون في المحل الذي يأمر به الملك فهل تعلمون محلاً موافقاً للسكن. كان ابن عمي أمين ذكر لي محلاً على قرب من النبك، وقال إن فيه مياهاً جارية وأرض فلاحة وزراعة، وطلبت من جلالة ابن سعود أن يقطعكم هذا المحل وقد وعد بذلك، وقال إنه يملّككم إياه ويعفيكم من الزكاة عشر سنوات. فهل يوجد محل كهذا في النبك أو جوارها. أما يمكن تعاطي المجاهدين شيئاً من الفلاحة والزراعة هناك.

وكنت أرسلت إلى كل الجهات: أميركا الشمالية والبرازيل والأرجنتين والتشيلي وأستراليا وغينيا البرتغالية من أفريقيا، أوصيهم بإرسال الإعانات لكم بواسطة الحاج أمين أو عجاج نويهض وعوني عبد الهادي.

وكتب لي عباس أبو شقرا وسليمان بدور، بأن فروع حزب سوريا الجديدة في ارتباك في أمر الإعانات، بعضهم لا يعرف إلا سلطان باشا، والبعض الآخر يبغي تقسيم الإعانات بينكم وبين الفئة التي مع سلطان، وكثيرون نفروا وأصبحوا لا يريدون إرسال شيء الخ. فأنا جاوبتهم بأن الأحسن أن يجعلوا الإعانات مناصفة، نصف يرسلونه إليكم بواسطة الحاج أمين وعجاج[1]، والنصف الآخر يرسلونه إلى سلطان باشا بواسطة من يعتمد في عمان.

لقد أفهمت الجماعة في أميركا أن الفرنسيين يراسلونكم حتى تعودوا إلى الجبل، وأنه يعفى عنكم، لكنكم لا تريدون الرجوع حتى الآن، ولا يوافق المصلحة أن ترجعوا.

ثم يناسب أن تكتبوا أنتم أيضاً إلى أميركا الشمالية والجنوبية مكاتيب عمومية، أي ممضاة منكم جميعاً في معنى المكتوب الذي أرسلتموه إليّ من جهة الإعانة.

هذا واهدوا سلامي إلى الأخ محمد بك الحلبي وإلى سائر من معكم في النبك فرداً فرداً بدون استثناء، وأنا منتظر جوابكم ودمتم.

المخلص/ شكيب أرسلان

سأرسل شكركم وسلامكم إلى داود أفندي مجاعص.

مكتوبي هذا تقرأونه لمن هو أهل للثقة والاعتماد لا مانع من ذلك، لكن لا تعطوا نسخة عنه لأحد.

---

(١) **الكاتب العربي المؤرخ عجاج نويهض.**

مشكلات الثورة السورية الكبرى

رسالة من الأمير كتبها إلى علي عبيد أحد أركان الثورة السورية الكبرى وأحد مجاهديها المناضلين. ولم تكتب بخط يده كما يقول الأمير، لأن الأمير كان قيد المعالجة في ذلك الوقت، وهي رسالة تتعلّق بوحدة الأقطار العربية، وبشأن الإعانات للثورة السورية وسياسة فرنسا في سوريا. وهي من مخطوط في ميكروفيلم موجود في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.

جنيف في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١

حضرة ولدنا الأعز علي بك عبيد المحترم حفظه الله تعالى

أخذت كتابكم رقم ١٦ حزيران وفهمت مضمونه، وأنا بالطبع سواء كتبتم لي أم لم تكتبوا، لا آلو جهداً في مسألة إعانتكم وسائر المجاهدين، وقد كتبت إلى أميركا وأفريقيا وأوستراليا كثيراً وقد حصل بعض النتيجة، وجاءني مؤخراً من غينيا البرتغالية مكتوب من سليم أبي الخير الأعور يقول فيه إنهم أرسلوا خمسين ليرة ذهب تحت يد عجاج أفندي نويهض، ولا أعلم هل وصلت إلى عجاج أم لا. والحاصل همّكم همّنا بل أعظم، وأنا كثيراً ما أكتب إلى الجاليات أننا نحن، برغم الشدة التي نحن فيها، لا نزال قادرين أن نعيش مرفّهين، على حين أن هؤلاء المساكين الذين هم في الصحراء يعوزهم القوت الضروري، فنحن نريد الإعانات لهم وهذا معلوم لا يحتاج إلى بيان، ولكن مع الأسف الأزمة الحاضرة شديدة جداً ومن قبل هذه الأزمة أنتم لا تجهلون حال الأمة العربية وتقاعسها، وكونها لا تزال في مبدأ نهوضها، ولذلك ينقصها الكثير مما تكملت به الأمم الكبيرة بل الصغيرة سواها.

سرّني أنكم كنتم حاضرين المؤتمر الإسلامي، فإن هذا ضروري وقد أصبح الاتحاد لا مناص منه، لأن هذه الأمة بجميع فروعها يعزّ بعضها مع بعض ويذلّ بعضها مع بعض، والذي تعزّ بعزّه وتذلّ بذلّه يجب أن تكون معه ويكون هو معك.

قرأت في الجرائد أنكم تصالحتم مع سلطان باشا الأطرش، وصار تفاهم بين النبك والحديثة وهذا أيضاً سرّني، ومن الأول كان الأولى الصبر وعدم إيصال الأمور إلى الاختلاف الظاهر، ولكن كانت الدسائس من الجماعة المعهودين بمصر جارية، حتى يحدثوا حدثاً فجيعاً أيام وجود أخي

عادل هناك، وهذا الذي حداني أن أصمّم كل التصميم على سحب عادل من هناك، لمعرفتي أنه إذا ترك فشلت تلك الفئة التي بمصر في إيقاد نار الفتنة في النبك، فلم يكن خوفي على حياة أخي كخوفي من شماتة الأعداء فيما لو حصلت معركة، ثم إن الجميع أخواننا وأولادنا فلا فرق بين أخي عادل وغيره، فعسى أن تكون هذه الضغائن زالت بتمامها، فالخلاف فيما بينكم يضرّ مادة ومعنى.

المسألة السياسية لا بد أنكم اطّلعتم عليها في الجرائد، فقد أجرى المسيو بونسو إجراءات جديدة ولا نعلم ماذا تكون النتيجة ولكننا غير متفائلين خيراً، بل الذي نراه أن فرنسا لا تريد أن تحذو في سوريا حذو الإنكليز في العراق، بل تريد أن تغيّر الصورة بدون تغيّر المعنى وهذا لا يمكننا أن نرضى به، وأما الكتلة الوطنية فمع الأسف فيها رجال يريدون أن يتلذّذوا بالحكم في الشام، فلذلك نراهم مصرّين على الجمهورية، ولما علموا أن الملك علي ترشّح لعرش سوريا قاوموا هذه الفكرة مقاومة شديدة ونحن لم نعارضهم في ذلك، إذ شكل الحكم عندنا أمر ثانوي متروك لرأس السواد الأعظم من الأمة، ولكن قد جرى فيما بعد أن بعض رجال فرنسا فكّروا في جعل (الملك) فيصل ملكاً على القطرين، حتى تنحلّ جميع المشكلات ويصير للعرب قوة في وجه الترك والبولشفيك، فكان من الكتلة الوطنية أو من بعضها أن قامت أيضاً تشاغب ورفضت اتحاد القطرين العراقي والسوري، وذلك لكونه يقضي على الجمهورية والقضاء على الجمهورية يحرمهم لذّة التحكّم في الشام. فكون أناس من الوطنيين أو ممن يزعمون أنهم وطنيون يقاومون مشروع اتحاد القطرين، وجعلنا دولة كسائر الدول نقدر على الدفاع عن أنفسنا، هذه وجدناها جناية عظيمة على الوطن وعلى العرب ولم تقبل أعذارهم الفارغة وأقوالهم إن هذا المشروع مناورة، وإن المشروع كذب من أصله وغير ذلك، فهذا الكلام ليس بصحيح. ولقد كان الفرنسيون يظنون أن الاتحاد السوري العراقي يقبل عليه جميع السوريين بلا استثناء، فلما وجدوا الكتلة الوطنية هي ضده كانوا مسرورين، وعلموا أن العرب لا يزالون بعيدين عن الاتحاد وزالت مخاوفهم الأولى من العرب، فلو كان السوريون تمسّكوا بمبدأ اتحاد القطرين لكانوا بالصبر والثبات توصّلوا إليه. ونحن لا نزال على هذه الفكرة لن ننفكّ عنها، ولا بد بحوله تعالى ولو بعد حين أن تتّحد سوريا والعراق وتتّحدا مع الحجاز ونجد أيضاً، فإن العرب ما داموا مبعثرين كما هو الآن سيبقون عبيداً للأجانب مهما فعلوا. من أغرب الأمور أن الكتلة الوطنية تقيم النكير على دروز الجبل بطلب الانفصال وتتّهمهم بخيانة الوطن، وهي نفسها تأبى أن تتّحد مع قطر عظيم من أغنى أقطار العالم مثل العراق، فما بال جبل الدروز بالنسبة إلى العراق، وكيف يكون المتمسكون بالوحدة السورية إلى هذا الحد رافضين وحدة مع بلاد لها أعظم مستقبل مثل العراق.

يظن بعضهم أني أنا كان يجب أن أكون ضد وحدة القطرين، وذلك لأني صديق لابن السعود وأن صحبتي مع فيصل ملك العراق ليست بالحقيقة لدرجة صحبتي مع ملك الحجاز ونجد، الذي لا أنكر ما له من التوجّه علينا. نعم هذا صحيح لو كانت الأمور تابعة للشخصيات، فأما سياستي العربية فلا تتأثر بالعوامل الشخصية أبداً، وإني أفضّل أن أكون شريداً طريداً عائشاً بكسرة خبز وشربة ماء، وأن يكون وطني عزيزاً وأن تكون سوريا والعراق متّحدين مملكة واحدة لها هيبة ووقار، وهذا بعد ذلك لا يمنع أن هذه المملكة تتّحد مع مملكة الحجاز ونجد، وتكون في الآخر وحدة عربية عامة حتى اليمن، وليس في هذا الاتحاد ملك يسود على ملك بل كل ملك يبقى على حاله وعلى استقلاله، وإنما تقع المحالفة العسكرية والاقتصادية، وتكون سياستهم الخارجية بالتفاهم بعضهم مع بعض، وكل هذا ممكن لولا فساد المفسدين من العرب أنفسهم، فلا خوف على العرب إلا من العرب.

كتابي هذا بغير خطّي نظراً لكثرة شغلي، ولكون عيوني تحت المعالجة كل يوم، ولا أقدر أن أجيب على المكاتيب إلا بعد حين من كثرتها، وسلِّم لي على المشايخ فرحان بك العبد اللّه والشيخ درويش طربيه، وسلِّم لي على محمد باشا عز الدين وأخوته ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

الأستاذ نسيم صيبعة

رسالة من الأمير شكيب أرسلها إلى صديقه محمد علي الطاهر، صاحب جريدة «الشورى» في مصر، يقرظ فيها الأستاذ الكاتب نسيم أفندي صيبعة. قال الأمير الجليل نقلاً عن العدد ٦٣ من «الشورى»، الصادر في ٧ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦ م:

لا أحاول الآن وصف وطنية نسيم أفندي صيبعة، ولا قوة حجّته، ولا سداد منطقه، ولا تقريظ مقالاته التي صارت أشهر من المعلّقات السبع، لكني أشكره عن نفسي، فضلاً عن شكري إياه عن الوطن وعن العرب. فإنه ما ضاق صدري بفريّة، تحاول السياسة الاستعمارية أن تروّجها، ولا حكَّ في صدري موضوع تقضي الحزة أن يجري به القلم، وعدواء الأشغال تحول دونه، إلا وجدت صيبعة قد سبق إليه، ووفّاه حقه، وشفى منه الصدور، وأتى فيه بالبدائع، والجمل الروائع، فيسكن بعد ذلك الضمير، ويطمئن الخاطر، ويزول الالتياث. ويشكر الإنسان النعمة بوجود هذا الهمام في هذا الوطن، بهذه النفس الأبية، وهذه النخوة العربية، وهذه المعرفة الشاملة، وهذه المروءة الكاملة. حقاً إن هذا النسيم ينعش الأرواح ويشفي غليل الملتاح والسلام.

شكيب أرسلان

بـرلين

ميّ زيادة كاتبة العصر

من الأمير إلى الكاتبة العالمة ميّ زيادة، من برلين، مؤرخة في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ م. تتعلّق بمجلة «المقتطف» وبقضايا كتابية أخرى.

برلين ٢٦ يناير ١٩٢٦

أهلاً وسهلاً بالسيدة ميّ العالمة الفاضلة، والعلاّمة الدرّاكة التي إن كانت تاء التأنيث في العلاّمة علامة المبالغة، فيجب أن نضع لها تاءً للمبالغة وتاءً أخرى للتأنيث الحقيقي الذي، بمثل ميّ، أظهر فضل النساء على الرجال. ومرحباً بالسيدة ميّ كاتبة العصر، ونادرة الدهر، ويا ما أسعدني بودّها، ويا ما أقل استحساني لشيء بعدها. وأسأل الله أن يعمّرها طويلاً مفخراً للشرق، ويجعلها رمزاً لعدم المساواة في الناس، وآيةً على ما بين البشر من الفرق. ولقد تلقّيت الكتاب الكريم ووضعته على رأسي إجلالاً لمقام الكاتبة، وللموضوع الذي كتبت به، وأيّ موضوع أجلّ من الاحتفال بالعيد الخمسيني للمقتطف، أجلّ مجلّةٍ مجليّةٍ في حلبة العلم، وأقدم منارةٍ أضاءت ألباب أهل المشرق، وهو الفرض الذي أعدّه مقدساً، والواجب الذي هو عندي أفضل من القربات لدى من جعل العلماء تلو الأنبياء. وإن كنت تأخّرت عن الجواب إلى الآن فالسيدة ميّ بمكانها من الذكاء الذي يشتعل فوق اشتعال النار، وسرعة اللحظ الذي يكاد يخطف الأبصار، تعلم الأسباب التي تستغرق بياض نهاري وسواد ليلي في هذه الأوقات العصيبة، والليالي النابغية. وإنني لا أملك أحياناً من الوقت ما أحكّ به رأسي، وأنه قد خرّب عليّ كل نظام لأكلي وشربي ومنامي. والله يعلم أن كتابك عندي محفوظ في جيبي لا في قمَطري على نية أن أجاوبك عليه كل يوم، وها أنا ذا لم أملك منذ عشرين يوماً ساعة أتفرّغ فيها لأداء هذا الواجب إلا هذه الساعة، ولست على ثقة هل أقدر على إكمال هذه الألوكة أو أقف فيها قبل استتمام أنفاسها. وأما ما ورد في الرقيم الكريم من تأجيل يوبيل المقتطف عن ميعاده في شهر يناير، فقد سرّني لما فيه من انفساح الفرصة بحيث نكتب ما نراه لائقاً بالموضوع، ونروي من حديث خدمته المرفوع. وأما سؤال السيدة إياي: أيجوز أن يصدر «كتاب الذكرى» وليس فيه شيء من قلمي أوفّر فيه للعمل حقه، وأعرف للفضل قدره، وأوفي بعض الديون التي في ذمتي، وأنوّه بالجهود والليالي الساهرة في البحث لما ينبلج به نهار العلم على أمتي، فما أظن السيدة قد ألقت عليَّ هذا السؤال إلاَّ على سبيل المداعبة، وإلاّ فَمَنْ أسبق مني إلى

الحبّ في حلبة المحتفلين بهذا الكتاب الجليل الذي يُسمّى المقتطف، والذي لو كان للكتب المقدسة الثلاثة رابع في الحرمة لكان مظنّة أن يكون ذلك. سأبعث يا سيدة البيان بما ينفث في روعي في هذا المقام، وكانت السيدة القديرة والكاتبة النحريرة في غنى عن تنبيهي إلى أن الموضوع يجب أن يُنَزّه عن السياسة. فإن تنزيهه عن السياسة، وإفهام الغربيين أننا نعرف أن نعطي ما للعلم للعلم، وما للسياسة للسياسة هو مما لا يغرب عن ذهن هذا العاجز، مع ما يقال من استغراق السياسة جميع قواه واستيلائها على هواه، ثم إني سأكتب إلى قومنا في فرنسا وسويسرا وأذاكر من منهم في ألمانيا ليشتركوا في هذه المبرّة، ويضربوا بسهم في شرفها. وإني لمرسل إلى منبر الشرق الإعلان الذي ضِمْنَ كتابك، وسأتكلم كذلك مع بعض مستشرقي الألمان لعلّهم يشاركوننا في هذا العيد الشرقي العربي.

أما طلب السيدة مني تصحيح الغلطة التاريخية بجعل قبر السلطان سليم في صالحية دمشق، فأجاوب عليه بأن وقته مضى، وأن وجه الغلط جاء من كونهم قالوا إن السلطان سليم عمّر قبر محيي الدين بن العربي، دفين الصالحية، ولهذا يُقال أنه ورد في الجفر: «متى دخل السين في الشين يُعمّر قبر محيي الدين»، فلما دخل السلطان سليم الشام بنى قبة على قبر الشيخ الأكبر.

أما وضع كتابتي على «المساواة» في مقام مقدمة للكتاب، وأنك تستأذنين مني «هل ترضى بجعلها مقدمة له في الطبعة الثانية» فهذه أشبه باستئذان أحد يقال له: هل ترضى أن نضع هذا التاج على رأسك؟.

تقولين: «إن صرّحت بذلك» وصرّح بمعنى أذن اصطلاح مصري غلط، فإن التصريح هو الإبانة وليس فيه شيء من معنى الإذن، وإنما قلبها أخواننا المصريون عن تسريح، وهو بمعنى الإذن بالجواز أو السفر. والسين والصاد تتبادلان لكن ليس هذا مطرداً، وما جرّأني على هذه الملاحظة إلا شدّة غرامي بكمال بيانك العالي من كل وجهة. ثم مني سؤال خاطر أستاذنا العلاّمة الأمير، والصديق الحبيب، الدكتور صرّوف، وأطال المولى بقاءك، ونفع بك.

المخلص/ شكيب أرسلان

يا أختي مي

هذه المقالة قيمتها قليلة بذاتها، لكنها غالية جداً بالنسبة إلى ضيق الوقت الذي أحاط بها، وإلى الشواغل والشواده التي أنا فيها.

شكيب

وفاة أحمد مريود

رسالة من الأمير شكيب إلى محمد علي الطاهر، صاحب «الشورى» في وفاة المجاهد العربي أحمد مريود. وقد نشرت في «الشورى» بتاريخ ٣٠ يوليو (حزيران) سنة ١٩٢٦ م، الموافق ١٨ محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

قرأت في «الشورى» أن بعض الوطنيين الفلسطينيين سيطبعون صورة الشهيد الكبير أحمد المريود على البطاقات البريدية تخليداً لذكره. فشكرت للوطنيين الفلسطينيين هذه الفكرة السامية.

وأحمد المريود رحمه الله يجب أن تُطبع صورته لا على البطاقات البريدية فحسب، بل في الكتب المدرسية التي يتعلّم بها الأحداث حتى يحفظوا اسم المريود وصورته من نعومة الأظفار.

ويجب أن يطلق اسمه على شوارع شهيرة في مدن برّ الشام، فيقال جادة المريود وشارع المريود وما أشبه ذلك، بدلاً من شارع غورو وشارع اللنبي وأمثالهما ممن ذِكْرهم إيذان بسقوط الوطن في يد الأجنبي.

ويجب أن تسمّى باسمه مدارس ومكاتب في الأقطار الشامية، فيقال مكتبة المريود ومكتب المريود ومدرسة المريود وما جرى هذا المجرى، فليس شيء من هذا بكثير على هذا البطل العربي.

ويجب أن يقام كل حول مأتم في مثل يوم استشهاد أحمد المريود، فتنشد فيه المراثي وتُلقى الخُطَب ويتذكّر الناس أعمال الأبطال، الذين قامت على جماجمهم دعائم الاستقلال السوري العربي وماتوا لتحيا أمتهم. ولتكن ساحة المرجة في فيحاء الشام هي الساحة التي تموج بالألوف من المحتفلين بتذكار يومه، إذا كانت هناك قد عرضت تجاليده بيد العدو، والشامت على العيون الباكية دماً لفقده.

كلما تذكّرت كيفية مصرع أحمد المريود في قلة من أهله في بلدته، وسقوط عدة من أخوته وبني عمّه من حوله قتلى مرتفعين شهداء عند ربهم، جاءت في بالي حادثة قتل سيدنا وقرّة أعيننا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر قليل من أهله. تلك الفاجعة التي لا يزال ألم

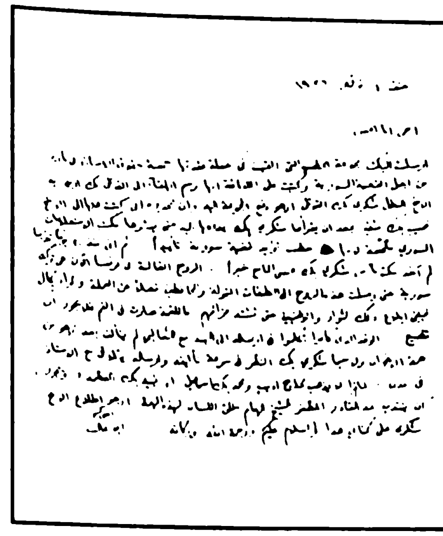
ذكراها في القلوب إلى يوم القيامة. طِيف برؤوسهم لأجل الشماتة فكانت تلك الرؤوس أغلى وأعز ما حافظ عليه المسلمون إلى اليوم.

فرحمك الله يا أحمد المريود. وإن سوريا لمديونة لك بأسرها ومضمخة بعبير دمك الطاهر الزكي الذي هو أفضل ما تتعطّر به، وهنيئاً لك بمقعد صدق عند ربك، وهنيئاً لك بمقام خلود في التاريخ.

إن الحياة هي حياة الأرواح، والحديث الحسن بعد الوفاة لا حياة المآكل والمشارب التي هي أليق بالحيوان مما هي بالإنسان.

شكيب أرسلان

لـوزان



مجموعة خُطب الأمير في باريس

رسالة من الأمير شكيب إلى محمد علي الطاهر، يذكر له فيها أنه أرسل إليه مجموع الخُطب التي ألقاها في باريس حول القضية السورية. الراسلة بتاريخ ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٦ م.

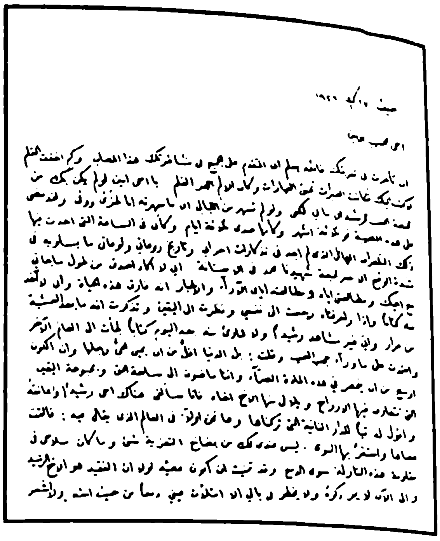
جنيف ٤ نوفمبر ١٩٢٦

أخي أبا الحسن

أرسلت إليك مجموعة الخُطب التي أُلقيت في حفلة عقدتها جمعية حقوق الإنسان في باريس من أجل القضية السورية، وكتبت على اللفّافة أنها برسم الإلقاء إلى القوّتلي بك، أريد به الأخ البطل شكري بك القوّتلي أرجو دفع المجموعة إليه، وأن تخبروه أني كتبت عنها إلى الأخ نجيب بك شقير، فبعد أن يقرأها شكري بك يدفعها إليه حتى ينشرها مكتب الاستعلامات السوري ملخَّصة، لأنها خُطب تؤيد قضية سوريا تأييداً. ثم إني منذ ٢٠ يوماً تقريباً لم آخذ مكتوباً من شكري بك عسى المانع خيراً. الروح الغالبة في فرنسا الآن هي ترك سوريا حتى وصلت هذه الروح إلى الطبقات المتمولة والمحافظين، فضلاً عن العملة والراديكال، فينبغي إبلاغ ذلك الثوار والوطنيين حتى تشتد عزائمهم، فاللقمة صارت في الفم فلا يجوز أن تضيع. الوفد الذي كانوا تكلموا في إرساله إلى الهند مع الثعالبي لم يتألف بعد، نرجو من همّة الأخوان ولا سيما شكري بك النظر في سرعة تأليفه وإرساله يتلاقى مع الأستاذ في عدن. لماذا لا يذهب الحاج أديب ومحمد بك إسماعيل أو نبيه بك العظمة؟ ويجوز أن ينتدب عبد القادر المظفر الشيخ الهمام طلق اللسان لهذه المهمة. أرجو إطلاع الأخ شكري على كتابي هذا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

أبو غالب



وفاة رشيد بك طليع

رسالة إلى أمين بك طليع (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) مؤرخة من جنيف، ١٧ كانون الأول، ١٩٢٦ م. الذي كان وكيلاً لمديرية العرقوب سنة ١٩٠٣، ومديراً بالأصالة سنة ١٩٠٥، ومديراً للمال في قضاء (عاليه). أرسلها بعد وفاة رشيد بك طليع الذي كان شخصية مميزة، وتقلّب في مناصب عدّة منها قائمقامية راشيا وحاصبيا وجبل الدروز، وشكّل أول حكومة أردنية في عهد الأمير عبد الله. وهذه الرسالة تظهر لنا أسلوب الأمير من روعة وإبداع[1].

جنيف ١٧ كاون الأول ١٩٢٦

أخي الحبيب أمين

إن تأخرت في تعزيتك فالله يعلم أني المتقدم على الجميع في مشاطرتك هذا المصاب، وكم أخذت القلم لأكتب إليك فكانت العبرات تخنق العبارات وكان الألم يُعجز القلم. يا أخي أمين لو لم يكن لك من فجيعة الحبيب الرشيد إلا ما بي لكفى، ولو لم تسهر من الليالي إلا ما سهرته أنا لجَزَى ووفّى. ولقد مضى على هذه المصيبة نحو ثلاثة أشهر وكأنها عندي ثلاثة أيام، وكأني في الساعة التي أخذت فيها ذلك التلغراف الهائل، الذي لم أجد في تذكارات أحزاني وتاريخ روعاتي ولوعاتي ما يساويه في شدة الوقع، إلا خبر فجيعة شهيدنا محمد في الأستانة. إني لا أكاد أصدّق من طول مناجاتي مع أخيك ومطالعتي إياه ومطالعته إياي الآراء والأخبار، أنه فارق هذه الحياة وإني لا آخذ منه كتاباً، وإذا واحرقتاه رجعت إلى نفسي ونظرت إلى اليقين وتذكّرت أنه ما بعد العشية من عرار، وإني غير مشاهد رشيداً ولا قارىء منه بعد اليوم كتاباً، لجأت إلى العالم الآخر واعتمدت على ما وراء حجب الغيب وقلت: بل الدنيا أقلُّ من أن يحيى الحيُّ لأجلها وأن الكون أوسع من أن ينحصر في هذه المادة الصمّاء، وأننا ماضون إلى ساحة الحق وبحبوحة اليقين التي تتعارف فيها

(١) من محفوظات مروان أمين طليع.

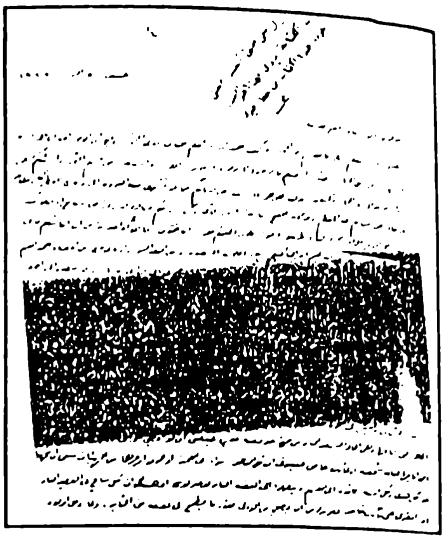
الأرواح ويلاقي منها الأخ أخاه، فأنا سألقى هناك أخي رشيداً وأعانقه وأقول له تباً للدار الفانية التي تركناها وها نحن أولاء في العالم الذي يقال فيه: فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى. ليس عندي لك من بضائع التعزية شيء، وما كان سلاحي في مقاومة هذه النازلة سوى الدمع، وقد تمنّيت أن أكون عصيّه لولا أن الفقيد هو الأخ الرشيد، وإلى الآن لا يمرّ ذكره ولا يخطر في بالي إلا امتلأت عيني دمعاً من حيث أشعر، ولا أشعر إلا أني أقول إنه لو كان في الموت خيرة لما اخترت إلا تلك الرحلة الشريفة التي ارتحلها أخوك، لا في سبيل بني معروف فقط، ولا في سبيل سوريا وحدها بل في سبيل أمة كالأمة العربية، مادت كلها من أجل فقده وسجّلت اسمه في مقدمة أسماء أبطالها الذين شادوا بناء استقلالها، وسيتم هذا الاستقلال برغم أنف كل عدو مكابر يحاول سد الطريق عليه، سواء من الداخل أو من الخارج. نعم إذا كان لا بد من الموت بدٌّ فليكن في الأمر الشريف والغرض العظيم، وإن أشرف الأحياء أشرفهم ميتةً وأكرمهم لهذه الدنيا فراقاً. أخوك قد غاب عن عياننا وقد برَّح بنا الشوق إليه على غير أمل في اللقاء إلا في دارة الغيب، ولكنه في الحقيقة حي في القلوب، حي في التاريخ، ترك لأهله ولوطنه ولقومه مجداً يتقاسمونه كما يتقاسم الورَّاث المال، ويفوز كل منهم بنصيب وافر. فاصبر على هذا الخطب الذي لم يخصّك وحدك بل عمَّ كل ناطق بالضاد، وتعزَّ بكثرة المساهمين لك في هذه الفاجعة حتى إنهم ليحصون بالملايين، وتأمّل في كون كل شيء زائلاً وكل نعيم باطلاً، ولا يبقى بعد المرء من المرء إلا عمله، وأن شقيقك خلَّف لك تراثاً كبيراً من الأعمال الخالدة قلَّما خلَّف مثلها أحد في الوطن. ومني تقديم واجب التعزية إلى سيادة شيخنا الطاهر الجليل أطال الله بقاءه وبقاءك، وأحسن عزاءه وعزاءك، وأكرم مثوى فقيدنا الحبيب، وأعلى منزله بمنّه وكرمه، ودام بقاكم.

أخـوك

شكيب أرسلان

26 avenue des Alpes

villa miramar, Lausanne



شؤون عربية

رسالة مهمة جداً بعث بها الأمير شكيب إلى الشيخ محمد كامل القصّاب، بتاريخ ٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٧ م، ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ هـ. إيضاحاً لبعض الشؤون العربية التي كانت تجري يومئذٍ على نطاق دولي وعربي[١].

كتب الأمير على رأس الصفحة ما يلي:

لا يزال معي ضيق تنفّس يمنعني من الكتابة بيدي، فهذا هو السبب بكون هذا الكتاب من خط غيري.

شكيب

جنيف ٥ أكتوبر ١٩٢٧

مولانا الأستاذ نفع الله به

بلغني تشريفكم مصر بالقدوم من الحجاز، وكنت علمت أن مزاجكم ملتاث بعض الشيء، وقيل إن الأمور هناك على غير ما تشتهون فمن كل الجهات جئت أهنيكم بالوصول إلى مصر بالسلامة والكرامة، وأستفسر عن صحتكم الثمينة وأسألكم عن سداد الأحوال في الحجاز وكيفية سيرها، هل هي كما سمعنا عن لسانكم مما لا تُشتهى معه العودة إلى ذلك القطر، أو هي مطابقة لما جاء عن لسانكم في المقطّم وفي مجلة الفتح، مما يبشّر بحسن المآل وكون زرعكم هناك ليس

(١) حصلنا من مجموعة الشيخ زهير الشاويش التاريخية، على أربع عشرة رسالة من رسائل الأمير إلى الشيخ محمد كامل القصّاب، واخترنا منها بدون تقصّد سبع رسائل تحمل توقيع الأمير، ويؤكد الشيخ محمد زهير الشاويش أنها من غير شك ولا ريب من رسائل الأمير غير منحولة ولا مزوّرة، وكلّ ما ورد فيها ينسجم بعضه مع بعض. أما الرسائل السبع الباقية، فقد تجاوزنا عنها لأنها مطموسة وغير مقروءة، وما قرىء منها لا يخرج عمّا جاء في الرسائل الأخرى.

في أرض سباخ؟ وقبلاً كنت كتبت إلى الأخ الدكتور مجدي كتاباً طويلاً أرجو أن يكون أطلعكم عليه. أما الآن فإنني لا أجد بدًا من أن أكاشفكم بما في نفسي، حيث بلغني أنه قد تعاظم أمر التأليف بين اللجنة التنفيذية والوفد السوري، أو بالأحرى بين أعضاء اللجنة أنفسهم، أو بالأحرى جماعة لطف اللّه والفئة المقاومة لهم، وذلك أنني رجل لا مطمح لي إلى شيء في سوريا من أكبر منصب إلى أصغر منصب، ولو أن طلبت سوريا استقلالاً يزيد على استقلال إنكلترا في جزيرة بريطانيا العظمى ما رضيت أن أشغل فيها منصباً وأوافق عملها في يوم من الأيام، لا أدخلها إلا عابر سبيل أو عاكفاً على مشاهدة أهلي وأخواني وتفقّد أملاكي، ولو قدرت الآن أن أستعفي من صفة عضو في الوفد السوري لما تأخرت دقيقة، فإن جميع همّي هو أن أخدم وطني بصفة غير رسمية معوّلاً كل جمعية وكل هيئة مشكّلة، حراً بنفسي مستقلاً برأسي، وعندي والحمد لله مجال واسع أن أخدم هذه الأمة وأنا في بيتي مهما يكن من عجزي، ولكن بما هان وأحزّه في الوطن وفي المهجر ليس من الدروز بل من الشيعة والسنة يأبون إلاَّ أن أكون في الوفد السوري، ولا يخلو الأمر من أني لو كنت دخلت في السابعة والخمسين من العمر، لا أزال أشعر شعور الشباب وتعيش بي النخوة، فلا أرضى أن يقال إني جبان تركت الميدان وخليت الدار تنعى من بناها، فهذه الحالة التي أنا فيها وهي الحالة السلبية التامة من جهة خويصة نفسي، جعلتني أن لا أُغضي على أي شيء يقع في ضمن الهيئة التي أنا فيها لغاية شخصية أو لمآرب خاص، فعقيدتي أن كل العاملين سواء في اللجنة أو الوفد أو غيرها من الهيئات ينبغي أن يتجرّدوا عن كل هوى وكل أمنية عائدة إلى أنفسهم، وينصرفوا إلى القضية العامة لا غير، لأنني أذهب إلى أن كل ساعٍ في القضية العامة، إذا انطوى على مآرب خاصة، فلا بدّ له من أن يضحّي من الأولى بقدر ما يطمع في تحقيقه في الثانية. ولما دخل أولاد لطف اللّه معنا في القضية الوطنية لم يكونوا هم أصل الفكرة ولا سبب اجتماع الشمل، وقد كان ذلك ممكناً بدونهم ولكنهم لما دخلوا معنا تلقّيناهم برًّا وترحيباً، أولاً لكوننا نرغب في أن نشرك معنا إخواننا المسيحيين من يعتقد بالجامعة العربية، ثانياً لأنهم ذوو ثروة طائلة يقدرون على البذل في المسألة العامة ما لا يقدر سواهم، لا سيما أننا نحن كانت أهلكتنا المصاريف في أوروبا، ثم لا نكتم عنكم أننا لم نكن نجهل ولوع أولاد لطف اللّه بالألقاب والمناصب والإمارات والسفارات وجميع هذه الخرافات، وكلنا كنا نقول إن هذا لا يضر ما دام ضمن دائرة محدودة، وقد أرضينا ميشيل بانتخابه رئيساً علينا فظننا أنه يقنع برئاسة المؤتمر السوري الفلسطيني، وبأن هذه الرئاسة أصبحت وسيلة لتكرار لقب الإمارة، وصقله على الألسن ودورانه في الصحف السيارة، بحيث كادت هذه الإمارة تكون حقيقية.. ولم يخطر ببالنا أن هؤلاء الجماعة يستخفون بالناس إلى حد أن يظنوا أنفسهم أنهم بيت الزعامة في سوريا وأنهم صاروا أشبه بعائلة مالكة، فنحن قبلنا انضمامهم

إلينا على أمل أن يكونوا آلة في يد اللجنة والمؤتمر مرتضين بحلاوة اللقب، فإذا بهم من كثرة ما تساهل الناس معهم وجاروهم على أهوائهم، ولا سيما أناس كانوا اتخذوهم بطانة خاصة لهم، قد وقر في أنفسهم أنهم أصحاب الحلّ والعقد، وصاروا يريدون أن يجعلوا اللجنة التنفيذية والوفد السوري آلة في أيديهم، فصرنا نحن أداةً لأطماعهم الخاصة بدلاً من أن يكونوا هم أداة لمقاصدنا العامة. وقد لاحظت هذه النقطة منذ أربع سنوات، لا بل من قبل، ونبّهت عليها الأستاذ السيد رشيد رضا وكنت صادفت ميشيل لطف اللّٰه عدة مرات يتكلّم في المسائل العربية وفي المسائل الإسلامية بكلام ربما يحمله بعضهم على الجهالة أو قلة الاطّلاع، ولكنني أحمله على نيّةٍ ليس فيها شيء من إنصاف الإسلام، بل يستحيل عندي أن يكون الذي ينطوي على مثل هذه المبادىء ناصحاً حقيقياً للعرب، فإنه لا يجتمع بغض الإسلام وحبّ الاستقلال العربي في قلب واحد، ومن زعم خلاف ذلك فهو مكابر. نعم إنني عهدت كثيراً من إخواننا المسيحيين مخلصين من جهة القضية العربية إخلاصاً متفاوت الدرجات، ولكن ليس بين هؤلاء المخلصين من عنده تعصّب ديني في النصرانية وكره شديد للإسلام، وعلى كل الأحوال لا يكون لطف اللّٰه من جملة هؤلاء لأن عندي دلائل لا محلَّ هنا لشرحها، على أنه لا يقل عن صغير ونمر تلك الطغمة في تلك المبادىء التي يتغذّاها من الصغر كل مسيحي بحق المسلمين، ولا يتحرر منها إلاّ بأحوال غير معتادة. وسنة ١٩٢٥ كتبت إلى الأستاذ السيد رشيد رضا وإلى المرحوم نجيب شقير بأن لا يدع لطف اللّٰه يأتي إلى جنيف وأنه إذا جاء فالخلاف واقع بيننا، حيث أصبحت نفسي غير مطمئنة أصلاً من جهته، وكنت مرة قد أخبرته في جنيف بوجود رجل إفرنسي من جماعة المسيو هريو رئيس الوزارة يومئذٍ، يبغي مواجهتنا للوقوف على مطالبنا الوطنية وأنه يحسن أن نقابله، ثم اجتمعنا مع الرجل المذكور فظن لطف اللّٰه أن هذه المذاكرة قد تثمر، مع أني لم أؤمل منها شيئاً، فجاء بعد انصراف الرجل يتكلم معي أنه إذا تمَّ الاتفاق بيننا وبين فرنسا نتفق أنا وإياه على تسلّم زمام الحكومة المؤقتة، ويكون معنا السيد رشيد ثالثاً، فجاوبته جواباً ناشفاً خجل منه وعاد فقال لي: اعتبر هذه الكلمة كأنها لم تكن وأنا كنت طويتها. وإذا كنت أعدتها هنا فيكون ذلك جواباً على ادِّعاء آل لطف اللّٰه بأنهم لم يفكّروا قطّ في المناصب. ثم لمّا حصل تدمير دمشق كنت في جنيف وقمت بكل ما يجب من الاحتجاجات والاعتراضات يومئذٍ بنفسي، ولم أحتج إلى لطف اللّٰه ولا إلى دراهمه، لأنه في الحقيقة كل ما كان يقال من أن الحركة الوطنية واللجنة التنفيذية لا تستغنيان عن رفد لطف اللّٰه المالي إنما هو خيال باطل، وسترون من حسابه نرسل لكم صورته أن كل ما وصل لدينا من آل لطف اللّٰه، باسم اللجنة التنفيذية، بضع مئات من الجنيهات كنّا في غنى عنها وعن غنى مرض فائدتها، فإن غرمها أضعاف غنمها. وكما عرضت لكم أنني سنة ١٩٢٥ كنت في جنيف وحدي،

وقدّمت اللوائح المطبوعة، ونشرت النشرات الطنّانة، وقابلت البعثات الدولية، وعملت حركة تحدّثت بها جرائد فرنسا وأوروبا، ولم يؤثر بي غياب لطف اللّٰه تلك السنة بقدر دوره، إلا أنه لمّا جرى تدمير الشام اغتنم لطف اللّٰه تلك الفرصة للتعرّف إلى الوطنيين وصار يواصل التلغرافات وأبرق إليّ أيضاً يلتمس تقديم التلغرافات الواردة من مصر عن يدي، فلم يسعني إلاّ قبول الصلح وقلت إذا بقيت على الانقطاع فقد أتعرض لملامة إخواننا، فطوينا الماضي ورجعنا إلى العمل معاً. وفي سنة ١٩٢٦ دخل لطف اللّٰه بطريقة من الطرق في علاقات مع الخارجية الفرنسية يقال بواسطة الإنكليزي، ويقال بواسطة أخرى. ثم جاء إلى فرنسا وجاء منها إلى جنيف وأخذ يرغّبنا في التقرّب من فرنسا أنا وزميلي الجابري، ونحن لم نرفض التقرّب لكننا تمسّكنا بمطالبنا الأساسية، فصارت بيننا وبينه مشاحنات على هذه المطالب نفسها لأنه اتّخذ ديدنه التهويل علينا حتى ننزل عن المطالب التي لا يكون لسوريا استقلال بدونها، وهذه المجادلات بيننا لا يقدر هو أن ينكرها، وإذا أنكرها فالجابري شاهد عليه. وليس بصحيح ما يمنّ به لطف اللّٰه ويذكره له أعوانه من أنه لولاه ما أمكنت الصلة بيننا وبين الخارجية ولا دُعينا إلى باريس، لأنه لمّا تعيّن المسيو جوفنيل أرسل إليّ نجيب الأرمنازي إلى لوزان حتى يقنعني بمواجهة دي جوفنيل في باريس، ولمّا اقتنعت أن أذهب من نفسي أبرق إليّ جوفنيل وكنت في برلين، فجئت إلى باريس بدعوةٍ من جوفنيل رأساً، ولم يكن للطف اللّٰه أدنى مدخل بذلك، بل عمل جورج لطف اللّٰه جهده حتى أقنعني بقبول دعوته في الأوتيل. ثم إنه بعد ذلك أرسلت لنا وزارة الخارجية ونحن في جنيف ساعياً خاصاً، نطلب الوقوف على مطالبنا حتى ننظر فيها، ثم تلحّ في مجيئنا إلى باريس فنحن امتنعنا عن الذهاب أنا وإحسان بك وأرسلنا لائحة المطالب، فأعيدت إلينا معلّماً عليها بقلم جوفنيل بالأحمر بما ترضاه فرنسا وما لا ترضاه، وليس للطف اللّٰه أدنى يد بذلك. فمداخلة لطف اللّٰه مع وزارة الخارجية لم تحدث إلاّ الضرر البحت، لأنه من ذلك الوقت وضع نصب عينيه التقرّب من فرنسا حتى تكافئه بإسناد رئاسة الحكومة السورية إليه، وربما يظن أنها تكون سلّماً للإمارة، ولا يقدر الأمير ميشيل أن ينكر سعيه في هذا الأمر، لأننا لمّا توجّهنا معاً إلى باريس في شهر أغسطس سنة ١٩٢٦، وتفاوضنا مع جوفنيل وكاد الاتفاق يتمّ إلاّ على بعض نقاط، كنا أوشكنا أن نجد لها حلاً موافقاً، كنا نحن لا نفكّر إلاّ في شروط الوفاق ولطف اللّٰه لا يفكّر إلاّ في تشكيل هيئة الحكومة التي يحبب بزعمه أن تتولّى الأمر في الشام، وكان يقول من جملة ما يريد إقناعنا به إن الحكومة الإفرنسية لا تعقد معنا الاتفاق إلاّ إذا أخذنا على أنفسنا مسؤولية تنفيذه. فراجعناه مراراً بأننا لا نقبل مناصب وأن قبولنا المناصب يضر بالقضية نفسها، لأن الفرنسيس يذيعون دائماً أنه لا يوجد حركة وطنية حقيقية، وإنما نحن بعض زعماء ذوو نفوذ نسوق الأهالي بمجرد نفوذنا حتى نحصل على حكومة نكون نحن القائمين بها،

فبرغم مراجعاتنا كلها بقي لطف اللّه مصرًّا على أن الخارجية تريد معرفة الأشخاص الذين سيتولّون منّا زمام الأمور، فقلت له: أما عن نفسي فيستحيل أن أرضى شيئاً ولا أسمح لك أن تقدّم اسمي، فقال: إذن تريد البقاء في المعارضة، فقلت: كلاَّ، أساعد الحكومة الجديدة بكل قوّتي ولكن خارجاً عن الحكومة، وأذهب نفسي وأقيم عدة أشهر مجتهداً في تسكين الأمور وتنفيذ الاتفاق بدون صفة رسمية، ولأجل أن لا يظن الفرنسيس أننا لا نزال نقصد المعارضة، نقدّم لهم زعماء وطنيين فيهم الكفاية أكثر منّا، وقدّمنا في رأس القائمة حضرة الدكتور شهبندر، هذا الذي يسيء الظن بنا على ما علمنا، مع أنه لم توضع فرصة من الفرص إلاّ قدّمنا اسمه قبل الجميع، ومعلوم منكم أن هذا ليس تزلّفاً له، لأنني في حياتي ما تزلّفت إلى أحد ولا تهيّبت أحداً، ولكنني اعتقدت أن الشهبندر من خير المرشحين. وكذلك قدّمنا للطف اللّه أسماء المرحوم رشيد طليع وفوزي الغزي وفارس الخوري وأناس آخرين، وقلنا له فلتكن أنت أيضاً في تلك الحكومة أما أنا فيستحيل أن أدخل فيها. فما كان منه إلاّ أن ذهب وقدّم جدولاً فيه اسمي أيضاً، ولمّا عاتبته على ذلك، قال ينبغي أن يكون واحد من عائلتنا، فقلت له: يوجد ابن عمي أمين وأخي عادل وأمراء آخرون، والحاصل أنه تعب جداً في إدخالي لا حبًّا بي بل لأجل أن يثبت أنني أنا متطلّب المنصب نظير غيري. ثم إنه بعد رجوعنا إلى جنيف من باريس عاد فالتحق بنا وأخذ يراجعنا بالقضية نفسها، وهذه المرة كنا نحن الثلاثة إحسان بك ورياض بك وهذا العاجز وهما يشهدان بأنني قلت له: لا تتعب في إقناعي فأنا لن أدخل أبداً في الحكومة. فمن هنا يتّضح لمولانا الأستاذ أن كل أفكار لطف اللّه تجري في هذه الأمور، ومع هذا تحمّلناه لبسناه على علاَّته. ثم بعد رجوعي من أمريكا جاء زملائي إلى شربورغ وطلبوا مني أن أنزل بأرض فرنسا وآتي إلى باريس، وقالوا إنهم حصلوا على الإذن لي بالمجيء، أي أنها إشارة من الخارجية بأن أجيء إلى باريس ونمضي في المفاوضات التي كانوا قد بدأوا بها قبل حضوري من أمريكا بصورةٍ ليست رسمية، فأبديت الامتناع وأصررت على عدم المجيء إلى باريس بقولي إننا جئنا مرتين ولم نستفِد شيئاً، وكلّما تقرّبنا منهم نراهم يزدادون تعنُّتاً. إلاّ أن زملائي أخبروني بقصص جورج وحبيب لطف اللّه وأن السكوت عنها، وهي قد ملأت باريس، قد يكون من أشد الأمور ضرراً بالقضية، فجئت إلى باريس على أمل أن أقنع جورج وحبيب بترك تلك الحركات لا سيما أنني كنت أحب جورج وأميل إليه، وظننت أنه يمكنني أن أقنعه. ولا يقدر الإنسان أن يتّهمني بسوء النية وتعمُّد مخاصمتهم، لأنني في مؤتمر ديترويت أمام ألف شخص قمت في إحدى خُطَبي وشهدت بآل لطف اللّه أحسن شهادة وقلت إنهم كانوا نِعْم الصلة بين المسيحيين والمسلمين، وكذلك ذكرت الدكتور شهبندر عمداً قائلاً: إنه يفتخر به الوطن وكل هذا مني، كما يعلم كل أحد لا تقرُّباً منهم ولا من الشهبندر لأن رضاهم جميعاً وعدم رضاهم

سيّان عندي من الجهة الشخصية، ولكنني كنت أريد خدمة القضية بتعظيم زعمائها حتى لو لم أعتقد فيهم في دخيلة تبقى جميع ما أقوله، فالذي يأتي من أمريكا وقد نشر لهم ذلك المديح في يوم مشهور، لا يمكن أن يتعمّد البغي عليهم وإلقاء قنبلة كما قالوا، فإنني غير محتاج إلى تلك القنبلة ولا أحب إلقاء القنابل. ومما زادني اعتقاداً بأن زملائي لم يقولوا لي إلاّ الصدق، أن إحسان بك الجابري كان على أتمّ صفاء مع لطف اللّه وكان دائماً نصيراً له وهو ميّال بطبيعته إلى اللين والمسالمة، فرأيته يصيح ويقول لي إنه سمع جورج بأذنه يتكلّم بالتلفون إلى محل آخر، وهو لا يعلم بوجود إحسان في المحل الذي فيه التلفون، ويشدّد الفرنسيس بأن لا يقبلوا بسلخ شيء من الأراضي التابعة للبنان الكبير ولا إعادة بلاد العلويين إلى سوريا، وهذا بعد أن أكّد جورج لإحسان بك ولرياض بك أنه أقلع عن السعي بعدم إعادة هذه البلاد إلى سوريا، ثم إنني لا أستطيع أن أحصي لك ما سمعناه هناك من الفرنسيس ومن السوريين من جهة مساعيهم. وبقيت مع هذا في بادىء الأمر ساعياً للتأليف بين جورج وحبيب وبين زملائي، ولمّا علمت من جورج أنه يريد إمارة لبنان قلت له وللإنكليزي ولمدام جوفنيل ولغيرهم إنني حاضر أن أُعطيه ثلاثين في المائة من الأصوات في لبنان، أي أصوات الفرق الإسلامية وكثير من المسيحيين الذين يمشون معنا، ولكن شرط أن لا يتعرّض لقضية تكبير لبنان وتصغيره، فإن إعادة الأرض الملحقة بلبنان إلى سوريا هي من جملة شروطنا الأساسية، وإنني إلى هذه الساعة لم أغيّر شيئاً من فكري، فليكن لطف اللّه أميراً على لبنان الأصلي وليكن ملكاً وليكن شاهنشاه هناك، هذا لا يشدّني، بل ربما فضّلتهم على غيرهم، ولكنني لا أُضحّي لأجل إمارة خبابه مصالح السوريين. وقد كتبنا هذه الأمور إلى إخواننا بمصر، فكانوا يقولون إن ميشيل لطف اللّه ينكر هذه التُّهم، وأحياناً يقولون إنها وقعت بعض هفوات من أخوته لكنه غير موافق عليها، فهو غير مسؤول عن أخوته، وأظن أن الطفل الصغير يعلم أن أولاد لطف اللّه كالأقانيم الثلاثة عند من يعتقد بإمكان وحدتها، فإنكار ميشيل بغير محله، ثم إنه صرّح لجريدة المعرض تصريحات مخالفة على خط مستقيم لبرنامج اللجنة التنفيذية، وقد عمل المرحوم نجيب شقير رُقعة لتلك التصريحات لم تستر شيئاً من الواقع، واليوم لا بدَّ أنكم تطالعون أو تسمعون بما تكتبه جرائد بيروت المسيحية من كون الإنكليزي ونجيب سرسق يسعيان علناً في إمارة جورج على لبنان، ويقنعان الموارنة بأنها أحسن واسطة لحفظ حدود لبنان الكبير الحالية، ويقولان إن جورج لطف اللّه حلف يمين الأمانة للدستور اللبناني، فكيف يمكن أيّها الأستاذ تأليف الدستور اللبناني مع برنامج المؤتمر السوري ـ الفلسطيني واللجنة التنفيذية؟.

وأما مسألة وفد فوق العادة إلى أوروبا، فالمقصود منها كسر الوفد السوري الحالي وأن تفهم فرنسا أن لطف اللّه هو الأصل، فإننا نحن عندما كنّا في باريس وقطعنا أخيراً علاقتنا معهم، صغروا

في عين المسيو برتلو وفي عين من يساعدهم من رجال فرنسا، وصار الكلام بأن أولاد لطف الله ليس لهم الأهمية التي يزعمونها، فتصوروا أنهم بإرسال الوفد المسمَّى فوق العادة إلى باريس يستعيدون المكانة التي خسروها بواسطة خصامنا معهم وقولنا إنهم لا يمثّلون شيئاً في البلاد، وهناك سبب آخر وهو احتمال أن يكونوا قاصدين شقاقاً آخر بين الزعماء على شقاق البكري، فإن الشقاق الذي قام به البكري قد كان طعنة عميقة في قلب الثورة، وقد ذاق الفرنسيس لذّة تأثير الطعمة، فأرادوا أن يوسّعوا الشقاق وأن يجعلوه بين اللجنة والوفد السوري. ومعلوم أن هذا الشقاق لا يظهر على صفحات الجرائد إلاّ إذا جاء وفد فوق العادة، وقد يجوز أن يدَّعوا أنهم يريدون ضمّ أعضاء إلى الوفد السوري الحالي، والحقيقة أنهم لا يريدون شيئاً إلا شيئاً واحداً وهو أن رئاسة الحركة الوطنية السورية هي في يدهم، وأن دعوى الوفد السوري أنهم ليسوا أصحاب الزعامة العليا ليست صحيحة، لأنه متى علمت فرنسا كونهم أثبتوا بالفعل وجود مقاليد سوريا في أيديهم وكون اللجنة لا تخرج عن إرادتهم، يعود المسيو برتلو فيقول إن هؤلاء قد أثبتوا بالفعل كونهم يفعلون ما يريدون في سوريا فلنأخذهم عضداً لنا، لا سيما أنهم هم كانوا تعهّدوا بتسكين كل حركة فيما لو سلمتهم فرنسا مقاليد الأحكام. وقال حبيب للجنرال بورجوا إنه في خمسة أيام يُخمد كل الثورات في سوريا بشرط أن تعهد فرنسا إليهم بالإمارة، وكذلك اطّلعنا على ورقة بيد الأنكيري نفسه تتضمن اقتراحات من جملتها أنهم إذا حصلوا على إمارة لبنان، يُسكنون كل حركة ويحلُّون اللجنة التنفيذية. ومعلوم أن الأنكيري هو يأخذ منهم معاشاً ويبثّ لهم الدعاية اليوم في لبنان، فليس بعدوٍّ لهم. والحاصل أيها الأستاذ، أطلت عليك الشرح لأني أعلمك رجل عمل منزّهاً عن الغرض، ومع طول هذا الشرح عندي أمور كثيرة لا يتّسع لها المقال، فالمرجو منك إكمال مساعيك الحميدة، والرأي عندي الاعتماد على أحد أمور ثلاثة: إما حلّ اللجنة التنفيذية بقرار الأكثرية وتشكيل لجنة ثانية، وإما توقيف اللجنة عن العمل مؤقتاً بقرار الأكثرية أيضاً، ومباشرة عقد مؤتمر سوري عمومي، وإما إبقاء الحال على ما هو عليه على شرط أن تتحرَّر اللجنة من ربقة نفوذ لطف الله وأن يقتلع هذا الرجل من فكره أن اللجنة آلة في يده، بل ينبغي أن يكون هو آلة في يد اللجنة وإن لم يقبل يمكن تركنا وشأننا، وفي الوقت نفسه يحصل الشروع بتمهيد عقد المؤتمر وتنظيم برنامج لانتخابه، كأن يكون عن كل مدينة عدد معيَّن على نسبة جسامة تلك المدينة، فدمشق يكون عنها مثلاً ٥ وحلب ٤ وطرابلس ٢ وهلمّ جرا. فالمؤتمر هو الذي يقرّر كل شيء، سواء بأمر اللجنة أو الوفد أو غيرهما. وعقد المؤتمر السوري لا تنحصر فائدته في إزالة الخلافات الحاضرة، بل يكون احتجاجاً جديداً من قِبَل الأمة على فرنسا من نكثها بمواعيدها وعدم إعطائها سوريا مطالبها التي ثارت الثورة من أجلها، وتشتدّ بعقد هذا المؤتمر عزائم الوطنيين في البلاد والمهاجر، كما أن جمعية الأمم والدول جمعاء

تتحقق بعقده. إن الحركة الوطنية السورية لا تزال كما كانت، بل ازدادت هذا في هذا الوقت الذي أرى فيه السياسة العمومية جارية مجرى حسناً بسبب استرجاع إلمانيا مكانتها الأولى وتزايد نفوذها في جمعية الأمم ولأسباب أخرى. فالمؤتمر عقده ضروري من كل وجه، وقبل عقد المؤتمر ينبغي أن اللجنة التنفيذية ـ إن لم يكن بالاتفاق فبالأكثرية ـ تعلن أنه لا يوجد في كل مساعي اللجنة والوفود مقاصد شخصية، وأنها تبرأ من كل من يداخل الحكومة الإفرنسية بطلب شخصي، وتعلن بصورة رسمية أنه لا يوجد قضية اسمها قضية إمارة لطف اللّه، فإذا كان لطف اللّه حقيقة رجلاً وطنياً يرضى بهذه الشروط وإن لم يكن لا يرضى بها، فيكون باقياً على عزمه في طلب الإمارة على لبنان الكبير مؤيّداً مطالب الموارنة، ويكون أعوان لطف اللّه المعهودون مشتركين في مسؤولية هذه الأعمال، وأرجو إطلاع الأخوين خالد بك الحكيم وشكري بك القوّتلي ومن تثقون به على كتابي هذا، وعدم المؤاخذة بإطالة الشرح، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم

شكيب أرسلان

لغويّات

وكتب الأمير شكيب رسالة بعث بها إلى الأستاذ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، بعد أن قرأ الأمير ملاحظات المغربي على (الرحلة الأدهمية) وعلى (الكراس الشارد)، نشرها المغربي في عدد مجلة المجمع العلمي، الجزء ١٢، مجلد ٧، كانون الأول سنة ١٩٢٧ م، فقال:

حضرة أخي الأستاذ المغربي أمتع الله الأدب بطول حياته

قرأت ملاحظاتك على (الرحلة الأدهمية) بعد كلامك على (الكراس الشارد) منها الذي أعاد فالتأم مع إخوته والحمد لله. فأنا لي ملاحظات على ملاحظاتك يمنعني ضيق الوقت عن الإطالة فيها. لكني لا بد أن أمرّ عليها ولو بمقدار نغبة الطائر.

تعترضون على صاحب الرحلة في وصف فيض المياه في حلب وتكررون هذه الملاحظة، وتقولون إن الشهباء لم توصف بكثرة المياه.

والصحيح أن الماء الشروب في حلب لا يوصف بالكثرة، أما المياه اللازمة لسقيا الأشجار فإن لم تكن كمياه دمشق فليست بقليلة. وبجانب حلب بساتين عظيمة ذهبتُ إليها مرة ووجدت جداول المياه متدفّقة خلالها، و «سمعتُ خرير الماء» كما قال ابن حربويه قاضي مصر في خبر ليس هنا موضعه.

تذكرون أن الدولة خضدت شوكة الحرافشة وتجعلون ذلك في نحو سنة ١١٥٠ هـ. ولا أظن أن الدولة قدرت على خضد شوكة الأمراء بني الحرفوش في ذلك العهد، بل عهد الخضد يتأخر عن هذا التاريخ مائة سنة على الأقل.

قال مؤلف الرحلة في عبارةٍ: «وقاد لنا النور»، فجئت أنت تقول: لعلها «أوقد لنا النور»، فأنا أقول: لا ضرورة لهذا التوجيه بل يكون أراد أن المضيف جاء وبيده مصباح فسار بين أيديهم. وأنت ترى أن المؤلف مسترسل إلى الاصطلاحات العامية. لا همَّ له في متانة التركيب ولا في إحكام السجع بل كيفما طاحت راحت. ولعمري لو لم يكن في الرحلة الأدهمية وكراسها الشارد من الجمل الركيكة والسجع البارد إلا قوله: [لما أردنا لبس الثياب. رأينا بقجة فاحت منها روائح الطيب

بلا ارتياب] فانظر إلى الطيب الذي يحتمل الارتياب كأنه دليل غامض أو برهان سوفسطائي.

ثم عند قوله: «فوجدت بابه مقفولاً» لا تقول شيئاً ولا تستشهد بقول الشاعر: (ولا أقول لباب الدار مغلوق) ولا تشير إلى أنها لغة رديئة.

ثم عند ذكر المؤلف لفظة (المفترجات) تقول: أراد بها مكان الفرجة. وهذا لا ريب فيه. ولكنك لا تكتفي بذلك حتى تضيف إليه قولك: (أما المفترجات فلم نسمعها بعد). بلى أيها الأستاذ إن لم تسمع بها أنت فقد سمعنا بها نحن. ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. ففي بلادنا من جبل لبنان يقولون: (المفترج) لبيت الخلا.

ثم يضبط المؤلف اسم أحد أدباء صيدا (أحمد البزره) بالهاء والأصح أنها بالياء. وآل البزري في صيدا مشهورون إمضاؤهم بالياء نسبةً إلى البزر وأنت لا تتعرّض لهذا. ثم إنك كثيراً ما تتهكّم بزوّار القبور، قبور الأولياء الصالحين، وتقول إنه منهي عنه في السنّة، وتعترض في ذلك حتى على العلماء الجلّة مثل سيدنا عبد الغني وأمثاله. فإن كان مقصودك هو شدّ الرحال لتلك الزيارة فأنا معك في هذا لورود حديث مشهور فيه: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». أما منع الزيارة بتاتاً فهذا لم يكن أصلاً بل أذن به الشارع (ص) للاتّعاظ والاعتبار. وأتذكّر أني قرأت هذا في كلام الأستاذ صاحب المنار أفتكون سلفياً أكثر من صاحب المنار؟.

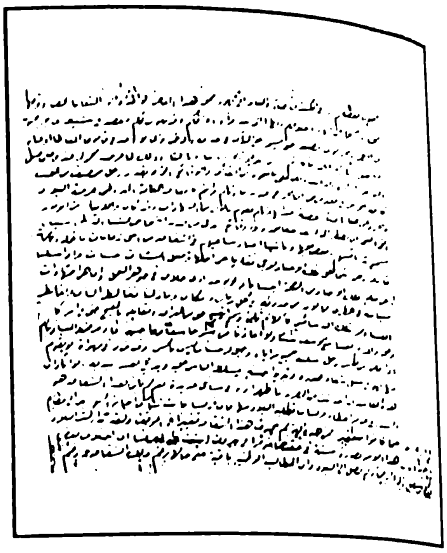
أما اعتراض المحقّق الأخ السيد سليم الجندي عليك في إدخال (الواو) على (بل) فلم أجد فيه ما يقال. لكن اعتراضه في إدخالك (أل) على (غير) فقد قالوا فيه إن (غير) اسم وهي هنا متضمنة معنى (مغاير) فجاز إدخال (أل) عليها.

وأما إنكار الأستاذ الجندي عليك جمع (مشهور) على (مشاهير) فقد جاء في كلام ابن خلدون فيما أتذكّر وهو ممن قرأ ودرى وسمع من أكابر الثقات فلعلهم أجروها مجرى (مجانين). وكان الأستاذ الشنقيطي الكبير يمنعها. ولكنه كان يمنع استعمالات كثيرة صارت من قلب اللغة، فقد بلغني أنه كان يمنع (مصلحة). فهل يريد الأستاذ الجندي خفير اللغة النقية أن يمنع (المصلحة) أيضاً؟ وهذا أصبح غير ممكن ولو اجتمعت جنود السمٰوات والأرض.

شكيب أرسلان

من أعضاء المجمع العلمي

لوزان في ٣٠ تموز سنة ١٩٢٧



الحركات السياسية في سوريا ولبنان

رسالة من الأمير شكيب، من لوزان، بتاريخ ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ م، إلى الشيخ محمد كامل القصّاب، يستعرض فيها الحركات السياسية التي تجري من مختلف الجهات التي كانت تُعنى يومئذٍ بقضية الأوضاع السياسية في سوريا ولبنان، والبحوث المتعلّقة بحدود البلدين.

لوزان ١٩ كانون الثاني ١٩٢٨

مولانا الأستاذ متّعنا الله بطول حياته

جميع ما تفضّلتم به في الكتب الخاصة والعامة إلى الجمهور بحق هذا العاجز، لا أعدُّه إلا التفاتاً محضاً وتوجُّهاً محبًّا ورشحاً عن إناء أخلاقكم ونظراً إلى الغير بجرأة أعراقكم، وقد يكون لكم مقصد في تنشيط عاجز تحسنون فيه الظن وتجذبون بضبعه حتى يستمر على الدأب في خدمة الوطن، وإني لا أجد في قاموسي ألفاظاً أوفيكم لها حق الشكر لا على ما تكرّمتم به من تزكيتي أولاً وثانياً وثالثاً، وذلك كما عرضت محمول عذق على حسن التوجّه وإرادة الترغيب، ولكن على ما بيّنتموه من الحقائق والوقائع التي لا يقدر رجل منصف من العرب كافة إلّا من في قلبه مرض أن يجرح فيه شهادتكم، وأنتم باتفاق الكلمة أكبر وطني عرفته البلاد وتجرّد عن الغايات الشخصية، فشهادتكم تقوم بألوف من الشهادات وقد كان والله يعلم من الأمور التي آلتني أن نضطر إلى كشف حقائق وسدر وقائع تنزل من قدر أشخاص، لبثنا أكثر من سنتين نسمع بدسائسهم ونغضي عليها وتأتينا أخبار مساعيهم في الشقاق، من أجل زعامات باطلة وكلمات فارغة ونحن نتجاهل تلك الأخبار، لا بل نقلبها عن أصلها ونجعل السيئات حسنات، وإذا سئلنا عن مبلغ تلك الأخبار من الصحة أجبنا بأنه لا يوجد أدنى خلاف في جوهر العمل، وإنما هي اجتهادات متباينة في الطرق مما لا بدَّ من حدوثه في كل زمان ومكان، وما زلنا نغالط الناس ونغالط أنفسنا ونمرُّ بتلك الدسائس كأنها لم تكن، ونسمع القبيح حتى من العراق ونقابله بالمليح حتى في أمريكا، وكل ذلك لم يفتنا مع الأسف شيئاً ولا أعاذنا من شر حاسده وما حسد، فإنه مرض والعياذ بالله، إذا تمكّن من نفس

رجل سلبه جميع مزاياه، وخيل له حسناً ما ليس بالحسن، وقذف به في مهواة لا يقوم منها، فهو في سبيل شفاء صدره وتبريد حنقه يسلّط الناس عليه ويذبح نفسه بيديه. لا أُنكر هذه المفاسد قد أحدثت من الضرر ما ظهر أثره في مسائل عديدة، نعم لم يكن هذا الشقاق هو السبب في عدم إعطاء فرنسا ما تطلبه البلاد منها، فإن فرنسا كانت تتأبى إجابة السوريين إلى مطالبهم حينما كانوا متّفقين، فمن هذه الجهة لم يحدث هذا الشقاق تغييراً في الموقف، ولقد تداركت البلاد هذا الأمر بصورة حسنة في عقدها مؤتمراً في بيروت أثبتت فيه فرنسا أن اختلاف بعض الزعماء لم يصل إلى البلاد، وأن المطالب الوطنية باقية على حالها برغم ذلك الشقاق وبرغم شدّته، ولكن ضرر الشقاق قد تجلّى في انقطاع الإعانات الواردة من المهاجر، ولا ننكر أيضاً أن الحالة الوطنية في المهاجر وهي الفئة القليلة بالنسبة إلى عامة السوريين المهاجرين، كانت قد بدأت تملّ وتتردد في متابعة الإعانات لا سيما بعد أن تمكّن العدو من إخماد الثورة في داخل البلاد، ولكن الكتابات التي أولاها حضرة الشهبندر وأعوانه إلى أُناس هم بعيدون عن الوطن غير مطّلعين على حقائق الأحوال، قد تناولت قضية الإعانات بضربة شديدة جاءتها في الوقت الذي استشعرت فيه النفوس اليأس من نجاح الثورة، فكانت مسؤولية هؤلاء المدّعين الزعامة والوطنية من أثقل ما سجّله التاريخ على خائن لوطنه. ولعمري إن أشدَّ الموارنة تعصُّباً لفرنسا وعماية في حبِّها، لم يقم من أذى القضية العربية ومن خدمة فرنسا بما قام به الشهبندر وزمرته، هؤلاء الذين يزعمون أنهم قائمون لتخليص الوطن.

وقد وردت أمس نشرة لطف اللّه الممضاة منه ومن الشهبندر ومن فوزي البكري ووهبة العيسى وتوفيق اليازجي، وقرأنا فيه العجائب والغرائب ولن نتركها بدون نشرة وافية بمهمة تقضي على تلك الترهات قريباً إن شاء الله، ومن أغرب ما فيها تواطؤ الشهبندر والبكري على حقوق وطنهم قبّحهم الله، فإن لطف اللّه لا يُنتظر منه غير هذه الخطة لأنه ليس بوطني وليس بعربي، ولم يدخل معنا إلاّ من أجل الغاية التي دخل من أجلها مع الشريف حسين وهي الإمارة والألقاب الفارغة، ويا ليته مع إضماره تلك الغاية يقتنع بلزوم خطة الحياد بأن لا يكون لا لنا ولا علينا، لكنه منذ دخل في مسألة المؤتمر والوفد كان في الظاهر صديقاً وفي الباطن عدواً، أي كان عدواً كاشحاً وهو أشدُّ الأعداء ضرراً، وقد بلوت منه في هذه السنوات ما لو جئت إيراده لك لأيقنت أنه لا عبد اللّه صفير ولا فارس نمر ولا داود بركات ولا بطريرك الموارنة هم في درجة ميشيل لطف اللّه من الشنآن الباطن للإسلام، وقد يكون أولئك أخفَّ ضرراً لأنهم مع سرائرهم المعلومة ذوو عقول يُحسنون بها التصرف، ولكن هذا لطف اللّه يجمع العداوة إلى الحماقة التي لو أردت أيضاً أن أحدّثك بنكاتها ونوادرها لبقيت ثلاث ليالٍ أُسامرك وأنت تضحك، فأقول إنني لم أتعجّب من كون لطف اللّه يعلّل عدم رضاه بالتصريح أنه لا يخرج عن الميثاق الوطني فيما يتعلّق بحدود لبنان، وأنه يطلب إعادة ما

سلخ عن سوريا إلى سوريا أو سؤال أهالي تلك الأقضية عن إرادتهم في هذا الأمر والنزول عليها، ولكنني عجبت من أن الشهبندر وفوزي البكري ذينك الزعيمين السوريـين يشهدان للطف اللّه بصحة دعواه الفاسدة التي هي أوهى من بيت العنكبوت، ويقولان كذباً وزوراً ما قاله من أن عدم تصريحه بقضية الحدود إنما هو من أجل أن ذلك التصريح يكون مخالفاً لبرنامج المؤتمر السوري ـ الفلسطيني، لأنه في برنامج المؤتمر لا يوجد ذكر حدود، فقد سمعت مساخر كثيرة في الدنيا ولم أجد أعرق من هذه في السخرية، وكنت أظن أن الشهبندر منحطّ ولكني لم أعتقد أنه في هذا الدرك الأسفل، ولا اعتقدت أنه باع نفسه من لطف اللّه بتاتاً، فإن دعواهم هذه معناها أن برنامج المؤتمر السوري ـ الفلسطيني من حيث إنه لم يعيّن الحدود بين سوريا ولبنان، سواء فيه أن تكون أقضية صيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك وعكار ومدينة طرابلس وأرض العلويـين لسوريا أو للبنان، لا بل بحسب دعوى لطف اللّه والشهبندر ربما أوجب ذلك غضب أهالي الشام، وقد يحتجّون على مخالفة برنامج المؤتمر السوري ـ الفلسطيني الذي فيه مجرد طلب الاستقلال وليس فيه تحديد حدود حتى يصرِّح لطف اللّه بها، فلطف اللّه يريد أن يتقيّد بزعمه بمنطوق البرنامج، وبعد هذا يصبح أن نقول إنه إذا تحالفت دولتان أو عقدتا معاهدة كمعاهدة إنكلترا مع ابن سعود، مثلاً، وجب على كل دولة منهما أن تعيِّن حدودها عند المعاهدة، فالبرنامج السوري ـ الفلسطيني لم يتعرَّض للحدود، لأنها معروفة ولأنه لا يخطر في البال أن داخلية سوريا تعترف لفرنسا ولموارنة لبنان بحق إلحاق بلدان فيها نحو مائتين وخمسين ألف نسمة إلى جبل لبنان، بمجرد أمر استبدادي وبدون رضا الأهالي، وأما اللجنة التنفيذية تفنّد ما صرَّح به لطف اللّه لجريدة المعرض بما صرَّح به خلافاً للميثاق الوطني السوري، قامت ونشرت بياناً ذكرت فيه تمسُّكها بإعادة البلاد المذكورة إلى سوريا وحق أهلها في إظهار رغبتهم. نعم كان ذلك ترقيعاً من نجيب شقير لعمل لطف اللّه، ولكن هذا الترقيع هو الحقيقة، فإن السوريـين لم يقبلوا في وقت من الأوقات أن تبقى مسألة هذه الأقضية الملحقة بلبنان، متروكة إلى نظام داخلي كما زعم لطف اللّه والشهبندر، أو إلى اتفاق بين الحكومتين تنحلُّ فيه هذه المسألة بطريق المساومة، كلاّ من الأول إلى الآخر كانت هذه المسألة في رأس القائمة وكل مرة وقع التماسّ فيها بيننا وبين الفرنسيس، كانت هذه المسألة من أمهات شروط الصلح، فهذه المماحكة التي اتّخذها لطف اللّه لتبرير امتناعه عن التصريح وأمضى تحتها الشهبندر والبكري، ستكون الضربة القاضية على ما بقي من انخداع بعض في هؤلاء الخائنين الذي لا يهم الواحد منهم إلاّ متاع قليل من وراء لطف اللّه، ويا للعار ويا للشنار. ولقد بدأت حقائق هؤلاء تتكشّف للملأ، وكان أكثر ذلك نتيجة بياناتكم التي لا سبيل إلى ردِّها ولا إلى سوء الظن لصاحبها، المنزَّه عن المنافع الشخصية والذي لم يشتغل في حياته إلاّ لأمته، فقد جاءني من

باريس أن جمعية الطلبة السوريين وهم الذين طالما راسلهم لطف الله ليضلّل أفكارهم، وكتب الشهبندر إلى بعضهم يطلب منهم تأييد لطف الله، قد أيّدوه ببرقية أرسلوا بها إلى مصر يقبّحون دسائس آل لطف الله ويطلبون إخراجهم من القضية الوطنية، وكذلك جاءني اليوم من أمريكا أن حزب سوريا الجديدة أبرق إلى مصر بمنع توفيق اليازجي من استعمال صوته، لأن الحزب لا يرضى أن ينحاز إلى لجنة لطف الله، وفي الوقت نفسه قد أكّد الحزب المذكور ثقته بالوفد السوري في أوروبا قائلاً إن موقفه مع الوفد غير متغيّر، كذلك جاءني من الأرجنتين أن الحزب العربي هناك أرسل إلى الشهبندر أنه واقف موقف الحياد في الخلاف ولا يجيز له استعمال صوته، وقد كتبوا إليّ أنهم إنمّا وكّلوا الشهبندر بناء على كوننا لم نخبرهم بشيء، وأنه لما توفّي نجيب شقير، أبرق إليهم لطف الله بأن يحيلوا تلك الوكالة إلى الشهبندر، ونظراً لخلوّ أذهانهم من الخلاف فوّضوه بذلك، فسيادتهم ترى أن الحقائق بدأت تنكشف وستزداد وضوحاً حتى لا يبقى شيء مغطّى والثوب الذي التحف به الشهبندر هو الثوب الذي لا يستر من سريرته شيئاً، وأظن أن البيان الذي نشرته لجنة لطف الله على أمل تضليل الأفكار لن يُخفى على أحد ما فيه من التمويه، ويعلم السوريون منه أن الشهبندر لإرضاء لطف الله قد سلّم بحقوق بلادهم، التي لا يتزحزحون عنها وضحّى ثمانية أقضية ومدينة كبيرة عدى بلاد العلويين، ولذلك أرى أنه صار يجب عقد مؤتمر جديد عام كالذي انعقد في بيروت يتذاكر في بيان لطف الله والشهبندر ويغربله، ويصدر القرار اللازم بالصراحة في أن هؤلاء خارجون على الميثاق الوطني متلاعبون بالقضية السورية لأجل مطامع شخصية، فإن جمعية الطلبة في باريس لم تصارح لطف الله بالعداوة إلاّ بعد أن ثبت لديها من تشكيل أولاد لطف الله جمعية اسمها (جمعية فرانس ـ سيري)، في ظاهرها شركة اقتصادية لمشروعات عمرانية وسكة حديد من طرابلس إلى الناقورة، وفي باطنها رشوة من أولاد لطف الله ومن سرسق لعدد من كبار الفرنسيس حتى يساعدوهم على إمارة لبنان الكبير، وأنه من الخرق أن يُستخفّ بخطر أولاد لطف الله بعد الآن، ولقد كنتم أنتم حسبما بلغني من السيد رشيد أول من عرف ضرر هؤلاء الجماعة وحذّر منهم، وأنا كنت في هذا الميدان مصلياً لا مجلياً إذا جئت بعدكم، ولكنني منذ سنوات أُحذّر من خطرهم وهذا حينما كانوا لا يزالون أضحوكة في الأفواه، والناس في باريس تتّخذ موضوعهم فكاهة في المجالس، فأما الآن فقد امتدّت عروقهم وعسى عودهم وكسبوا أهمية فعلية وصار الذين كانوا يهزئون بهم يعتبرونهم، لا سيما بعد أن عرفوا أنهم هم الذين كانوا السبب في هذا الشقاق البعيد، وأن أمثال الشهبندر من الزعماء هم تابعون لهم وأشبه بمستخدمين عندهم، ومع هذا فإن خطرهم الآن بعد أن استفحل لا يزال أخف من خطرهم فيما لو تمكنّا عنهم. فالعلاج الوحيد لهم هم على حدّ المثل (علاجها إخراجها) فينبغي الجهاد فيهم كالجهاد في الفرنسيس، لأن الضرر

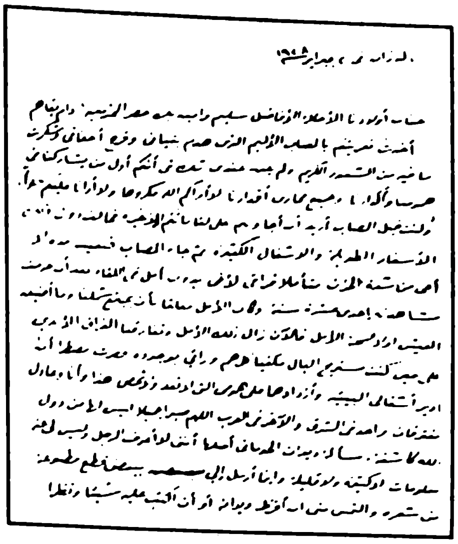
واحد إلى أن يتعرّوا تماماً ويظهر للفرنسيس أنهم ليسوا على ذرَّة من المكانة بين الوطنيين، وبهذه المناسبة أستجلب نظركم إلى قضية مهمة وهي أن لطف اللّٰه والشهبندر أرسلا نسيباً البكري ومعه مبلغ، لأجل أن يصطادوا به بعض زعماء المجاهدين المخيمين في قريات الملح، ويصدعوا وحدتهم هناك، فكما أنهم ألقوا الشقاق بين الوطنيين في فلسطين ومصر وأثاروا هذه الفتنة، يحاولون الآن إلقاء الفتنة نفسها في القريات، فينبغي الحذر كل الحذر، وكتب اللازم إلى هناك. وعذرت أخي ورفاقه على أمور بدت منهم ليس من شأنها إرضاء ابن سعود على حين نحن محتاجون إليه مادةً ومعنى، كما أني كاتب اليوم إلى ابن سعود أرجوه أن لا يغفل عن هؤلاء المجاهدين وأن يمدَّهم بالأقوات اللازمة، وأنا أضمن له عدم خروجهم عن رضاه. فأرجو من سيادتكم أن تسعوا في تلافي خطر الفساد الشهبندري في القريات وفي استدرار الإعانات من جهة الملك عبد العزيز.

تلقَّيت كتاب التعزية في المصاب الأليم، الذي هدم أركان اصطباري بموت أخي الكبير الذي كنت مكفياً به كل همّ ورائي، وكان أقلّ الناس شكيا وأتركهم لما لا يعنيه، ولم يكن من الناس من ينطبق عليه الحديث الشريف «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه» أكثر منه، فرحمه الله وجزاه عنّا أفضل الجزاء وأمتع هذه الأمة بطول حياتكم وأبقاكم ذخراً وفخراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

طيّه كتاب لولدنا الشيخ هاني أبي مصلح.



مقدمة ديوان الحوماني

ويكتب الأمير إلى صديقيه سليم وأمين خضر من بعقلين، رسالة من لوزان بتاريخ ٢ شباط سنة ١٩٢٨ م، يشير فيها إلى التباس وقع معه بالنسبة إلى مقدمة ديوان الشاعر محمد علي الحوماني، وقضايا اجتماعية أخرى(١).

لوزان في ٢ فبراير ١٩٢٨

جناب أولادنا الأجلاّء الأفاضل سليم وأمين بك خضر المحترمين دام بقاهم

أخذت تعزيتكم بالمصاب الأليم الذي هدم بنياني وقرح أجفاني وشكرت ما فيه من الشعور الكريم، ولم يكن عندي شك في أنكم أول من يشاركنا في همومنا وأكدارنا وجميع مجاري أقدارنا، لا أراكم الله مكروهاً ولا أرانا عليكم سوءاً. وكنت قبل المصاب أريد أن أجاوبكم على كتاباتكم الأخيرة، فحالت دون ذلك الأسفار الطويلة والأشغال الكثيرة، ثم جاء المصاب فبقيت مدة لا أعي من شدة الحزن، متأمّلاً فراقي لأخي بدون أمل في اللقاء بعد أن حرمت مشاهدته إحدى عشرة سنة، وكان الأمل معلّقاً بأن يجتمع شملنا وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، فالآن زال ذلك الأمل وتفارقنا الفراق الأبدي، على حين كنت مستريح البال مكفياً كل هم ورائي بوجوده، فصرت مضطراً أن أدير أشغالي البيتية وأزداد هماً على همومي التي لا تعد ولا تحصى. هذا وأنا وعادل مفترقان واحد في الشرق والآخر في الغرب اللهم صبراً جميلاً ليس لها من دول لله كاشفة.

مسألة ديوان الحوماني أصلها أنني لا أعرف الرجل وليس لي عنه معلومات لا كثيرة ولا قليلة، وإنما أرسل إليّ ببعض قطع مطبوعة من شعره والتمس مني أن أقرظ ديوانه أو أن أكتب عليه شيئاً، ونظراً لما وجدت في شعره من السلاسة اختلست من وقتي هنيهة عزيزة، مع وجود أشغالي إلى ما فوق رأسي، وكتبت له الذي أنت قرأته. وبعد ذلك ظهر الديوان وفيه تقدمة الكتاب إلى الدكتور شهبندر واصفاً إياه أنه زعيم الأمة السورية وكأن الحوماني عرف أنه إذا اقترح عليَّ تقريظ

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

ديوانه وأرسل إليّ بتلك النماذج من أول الكتاب، واطّلعت على تقديمه للشهبندر بتلك الصورة فإني امتنع عن كتابة هذا التقريظ، فأراد أن يغشّني وأرسل شيئاً وخبّأ شيئاً آخر حتى يظهر تقريظي في كتاب يقال فيه إن الشهبندر هو زعيم الأمة السورية، وقد يظن القارىء أني كتبت هذا التقريظ برغم اطلاعي على تلك التقدمة. فنظراً لهذا الاحتيال في اختلاس هذا التقريظ بلغ مني الاستياء مبلغه، لا سيما أنني لا أعرف هذا الرجل المسمّى بالحوماني وليس له بي أدنى صلة. وأما وصفه للشهبندر أنه زعيم الأمة السورية فليس الذي غاظني منافسة للشهبندر، لأنني والحمد لله معافى من داء الحسد وطالما أثنيت على الشهبندر وذكرته بخير، بينما هو يغتابني في كل مجلس بدون سبب كما اعترف بذلك كثير من أصحابه، ولكنني لا أرضى لأجل شرف الأمة السورية أن يقال إن مثل الشهبندر زعيمها، إني أرى في ذلك غضًّا من مقام الأمة السورية. فقد يجوز أن يوصف الشهبندر بأنه من نبهاء سوريا وأطبائها وخطبائها وحملة الأقلام فيها ومن المعدودين في رجالاتها، ولكن وصفه بزعامة السوريين تصغير لهم في نظري. وإن كان الحوماني يجهل تاريخ الشهبندر قبل الحرب وفي أثناء الحرب، وتحريره جريدة الكوكب لسان الدعاية الإنكليزية بين العرب، وخدمته النصوح للبريطانيين وإعلانه أنه يجب على العرب أن ينضووا تحت لوائهم إلى غير ذلك من الحقائق، فأنا لا أجهلها، وإن كنت تجاهلت منذ سنوات واخترت السكوت فيكون لا جهلاً بالحقائق بل تغابياً، على حد قول أبي تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

ولكن هذا التغابي لم يفد شيئاً، بل بقي هذا الرجل يطعن ويشتم في كل ناد وفي العراق وفي مصر، ولا يحيك فيه كلام أحد ممن كانوا ينصحونه قائلين إنه لا يجوز أن يطيل لسانه في حق من لا يذكره إلا بالثناء الجميل. وكل هذا كنت أتجاوز عنه لو لم ينضم إلى لطف اللّه الذي لا يسعى في شيء فيه مصلحة لسوريا، بل سعيه كله إلى إمارة لبنان بشرط أن يكون كبيراً ومؤخراً، توقف الصلح على تصريح بهذا الشأن فامتنع لطف اللّه عنه حتى لا يتقيَّد بشيء من جهة حدود لبنان، وكان الشهبندر نصيراً له على قومه السوريين، وأمضى بياناً في الرد على حكم الوسطاء يتضمّن تأييد ميشيل لطف اللّه في امتناعه عن التصريح بإعادة ما أخذ من سوريا إلى سوريا. وناهيك بهذه وحدها فضلاً عن غيرها للدلالة على مقدار صغارة هذا الشهبندر الذي يصفه الحوماني بكونه زعيم الأمة السورية. فهذا هو السبب في أني كنت لا أريد نشر هذا التقريظ في كتاب احتال عليَّ صاحبه حتى أخذ مني تلك الكلمات التي لا يستحقها، نعم إني معجب بأدب العامليين إعجاباً ليس فيه أدنى مبالغة وما قلته عنهم يترجم ما في ضميري، لكنني كنت أود أن يكون كلامي عن أدبهم العربي

ونسبهم العريق في العربية في فصل خاص، هذا ما أرجو أن تفضي به إلى الأخ الفاضل صاحب مجلة العرفان بصورة خصوصية.

وهنا نقطة أخرى أريد أن تصل إلى أصحابها بدون محاباة لهم، إنه لما توفي المرحوم كامل بك تعلمون ماذا عملت، فقد كتبت إلى أخيه عبد اللطيف تعزية وإلى بكوات النبطية تعزية أخرى عدا الرثاء الذي رثيته للمرحوم كامل بك ونشرته في الجرائد، ولما توفي محمود بك الفضل أرسلت أيضاً كتاب تعزية إلى أخيه الفضل، أي أنني قمت بالواجب عليَّ وهذا الواجب تقتضيه الأصول الاجتماعية، فضلاً عن المحبة التي كانت بيني وبين الذين توفوا، وفي ذلك الوقت جاءني الجواب من بكوات النبطية على التعزية بكامل بك ولم يجئني جواب من عبد اللطيف. وأما في المرة الثانية أي عند وفاة محمود بك فلم يتكرَّم فضل بك بالجواب، وفي هذه المصيبة التي أصابت بيتنا لم أجد من واحد منهم مقابلة الشيء بمثله، كأنهم يرون أنهم أحسن من النسا وأنه يجب على الناس لهم ما لا يجب عليهم للناس، أو كأنهم يرون أنفسهم من تحت الأصول الاجتماعية فلا تشملهم ولا يلزمهم أن يتقيّدوا بها، ونحن بعد الآن صرنا نعرفهم ونترحَّم على الماضين منهم، وهم قادرون أن يموتوا بدون تعزية منا ونحن قادرون أن نموت بدون تعزية منهم، ولكن يأسف الإنسان على أخذ هذه البيوت في التدنِّي بحيث لا نجد منهم خلفاً يشبه سلفاً، وإن كان اجتنابهم القيام بواجبات كهذه مبنياً على ملاحظات سياسية... فتكون المسألة أفظع لأن الرجل الشهم الذي يهمه أن يعد في الرجال، لا يتوقف عن القيام بما عليه من أجل ملاحظات سخيفة كهذه.

هذا وقبلاً أرسلت عن يدكم جواب التعزية لعطوفة السيدة خولة جنبلاط وجواباً لجناب أخيها محمود بك، وإني منتظر الإعلام عن وصول المكاتيب المذكورة.

وفاة المرحوم الشيخ أبي يوسف حمد المصفي أثّرت بي كثيراً لأنه كان من خيار الرجال، وهو ممن تفتقده الناس ولو كان استوفى من السن ما استوفاه، فإن الرجل الجيد يفقده قومه في أي سن كان، وقد عزَّيت ابنه الشيخ عباس في الإسكندرية وليس من عادتي أن أغفل عن أي واجب من هذا القبيل، ودائماً طالعونا ببشائر صحتكم الغالية، ودام بقاكم.

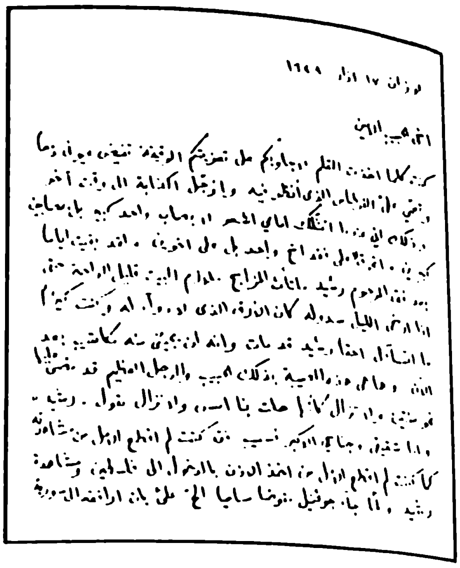
أخوكم

شكيب أرسلان

من أيام قلائل بعثت إليكم بصورتي مضمونة بالبريد.

وفاة الأمير نسيب أرسلان

في هذه الرسالة يذرف الأمير الدمع على فقد أخيه نسيب وعلى رشيد طليع الذي توفي منذ سنتين. ويذهب في مطاوي الذكريات التي تدلُّ على ما كان في قلب الأمير من رقةٍ ومحبة وعاطفة فيّاضة. وجّهها إلى أمين طليع، من لوزان، ١٧ آذار، ١٩٢٨ م[(١)].



لوزان ١٧ آذار ١٩٢٨

أخي الحبيب الأمين

كنت كلما أخذت القلم لأجاوبكم على تعزيتكم الرقيقة تفيض عيوني دمعاً، وتعمّي عليَّ القرطاس الذي أنظر فيه، وأؤجِّل الكتابة إلى وقت آخر، وذلك أني عندما أتمثّلك أمامي أشعر لا بمصاب واحد كبير بل بمصابين كبيرين، وأتحرَّق لا على فقد أخٍ واحد بل على أخوين، ولقد بقيت أياماً بعد فقد المرحوم رشيد ملتاث المزاج ملازم البيت قليل الراحة، حتى إذا أرخى الليل سدوله كان الأرق الذي لا دواء له، وكنت كثيراً ما أتساءل أحقاً رشيد قد مات وأنه لن يجئني منه مكاتيب بعد الآن. وها هي المصيبة بذلك الحبيب والرجل العظيم قد مضى عليها نحو سنتين ولا تزال كأنها حلَّت بنا أمس، ولا نزال نقول «رشيد».

وأما شقيقي وجناحي الأكبر نسيب فقد كنت لم أقطع الأمل من مشاهدته، كما كنت لم أقطع الأمل من أخذ الإذن بالدخول إلى فلسطين ومشاهدة رشيد. ولمّا جاء جوفنيل مفوضاً سامياً ألحَّ عليَّ بأن أرافقه إلى سوريا فلم تمكنّي إجابته خشية إغضاب الوطنيين، واشترطت للذهاب أن يكون الاتفاق قد تمَّ وجرى التوقيع عليه، وهو قد اعتذر عن الإتمام بأنه لا بد له من أن يزور البلاد ويفحص ويشاور. وهكذا قد ذهب رشيد ثم ذهب نسيب رحم الله روحيهما ولم يقيض لي مشاهدتهما، وسترافقني هذه الحسرات إلى التراب. ولقد صرت أزجّي الأيام بعدهما تزجية غير مبالٍ متى يكون الرحيل، وإنما أقول في نفسي لقد بدأت فيجب أن أكمل ولم يبق من المدة ما

(١) من محفوظات المرحوم أمين طليع.

يستحق أن أحدث فيه تغييراً، فلأقم بالواجب إلى النَفَس الأخير وبكثرة الشغل أرى الأيام تمرّ بسرعة البرق والعمر ينطوي بدون شعور، ولم يبق عندي سلوة عمن فقدت إلا بأن ألقي النظرة الأخيرة على وطني العزيز وأشاهدكم وأشاهد أخواني وأترابي، ولا أعلم هل تصطلح الأمور إلى أن أرى جائزاً الإياب إلى البلاد أم تبقى في البرزخ الذي لا نجد فيه محلاً للرضى ونبقى محرومين هذه الأمنيّة العزيزة.

أخي نسيب لا يزيدني إلا بسنة ونصف فقد عشنا ونشأنا أشبه بتوأمين، كما كنت أنت والمرحوم رشيداً، ولذلك نعي أخي نسيب لي كأنه نعي نفسي إليّ، وما يخفّف ألمي إلا حسن أحدوثته بين الناس، ولعمري إنهم لمنصفوه إذ لم يكن فيمن أعلم أقلّ منه شاكياً ولا أبعد عن الضرر ولا أعفّ لساناً ولا أدمث خُلُقاً، فلماذا لا يذكرونه بخير ولا يأسفون عليه، ولقد كان من رجاحة العقل وسِعة العلم وقوة الملكة العربية بالمكان الذي يقلّ من يصل إليه، ولكنه لم يكن يوصف بالإقدام وحب الظهور، ويا ليت شعري ماذا استفدت أنا وأخي عادل من هذه الجهة سوى الغم وتعكُّر المزاج والتعرُّض لعداوة الأعداء وحسد الحسَّاد، برغم الأيادي التي وفَّق الله لإسدائها والدماء التي أذن عن يدنا بحقنها والكروب التي أكرمنا الله بتفريجها، فهل حصدنا مما زرعنا غير غمط المعروف وإنكار الجميل؟.

لا شك أن زهد أخي نسيب في المداخلات كان أكثره من معرفته بأخلاق الكثيرين من البشر، ومن إجفاله من حصائد الألسنة وأحقاد الذين لا يغفرون للإنسان أن يكون مقداماً ولو بكفّ الأذى عنهم، ولقد مضى إلى ربّه بدون ضوضاء كما كانت حياته، وأغمض عينيه وأسلم الروح وهو يتكلَّم ومن حوله لا يصدِّقون. لكم كررت مطالعة كلمتك أنك شاهدته تلك النظرة الأخيرة وكم شفيت صدري بالبكاء لدى قراءتها، وها أنا ذا الآن أذرف الدمع في أثناء كتابة هذه الأسطر حتى لا أكاد أراها، وأعود فأقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ليس في كل ما قيل أحق من هذه الآية. والله تعالى يجعل بوجودك لنا نِعم العوض ولا يرينا عليك ولا على من تحب مكروهاً ويقرب أمد اللقاء بيننا.

بلغني أن سعادة السيدة نظيرة جنبلاط شرَّفت محلنا في المأتم، فأومل أن تقدِّموا لها واجب الشكر عني، سائلاً الحق عز وجل أن يمنَّ بطول عمرها وعمر ولدها، وأن ينفع بهما الوطن ويحسن بهما عزاءنا.

ولا حاجة إلى بيان ما شعرت به من الحزن بفقد المرحوم الشيخ أبي يوسف حمد المصفي الصديق القديم، والرجل الذي مثله في الرجال قليل، كتبت إلى ولده الشيخ عباس التعزية اللازمة

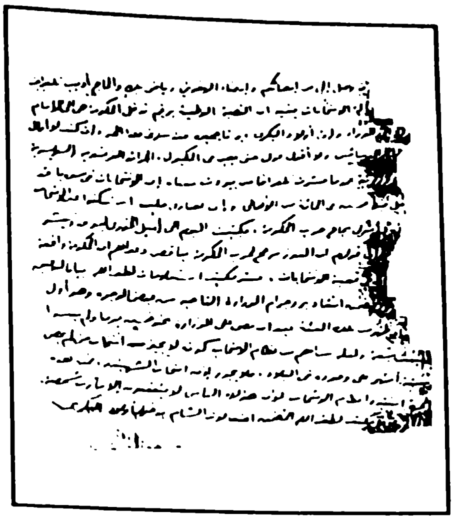
وأملي أن تقدِّموا عني مثلها لصهركم الدكتور خليل جعلهما الله نِعم الخلف وأمتع بسلامتهما.
وسلامي إلى محمد أفندي علي نجم وإلى وهبة أفندي وكل من ضمَّه مجلسكم العامر ودام بقاكم.

أخوكم
شكيب أرسلان

26 Avenue Des Alpes

villa miramar

Lausanne



السياسة في سوريا

رسالة من الأمير، من لوزان، بتاريخ ١٦ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٨ م، الموافق ٥ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ، إلى الشيخ محمد كامل القصّاب، يخبره فيها عن قضية الانتخابات وانتقاد برنامج وزارة تاج الدين الحسني، ويحذِّره من المعتدلين، ويشيد بمبادرة ابن سعود للمخيِّمين في النبك.

لوزان في ١٦ أبريل ١٩٢٨

حضرة مولانا الأستاذ

الآن وصل إليّ من إمضائكم وإمضاء الأخوين رياض بك والحاج أديب تلغراف عن مسألة الانتخابات، يفيد أن القضية الوطنية برغم تدخُّل الحكومة هي إلى الأمام لا إلى الوراء، وأن أولاد البكري غير ناجحين، فقد سرَّني هذا الخبر وإن كنت لا أزال أخشى الدسائس، ولا أقول فول حتى يصير في المكيول. الجرائد الفرنسوية والسويسرية والأوروبية عموماً نشرت تلغرافاً من بيروت، معناه أن الانتخابات في سوريا قد دخل فيها خمسين في المائة من الأهالي، وأن نصارى حلب استنكفوا عن الانتخاب وأنه مأمول نجاح حزب الحكومة. فكتبت اليوم إلى إميل الخوري ليرق وينشر في باريس أن قولهم إن الفوز مرجَّح لحزب الحكومة يناقض دعواهم أن الحكومة واقفة على الحياد في قضية الانتخابات. نشر مكتب استعلامات لطف الله بياناً لتوفيق اليازجي يتضمن انتقاد بروغرام الوزارة التاجية من بعض الوجوه، وهو أول انتقاد ظهر من تلك الفئة، بعد أن مضى على الوزارة نحو خمسين يوماً ولم ينبسوا ببنت شفَّة، ولعلَّه ساءهم من نظام الانتخاب كونه لا يجيز انتخاب من لم يمض ستة أشهر على وجوده في البلاد. فلا يجوز إذن انتخاب الشهبندر. فمن هذه الجهة انتقدوا نظام الانتخاب، لأن هؤلاء الناس لا يتعقَّبون إلاّ مآرب شخصية.

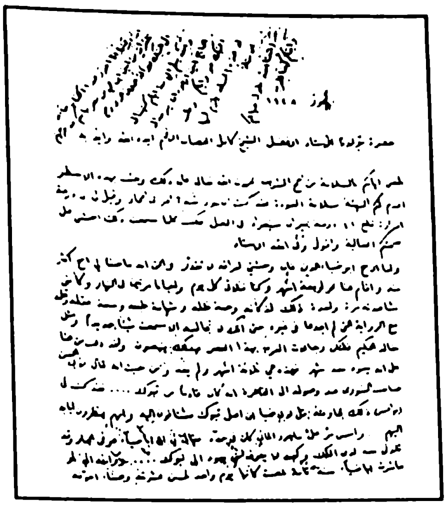
وأما بلاغ لطف الله المتضمِّن احتفالات الشام بدخول أولاد البكري فقد سرَّني كثيراً، لأنه حجّة جديدة على تكافل لطف الله مع البكريين، وفيما بعد كل ما يظهر من أولاد البكري يلتحق

بلطف الله والشهبندر. شائع في باريس أنه إذا فاز حزب بوانكاريه في الانتخابات الأفرنسية، يبعث بوانكاريه إلى سوريا الجنرال فايغان. فإن تمَّ ذلك فتكون فرنسا رجعت إلى ما كانت عليه تماماً، وعندي أنه على فرض أن فايغان لم يرسل إلى سوريا وبقي بونسو، فأمام الجمعية التأسيسية معركة شديدة مع فرنسا، وفي هذه المعركة سيتجلَّى من السوريين الصادق ويتميز عن المنافق. ومن أيام كتبت إلى عبد القادر أفندي الكيلاني مكتوباً أحذِّر فيه تاج الدين وزملاءه تحذيراً شديداً من أن يصيبهم ما أصاب الداماد، وأبيِّن لهم أن نزيل تاج الدين إلى الفئة المتفرنسة التي تسمَّى بالمعتدلة، لا يضرُّ المصلحة الوطنية فقط، بل يضرُّ مصلحة تاج الدين الشخصية لأن الاستقلاليين لا يقارعونه الوزارة ولا يزاحمون أحداً، ولكن الخوف كل الخوف عليه إنما هو ممن يسمُّون أنفسهم معتدلين، وهؤلاء سيخدمون فرنسا في الجمعية التأسيسية ثم يطالبون بالخلافة، فهم المزاحمون له بخلاف الاستقلاليين الذين لا يخطر ببالهم قبول الوزارة، فضلاً عن المزاحمة عليها. فهذا المكتوب الذي حفظنا صورته هنا سنجعله نذيراً لتاج الدين ورفاقه ومستظهر به عليهم في المستقبل.

سررت جداً لمساعدة ابن سعود للمخيَّمين في النبك، ولعلهم بعد الآن يضبطون ألسنتهم ويرون الحقائق وجهاً لوجه، فإنه لا يوجد مكان لا في سوريا ولا في فلسطين ولا في شرقي الأردن ولا في العراق ولا في تركيا ولا في مصر يقدرون أن يلجأوا إليه، بل المكان الوحيد الذي يقدرون أن يأووا إليه هو ظل ابن سعود، فبعد هذا القول إنهم تقيَّدوا بعهد وإن ذلك القيد أضرَّ بهم وندموا عليه وما أشبه ذلك، هو من أغرب الغرائب لا يكاد يصدِّقه إلاّ الذي سمعه بأذنه. فقد أخروا بكلام محال كهذا مجال الإعانات التي كانت ممكنة من قبل اليوم، ولا عذر لهم سوى ضيق أخلاقهم بما أصابهم من النكبات. وقد جاءني من الملك جواب فيه إشارة إلى أنه أمر بإرسال الإعانة، ولن يقصر ولا شك أن هذا نتيجة مساعيكم ومساعي الأستاذ الرشيد والأخ شكري، ولا ننسى أن ابن سعود هو نفسه سخي اليد عظيم الحمية حافظ لتنشئة العرب الحقيقية. من أمريكا لا يزالون يقدِّمون الإعانات. ولقد ازدادت الهمَّة مؤخراً لا سيما بعد أن أفلست هناك دسائس الشهبندر وأولاد لطف اللّه، . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

شكيب أرسلان



خلاف وإصلاح

رسالة من الأمير، من لوزان، بتاريخ ١١ تموز سنة ١٩٢٨ م، إلى الشيخ محمد كامل القصّاب يهنئه بسلامة العودة من الحج، ويشكر أبا ضياء ممجّداً أخلاقه وصفاته، مقدّماً بعض الاقتراحات بشأن الصلح بين الفريقين المتنازعين في سوريا، وليس بمقدور أحد أن يقوم بالصلح دون موافقة حزب سوريا الجديدة. ويبارك ما سيفعله القصّاب بخصوص الخلاف الذي حصل في النبك ويشجّعه على الاستمرار في مسعاه لأنه يخدم القضية الوطنية.

لوزان ١١ تموز ١٩٢٨

حضرة مولانا الأستاذ الأفضل الشيخ كامل القصّاب الأفخم أيّده الله وأيّد به

بلغني إيابكم بالسلامة من الحج الشريف فحمدت الله تعالى على ذلك، وجئت بهذه الأسطر أقدم لكم التهنئة بسلامة العودة، فقد كنت أتصوَّر شدة الحر في الحجاز، وقيل إن درجة الحرارة تبلغ ٤٨ درجة بميزان سنتيغراد في الظل، فكنت كلما سمعت ذلك أخشى على صحتكم الغالية وأقول وَقَى الله الأستاذ.

وأما الأخ أبو ضياء الدين فإن وحشتي لفراقه لا تقدَّر، والحق أنه ما صفا لي أخ أكثر منه، وأقام هنا نحو أربعة أشهر وكنا نتلاقى كل يوم وأحياناً مرتين في النهار، وكأنني شاهدته مرة واحدة ذلك لذكائه وخفّة ظلّه وشهامة طبعة وسِعة عقله وعلمه مع الرواية التي لم أجدها في غيره، حتى إنك لا تجالسه إلا سمعت شيئاً جديداً، ومثل خالد الحكيم فلتكن رجالات العرب بهذا العصر فبذلك ينهضون، ولقد ذهب من هنا على أنه يعود بعد شهر، فهذه هي ثلاثة أشهر ولم يعد. ومن حيث إنه قال لأبي الحسن صاحب الشورى عند وصوله إلى القاهرة إنه كان قادماً من تبوك.... فقد كتب لي أبو الحسن ذلك فجاوبته: قل لأبي ضياء إن أهل تبوك مشتاقون إليه وإنهم ينتظرون إيابه إليهم. وأمس مرَّ عليَّ مأجور ألماني كان في جدّة فقال لي إن أبا ضياء هو في الحجاز وقد تلاقى معه لدى الملك ولكنه لا يعرف متى يعود إلى تبوك.... ووالله إني لو عاشرت أبا ضياء

سنة تامة لمضت كأنها يوم واحد لحسن عشرته وصفاء أخوّته، وينبغي أن يرى الإنسان وجهه ويسمع صوته إذا تعطّر المجلس بذكر الأستاذ أيّده الله.

هذا وعسى أن تكونوا وجدتم جلالة الملك بخير وسعادة الأخ محمود حمدي بك بخير والأخ حسن وفقي بك بخير، وأن تكون الأحوال العامة في طريق السداد. ولقد حدَّثني المأجور الألماني، وهو من أذكى الرجال، أن الملك في طوره وسمته وشكله أعجبه جداً ورأى فيه عظيماً من عظماء البشر، وهو يعتقد أنه ما دام موجوداً ـ أطال الله عمره ـ فالعرب بخير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم/ شكيب أرسلان

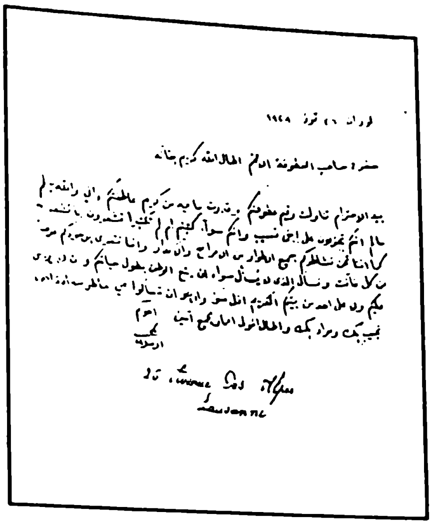
26 Avenue Des Alpes, Lausanne

أزكى سلامي إلى السيد أحمد الإمام وإلى الشيخ هاني أبي مصلح.

ـ جاءني من أيام مكتوب من محسن أفندي البرازي من الطلبة الأدباء في باريس، فحواه أنه بلغهم مع السرور أن الصلح بين الفريقين المخاصمين من السوريين ممكن، على أن تحلّ لجنتا المدابغ وعابدين معاً ولكن العائق في حلّ الوفد السوري، فالاستقلاليون لا يقبلون ذلك وجماعة لطف اللّه والشهبندر يشترطونه، والجمعية العربية في باريس مقترح عليها إبداء رأيها، وهم يحبون أن يعلموا فكرتي. فجاوبت البرازي وهو محب لي: إن كان المقصود حل الوفد السوري لأجل الصلح فأنا مستعفٍ من الوفد مع الشكر، وإنما لي ملاحظتان: الأولى أني لا أقدر أن أرضى بحل الوفد السوري بدون رضى زميلي الجابري والصلح، والثانية أن هناك أركاناً آخرين لا بد من موافقتهم لا سيما حزب سوريا الجديدة الذي له ٥٠ فرعاً في أمريكا، وقد جدَّد للوفد وكالة مصدَّقة لدى المحاكم، وأبرق باتفاق الأمراء إلى جمعية الأمم وإلى خارجية فرنسا أن كل صلح أو اتفاق لا يكون بمعرفة شكيب أرسلان وإحسان الجابري ورياض الصلح لا يعرفونه. ولما كان هذا الحزب هو أكبر عامل في الثورة السورية فلا يصح عمل شيء بدون موافقته. قصدت إطلاعكم على ما جرى حتى يكون ذلك محاطاً بعلمكم وتخبروا رياض بك متى تلاقيتما وتتذاكروا معه. أما إحسان بك فقد أخبرته من يومين بكتاب إلى القدس.

ـ بينما أنا أحرِّر هذا الكتاب جاءني تلغراف من أمين ابن عمي من مصر بأنكم قد توجَّهتم إلى النبك لإزالة الخلاف الذي وقع، والله يعلم أني منذ أيام كتبت إلى الحاج أمين أرجوه أن يتوجَّه إلى النبك هو وإياكم، وقلت له هذه المسألة يلزم لها الأستاذ. أمتعنا الله بطول حياتكم وأبقاكم كهفاً للعرب.

شكر على تعزية



رسالة من الأمير شكيب إلى نجيب بك السعد، تتناول بعض اللياقات والعواطف المتبادلة، ومعها ملحق تضمَّن اقتراحاً رشيداً بشأن رئاسة الجمهورية في لبنان. والرسالة بتاريخ ٢٦ تموز سنة ١٩٢٨ م[١].

لوزان ٢٦ تموز ١٩٢٨

حضرة صاحب العطوفة الأفخم أطال الله كريم بقائه

بيد الاحترام تناولت رقيم عطوفتكم وقدَّرت ما فيه من كرم عاطفتكم، وإني والله يعلم عالِم أنكم تحزنون على أخي نسيب وأنكم سواء كتبتم أم لم تكتبوا تشعرون بما نشعر به، كما أننا نحن نشاطركم جميع الأطوار من الأفراح والأكدار وإننا نتعزًّى بوجودكم عوضاً عن كل فائت، ونسأل الذي لا يُسأل سواه أن يمتع الوطن بطول حياتكم، وأن لا يريني عليكم ولا على أحد من بيتكم الكريم أقل سوء، وأرجو أن تسألوا عني خاطر سعادة أخونا نجيب بك ومراد بك وأطال المولى أعمار الجميع آمين.

أخـوكـم
شكيب أرسلان

26 Avenue Des Alpes

Lausanne

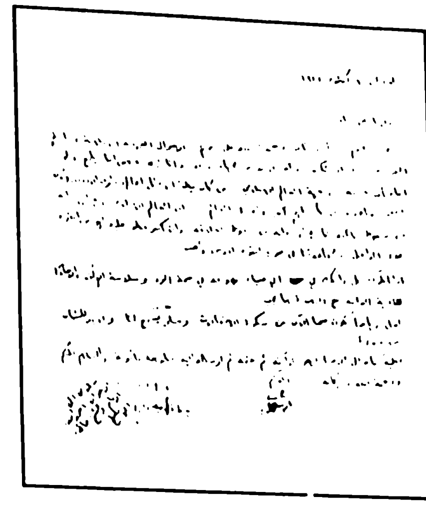
حاوٍ سرًّا

كتب لي الأخ إميل الخوري من باريس يسألني رأيي في مسألة رئاسة جمهورية لبنان

---

(١) من محفوظات النائب السابق الأستاذ فؤاد السعد.

ويقترح بعض أشياء، فجاوبته بأني لا أفهم لماذا لا يتفاهم الموارنة مع المسلمين رأساً ويتّفقون على انتخاب رئيس للجمهورية ماروني هذه المرة، وأن يكون الدور للمسلمين في الرئاسة المرة التي بعدها، فإن هاتين الطائفتين إذا اتّفقتا كان ما أرادتا بدون عناء. فجاوب إميل بأنه تذاكر مع الجمعية اللبنانية في باريس هذا الموضوع، وأعجبهم الرأي وكتبوا إلى البلاد، وأنه يكون الاتّفاق على أنه متى كان رئيس الجمهورية مارونياً كان رئيس النظّار مسلماً، ومتى كان رئيس الجمهورية مسلماً كان رئيس النظّار مارونياً، ويرى إميل بذلك وسيلة للائتلاف وسداً للباب في وجه المتطفلين المرضى بآفة الألقاب.... فكتبت إليه ثاني مرة أني أرى ترشيح حبيب باشا لرئاسة الجمهورية وأعتقد أن هذا الترشيح يستميل كثيراً من الطوائف المحمدية ويسهّل المسألة. فقصدت الآن أن أخبركم بما جرى حتى تكونوا على علم بما يجب إن راق هذا الرأي الكريم لديكم. ولست بضامن المسلمين أجمع إلا أني أعتقد بكونهم يوافقون على هذا الرأي، لأنه معقول وموافق للعدل، وقبلاً كان رضى بك الصلح نفسه كتب إليَّ يحسّد التفاهم بين المسلمين والموارنة ونحن لا همَّ لنا سوى السلام والوئام، وهي الخطة التي برهنت عليها بأعمالي أيام الحرب، ولو كان بعض من جماعتكم كافأوني على ذلك بالتشنيع والافتراء.. فهذا لا يغيّر مبادىء الإنسان الذي ينظر إلى المصلحة العامة ويعتبر أقوال سراة القوم، ولا يبالي بسفه السفهاء الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان.



أنقرة عدو الداخل

رسالة مؤرخة من لوزان ٦ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٨، ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ، من الأمير إلى الشيخ محمد كامل القصاب، يخبره فيها عن سوء الأحوال الإسلامية والعربية.

مولانا الأستاذ

تشرفت برقيمكم الأول والثاني وحمدت الله على صحتكم. الأحوال العمومية الإسلامية وبخاصةِ العربية سيئة بلا شك ولكن لا بد من الجهاد، وقد بدأنا نرى بصيص أمل يلمع ولو إيماضات خفيفة من جهة العالم الإسلامي. من كان يظن أن مثل أهالي شرق الأردن يهبُّون لرفض معاهدة تضربها عليهم أكبر دولة في العالم. إن العالم الإسلامي لا يُخشى عليه من سقوط ممالكه كما يُخشى عليه من سقوط أخلاقه، وإن أكبر خطر عليه لهو من أنقرة عدو الداخل.. فمجاهدتنا في ضرب أنقرة أقدس واجب.

أشاطرك كل رأيك في أبي ضياء فهو فذ في صحة الود وسلاسة الإلْف والإخلاص للقضية العامة مع البصيرة بما يجب.

لعل رياضاً يكون صحا الآن من سكرة الاحتفالات وصار يسمع لنا، ولا بد للشباب من سورة.

بطيّه كتاب إلى أبي ضيا أرجو قراءته ثم ختمه ثم إرساله إليه بطريقة مأمونة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم
شكيب أرسلان

سلامي إلى الأخوان أحمد أفندي الإمام والشيخ هاني أبي مصلح.

وفاة عبد العزيز جاويش

وارسل الأمير شكيب رسالة إلى الأستاذ محمد علي الطاهر، صاحب جريدة «الشورى» في مصر، يذرف فيها دمعة حارة على وفاة الشيخ عبد العزيز جاويش أحد مجاهدي فلسطين. نشرتها «الشورى» في ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٢٩ م، الموافق ١٣ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ.

لوزان ٣٠ يناير ١٩٢٩

أخي أبا الحسن

بهذا الصباح المشؤوم قرأت خبر وفاة الشيخ جاويش روّح الله روحه، فدموعي لم تنقطع منذ قرأت الخبر وأي دمع لعمري لا يفيض على مثله. منذ وفاة المرحوم الشيخ محمد عبده، لم أشعر بفراغ أعظم من الفراغ الذي أشعرني إياه فَقْد الأستاذ عبد العزيز. وإنه لجدير بأن يكون مأتمه مأتماً عاماً في جميع العالم الإسلامي الذي كان من أفذاذه، رحمه الله وجزاه عن الشرق خيراً وأعظم به أجر المسلمين عامة والمصريين خاصة، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

شكيب أرسلان

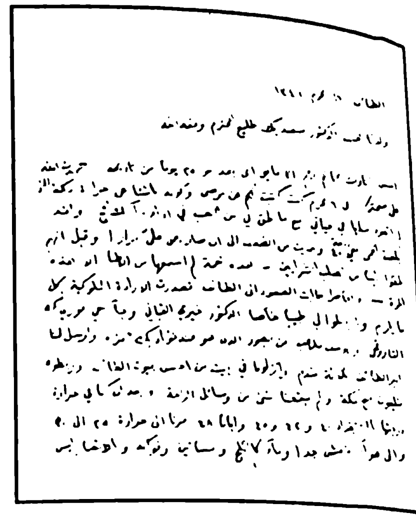
الأمير يستنهض الهمم

وبعث الأمير رسالة إلى سليمان بدور صاحب جريدة «البيان» في نيويورك، يستنهض فيها همم كرام المهاجرين العرب لمساعدة إخوانهم في «النبك» أثناء الثورة السورية العربية الكبرى، وقد نشرتها «البيان» ثم نقلتها عنها جريدة «الجامعة العربية» التي صدرت في القدس الشريف، تاريخ ٣ حزيران سنة ١٩٢٩ م، والرسالة مؤرخة في ١٠ نيسان سنة ١٩٢٩ م.

«إن شقيقي عادل الذي أصيب بأمراض عدة في أثناء هذه المجاهدة الطويلة الشاقة، قد اضطر تحت إلحاحي أنا وإلحاح أكثر أخوانه أن يغادر وادي السرحان مؤقتاً قاصداً البلاد المعمورة لأجل معالجة أمراضه، ولهذا ولكون بعض الناس قد يسيئون تأويل مجيء أخي من هناك، وقد يدخل الفتور على هممهم ويتطرَّق القنوط إلى نفوسهم جئت بهذا النداء أذكِّر إخواننا الوطنيين الذين في المهاجر، والذين من الأول إلى الآخر لم يغفلوا عن واجباتهم نحو الثورة والقائمين بها قائلاً: إن أخي عادل لم يكن إلا فرداً من المجاهدين ولم يكن كل المجاهدين، وإن فصاله المؤقت من هناك لم يغيِّر شيئاً من الحالة الراهنة في تلك البقعة، ولا يزال فيها نحو ألف وخمسمائة نسمة من المجاهدين وعائلاتهم وذراريهم هم في حاجة دائمة إلى عطف إخوانهم الذين في المهاجر عليهم. وإن الذين لم يبخلوا على قضية الوطن بدمائهم فحريٌّ بأبناء الوطن البررة أن لا يبخلوا عليهم بأموالهم في مقامهم الشريف هذا في تلك الفلاة التي من دخل فيها بلا زاد هلك، وإنما دخل فيها أولئك المجاهدون على ما فيها من خطر الإقامة، إباء وعزة نفس، وترفُّعاً عن الخنوع للأجانب الغاصبين، واستنكافاً من الإقامة بأرض غير عربية الحكم، وتفيُّؤاً تحت راية لا تشوبها شائبة الدخيل، وإن هؤلاء المجاهدين لا يزالون حابسين أنفسهم على الجهاد في سبيل الوطن والرباط في إعلاء شأنه. وإنه إن بقي الغاصبون على المكابرة في حقوق الوطن المقدسة، وألجأت مكابرتهم إلى استئناف العمل عوداً على بدء، وإلى الخطاب باللغة التي لا يفهم الاستعمار إلا بها، فإن هؤلاء المناضلين هم النواة التي سينضم إليها غيرها من حماة الحقائق العربية والبقية التي أبت إلا أن يبقى علم الجهاد مرفوعاً. فالله الله فيهم وحيهلاً بالعطف عليهم ومرحى مرحى لكل من واظب على معاونتهم والبِر بهم، إنهم هم بقية كتيبة الشرف وثمالة صافي الكأس وخصاصة كرم الحرية ورمز الإقدام والثبات، ومتى انقطع الأمل وحمي الوطيس رجع إليهم عادل وغير عادل، والله ولي الأمر من قبل ومن بعد.

شكيب أرسلان

١٠ نيسان ١٩٢٩



الأمير والدكتور سعيد طليع

رسالة يكتبها الأمير من «الطائف» في السعودية، مؤرخة، الطائف، ١٧ محرّم، ١٣٤٨ هـ، ٢٦ أيار ١٩٢٩ م. إلى الدكتور سعيد طليع، يطلعه فيها على اعتلال صحته وتصلُّب شرايينه، كما يذكر استقبال الملك سعود له، وطلبه البقاء في الطائف هو والعائلة، ولكن الأمير أبى البقاء بعيداً عن قضايا وطنه العربي، وعن الاهتمام بالقضية السورية[١].

الطائف ١٧ محرم ١٣٤٨

ولدنا الحبيب الدكتور سعيد بك طليع المحترم وفَّقه الله

أمس تناولت كتابكم رقم ٣١ مايو أي بعد نحو ٢٥ يوماً من تاريخه. حمدت الله على صحتكم. في ٦ محرم كنت كتبت لكم عن مرضي وكونه ناشئاً عن حرارة مكة التي لم أتعوَّد مثلها في حياتي، مع ما لحق بي من التعب في أداء مناسك الحج. ولقد بلغت الحمى معي درجة ٤٠ وصرت من الضعف إلى أن صار يغمى عليَّ مراراً، وقيل إنهم لحظوا شيئاً من تصلُّب الشرايين - هذه نغمة لم أسمعها من الأطباء إلا هذه المرة - والحاصل طلبت الصعود إلى الطائف فصدرت الإرادة الملوكية بكل ما يلزم وأرسلوا لي طبيباً خاصاً الدكتور خيري القباني، وجاء معي فوزي بك القاووقجي ويوسف ملاعب من بيصور الذي هو عند فؤاد بك حمزة، وأرسل لنا أمير الطائف ثلاثة خدم وأنزلونا في بيت من أحسن بيوت الطائف وربطوه بتليفون مع مكة، ولم ينقصنا شيء من وسائل الراحة. وبعد أن كنا في حرارة درجتها بالستيغراد ٤٠ و٤٢ و٤٥ وأياماً ٤٨، صرنا إلى حرارة ٢٥ إلى ٣٠، وإلى هواء منعش جداً وماء كالثلج وبساتين وفواكه، وبالاختصار ليس في كل مصايف لبنان ما هو أنشط من الطائف. هبطت الحرارة معي ثالث يوم وصولي وعادت إلى حالتها الطبيعية، وانقطع الإغماء الذي كان يصيبني، وصرت آكل كأحسن أيام الصحة، ومن ٢٠ يوماً

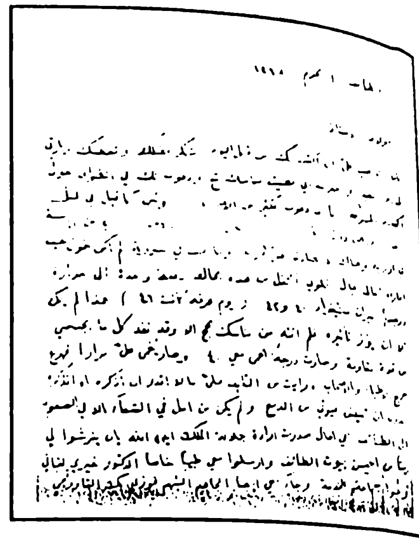
(١) من محفوظات المرحوم أمين طليع.

صرت أخرج كل يوم للنزهة في بستان وأمشي نحو ساعة، نعم أصابني شيء من البرد لا سيما أني ضعيف، فتحرُّكت الكلى وصرت أشعر بألم في الظهر وبأعراض الرمل، فبادرنا ذلك بالماء الساخن وصرنا نلبس الصوف فزال أكثر ما كان من هذه الجهة، ولم يبق إلا ألم خفيف أو ثقل ينتاب أحياناً من الأمام.. هذه هي حالتي وأظن أني إلى حد ١٠ أيام أملك صحتي كما كانت يوم جئت من أوروبا. جلالة الملك أمر بأن أبقى الآن في الحجاز وأن أستدعي عائلتي من أوروبا إلى الطائف، فشكرت واعتذرت بقضية الوفد السوري وأمور أخرى تقتضيها المصلحة العربية وينبغي منها الرجوع إلى أوروبا، ولكني قررت أن أبقى في الطائف إلى أواخر تموز. هذا ما لزم وإني أشكرك كثيراً وأرجو أن تكتب إلى سيادة الوالد الطاهر الجليل، وتقدِّم له واجبات احترامي وتستمد لي دعاءه وانعطافه، وتقبَّل عني عوارض الأخ الحبيب الأمين ودمت.

للمخلص

شكيب أرسلان

مسألة الدكتور مصطفى عز الدين هي هذه: أن تقرر دخول الحجاز في المجلس الصحي العام لا يكون غيره ممثلاً للحجاز. هكذا وعدونا.



مناسك الحجّ وعموميات

رسالة من الأمير، من الطائف، بتاريخ ١٠ محرّم ١٣٤٨ هـ، ١٩ تموز سنة ١٩٢٩ م، إلى الشيخ محمد كامل القصّاب يخبره فيها عن مناسك الحج واجتماعه بابن سعود، وتشوُّقه لرؤية والدته، وعن دسائس الشهبندر عليه في بعض الجرائد.

الطائف ١٠ محرم ١٣٤٨

مولاي الأستاذ

كان الواجب عليَّ أن أكتب لك من قبل اليوم أشكر فضلك وتعطُّفك بزيارتي إلى بورسعيد، وأخبرك أني قضيت مناسك الحج ودعوت لك في الطواف حول الكعبة المشرَّفة، كما أني دعوت لكثير من الإخوان، ولكن كما قيل في المثل:

حـــال الجـــريـــض دون القـــريـــض   ومـــا شعـــرت إلا وأنـــا مـــريـــض

إنني من ١٢ سنة في أوروبا وهناك لا نصادف الحرّ الزائد، ولمّا كنت في سوريا لم أكن طول الصيف أفارق أعالي الجبال، فكوني أنتقل من هذه الحالة دفعة واحدة إلى حرارة درجتها بميزان سنتيغراد ٤٠ و٤٢ (يوم عرفة كانت ٤٦) هذا لم يكن إلا أن يؤثر تأثيره، فلم أنتهِ من مناسك الحج إلا وقد نفذ كل ما بجسمي من قوة مقاومة، وصارت درجة الحمّى معي ٤٠، وصار يُغمى عليَّ مراراً فهرع جميع الأطباء والأصحاب، ورأيت من التلهُّف عليَّ ما لا أقدر أن أذكره أو أتذكَّره بدون أن تفيض عيوني من الدمع، ولم يكن من أمل في الشفاء إلا في الصعود إلى الطائف، ففي الحال صدرت إرادة جلالة الملك أيَّده الله بأن يفرشوا لي بيتاً من أحسن بيوت الطائف، وأرسلوا معي طبيباً خاصاً الدكتور خيري القباني، وعيَّنوا جماعة للخدمة، وجاء معي أيضاً المجاهد الشهم فوزي بك القاووقجي، وصدرت الأوامر إلى أمير الطائف بتوفير كل أسباب راحتي. وجئت إلى هنا من ٢٢ يوماً فما مضى عليَّ في الطائف سوى يومين لا غير حتى ذهبت عني الحمّى تماماً ولم يبق إلا أثر الضعف، وصرت أستعيد كل يوم قسماً من العافية المفقودة،

وإني أؤمل أني إلى حد جمعتين من تاريخه أعود كما كنت يوم وصلت إلى مكة.

لا لزوم إلى ذكر ما شاهدت من انعطاف جلالة الملك، فلمّا وصلت إلى جدّة أرسل السيد عبد الرحمٰن القصيبي وجماعة للسلام عليَّ في الباخرة، ولمّا نزلت وجدت منه كل إقبال وأركبني إلى يساره في السيّارة وجاء إلى مكة، وهناك في جميع المآدب والمحافل كان يجعلني بجانبه، ولما مرضت اهتمَّ كثيراً وأمر بربط منزلي في الطائف بتليفون حتى يأخذ أخبار صحتي، فأسأل الله أن يجزيه عني خيراً وأن يجزيه أفضل الجزاء عما يضعه من الخير لهذه الأمة، وعن العدل الشامل باعتراف الجميع، وعن الأمن الذي لم تعرف مثله جزيرة العرب من عهد الخلفاء الراشدين.

إن الذي يحادث ابن سعود ويتأمل في تدابيره ويدقّق في حركاته وسكناته، لا يتردَّد في القول إنه عبقرى كبير وإنه رجل العرب الآن، فالله تعالى يأخذ بيده في المستقبل كما أخذ بيده في الماضي، وذلك حتى يتأسَّس للعرب دولة ذات شأن على بنيان وثيق. أسفت من كون مرضي لم يجعل لي مجالاً أن أجتمع معه بقدر ما أريد، فقد وقع لي معه أربعة أو خمسة مجالس ثم صعدت إلى الطائف للاستشفاء. إلا أني أرسلت إليه من الطائف لائحة فيها نحو ٢٠ مادة سياسية وإدارية وأكثرها عمرانية، ولقد هتف لي فؤاد حمزة من مكة بأن الملك قرأها كلها وقال: كل ما يقوله الأمير شكيب حق. فعسى أن يصدر إرادته إتمام هذه المشروعات.

الطائف هي رحمة للحجاز ولولاها لا أعرف ماذا كان حلَّ بي، فرجوع صحتي هو من لطائف الطائف، هواء في غاية اللطف، ونشاط يكاد يشعر به الجماد، وماء بغاية العذوبة وكأنه مثلوج، وفواكه في منتهى اللذاذة، فهي كأحسن مصايف لبنان وتزيد على لبنان بكون هوائها خالياً من الرطوبة، فلو قيض للطائف سكة حديد إلى جدَّه لصارت مصيفاً لجزيرة العرب ولكثير من سكان العالم الإسلامي.

أريد أن أكتب إلى الأخوين الحبيبين شكري والحاج أديب، لكن الكتابة بيدي لا تزال غير سهلة عليَّ فأُرجىء هذا الغرض إلى وقت آخر، وأرجو أن تهدوهما سلامي وأشواقي، وتقولوا للحاج أديب إني تكلمت مع جلالة الملك بشأن الأخ فوزي القاووقجي وأفهمته مَنْ هو وماذا يقصد، وكان فوزي حاضراً. فالملك تلقَّى الكلام بالقبول وقال: سنعامله كأولادنا.

الملك في أثناء أحاديثه كان يذكركم بخير، وهذا من حسن ذمامه.

بقي عليَّ أن أذكر لكم حسراتي على زيارة بلادي وما أنا فيه من الوجد للمرور بفلسطين ولو شهراً من الزمن، فتأتي سيدتي الوالدة ونقبّل أيديها ونشاهد عادل والإخوان ونشاهد سيادتكم في

حيفا، وقد جرت المساعي في هذا الأمر فهل تُفلح؟ لا أعلم.

الشهبندر ونزيه المؤيد يقولان في المقطّم: إن منعي من دخول البلاد المشمولة بالانتداب هو دعايتي ضد الشريعة الإسلامية! وضد النُظُم المدنية! فالدول المنتدبة لا يهون عليها هذا الأمر!.

ومن الذي ينبذني بمعاكسة الشريعة الإسلامية؟ الجواب: الشهبندر! إذا عيَّر الطائيَّ بالبخل مادرٌ... الخ.

أقسم لك بالله الذي لا إله إلا هو أن كل هذه التلغرافات التي وردتني، وإن كنت تلقَّيتها بمزيد التكريم ولا يأبى الكرامة إلا اللئيم، فهي لم تكن لتزدهيني ولا لتزيدني اعتداداً بنفسي، وأنا لا أرغب في شيء من المظاهر، ومن كان لا يبتغي شيئاً لشخصه ولا يقبل شيئاً فماذا يهمّه من المظاهر؟ ولكن الشهبندر الذي يقيس على نفسه الصغيرة قامت قيامتُه وشرع بالدسّ في بعض الجرائد لأجل أن يتشفَّى فأرى الطاعن من بعض جرائد تلك الفئة من الشام وحلب وغيرهما، وأنا لا ذنب لي سوى أن بعض الوطنيين أرادوا تطييب خاطري ببرقيات تحية، فهيَّجوا بذلك حسد تلك النفس التي ليس لها في هذه الدنيا بروغرام غير الحسد.

وسلامي إلى أحمد أفندي الإمام والشيخ هاني أبي مصلح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

ترجمة جديدة للقرآن

وكتب الأمير إلى السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» في مصر، رسالة نشرها في «المنار» بتاريخ ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٩ م، ردًّا على رسائل كثيرة تلقَّاها «المنار» بخصوص ترجمة جديدة للقرآن الكريم. فأرسل إليه الأمير ردًّا حول هذا الموضوع. وهي من لوزان، بتاريخ ٩ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٩ م.

من المستشرقين الكبار الذين يليق ذكرهم ويصح الاستشهاد بأقوالهم الأستاذ إدوار مونته Edward Montet مدرِّس الألسن الشرقية في جامعة جنيف، وهو مشهور بين الأوروبيين من جميع الأجناس، فتجد مؤلفيهم يستشهدون بكلامه في المسائل الشرقية والإسلامية ويقدِّرون آراءه قدرها.

والأستاذ مونتيه هو من القسم المنصف بين المستشرقين لا يتحامل على الإسلام، ولا يقصد في مباحثه إظهار عورات ومثالب للإسلام كما يفعل غيره، بل يحاكم عقيدة الإسلام وتاريخ الإسلام وكل شيء عائد للإسلام محاكمة مَن ينظر إلى الأشياء كما هي لا كما يخيِّلها الوهم، أو كما يصوِّرها الضلع، مما هو دأب كثير من الأوروبيين الذين يخوضون في هذه المباحث وصدورهم ملأى بالضغن وسوء النية. وليس المسيو إدوار مونته مع ذلك بمسلم ليقال إنه في أحكامه وآرائه هذه متأثِّر بالتربية الدينية الإسلامية، أو أنه اقتنع بالإسلام فاتَّخذه ديناً، وأصبح لا يجد فيه عيباً ولا يقبل عليه مطعناً. لا، إن المسيو مونته لم يتَّخذ الإسلام ديناً، وربما كان غير معتقد بكل ما في النصرانية أيضاً، فهو يقول فيهما آراءه بكل صراحة، ويحسِّن منهما ما يراه بحسب نظره هو حسناً وينتقد ما يراه خليقاً بالانتقاد، وقد بدرت منه انتقادات ومؤاخذات في كلامه على تاريخ الإسلام تدل على كونه غير دائن بدين محمد ﷺ، لكنها تدل أيضاً على أنه غير مضمر سوءاً ولا متعمِّد ثلباً. ولهذا آثرنا أن ننقل بعض كلامه لأنه لا يمكن أن يؤتى من قِبَل تعصُّب للإسلام ولا أن يقال عنه إنه مسلم يدافع عن عقيدته.

وقد نضطر إلى تصحيح بعض معلومات ناقصة جاءت في كلام الأستاذ المذكور، أو

إلى بيان رأينا في المسائل التي تختلف وجهتها عن وجهته فيها.

فمن الكتب التي صنَّفها الأستاذ إدوار مونته كتاب جليل اسمه «الإسلام» Islam أخرجه سنة ١٩٢٣، وطالعناه وأشرنا على مواضع كثيرة منه لنقلها إلى اللسان العربي، وكانت تعوقنا عن ذلك كثرة الأشغال. وكتاب آخر أخرجه في السنة الماضية يحتوي على ترجمة القرآن المجيد بتمامه إلى اللغة الفرنسية، طالعنا جانباً منه وقابلنا الترجمة بالأصل فوجدنا الترجمة حَرِيَّة بأن توضع في الطبقة الأولى من تراجم القرآن الكثيرة. وقد صدَّر الأستاذ مونته هذه الترجمة القيِّمة بمقدمة نفيسة. وها أنا ذا أنشر الترجمة الحرفية لديباجة مقدمته لها كما يلي:

«القرآن في الحقيقة هو ذو قيمة خارقة للعادة، فهو بين الكتب الدينية من أعظمها شأناً. وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الإنساني يقدَّر بمائتين وخمسين مليوناً على الأقل. ومن أهم ما في القرآن استقاؤه من المنابع اليهودية والمسيحية: التوراة العبرانية والتقاليد اليهودية من جهة، والإنجيل والتقاليد النصرانية من أخرى.

فالعقيدة القرآنية إذاً هي ذات علاقة وثيقة مع العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية، والآثار التاريخية اليهودية المتعلِّقة بالأنبياء والآباء، وكذلك الآثار النصرانية المتعلِّقة بالمسيح هي موضوع صفحات عديدة من القرآن، فهذا التشابه في الفكرة الدينية بين الإسلام والنصرانية هو واصل إلى الحد الذي لا يفهم معه الإنسان لماذا وجد المسيحيون والمسلمون أعداء إلى هذه الدرجة مدة هذه الأعصر الطويلة، وقام بعضهم على بعض بمصارعات هي في الواقع مصارعات إخوان لإخوان، لكنها صبغت القرون الغابرة بالدم الغزير؟.

على أنه لا ينبغي أن يفهم من هذا الاتحاد في أصلَيْ الإسلام والنصرانية أن الإسلام القرآني فاقد للاستقلال، وأنه ليس ذا صفة خاصة أصلية، فالأمر بالعكس والإسلام دين لا يمكن خلطه مع دين آخر من الأديان السامية، فهو دين سامي تحت صورة عربية خاصة تتجلى فيه روح اللغة العربية.

ولا ينبغي لقارىء القرآن أن يعجب من التكرار الذي يجده فيه، فإن مثل هذا التكرار معهود في أعظم الكتب الدينية مثل التوراة ومثل كتاب الاقتداء بالمسيح الذي هو الغذاء الروحي للنفوس المسيحية. والقارىء يجد في القرآن صفحات في غاية الإبداع سواء من جهة الفكر، أو من جهة القالب الذي وضع فيه الفكر، وكذلك يجد فيه لآلىء فريدة في علم الروح معروضة في آيات هي أعلى ما يمكن من الأسلوب الشعري وهو فيه أسلوب قائم بذاته، وفي القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة لا سيما بالنسبة إلى العصر الذي عاش فيه

ذلك المصلح العربي، فالإبداع يتلألأ في هاتيك القطع الباهرة تلألؤ الكواكب الكبرى، ولا غرو أن ينظر إليها القارىء كمثال أعلى للأسلوب الشعري الشرقي.

ومما يجعل للقرآن هذه الأهمية أنه الكتاب الديني للأمم الإسلامية، التي تمثّل في شرقي أوروبا وفي العالم الآسيوي وفي ماليزيا وفي أفريقيا، دوراً ليس مهمًّا وحسب بل دوراً ذا صلة شديدة بالأمم الغربية المسيحية.

وتظهر عظمة هذا الدور بزيادة في المستعمرات الأوروبية التي هي في مختلف أقسام العالم الشرقي والإفريقي، وفي البلدان التي تحت الحماية الأوروبية والبلدان التي تحت الانتداب المتولِّد من الحرب الكبرى.

فأوروبا مكافلة في وجودها اليومي للأمم الإسلامية التي هي تحت حكومتها أو هي ذات علاقة شديدة معها، ولقد ثبت هذا الأمر ثبوتاً كل أحد يعلم مقداره في الحرب العالمية من ١٩١٤ إلى ١٩١٨.

وأخيراً نقول إن الذي يجعل للقرآن هذه الأهمية الخاصة التي نشير إليها هو المستقبل المدَّخر للشعوب الإسلامية، إذ لا ينكر أن مستقبلاً فخماً ينتظر هذه الشعوب على مقدار ما يقتبسون من الحضارة الأوروبية.

فتركيا وسوريا وبلاد العرب وفارس وأفغانستان وشعوب شمالي أفريقيا، والثمانون مليون مسلم الذين في الهند الإنكليزية، والثلاثون مليون مسلم الذين في الصين، والشعوب الإسلامية التي لا تكاد تحصى في ماليزيا (جاوى سومطرة الخ) هي كلها على مراحل متفاوتة من قبول الحياة الاقتصادية والصناعية والفكرية التي عليها أوروبا.

وإن هذه النتيجة قد تكون غير منتظرة عند من يجهل هذه الأمم، أو من لم يقدر أن يفهمها حق الفهم، أو لم يوفَّق لفهم عقيدتها التوحيدية التي هي أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري، سواء عند الأمم السامية أو الآرية» انتهى.

ولا بد لنا أن نعقِّب على هذه الديباجة ببعض ملاحظات، منها أن المؤلف قال عن عدد المسلمين أنه ٢٥٠ مليوناً على الأقل، ولقد أصاب جداً في قوله [على الأقل] لأن المسلمين على التحقيق يزيدون على ٣٠٠ مليون نسمة وربما كانوا ٣٣٠ مليوناً.

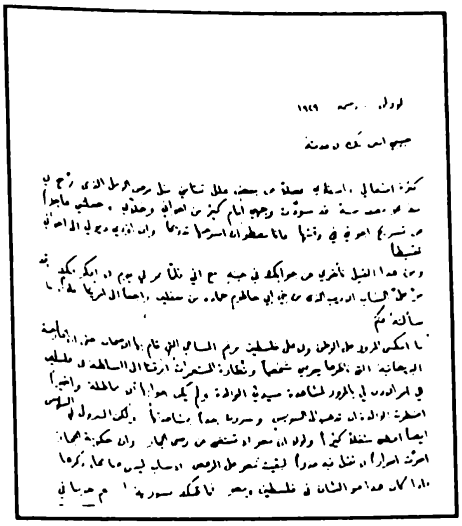
وأما قوله: «إن للمسلمين مستقبلاً عظيماً على قدر ما يقتبسون من الحضارة الأوروبية» فليس معناه ما تذهب إليه ملاحدة تركيا، وما يقلِّدهم فيه هذا النفر القليل الملحد المتفرنج

في مصر والعراق وسوريا، من أنه يجب عليهم نبذ التعليم الديني الإسلامي وأن يستبدلوا به تعليماً لادينياً مارقاً من كل صبغة دينية إسلامية. لا، هذا لم يخطر ببال الأستاذ العلاَّمة مونته ولا هو من أبحاثه في كثير ولا قليل، ولو كان هذا مقصده لَما كان معجباً إلى ذلك الحد بأكثر مبادىء الإسلام وأصوله، ولَما كان ألَّف فيه هذه التآليف الممتعة، ولما قال إنه: «أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري سواء عند الأمم السامية أو الأمم الآرية» (أي الأوروبية).

وإنما كان مقصد الأستاذ مونته العلوم الاقتصادية والصناعات التي تفوَّقت بها أوروبا اليوم والأساليب الصحيحة التي تسير عليها في حضارتها، وهذه يندب شرعاً الاطّلاع عليها والتحقّق بها، حتى لا يفوت المسلمين شيء من أسباب القوة والمنعة، وحتى لا يكونوا مقصِّرين فيها عن شأو أعدائهم أو أندادهم، وهي لعمري مما يقترن بالتعليم الديني الإسلامي، بل مما تزداد لرغبة فيه بقوة هذا التعليم وتأثيرها، كما أن الأمم الأوروبية واليابانية قد بلغت هذه المبالغ القاصية من هذه العلوم الحديثة والصناعات الناشئة عنها ولم تزل متمسِّكة بأديانها وعقائدها، ولم يبرح التعليم الديني عندها سائراً جنباً إلى جنب مع التعليم الطبيعي والروح فيها متآخية مع المادة.

شكيب أرسلان

لوزان ٩ أكتوبر ١٩٢٩



منع الأمير من العودة إلى الوطن

وكان الأمير يشتاق دائماً للعودة إلى وطنه، لمشاهدة ذويه وأصدقائه ومناصريه. وكان الاستعمار يمنعه من العودة أو من دخول أراضي الانتداب الإنكليزي، ناهيك بالفرنسي. وهذا كان سيِّىء الأثر على الأمير كما يبدو من رسالته التالية، مؤرخة من لوزان، ٧ ديسمبر (كانون الأول ١٩٢٩ م، ٤ رجب ١٣٤٨ هـ[١].

لوزان ٧ ديسمبر ١٩٢٩

حبيبي أمين بك لا عدمته

كثرة أشغالي وأسفاري فضلاً عن بعض علل تنتابني مثل مرض الرمل الذي برَّح بي منذ نحو نصف سنة، قد سوَّدت وجهي أمام كثير من إخواني وخلاَّني وجعلتني عاجزاً عن تسريح أجوبتي في وقتها، فأنا مضطر أن أسرِّحها تدريجاً وأن أؤدِّي ديوني إلى إخواني تقسيطاً.

ومن هذا القبيل تأخُري عن جوابك في حينه، مع أني قلَّما يمر بي يوم لا أفكِّر فيك. وقد مرَّ عليَّ الشاب الأديب الذي من بني أبي حاطوم حماده من بعقلين راجعاً إلى أمريكا فأوَّل ما سألته عنكم.

ما أمكنني المرور على الوطن ولا على فلسطين برغم المساعي التي قام بها الأصحاب، حتى إن الخارجية البريطانية التي ناظرها يعرفني شخصياً ونظارة المستعمرات، أبرقتا إلى السلطة في فلسطين في أمر الإذن لي بالمرور لمشاهدة سيدتي الوالدة ولم يكن جوابها إلا مماطلة، وأخيراً اضطرت الوالدة أن تذهب إلى السويس وسررت جداً بمشاهدتها، ولكن النزول في السويس أيضاً اقتضى شغلاً كثيراً، ولولا أن مصر لا تستغني عن رضى الحجاز وأن حكومة الحجاز أصرَّت إصراراً لا تقبل فيه عذراً لبقيت مصر على الرفض لأسباب ليس هنا محل ذكرها. فإذا كان هذا هو الشأن

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

في فلسطين ومصر فما ظنك بسوريا! نعم حرمنا في هذه الرحلة مشاهدة الوطن والأهل والإخوان، فهل يسمح بذلك الزمان؟.

طالما حدَّثت نفسي بأن أشاهد المرحوم نسيب بك ومضى إلى رحمة ربّه وبقيت في القلب حسرات على ذلك الفَوْت تنزل معي إلى التراب. ودرج أناس من إخواني وأترابي وعشرائي وأصحابي لا يأخذهم الإحصاء وكنت أمنِّي نفسي بلقائهم فخاب الأمل واضمحلَّت الأمنيَّة، فهل في آخر الحياة يتحقَّق منها شيء؟.

كثير من رجال السياسة يذهبون إلى أن حلّ المشكلة السورية أصبح قريباً وأن العراق والشام توأمان، حتى إنهم في جمعية الأمم صرَّحوا لنا بذلك، ولكني أصبحت برغم توافر معلوماتي بهذا الشأن من لندن وباريس وغيرهما لا أكاد أصدق شيئاً إلا بعد أن ترى عيني.

غير منتظر من مثل عطوفة السيدة خولة إلا أن تجاوب بما جاوبته عن وصية المرحوم بعلها، فالذي أراده لا يجوز أن يُنقَض. ويسرُّني أن يبقى الوقف على حاله كما أنه يسرُّني كون حكمت بك سالكاً مسلك الجِد وأنه ممن يرجى في المستقبل وفَّقه الله لإحياء مجد آله.

ولدنا غالب ارتقى في هذه السنة من المدرسة التي كان فيها إلى مدرسة أعلى منها، وهو ولله الحمد بكمال الصحة ومتقدِّم في دروسه، ورتبته في صفوفه ثانٍ وأحياناً أوَّل بين ١٥ أو ٢٠ ولداً. غالب مولع بالتاريخ والجغرافيا مثل أبيه.

سررت كثيراً بولادة مولود ثانٍ لابن عمنا أمين لا سيما أن الولد الأول معتلّ الصحة، والله نسأل أن يبقي هذا البيت معموراً بالرجال وبالمال.

اسألوا لي خاطر السيدة خولة وسعادة أخوانها محمود بك وفريد بك ومجيد بك ورشيد بك، وكذلك خاطر أخيكم وأولاد خالكم ولا تخلونا من سارّ الأنباء، ودام بقاكم.

أخوكم
شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

الأمير وعارف النكدي

رسالة من الأمير شكيب إلى عارف النكدي، يدعوه فيها لتصفية حقوقه من تركة والده ويشكره على اهتمامه بمدرسة الداودية. نشرت في كتاب «المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان» تأليف د. سليم الهشي، الجزء الخامس، بيروت، ١٩٩٢. تاريخ الرسالة سنة ١٩٣٠.

من شهرين تقريباً علمنا بشرى رجوعكم من تدمر يوم جاءنا أيضاً خبر رجوع أخي عادل فصح بذلك القول.

لا تقـــل بشــــرى ولكــــن بشــــريـــان　　　عـــزة الـــداعـــي بـيـــوم المهـــرجـــان

نعم... وأي مهرجان أعظم من هذا المهرجان والله يعلم أني ما تأخرت عن تهنئتكم إلاّ لأجل ملاحظات سياسية. ثم عدت ففكرت أن تهنئة أخ لأخيه ليس فيها محظور. فقد كتب إلي عادل كلمة أحمد الله فيها على سلامته وكما كتبت إلى أخي عادل لزم أن أكتب إلى أخي عارف.

والله يعلم أن كلامي من هذين الأخوين عزيز عليَّ مثل الآخر، وإنني لما اختلفت مع أخي عادل على مسائل حسابية ولزم بيننا حكم يحكم فيها، أرسلت وكالة قانونية مصدَّقة من كاتب العدل هنا [أي من مدينة جنيف السويسرية] باسم أخي عارف، وفيها تفويض له أن ينوب عني في تفريغ الأملاك الموروثة باسمي. ولست في الأمر مختلفاً عن عادة اقتضاها هذا الإخاء بيننا.

سرَّني ما قرأته في الأهرام من أن مشيخة الأزهر أوفدت مدرِّساً إلى المدرسة في عبيه، وهكذا يكون صديقنا الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر - ونِعْمَ الرجل - هو قد أنجز الوعد الذي وعدنا به. أما وعد وزارة المعارف المصرية بمدرِّسين آخرين فقد كنا حصلنا عليه أيضاً، واقترح حسين باشا هيكل [كان وزيراً للتربية والتعليم في عهد الملك فؤاد الأول] أن يدفع جانب من المعاش تخفيفاً عن الوزارة، ونحن وعدنا بدفع النصف. ثم لم يزل هذا النصف يرق حتى صار ثلثاً، ثم اجتمعنا معه في مأدبة عند لطفي باشا السيد فصار الثلث ربعاً، ثم حكم لطفي باشا بأن هذا الربع يصير لا شيء تتحمَّل وزارة المعارف المصرية كل الراتب.

هذا وأسأل المولى عز وجل أن يديمكم للوطن والأمة على أحسن حال وأهدأ بال ويديمكم لي أنا.

أخـوكـم/ شكيب أرسلان

ردّ على لويد جورج وبلفور

وهذه رسالة من الوفد السوري ـ الفلسطيني، ردًا على الرسالة التي نشرتها جريدة التايمز بإمضاء اللورد بلفور والجنرال سمطس، وقد نشرت هذا الردّ جريدة «الصفاء» بتاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م.

اطّلع الوفد السوري ـ الفلسطيني على الرسالة التي نشرتها جريدة التايمز بإمضائكم وإمضاء اللورد بلفور والجنرال سمطس في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩، التي قلتم فيها إن تنفيذ وعد بلفور وتطبيق الانتداب على فلسطين تطبيقاً تاماً من المسائل التي يتعلّق بها شرف بريطانيا.

ولكن وعد بلفور قد نقضته العهود السابقة التي قُطعت للعرب، كما أن الانتداب الذي فرض عليكم واجبات إدارية حيوية كما تقولون، يتعارض معارضة تامة مع المادة ٣٢ من عهد جمعية الأمم الذي نشأ عنه، وعن التصريح البريطاني الفرنسي المشترك الذي وجّه إلى الشعب العربي في فلسطين وسوريا والعراق في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨.

فتأليف لجنة جديدة على أساس تنفيذ الانتداب لن يكون والحالة هذه علاجاً للحالة الخطرة غير المشروعة التي تعانيها البلاد، بل بالعكس يزيد هذه الحالة خطورة على خطورتها لأن الانتداب الفلسطيني الذي يحرم العرب حقوقهم السياسية ولا يكفل لهم غير حقوق مدنية ودينية في بلاد ورثوها عن أجدادهم من ألوف السنين، يرمي في الوقت نفسه إلى جعل فلسطين العربية بلاداً يهودية بمنح اليهود امتيازات سياسية واقتصادية خطيرة، وتأييد ظلم ليس ما يبرِّره ولا مثيل له في تاريخ البشر.

فلماذا يعد العهد الذي قطع لليهود عهد شرف. ولا تعد كذلك العهود التي قطعها ممثلو بريطانيا للعرب وأقرّها اللورد بلفور نفسه في برقيته إلى الملك حسين في سنة ١٩١٨، واعترفتم بها أيضاً غير مرة بصفتكم رئيساً للوزارة البريطانية.

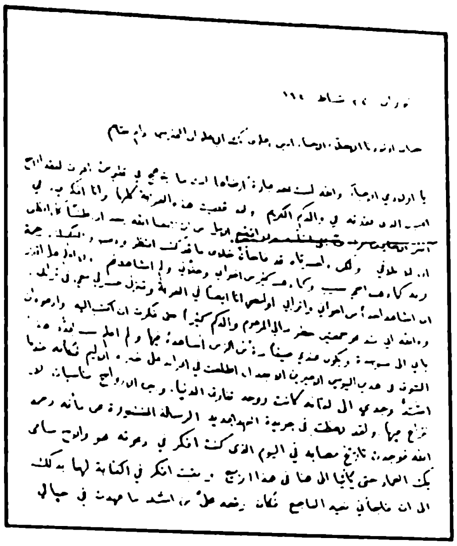
فإذا كان الغرض جعل فلسطين بلاداً تقام فيها الشعائر الدينية جمعاء بملء الحرية، فهذا الغرض مكفول الآن. أما إذا كان الغرض جعل فلسطين دولة يهودية كما يُفهم من صك الانتداب، فهذا ما لا يمكن تحقيقه مع المحافظة على حقوق العرب.

وعلى كل حال يقضي الشرف البريطاني بإنكار الجائر من العهدين المتناقضين، واحترام الذي كتب منها بالدماء في ساحات القتال مع العلم بأن إنكلترا لم تقطع عهداً لليهود بالتنازل لهم عن شيء من أملاكها، وإن كانت حقوقاً أساسية حيوية يجب احترامها.

عن الوفد السوري ـ الفلسطيني   **الجابري**   **أرسلان**

رسالة تعزية

رسالة من الأمير إلى حضرة المشايخ أمين وعارف بك أبي علوان في الباروك، مؤرخة من لوزان، ٢٢ شباط سنة ١٩٣٠ م. يعزيهما بوفاة والدهما سعيد بك أبو علوان[١].



لوزان ٢٢ شباط ١٩٣٠

جناب أولادنا الأجلاّء الأحبّاء أمين وعارف بك أبي علوان المحترمين دام بقاهم

يا أولادي الأحباء، والله لست أجد عبارةً أرضاها لبثّ ما يتوهَّج في قلبي من الحزن لفقد الأخ الحبيب الذي فقدته في والدكم الكريم، ولقد قضيت هذه الغربة كلها وأنا أفكِّر فيه في أكثر الأحايين وأحنُّ إلى لقائه، ولا أقطع الأمل من أن يجمعنا الله بعد أن ظنّنا كل الظن أن لا تلاقي. ولكن واحسرتاه قد فاجأه خلاف ما قد كنت أنتظر وذهب والدكم إلى رحمة ربّه كما ذهب أخي نسيب وكما ذهب كثير من إخواني وخلاّني ولم أشاهدهم، ولا أعلم هل أقدر أن أشاهد أحداً من إخواني وأترابي أو أمضي أنا أيضاً في الغربة وتنزل حسرتي معي في ترابي. ووالله إني منذ نحو جمعتين خطر ببالي المرحوم والدكم كثيراً، حتى فكَّرت أن أكتب إليه وأدعوه أن يأتي إلى سويسرا ويكون عندي ضيفاً مدةً من الزمن أشاهده فيها، ولم أعلم سبب تجدُّد هذا الشوق في هذين اليومين الأخيرين إلا بعد أن اطّلعت في الجرائد على خبره الأليم، فكأنه عندما اشتدَّ وجدي إلى لقائه كانت روحه تفارق الدنيا. وبين الأرواح مناسبات لا نزاع فيها. ولقد لاحظت في جريدة العهد الجديد الرسالة المنشورة عن مأتمه رحمه الله فوجدت تاريخ مصابه في اليوم الذي كنت أفكِّر في دعوته هو والأخ سامي بك العماد حتى يأتيا إلى هنا في هذا الربيع، وبقيت أفكِّر في الكتابة لهما بذلك إلى أن فاجأني نعيه الفاجع فكان وقعه عليَّ من أشد ما عهدت في حياتي، لا لأجل صداقته لي فحسب بل لخلاله الحميدة الكثيرة وشمائله الزكية الأثيرة، ولاحتياج الوطن والطائفة إلى مثله. والخلاصة يا

---

(١) من محفوظات المحامي رجا أبو علوان، الباروك.

أبنائي الأعزاء هذه جروح في الفؤاد لا تلتئم وحسرات لا تخمد، وقد أصبح السلوان الوحيد هو وجودكم أنتم إذ أن الأولاد هم تكملة الآباء في هذه الدنيا، فأتعزَّى على هذه المصيبة العظيمة بوجودكم وأعدُّ المرحوم فرحان بك لم يغب، وأسأل المولى تعالى أن يتغمَّد روحه الطاهرة بعفوه ورضوانه، وأن يحيِّيه بروحه وريحانه، وأن يجعل لكم بعده طول البقاء ولا يرينا عليكم دهراً طويلاً شيئاً من الأسواء، ودام بقاكم.

المخلص

شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

الأمير ووهبه طليع



رسالة بعث بها من لوزان، بتاريخ ٢ آذار سنة ١٩٣٠ م، كتبها الأمير إلى صديقه الشيخ وهبة طليع، يحدثه فيها عن شجون شخصية وشؤون لبنانية، ويبثّه وحشة اغترابه وبُعده عن الوطن، وخشيته أن يموت بعيداً في الغربة.

لوزان ٢ آذار ١٩٣٠

حضرة بهجة الأخوان ونخبة الخلاّن وهبة أفندي علي طليع المحترم حفظه الله تعالى

أخذت مكتوبكم المؤرَّخ في ١ شباط وسررت به كثيراً، عسى أنباؤكم دائماً سارّة. فأمّا المكتوب الذي بعثتم به تعزية بالمرحوم أخي نسيب فكما ذكرت ليوسف بك حسن لم يصل قطعاً، ولو وصل كان الجواب صار عندكم. ولقد جاء ببالي عدم تعزيتكم أو بالأحرى عدم وصول تعزيتكم إليَّ بمصاب أخي وحملتها على أمر حقيقته هي ما يأتي:

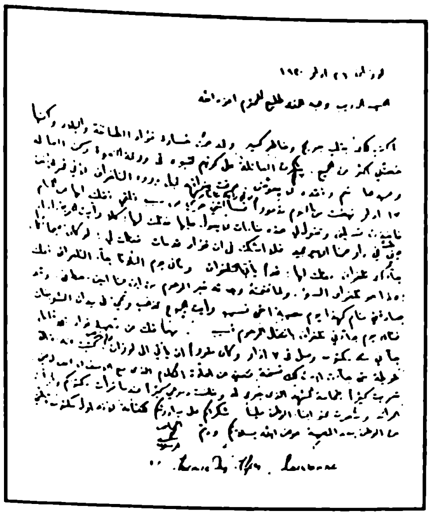
لما انتقل صهركم المرحوم محمود أفندي نجم أبي شقرا، بادرت حالاً بإرسال كتاب تعزية إلى ولده عباس أفندي، وكان مرادي تعزية عموم بيت أبي شقرا لكن صادف ذلك الوقت سفرنا إلى أمريكا، وما يحدث للإنسان عند السفر من الانهماك الذي يشغله عن كل واجب، فلم أتمكّن من تحرير تعزية بمحمود رحمه الله مع أني حزنت على محمود حزناً يعلمه ربي، وإن لم أحزن على محمود نجم أبي شقرا فعلى مَن أحزن من أصدقائي. فظننت ـ وبعض الظن إثم ـ أنك تأخرت عن تعزيتي بأخي نظراً لعدم وصول تعزية مني بالمرحوم صهرك. وكان الحق لك أن تعتب فيما لو جرى ذلك بتاتاً، لكنني أنا عزَّيت ابنه عباس الذي هو بضعة منه وخلفه وعملت الواجب. والآن اقتنعت أيضاً أنك كتبت لي وقت مصيبة أخي وكيف كان الأمر، فلا شك في صداقتك وحزنك لما يحزننا وسرورك لما يسرَّنا لا أراك الله مكروهاً.

وأما ما صنعته سعادة السيدة نظيرة في مأتم أخي رحمه الله فمما لا أنساه أبداً ومما قد بلغني في وقته، وأسأل الله أن لا أقابلها في ظروف كهذه بل في ظروف الأفراح، وأن يحفظ لها نجلها

ويطيل بقاءها ويجعلها في هذه الطائفة عَلَماً وملجأ، ومما ينبغي أن تعلموه أنه لا يرسخ في قلب الإنسان شيء مثل مساهمة الصديق في المصائب، فإنها أبقى أثراً من كل شيء، والإنسان لا يعرف الأصدقاء إلا في الأكدار لا كدَّركم الله. هذا وإني لفي شوق شديد ووجد مقيم لمشاهدة البلاد ومن بقي فيها من أصحابي وأترابي والذين أعرفهم ويعرفونني ومضت لي الأيام الطويلة في عشرتهم، ولست أخشى الموت إلا خشية أن أفارق هذه الدنيا ولا أشاهدهم، فإن الموت في الغربة أشد من الموت في الوطن ولو كان الموت واحدا، وذلك لأن الذي يموت في الغربة يموت وفي قلبه حسرات لعدم مشاهدة أهله وأخوانه، ومن أجل هذا قالوا إن مَن مات غريباً فقد مات شهيداً. والله يعلم أني صرت أقول: يا ترى لو فسح الله في أجَلي وسمح لي زمني ورجعت إلى الوطن، أأشاهد أحداً ممن كنت أعرفهم ويعرفونني؟ فهذه ست عشرة سنة من مغيبي عن البلاد ماتت فيها أمم وانطوى فيها من أصحابي وأترابي عدد كبير، فقد أحصيت مرةً عدد من عزَّيت بهم، ولا يعزي الإنسان إلا في الأصدقاء المعدودين، فبلغ عدد من عزَّيت بهم من غربتي هذه في هذه الست عشرة سنة نحو ١٢٠ شخصاً، آخرهم عزَّيت به اليوم من نحو ساعتين برقياً وهو المرحوم أستاذي الشيخ عبد اللّه البستاني. فانظر يا وهبة كم أصيب هذا القلب بأسهم نافذة في هذا الاغتراب حتى صارت النصال تتكسَّر على النصال، ولذلك يكون من أعظم الأنباء السارَّة عندي أن تخبرني عن صديق قديم باقٍ من تلك الفئة التي أعرفها وتعرفني وتفهم مني وأفهم منها، كما أخبرتني عن جناب الصديق الأستاذ العلاَّمة جرجس أفندي صفا الذي أتذكَّره كثيراً وأذكره كثيراً، كلما أتاح الدهر اجتماعي مع أناس من أبناء الوطن. ولمّا كان الأخ رياض بك الصلح عندنا هنا كنت أسأله كثيراً عن جرجس أفندي ويخبرني عنه، وكتابك أفرحني جداً بسلامه وسلامته، فآمُل منك أن تُقرئه سلامي وتسأل عني خاطره، وتقول له إن الشوق كثير وإن اللقاء مرهون بإرادة الله الذي ليس عليه شيء بعسير، وعساه بتمام الصحة هو وأنجاله. هذا وسكناك بقرب جامع رأس النبع أعادت لي ذكرى الأيام التي سكنّا بها في ذلك الحي والله يمنُّ باللقاء، وسلّم لي على يوسف بك حسن وطمنّي عنه، وعلى الشيخ أبي علي بشير الفطايري وأخبرني عن أحواله وهل هو بخير، وهل حسين إبراهيم الفطايري في قيد الحياة؟ وسلامي إلى أخيك محمد أفندي وإن كتبت إلى ولده الدكتور فأبلغه أشواقي، نِعْمَ الشاب هو، لقد شاهدته بباريس مراراً. وسلامي إلى أولادك المحروسين. ومن هنا ولدي محمد غالب يهديكم السلام وجميعنا بخير ولله الحمد، ومهما عدتني عَدْواء الشغل فإذا كتبتَ لي سررت بأخبارك وجاوبتك والله تعالى يحفظك وأولادك ويأخذ بيدكم.

المخلص/ شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne



حلم تحقّق

رسالة من الأمير شكيب إلى الشيخ وهبة طليع، صادرة عن لوزان في ٢٦ آذار سنة ١٩٣٠ م، يذكر له فيها كيف عرف بواسطة الحلم بوفاة شقيقه الأمير نسيب وبوفاة قريبه الأمير فؤاد. وهذا نصُّها:

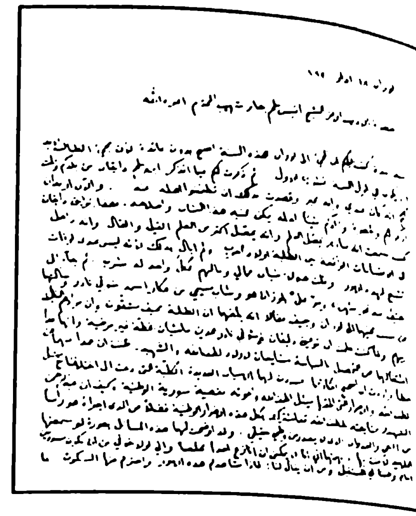
لوزان ٢٦ آذار ١٩٣٠

الحبيب الأديب وهبة أفندي طليع المحترم أعزَّه الله

أكتب لك بقلب جريح وخاطر كسير وقد عمَّت خسارة فؤاد الطائفة والبلاد، ولكنها خصَّتني أكثر من الجميع. شكرت العائلة على كونهم لقَّبوه في ورقة النعوة ركن العائلة وعميدها نعم وفقده لا يعوَّض. عرفت بفراقه قبل ورود التلغراف لأني فجر الاثنين ١٧ آذار نهضت من النوم مذعوراً لأني رأيت مناماً مزعجاً، فسألتني حرمي عن سبب قلقي فقلت لها عن المنام، فأخذت تسلِّيني وتقول لي هذه منامات لا يعوَّل عليها، فقلت لها: كلاّ، رأيت الحريق أمام عيني شبَّ في دار عمنا الأمير مجيد فلا أشك في أن فؤاد قد مات. فقالت لي: لو كان صحيحاً لكان جاءك تلغراف، فقلت لها: غداً يأتي التلغراف. وثاني يوم الثلاثاء جاء التلغراف، فقلت: هذا هو تلغراف السوء. ولما فتحته وجدته خبر المرحوم من ابن عمنا أمين مصطفى. وقد صادفني منام كهذا يوم مصيبة أخي نسيب، رأيت الجموع تذهب وتجيء في ميدان الشويفات، فثاني يوم جاءني تلغراف بانتقال المرحوم نسيب. مهما قلت عن مصيبة فؤاد فهو قليل، جاءني منه مكتوب وصل في ٧ آذار وكان مقرَّراً أن يأتي إلى لوزان لو لم يمرض. كتبت عنه مقالة طويلة متى جاءت أبعث لك نسخة فتُغْنِي عن إعادة الكلام الذي مع الأسف لا يخفِّف لوعتي. تعزَّيت كثيراً بفخامة المشهد الذي جرى له وفاضت دموعي كثيراً عندما قرأت مكتوبكم وقرأت الجرائد وشعرت بحنوّ أبناء الوطن علينا. شكرتكم على مبادرتكم للكتابة لأنه أول مكتوب وصلني من الوطن بعد المصيبة، عوَّض الله بسلامتكم ودمتم.

المخلـص/ شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne



قضايا الطلاَّب في فرنسا

رسالة كتبها الأمير شكيب من لوزان، بتاريخ ١٨ آذار سنة ١٩٣٠ م، إلى الشيخ أنيس ملحم جابر شهيب، يذكر له فيها قضايا الطلاَّب في فرنسا وأمور وطنية أخرى[(١)].

لوزان ١٨ آذار ١٩٣٠

حضرة الأديب الأعز الشيخ أنيس ملحم جابر شهيب المحترم أعزَّه الله

منذ مدة كتبت إليكم أن المجيء إلى لوزان هذه السنة أصبح بدون فائدة، لأن مجيء الطالب لا بد أن يكون في أول السنة تشرين الأول. ثم ذكرت لكم فيما أتذكَّر ابن (ملحم دليقان) من بلدكم وقلت لكم إنه كان عندي وإنه بخير، وقصدت بذلك أن تطمئنوا أهله عنه. والآن أريد أن أذكر لكم ولحضرة والدكم شيئاً لعله يمكن تنبيه هذا الشاب وإصلاحه. فهذا (توفيق دليقان) كنت سمعت أنه بباريس يحصِّل العلم وأنه يحصِّل أكثر من العلم القيل والقال، وأنه داخل في الانقسامات الواقعة بين الطلبة وأولاد العرب. ولم أبالِ بذلك لأنه ليس عندي أوقات تتَّسع لهذه الأمور، وقلت هؤلاء شبَّان فما لي وما لهم فكل واحد له مشرب. ثم جاء إلى جنيف منذ نحو شهرين ومرَّ عليَّ بلوزان هو وشاب مسيحي من عكار اسمه شوقي نادر، وسألتهما عن سبب مجيئهما إلى لوزان وجنيف فقالا إنه بلغهما أن الطلبة بجنيف منشقُّون وأن مرادهم التأليف بينهم. ولمّا كنت علمت أن (توفيق دليقان) و (شوقي نادر) هذين ماشيان بخطَّة غير مرضية وأنهما عدا اشتغالهما عن التحصيل بالسياسة مشايعان لأولاد لطف اللّه والشهبندر، ظننت أن هذا منهما عن خطأ وأردت أن أصحِّح أفكارهما، فسردت لهما الأسباب العديدة الكليّة التي دعت إلى اختلافنا مع ميشيل لطف اللّه، والأضرار التي ألحقها ميشيل لطف اللّه وأخوته بقضية سوريا الوطنية، وكيف أن عبد الرحمٰن الشهبندر بمتابعته للطف اللّه قد اشترك بكل هذه الأضرار الوطنية، فضلاً عن الذي أجراه هو رأساً من البغي والعدوان

---

(١) من محفوظات المحامي حافظ أنيس جابر، من عاليه.

الذي لا يصدر من وطني حقيقي. وقد أوضحت لهما هذه المسائل بصورة لو سمعتها الجلاميد لآمنت بها، وأفهمتهما أني أنا لا يمكنني أن أنازع أحداً مخلصاً وأني لولا خوفي من أن نكون مسؤولين أمام وطننا في المستقبل، ومن أن يقال لنا: لماذا شاهدتم هذه الأمور واخترتم عنها السكوت، لما كنت أتنازع مع أولاد لطف اللّه ولا مع أحد من التابعين لهم مثل الشهبندر وغيره. ولماذا أخاصم وأنافس وأنا غير طالب لا منصباً ولا زعامة ولا رئاسة ولا شهرة، وكل ما أطلبه هو أن يدعني الناس وشأني ويتركوني أستريح بعد أن بلغت سن الستين. حتى إن الوفد السوري هذا قد استعفيت منه مراراً ولم يريدوا أن يعفوني منه، وقد بقيت فيه مؤقتاً على أمل أن تأتي فرصة يقبلون فيها اعتزالي ووضع غيري مكاني. فإذا كنت غير متمسِّك بالبقاء في الوفد السوري وغير طالب بل غير راضٍ منصباً في أيِّ مكان وفي أيِّ حكومة، فهل يُعقَل أني أخاصم لطف اللّه أو الشهبندر بدون أن أكون وقفت على أسباب موجبة.

قلت لهذين الشابين هذا الكلام ظانًّا أنهما يبحثان عن حقيقة فإذا تبيَّنَتْ لهما رجعا إلى الصواب، وهما كانا يستمعان ويظهران أنهما اقتنعا. ثم بعد ذلك ظهرت لي أعمالهما كما هي وأنهما مع الأسف ليسا من طلاَّب الحقائق بل من المشاغبين لأجل مطامع خسيسة. . . .

كانت جمعية الطلبة في باريس في العام الماضي أصدرت قراراً ـ بدون أن يكون لي أدنى مدخل فيه ـ تقبِّح دسائس أولاد لطف اللّه المبنية على طلب الإمارات والمناصب. فاحترق من ذلك قلب ميشيل لطف اللّه وقلب الشهبندر وجماعتهما، وأخذوا يجتهدون في قلب المسألة رأساً على عقب متوسِّلين إلى ذلك بالإفساد والدراهم وبكل شيء، لكن الجمعية بقيت غير متزعزعة. فجاء ميشيل لطف اللّه بهذا الصيف وأقام مدة أشهر بباريس يشتغل بهذه القضية، وكان من سماسرته رجلان واحد اسمه توفيق وهبة والآخر جورج خوري، فأخذا بالمداخلة مع الشبَّان الطلبة فكان في مقدمة الملبِّين لدعوة لطف اللّه (توفيق دليقان) و (شوقي نادر) المذكوران، وأخذوا يبثُّون الفساد حتى قسموا الجمعية إلى نصفين. ونَقَد لطف اللّه المحركين مبالغ سرِّية ودفع باسم عموم الطلبة ألفي فرنك فرنساوي. وما رجع لطف اللّه إلى مصر إلا وكانت جمعية الطلبة قائمة قاعدة وصار الكثيرون يقولون إن وجودها صار أضرَّ من عدمها. وكان لابن (ملحم دليقان) يد في هذه المفاسد. ثم لم يكتفِ بذلك حتى جاء هو ورفيقه إلى جنيف وأدوا من فلوس لطف اللّه إلى بعض طلبة في جنيف، فأحدثوا أيضاً شقاقاً آخر بين طلبة جنيف. ولمّا كان مع الأسف قسم كبير من الطلبة غير ذوي أخلاق وكانوا محتاجين إلى الدراهم، لأن مصاريفهم على السفه المعلوم في أوروبا تزيد على الوارد لهم من أهلهم، فلم يصعب على (توفيق وهبة) و (توفيق دليقان) ورفاقهم أن يحدثوا هذه

الانقسامات. ثم اطّلعت على تلغرافات بجريدة «ألف باء» بالشام وهي من الصحف الميّالة للطف الله فيها تأييد للشهبندر وطعن بجريدة الشورى الصادرة بمصر لمطاعنها فيه، وفي هذه التلغرافات إمضاء (توفيق دليقان) فتحقق من ذلك جميع ما كان قيل لي عنه. ولمّا زارني هو ورفيقه ظننت أن هؤلاء الأولاد هم من طلاّب الحقائق فأتعبت نفسي في الكلام معهم، ولو عرفت أنهم من سماسرة لطف الله ما عنيت نفسي بكلمة واحدة معهم وقد يجوز أن لا أجالسهم، لأني وإن كنت لا أحتقر أحداً فلا أقدر أن أصافح بيدي أيدي طلبة علم يعملون الفساد لحساب أناس ما دخلوا في القضية الوطنية إلا من أجل إمارات وزعامات ومناصب وألقاب، وقد أضرُّوها بدخولهم فيها أضعاف ما أفادوها، وهم الآن يفسدون أخلاق طلبة المدارس بالرشوة، كما كان ابن لطف الله الآخر يفسد جرائد بيروت بالرشوة عندما رشّح نفسه لرئاسة الجمهورية اللبنانية.

ذكرت لكم هذه القصة لا لاهتمامي بهذه الحركات من أجل نفسي، بل لألمي من أن يكون الشبان الذين ذهبوا إلى أوروبا للتحصيل بهذه الأخلاق... ونظراً لمحبتي لبيت رضوان لم أكن أنتظر أن يكون منهم من يسلك هذه الخطة، عندما يكون فريد زين الدين ابن محمد بك زين الدين من عين قنية سالكاً خطة الشرف، لا محمد علي بن ملحم بك حماده فقط الذي لا عجب من أن يكون شريفاً كأبيه. فإن كان عندكم أمل في إصلاح هذا الشاب ابن (ملحم دليقان) بواسطة أهله فلا بأس، بشرط أن لا يعلموا أني أنا كتبت بشأنه إليهم لأنه لا يليق بي أن أشغل نفسي بأولاد أغرار كهؤلاء، ولولا معزّة بيت رضوان عندي ما اكترثت أصلاً لهذا الأمر، وإن لم تجدوا ممكناً أصلاً فلا تفاتحوهم بشيء من قصته فإنه:

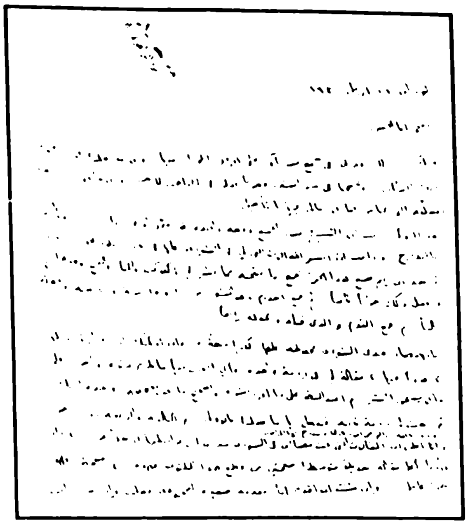
لا تنتهي الأنفس عن غيّها ما لم يكن منها لها زاجرُ

ودمتم موفّقين.

المخلص
شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

اقتراح كتاب



رسالة من الأمير إلى محمد علي الطاهر، من لوزان، بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٩٣٠ م، وفيها يبحث قضية نشر ما سبق أن نشر له من مقالات في «الشورى» وغيرها، فتكون هذه أجزاء تصدر تباعاً ويرى أن تسمَّى «النمير السلسل لأمير البيان المرسل»[١].

لوزان ١٩ أبريل ١٩٣٠

أخي أبا الحسن

قبلاً ذكرت لك فكرتي في جمع منشآتي على الأقلِ المختار منها، وقد كثر علينا إلحاح الأصحاب بهذا الشأن، وأصبحنا في سن الستين فصرنا نفكِّر في التأهُّب للرحيل والانتفاض من الأشغال المعلَّقة التي كنا من قبل لا نبالي فيها بالتأجيل.

بعد التفكُّر رأيت أن التشبُّث بنشر الجميع دفعة واحدة غير مثمر أو غير ممكن وأن الأولى السير بالتدريج، ورأيت أن أنشر المقالات التي لي في الشورى كلها في جزء يكون هو الجزء الأول، ثم بعد أن يتمّ طبع هذا الجزء نجمع ما ننتخبه مما نشر في الكوكب والمنار والفتح وغيرها الخ ونجعل ذلك جزءاً ثانياً، ثم نجمع القديم وهو المنشور من ١٠ و١٥ سنة و٢٠ سنة ونجعله ثالثاً، ثم نجمع القديم الذي قبله ونجعله رابعاً.

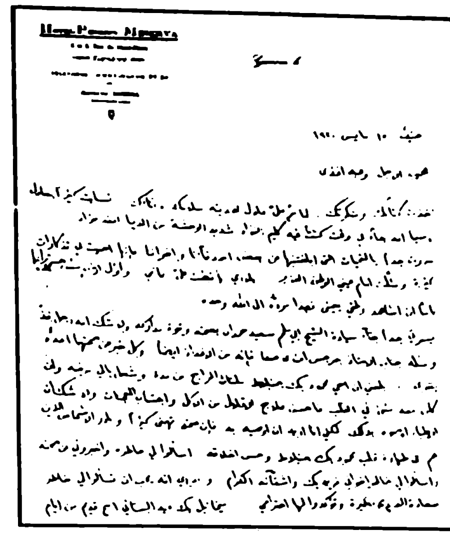
بالاختصار عندي الشورى محفوظة كلها لكنها مبعثرة، فإن أمكنك أن ترسل لي مثلاً ٢٠ عدداً فيها ٢٠ مقالة لي في رزمة واحدة، فإني أنتخب منها ما يلزم نشره وأضرب على ما لا يستحق النشر، ثم أعيد النظر على ما أُقرِّر نشره وأصحِّح ما يجب تصحيحه وأعيده إليك. ثم تبعث لي رزمة ثانية فنفعل بها ما فعلنا بالأولى، ثم الثالثة والرابعة إلى الآخر. وتبدأ بالمقالات التي هي أقدم تاريخاً وتتدرَّج منها إلى الآن، وأنا أظن أن المقالات التي تحت إمضائي في الشورى منذ بدأت

(١) من محفوظات حسن محمد علي الطاهر، أوتاوا، كندا.

بمراسلتها لا تقلُّ عن ٢٠٠، فإن قدَّرنا لكل مقالة تعديلاً متوسطاً صفحتين من قطع هذا المكتوب فهذه ٤٠٠ صفحة فهو جزء كامل. وإن شئت أن أقدِّم أنا مقدمة صغيرة للمجموعة فعلت، وإن شئت أنت أن تجعل المقدمة منك، لأن هذا الجزء الأول مخصوص بمقالاتنا في الشورى، فلك الخيار، وإن استحسنت أن يكتب المقدمة أديب آخر من أصدقائنا فكذلك جائز.

وأما اسم المجموعة فهو «النمير السلسل لأمير البيان المرسل»، وأما الطبع فإني أنا أقوم به على نفقتي وأوزِّع الكتاب على حسابي، ولكن عليك أن تجد الطابع، إلياس أنطون أم السلفية أم مطبعة متري أو غيرها فتتَّفق مع الطابع وتفيدني. أما مطبعة المنار فسأطبع فيها كتباً أخرى إذ عندي مجموعة شعري وديوان المرحوم أخي نسيب وكتاب في اللغة، وعندي مذكراتي «البيان عما شاهدت بالعيان وعمن شاهدت من الأعيان» وغيرها. هذا وأنا بانتظار جوابك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخـوك
شكيب أرسلان



ذكريات وأصدقاء

رسالة إلى الشيخ وهبه طليع يسأل فيها عن أصحابه وأصدقائه، وقد تذكَّر إخوانه في لبنان ذكريات حميمة ومؤثِّرة. بعث له بها من جنيف، بتاريخ ١٥ مايس (أيار) سنة ١٩٣٠ م، ٢٤ شوال ١٣٤٩ هـ[١].

جنيف ١٥ مايس ١٩٣٠

الحبيب الأجل وهبه أفندي

أخذت كتابك وشكرتك. لما مرَّ عليَّ عادل[٢] أهديته سلامك وثناءك. تسليت كثيراً بعادل لا سيما أنه جاء في وقت كنتُ فيه كليم الفؤاد شديد الوحشة من الدنيا لفقد فؤاد[٣].

سررت جداً بالتحيات التي أبلغتنيها عن بعض أصدقائنا وإخواننا، فإنها أحيت بي تذكارات كثيرة ومثَّلت أمام عيني الوطن العزيز:

بــلادي بهــا نيطــت علــيَّ تمــائمــي　　　وأوَّل أرضٍ مــسَّ جسمــي تــرابهــا

فأمَّا أن أشاهد وطني بعيني فهذا مَرَدُّه إلى الله وحده.

يسرني جداً بقاء سيادة أبي ملحم سعيد حمدان بصحته وقوة مداركه ولا شك أنه رجل فذّ، ومثله جناب الأستاذ جرجس أفندي صفا فإنه من الأفذاذ أيضاً، وكل خبر عن صحتهما أعدُّه بشرى. بلغني أن أخي محمود بك جنبلاط ملتاث المزاج من مدة وشغل بالي مرضه، وإن كان معه شيء في القلب فأحسن علاج الإقلال من الأكل واجتناب المعجَّنات ولا شك أن الأطباء أوصوه بذلك، لكني أنا أريد أن أوصيه به فإن صحته تهمُّني كثيراً ونادر الأشخاص الذين هم في طهارة

---

(١) من محفوظات الشيخ علي طليع.

(٢) عادل أرسلان، شقيق الأمير شكيب.

(٣) فؤاد أرسلان، ابن عمه.

قلب محمود بك جنبلاط وحسن أخلاقه، اسألوا لي خاطره وأخبروني عن صحته، واسألوا لي خاطر إخواني فريد بك[1] وأشقّائه الكرام، وبديهي أنه يجب أن تسألوا لي خاطر سعادة السيدة نظيرة وتؤكّدوا لها احترامي. ميخائيل بك عيد البستاني أخ قديم من أيام المدرسة ونِعْم الرجل والله وحبَّذا الأخلاق والعلم والفضل، وعبد اللّه بك البستاني صديقنا المشهور دائماً أفكِّر فيه وأحب استطلاع أخباره، وإسكندر بك البستاني أيضاً نحن وإياه على ما كنا عليه لا تغيير عندنا، اسألوا لي خاطرهم جميعاً مع خاطر سعيد بك البستاني أيضاً.

أولادنا المشايخ أمين ونجيب القاضي من بيصور كنت عتبت عليهم، لأني لما توفّي المرحوم الشيخ رشيد[2] أصابني من الحزن كما لو ذهب واحد من البيت، لأني كنت أعزُّ الشيخ رشيداً بدرجة عالية، فحرَّرت إليهم مكتوب تعزية أبثُّ فيه لوعة أحزاني لذلك المصاب فلم يستحسنوا أن يجاوبوني عليه، وربما كان هذا رأي بعض من هناك... بأن مراسلتي فيها خطر عظيم! فأنا من ذلك الوقت لم أكتب إليهم وقلت لا لزوم أن أشغل بالهم. ولما توفّي المرحوم الشيخ عارف[3] يعلم ربي أني حزنت لكني لم أكتب إليهم تعزية حتى لا أبقى بدون جواب كالمرة الأولى. والآن من حيث إنهم كلّفوك السلام عليَّ فاهدهم أزكى سلامي ودعائي بتوفيقهم.

الأخ الشيخ مجيد القاضي من السمقانية إليس في حوران؟ هذا أيضاً صديق من ٣٥ سنة ورجل يعوَّل عليه، واهده سلامي وتذكُّراتي وأشواقي.

سأقول لك كلمتين تقدر أن تقولهما لولدنا الشيخ أحمد تقي الدين بدون محاباة، فإني صريح ولا لزوم أن أداجي. ملحم بك حمدان لا أنكر أني وجدت فرصة فجعلته مكان أبيه في دائرة الحقوق نظراً لكفاءته وخدمة والده الطويلة، ولا أظن إلا أني عملت الواجب عليَّ. فمنذ تغرَّبت أي منذ ١٣ سنة لم يمرّ شهر واحد لم يأتِني فيه سلام من ملحم بك حمدان، وفي كل فرصة هو يذكر مساعدتي هذه، مع أنه من عادة الناس أنهم إذا حصلوا على مرادهم أنكروا المساعدة أو سكتوا بالأقل عن ذكرها، ثم إن ملحم حمدان يتمنّى حاجةً تلزمني ليقضيها لي. أما الشيخ أحمد فقد كنت أنا سبب وجوده قاضياً ولا أمنُّ عليه بذلك، كما أنه لم يخطر لي على بال أن أمنَّ على ملحم بك حمدان، فهذه ١٣ سنة مضت لم أتلقَّ ولا كيف حالك على المعرفة، لا من الشيخ أحمد ولا من الشيخ أبي أحمد لا سراً ولا علناً. وهذا أوَّل سلامٍ جاءني منهم وهو الذي أنت تبلغني إياه، وهم

---

(١) والد الدكتور سعيد جنبلاط وكامل جنبلاط، والاثنان هما أخوا الست نظيرة من الأم.

(٢) والد الشيخ نجيب القاضي.

(٣) شقيق أمين القاضي.

يعلمون أن ابن عمهم محمود بك برغم محبة زائدة كانت بيني وبينه قد عاداني هو وأخوته، من أجل تمسُّكي بالشيخ عبد الغفّار وبقي مجاهراً بالعداوة إلى أن جرت الحرب العامة، وعرف هو وغيره أنني لم أكن ذا مدخل في نفيهم لا بل أخذت أساعدهم، فمن بعد ذلك رجع إلى الصواب. فمع هذه الأمور كلها لم أجد أصدقاءنا الشيخ أبا أحمد والشيخ أحمد تذكَّرُونا بسلام... هذا الكلام سيجدونه مُرًّا ولكني أفضِّل أن يستمدُّوا كلامي على أن أُبقي في ضميري عتبي عليهم وأن أقول لك: اهدِ سلامي إلى الشيخ أحمد تقي الدين على حين أنا واجدٌ عليه. ولا أنكر أن أناساً ممن كانوا معدودين أصدقاء فعلوا هذا، ولكني أنا لا أريدهم مثل هؤلاء بل أعتقدهم في الطبقة الجيدة المعروفة بالذمام.

سليمان بك أبو عز الدين كتبت إليه من نحو جمعة. رجل فاضل كامل ومؤرخ الطائفة، اهده سلامي وأشواقي. جميل بك سعيد تلحوق من أخلص من عرفت لعائلتنا ومن الأدباء الراسخين في الطبقة الأولى، وأما حميَّته وغيرته فلا عجب فهو ابن أبيه، كذلك اهده تحياتي وأشواقي. الشيخ رشيد علي أمين الدين كتب لي وجاوبته وسررت منه. وأما الشيخ رشيد الكبير فلا أريد أن يكتب لي ويكفي منه السلام بالواسطة، ولم يكن هذا منه أول سلام، ولو شققت عن قلبه لوجدته يضمر لي من الحب ما يريده لنفسه، هذا لا شك فيه عندي وضمير الإنسان مخبر لا يغش، ويهمني قبل كل شيء أمر معيشته، فإن الكريم الذي هو مثله يهم الجميع فكيف لا يهمني أنا وأنا أعرفه حق المعرفة وأعرف ما انطوى عليه نحوي.

حزنت على المرحوم نجيب بك السعد لأنه كانت بيننا صداقة وأخوَّة ووحدة حال، هذا عدا صداقتي مع عطوفة الباشا الحبيب. وجاءني هذا الحزن عقب مصيبة فؤاد، وقد عزَّيت حبيب باشا وجاءني الجواب. فالله يرحم الماضي ويحفظ حياة الموجود الغالي.

سررت بأخباركم عن المشايخ الكبار أبي محمد قاسم أبي شقرا ومحمد أفندي قاسم عبد الصمد[1] وابن عمه سعيد أفندي محمود ابن صديقنا المرحوم محمود، وعسى أن يكون الشيخ أبو محمد قاسم بصحته التامة. أما محمد أفندي عبد الصمد فقد كتب لي تعزية بفقيدنا وجاوبته.

الشيخ يوسف حسين باز لا أتعجب من صداقته وذمامه فهذا سلالة حسين باز، ولكني أقول إنه أسدى إليَّ معروفاً لا أنساه. رافقني مدة شهر في سفر طويل وقيل إن السفر يُسفر عن أخلاق الرجال، فقد أسفر لي سفره معي عن أخلاقه الكاملة وآدابه الرائقة، وسررت بأن يكون مثله في بيت حسين باز.

(١) ولي الشيخ محمد عبد الصمد مشيخة العقل سنة ١٩٤٦ وتوفي سنة ١٩٥٤.

الحمد لله على سلامة المشايخ بشير وحسين الفطايري، لكن أبلِغ أبا علي بشير أنه إن مرض مرة ثانية يجتهد مثل هذه المرة أن لا يموت، فإنه إن مات أغضب عليه كثيراً، فإني ما زلت أؤمل أن أرجع إلى البلاد وأسمع حديث أبي علي بشير . . .

لما أفتيت تلك الفتوى اللغوية في الجديدة . . . وكنت جالساً في بيتكم وجاء بشير وأخبروه أحسَّ بالفرج وقال لي: الله يطوِّل عمرك على هذه الزيحة التي زحتها عنّا. فقال له المرحوم محمود طليع: لكنه أفتى بفتوى مثلها فيها أيضاً ما يسرُّ أهالي المزرعة . . . فقال له بشير: دعنا من أهل المزرعة نحن ما أحد متضايق ضيقتنا(١). فهذه لطائف لا أزال أذكرها وأضحك لها مع تطاول هذه الغربة. فأبو علي بشير لا بد منه. اهدوه واهدوا حسين ابن عمه أرقَّ سلامي.

وإني أهنيكم بزفاف ولدنا الدكتور ابن أخيكم فإن كتبتم إليه اهدوه سلامي ودعائي بتوفيقه. نِعْمَ الشاب المهذَّب والدكتور الفاضل. واهدوا أجزل السلام لأخيكم محمد أفندي.

بطيّه مكتوب ليوسف بك حين سلِّموه إليه وسلِّموا على خليل بك سيف الدين، وإنه ليسرَّني ما تذكرون من همَّة خليل بك ومساعيه في إصلاح أمور الأوقاف، وفي النادي الإصلاحي الدرزي وفي الجمعية الإسلامية الدرزية أكثر الله من أمثاله. فإن لم يفعل الشبَّان هكذا فماذا نأمل من تعليمهم؟.

تذكَّرت كثيراً الحاج مصطفى صقر وقد كنّا نأخذ لوازمنا كلها منهم وكانوا والله نِعْمَ الناس، اهده تحياتي الوافرة وأشواقي. ولك في هذا المكتوب زاد معنوي لشهرين وطمئن عنك دائماً وسلِّم على أولادي أولادك والله يحفظكم جميعاً.

المخلـص

شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

(١) في كلام الأمير هنا إشارة ضمنية إلى ألقاب وأسماء أطلقها النقّاش على بعض القرى اللبنانية، منها القريتان المذكورتان في أعلى.

الأمير وإسعاف النشاشيبي

كتب أمير البيان شكيب أرسلان إلى صديقه إسعاف النشاشيبي يداعبه في رسالة نشرتها مجلة «الشورى» لمحمد علي الطاهر، في القاهرة، وقد نقلتها مجلة «السيف والناس» في العدد ١٩، ٢٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٠ م، وقد جاء فيها:

ولدي إسعاف تاج أدباء فلسطين لا عدمته

يظهر لي أن بينك وبين أحد الأفاضل خلافاً على العمر، وأنه يتَّهمك من السن بأكثر من الحقيقة، فاستشهدت عمك هذا الذي هو صديق والدك وعمك، فإني أشهد أني رأيتك في أولى جيئاتي إلى القدس سنة ١٩٠٧ وسنُّك يومئذٍ فيما أحزر لا تزيد على العشرين، وإن زادت فسنة أو سنتين. فتكون الآن ـ أطال الله عمرك ـ بين الثلاث والأربعين والخمس والأربعين.

وأما قولك في الدفاع عن شبابك إنك تخرَّجت على الطيب الذكر الشيخ عبد اللّٰه البستاني بعدي وبعد خصيمك ـ الذي لا أعرفه ـ بثلاثين سنة، ففيه يا ولدي نظر، فإني أنا خرجت من مدرسة الحكمة التي كنت فيها تلميذ البستاني سنة ١٨٨٦، تعلم ذلك من ديوان الباكورة المطبوع سنة ١٨٨٧.

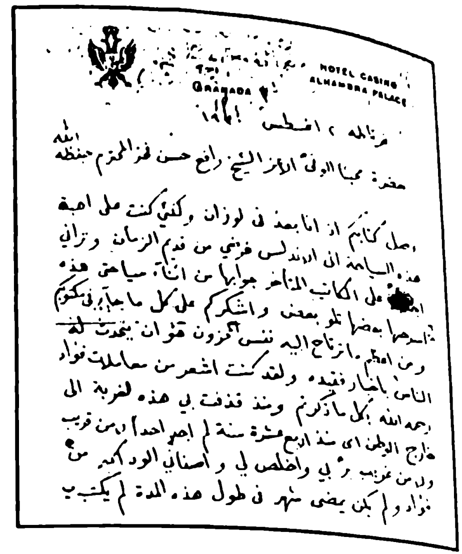
فإذا كنت أنت تخرَّجت على الشيخ بعدنا بثلاثين سنة، فيجب أن يصادف خروجك من مدرسة الحكمة سنة ١٩١٦، أي في أواسط الحرب الكبرى، فتأمَّل جيداً وتنبَّه لحسابك.

ثم أقول لك إن الذي يقرأ كلامك عني وعن تاريخ قراءتي على الشيخ البستاني، يظن أني شيخ هَرِم، ولم يبقَ إلاّ أن يفترض أني كنت مع نوح في السفينة.

والحقيقة أني مولود سنة ١٢٨٦ هـ، في أول ليلة من رمضان، وهذا مقيَّد بخط المرحوم والدي إن شئت نطبعه لك بالزنكوغرافيا. وعليه أكون بالحساب الهجري ابن ٦٢ لا أكثر ولا أقل. ولكني أنا عربي في كل شيء، إلاّ في حساب السنين، فإني أفضِّل التاريخ الشمسي، إذ أزداد به سنتين إلى الوراء، فأكون في الستين. لأنه في كل ٣٠ سنة بين الحسابين فرق سنة، فلتعِشْ حتى تأتي عليك الستون والسبعون والثمانون ولتتنافس بك السنون ولتفخر بك (فلسطون) ولتحسدها عليك الأرضون.

الشــورى

عمك شكيب أرسلان



غرناطة ٢ اغسطس ١٩٣٠

حضرة محبنا الوفي الشيخ رافع حسن فخر المحترم حفظه الله

جواب عن تعزية

رسالة وجّهها الأمير من غرناطة، بتاريخ ٢ أغسطس (آب) ١٩٣٠ م، إلى الشيخ رافع حسن فخر من "دير قوبل"، رداً على تعزية منه بابن عمه الأمير فؤاد أرسلان، وفيها يتحسَّر الأمير على فَقْد فؤاد، هذا الرجل الذي كان برلمانياً لامعاً ملأ الأسماع والأفواه.

غرناطة ٢ أغسطس ١٩٣٠

حضرة محبّنا الوفيّ الشيخ رافع حسن فخر المحترم حفظه الله

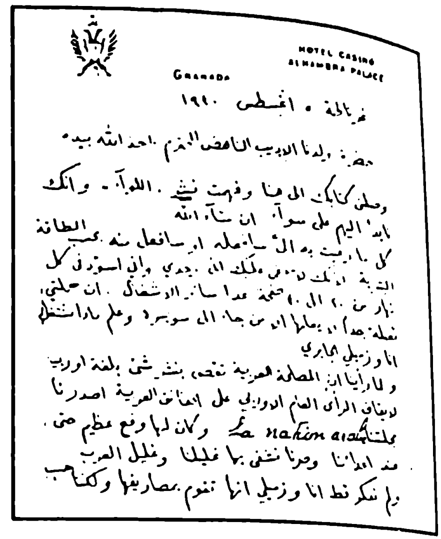
وصل كتابكم إذ أنا بعدُ في لوزان، ولكني كنت على أهبة هذه السياحة إلى الأندلس غرضي من قديم الزمان، وتراني أجاوب على المكاتيب المتأخر جوابها من أثناء سياحتي هذه أسرِّحها بعضها تلو بعض، وأشكركم على كل ما جاء في مكتوبكم، ومن أعظم ما ترتاح إليه نفس المحزون هو أن يتحدث له الناس بأخبار فقيده، ولقد كنت أشعر من معاملات فؤاد رحمه الله بكل ما ذكرتم. ومنذ قذفت بي هذه الغربة إلى خارج الوطن أي منذ أربع عشرة سنة، لم أجد أحداً لا من قريب ولا من غريب برَّ لي وأخلص لي وأصفاني الود أكثر من فؤاد، ، ولم يكن يمضي شهر في طول هذه المدة لم يكتب لي فيه مرتين أو بالأقل مرة، ثم إذا كانت لي حاجة وجدتها مقضيَّة، وله في هذا الباب ما لا أقدر أن أحصيه لأنها أعمال استمرَّت أربع عشرة سنة، وناهيك تردُّده الدائم على سيدتي الوالدة وافتقاده إياها، فقد كان فؤاد مثالاً تاماً للبرّ والإخلاص وصفاء السريرة ولا سيما معي أنا، وكنت أراه فضلاً عن ذلك محبوباً من الجميع، محترماً عند الكافَّة، عزيز النفس، عالي الهمة، ناشداً أحسن الأحدوثة، باغياً معارج المجد، محافظاً على حقوق الوطن، متمسِّكاً بنزعة قومه ركناً وعماداً لهم في هذه السنين الأخيرة لا يسد أحد مسدَّه، وكان قد بلغ من الحنكة والتجربة مبالغ جعلته في صف أعلام الوطن كله، وخصوصاً أن تجربته كانت تستند إلى فصاحة نطق، وسداد منطق، وجرأة نفس، ورفعة قدر، فكان رحمه الله في هذه السنوات الأخيرة هو قنديل العائلة المُضيء وحسامها المَضيّ، وكنت مستريحاً جداً بوجوده مقدِّراً قدره حق التقدير، فجاءت فجيعته

عليَّ أعظم فجيعة، ولم أحزن على نسيب أكثر من حزني على فؤاد، هذا مع جلالة أوصاف نسيب واتّفاق الألسن على تزكيته وشدة احتياجنا إليه. وقد ازدادت حرقتي على فؤاد بأنه كان تقرَّر أن يأتي إلى لوزان ويبقى عندي مدة طويلة أتملَّى فيها من مشاهدته، فجاءت مصيبته قاطعة لأعظم أمل كنت أتلذَّذ به. وبالاختصار كيف فكرت بمصيبة فؤاد أجدها محرقة مُصمية وغير قابلة للتعويض، وكأن ضمائر الخلق عرفت شدة وقع هذا المصاب عليَّ. فالتعازي التي جاءتني على فَقْد فؤاد بلغت نحو ١٥٠ تعزية ثم بعد ذلك أضعت حسابها، وقد جاءتني تعازي من كل الأقطار حتى من اليمن والحجاز ومن جزائر الغرب ومن مراكش، فضلاً عن سوريا ومصر الخ، وهذا كله دليل حسن نية فؤاد وطهارة طويَّته، وكفاك هذا المأتم المنقطع النظير الذي هو أشبه بالحياة منه بالموت، والذي جنى فيه فؤاد ما زرعه في قلوب الناس من حسن الصنيع. نعم إن أبناء وطننا وأبناء قومنا خاصة أرادوا أن يبيِّنوا للأجانب مقدار العائلة الأرسلانية في نظرهم، وأن يجبروا هذا الكسر الذي لحق بها، ولك هذا الثوب الذي قد فصَّلوه جاء على قامة تليق به ولا يجد فيها أيّ إنسان معتَرَضاً، فقد كان المشهد أفخم مناحة لأخلص فقيد، ولا أنكر أن المصائب التي فجعت بها في حياتي كثيرة، ولكن جرح محمد وجرح فؤاد هما في قلبي أعمق الجروح، ولفؤاد فضلٌ عليَّ باهتمامه بمصالحي طول مدة غربتي أشهد به أمام الله والناس، وأسأله تعالى أن يكافئه عني لأنه تعالى وحده القدير على المكافأة، وأن يرحمه ويكرم مثواه ويلهمنا على فَقْده صبراً جميلاً ولا يرينا عليكم مكروهاً.

المرحوم داود سليمان آغا أخذت خبره وأسفت عليه، أرسل بتعزية لأهله ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان



إصدار مجلة الأمة العربية

رسالة وجَّهها الأمير من غرناطة ٥ أغسطس (آب) ١٩٣٠ م، إلى المجاهد العربي الكبير علي ناصر الدين المعروف بالبريمي (١٨٨٨ ـ ١٩٧٤) يذكر له فيها إنشاء مجلة «الأمة العربية» مع إحسان الجابري للدفاع عن قضايا الأمة العربية، والعجز المالي الحاصل لهذه الجريدة، ويسأله حثَّ المشتركين على تسديد بدل اشتراكاتهم لكي تستمر المجلة في أداء رسالتها[١].

غرناطة ٥ أغسطس ١٩٣٠

حضرة ولدنا الأديب الناهض المحترم أخذ الله بيده

وصلني كتابك إلى هنا وفهمت نشر «اللواء» وأنك نابذٌ إليهم على سواء إن شاء الله.

كل ما رغبت به إليَّ سأفعله أو سأفعل منه بحسب الطاقة البشرية، لأنك لا يخفى عليك أني وحدي وأني أسوِّد في كل نهار من ٢٠ إلى ٣٠ صفحة عدا سائر الأشغال. إن حملتي ثقيلة جداً لا يعلمها إلا من جاء إلى سويسرا وعلم ماذا نشتغل أنا وزميلي الجابري.

ولما رأينا أن المصلحة العربية تقضي بنشر شيء بلغة أوروبية لإيقاف الرأي العام الأوروبي عل الحقائق العربية، أصدرنا مجلتنا La nation arabe وكان لها وقع عظيم حتى عند أعدائنا، وصرنا نشفي بها غليلنا وغليل العرب. ولم نفكِّر قطّ أنا وزميلي أنها تقوم بمصاريفها، ولكننا حسبنا أننا نخسر عليها في السنة بعد الوارد من بدلات الاشتراك ١٠٠ إلى ١٥٠ جنيه، كل واحد منا يغرَّم بسبعين فلا بأس، لأن لذَّة نشرها تساوي ذلك وأكثر.

لكننا وقد صرنا في العدد الخامس تكلِّفنا ما يقرب من ٣٠٠ جنيه ـ الحسابات والإدارة كلها بيد إحسان بك ـ وإلى هذه الساعة لم يرد علينا إلا نحو ٣٠ بدل اشتراك من جزائر العرب.

---

(١) من محفوظات الرائد أحمد بدران.

أما من سوريا فبارة واحدة ما جاء من ثمن ٣٠٠ نسخة نوزعها فيها، وكذلك لم يرد شيء من فلسطين. وأما مصر فمشغولة عنّا وعن كل بلاد العرب.

نعم يا ابني العرب يريدون الاستقلال ويريدون كل شيء لكن بلاش، ونحن لو كان في أيدينا مال لا نبخل فنفدي ٦٠٠ ليرة لأجلهم، لكن لا إحسان ولا أنا في سعة وعلينا عدا مصاريف المجلة مصاريف أعظم.

هل تقدر أن تنشر شيئاً في حث المشتركين بمجلتنا على الدفع.

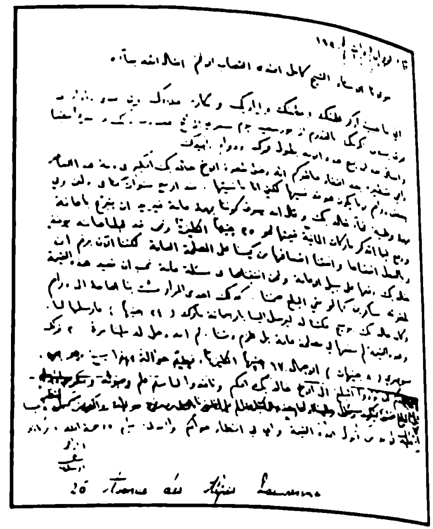
الخلاف على الدخول في الانتخابات أو عدمه مؤسف. أنا أرى الدخول على أمل تشكيل أكثرية وطنية في المجلس. لكن يرى الحاضر ما لا يرى الغائب.

سلامي واحترامي إلى حضرة واسطة عقد الفيحاء ومفخر العرب في جميع الأنحاء السيِّد عبد الحميد أفندي كرامة، وعليك السلام والرحمة والبركة.

المخلص

شكيب أرسلان

إن كتبت لحضرة والدك أبلغه أشواقي الكثيرة.



العسر والوفاء

رسالة من لوزان، مؤرخة في ٥ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ م، إلى الشيخ محمد كامل القصّاب، يخبره فيها عن شخص له بذمّته دراهم، وقد أعاد له القيمة بموجب حوالة، وهذا يدلُّ على أن الأمير شكيباً لم يكن موسراً، لكنه لم يقع يوماً تحت مِنَّة أحدٍ.

لوزان ٥ تشرين الأول ١٩٣٠

مولانا الأستاذ الشيخ كامل أفندي القصّاب الأفخم أطال الله بقاءه

إني ما حييت أذكر لطفك وعطفك وأياديك ومكارم أخلاقك، ولا أنسى ما دام بي عِرْق ينبض تكرُّمك بالقدوم إلى بورسعيد يوم سفري إلى الحج، فعددت ذلك لي شرفاً عظيماً وأسأل الله أن يمتِّع هذه الأمة بطول عمرك ودوام تأييدك.

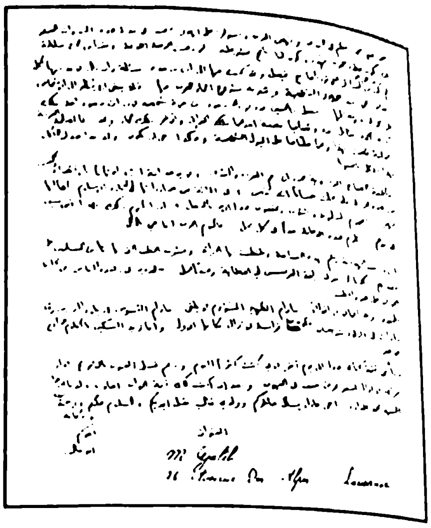
داعي تسطيره بعد افتقاد خاطركم أنه دخل لحضرة الأخ خالد بك الحكيم في ذمَّة هذا العاجز بعض دراهم ربما يكون هو قد نسيها، لكني أنا ما نسيتها. منذ أربع سنوات كنّا في برلين وفي مهمة وطنية، فجاء خالد بك وقال إنه يعرف كوننا بمهمة عامة فيريد أن يتبرَّع بإعانة، ودفع فيما أتذكَّر ماركات ألمانيّة قيمتها ٣٥ جنيهاً إنكليزياً ونحن قد قبلناها منه يومئذٍ. وبالفعل أنفقناها وأنفقنا أضعافها من كيسنا على المصلحة العامة، لكننا الآن برغم أن خالد بك دفعها على سبيل الإعانة ونحن أنفقناها في مسألة عامة، نحبُّ أن نعيد هذه القيمة لحضرته شاكرين كما لو بقي المبلغ ضمننا. كذلك إحدى المرار مسَّت بنا الحاجة إلى دراهم وكان خالد بك بميونيخ، فكتبنا له ليرسل إلينا بأربعمائة مارك (٢٤ جنيهاً) فأرسلها لنا. وهذه القيمة لم ننفقها في مصلحة عامة بل تلزم ذمتنا. ثم إنه دخل له علينا مرَّة ٢٠٠ فرنك سويسري (٨ جنيهات) الإجمال ٦٧ جنيهاً إنكليزياً. فطيّه حوالة بهذا المبلغ نرجو من لطفكم أن تؤدُّوا المبلغ إلى الأخ خالد بك الحكيم، وتأخذوا لنا منه علم وصوله وتتكرَّموا بإرساله إلينا ضمن كتاب مسجَّل. وإن أداء هذه القيمة لم يزل في بالنا من مدة طويلة، ولكن كنّا ننتظر الميسرة. والآن ليست الحالة مما يقال له بيسير وعلينا مبلغ من الديون،

ولكن لا شيء يفرّجنا مثل دفع شيء يكون دخل علينا، فإنه يبقى كالجبل على ظهرنا حتى يندفع، ولو كان القرض من أخينا بناءً عليه لا بد من قبول هذه القيمة، وإني في انتظار جوابكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الداعي

شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne



طلبة المغرب في باريس

رسالة من الأمير شكيب إلى الحاج عبد السلام بنونة، من لوزان ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ م، الموافق ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هـ. يذكر له فيها جهود طلبة المغرب في باريس لخدمة قضية بلادهم، ووجوب بذل المال لمساعدة هذه القضية، ووصف حالة المسلمين، ومقاومة فرنسا بواسطة صحافتها وأحزابها الحرّة، وجهوده المبذولة مع زعيم السوسياليست ومع الإخوان المصريين والمغاربة في القاهرة للتشهير بعمل فرنسا. ثم يذكر اجتماعه بالملك فيصل في أوروبا، وبحث القضية العربية من كل وجوهها، ثم واسطته بين الملكين فيصل وابن سعود، وأسس الوحدة العربية، ومقاطعة بضائع فرنسا، ثم ردّه على خطاب رئيس الجمهورية الفرنسية[(١)].

لوزان ١٤ أكتوبر ١٩٣٠

سيدي الأخ الأعز الأجل لا عدمته

وصلت كتبك الكريمة كلها مع ملفوفاتها، ومن جملتها رسالة طلبة المغاربة التي أعيدها لكم بعد أخذي عنوانهم وأنتم أحرقوها.

وأما مآل هذه الرسالة فإني موافق عليه أشد الموافقة، لأنه لو صار عند هؤلاء الشبان المغاربة الذين بباريس شيء من المال لعملوا حركة كلها بركة، ولا قاموا وأقعدوا ولا استمالوا بمآدب وشاهيات وعلاوات وهدايا جماً غفيراً من سياسيين وصحافيين، وقام هؤلاء وفضحوا أعمال فرنسا في المغرب وشهّروا وجرّسوا بقضية التنصير التي تتوخّاها فرنسا. كل شيء بدون مال لا يقوم ولا يستتب. والمسلمون يريدون أن يستقلّوا ويتحرّروا وأن يحفظوا حقوقهم، وأن يرفعوا كل اعتداء على دينهم ودنياهم الخ. لكن بدون بذل شيء بل بالاتّكال على أمرين، أحدهما أن الله وعد المسلمين في القرآن بالنصر فإن كان القرآن حقاً فعليه أن ينصرهم، والثاني أن الأمم المتمدِّنة تزعم الحرية والعدالة والمساواة فلماذا لا تعدل فيهم؟ والجواب على هذا أن الله لم يعدْ للمسلمين النصر إلا على

---

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان، ١٩٨٠.

شروط معلومة كرَّرها في كتابه مراراً، منها أنهم يَقتلون ويُقتلون، ومنها أنهم يبيعون أنفسهم من الله، ومنها أنهم يحبون الله ورسوله أكثر من أولادهم وآبائهم وأزواجهم ومساكنهم وتجارتهم، ومنها غير ذلك من العزائم، وهم يقومون من هذا كله بأقل من الأذن بالنسبة إلى الجمل، فكيف يطالبون الله بالنصر إذاً؟ وأما الأمم المتمدِّنة فليس بصحيح أن عندها عدالة ومساواة، وإن كان عندها فيكون فيما بينها ولا يكون إلا إذا كان وراء الحقوق سيوف تُخيف من تحدِّثه نفسه بهضم الحقوق. إذاً لا وسيلة ولا حيلة للمسلمين إلا بأمرين، أولهما التشكيلات أي الجمعيات واللجان والشركات والصحف والنشرات، وطرق الاتحاد كلها وطرق الاتصال لا سيما للأمم المغلوبة على أمرها، ثانيهما البذل والإنفاق على هذه الأعمال بحيث تكون صناديق هاتيك الشركات والجمعيات ملأى ولا تكون اسماً بلا مسمًّى، ولهذا تحسنون صنعاً في جمع مبلغ من ذوي الحمية في تطوان وإرساله إلى هؤلاء الطلبة، مع الإشارة إليهم بأن يقدِّموا لكم عنه حساباً تحت إمضاء أعضاء لجنتهم كلها، ولا يكفي هذا بل يجب مراسلة الحواضر الأخرى في المغرب حتى ينهضوا ويبذلوا أيضاً.

إن هذا الأمر الفظيع الذي أقدم عليه الفرنسيس من جهة البربر، والذي إذا لم يصادم بالعنف من الآن كان مبدأ انحلال الإسلام والعياذ بالله بالمغرب كما انحل بالأندلس. هذا أمر لا يخرِّبه على الفرنسيين إلا الفرنسيين أنفسهم، وذلك بالسعي والدعوة والنشر ومخاطبة الأحزاب الحرّة في فرنسا، كالسوسيالسيت والراديكال الذين هم ضد استعمال السلطة الإفرنسية لنشر الكثلكة أو الدين المسيحي، والذين يقدرون أن يمنعوا هذا الأمر على شرط أن يجدوا هيئات من المسلمين تراجعهم.

أما إذا كان المسلمون ساكتين فلا يدافعون عن أنفسهم، الساكتين لأنهم يظنون حينئذٍ أحد أمرين، إما أن تكون الأخبار غير صحيحة بدليل سكوت المسلمين، وإما أن يكون المسلمون خانعين حتى إلى إجبارهم على تغيير دينهم، فعندها لا يكونون بشراً يؤبه لهم... ولعله يقال إن المسلمين لم يسكتوا فهذه الجرائد العربية ملأى بالاحتجاج والصخب.

وأقول هذه حركة مفيدة بدون شك وهي الأصل وهي التي آن أوانها، لأن اعتداء دول الاستعمار على الدين الإسلامي تمادى وطال أمره والمسلمون سكوت، فإذا لم يدافعوا عن هذه الحركة ولو بالصريخ ولو بالفضيحة والتجريس، أيقن المعتدون أن الفرصة لائحة فلا بد من إتمام العمل قبل أن يتنبه المسلمون ويصير تنصيرهم شديد الخطر. ولكن الحركة في الصحف العربية لا تكفي وينبغي أن يكون مثلها في أوروبا وفي صحف فرنسا وفي صحف إنكلترا الخ. وهذا كله يلزم له مال فلا تهملوا إجابة التماس هؤلاء الطلبة، وإن لزم وكان المال يستحق الاهتمام انتخبوا شخصين ثقتين يذهبان إلى باريس وبيدهما الإعانات المجموعة ويكون الإنفاق بمعرفتهما.

أرسلت إليكم أول من أمس مكتوب الزعيم الاشتراكي الكبير حتى تقرأوه، لكن لا يجوز أن

هذا المكتوب سرَّكم لأنه لا يجوز أن يُعرف كوننا نحن دفعناه لهذا العمل. أنا من البداية يتجاوز أرى أن أهم تدبير ضد هذا العمل هو طرح المسألة في البرلمان حتى تفتضح وتقف الحكومة عنها، لأن الاعتداء على الحرية الدينية تبرأ منه كل الحكومات، وإذا حصلت حوادث فيما بعد بهذا السبب تكون الحكومة مسؤولة.

أرسلت إلى مصر أطلب من إخواننا ترجمة ذلك النداء ـ الذي أرسلت لكم نسخة منه ضمن ظرف مضمون ـ إلى الفرنساوي والإنكليزي ونشر ألوف من النسخ منه في أوروبا والعالم كله، وأن يبث به إلى كل النوّاب والشيوخ والوزراء ورجال السياسة والصحافة في فرنسا وإنكلترا وألمانيا وإيطاليا وسائر الممالك، وأن يكتبوا احتجاجات برقية أيضاً إلى جمعية الأمم وإلى الحكومات، فإن كل هذا يفيد جداً. وأنتم اكتبوا إلى أولادنا السيد العربي والسيد الطريس في مصر لأجل السعي بمثل ذلك، وأنا أرى أنه صار يجب تأليف وتوزيع كتاب خاص بهذه المسألة تحت عنوان «الحادث الأكبر في محاولة الفرنسيين تنصير البربر»، ويجمع فيه جميع الأدلة على صحة الدسائس التي أجراها الفرنسيس إلى هذه الغاية والرد على التمويهات التي تذيعها فرنسا الآن، وأن يترجم هذا الكتاب إلى لغات أوروبية وشرقية.

طيّه قصاصات من جريدة «النداء» الكبيرة الصادرة في بيروت، فيها مقالة أظنها بقلم أحمد بلافريج وفّقه الله، وأكثر في شبّان هذه الأمة من أمثاله ووفّقهم جميعاً لأنهم نجباء، وإنما لم أعرف منهم إلا ولدينا بلافريج ومحمد الفاسي وأحبهما كما أحب غالب.

مقابلتنا مع الملك فيصل كانت في أنتيب قرب نيس، ولا وقت يندح حتى لتخليص ما جرى لأننا بقينا عنده ثلاثة أيام وكنا كل يوم نعقد جلستين، قبل الظهر جلسة وبعد الظهر جلسة، ولم يكن إلا نحن الثلاثة جلالة الملك وزميلي الجابري والفقير إليه تعالى وقليلاً كان يحضر مستشاره محمد رستم حيدر. البحث دار على معاهدة العراق الجديدة والآمال في إصلاح نقاط ضعفها تدريجاً. عقد معاهدة بين سوريا وفرنسا تضاهيها. مسألة البترول وأهميتها، المادية مسألة البترول وأنابيبه، واستثمار ذلك لأجل حمل فرنسا على قبول مطالب السوريين. مسألة فلسطين، مسألة الاتحاد العربي وكيفية البدء له بين سوريا والعراق والاجتهاد في إدخال ابن سعود فيه. وجوه الاتحاد المتعددة: الاتحاد النمساوي المَجَري، الاتحاد الألماني، الاتحاد السويسري، الاتحاد الأمريكي. أخذ مثال من أحدها. الابتداء بالاتحاد بالجمارك والمواصلات والصحة والمسكوكات والأمور الاقتصادية مع عقد محالفة دفاعية عسكرية. توطيد العلاقات الودية بين فيصل وابن سعود أو العراق ونَجْد والحجاز إلى غير ذلك مما ذكرنا له فيه جميع آرائنا واستحسنها ونشط كثيراً.

وقد ذهب الملك إلى روما بدعوة ملك إيطاليا ومنها سافر إلى الشرق، وأعلن في مصر ثم

أثناء مروره بعمان ثناءه على خدمة الوفد السوري للقضية العربية.

وأنا بعد رجوعي كتبت إلى الملك ابن سعود مطوّلاً ولخّصت له كل ما دار بيننا وبين الملك فيصل، مع إيداع الكلام كل ما يقرِّب بينهما.

أنا لا أشك في أن الحرب واقعة في أوروبا ولو بعد عشر أو ١٢ سنة، وأنه لا تنشب في أوروبا حتى يقع انفجار عظيم في الشرق، وينهض العرب وسيستولوا على الأمور، فيجب في مدة هذه السنوات العشر أن تكون خطة العرب ممهّدة، ويكون لنا برنامج نمشي عليه وإلا ذهبت الفرصة اللائحة وبقينا من تحت سلطة واحد إلى آخر. ثم إن من المسائل التي قرّرناها مع فيصل، وقد كتبت عنها إلى ابن سعود، مسألة ذات بال لا بد منها لكل اتفاق هي نبذ الأمور الشخصية وتنزيه مشروع اتحاد العرب عنها، فلا ينبغي أن ينظر إلى الأشخاص بل إلى الأمة ومصالحها. فيصل بن الحسين عدو لابن سعود من جهة شخصه، لأن ابن سعود أخذ ملك آبائه لكنه تقابل معه وتصافيا بصفة أحدهما ملك العراق والآخر ملك الحجاز ونَجْد. فالمصلحة العربية العامة قضت بهذا وهما غلباها على الميول الشخصية وهكذا ينبغي أن يكون، وقد بدا هذان الملكان بهذا المثال بأنفسهما.

مقاطعة البضائع الفرنساوية يجب أن تعمّ المغرب والمشرق، ولا يوجد أمة أشد اهتماماً بالاقتصاد والكسب من هذه الأمة، فلو عملت حساباً أنه نقص ٢٠ في المائة من صادراتها إلى بلاد الإسلام لهالها الأمر. أفيحزم المسلمون ويثبتون ويحقّقون هذا الأمر بالفعل؟ إن أمكنهم ذلك فهو أمضى سيف في يدهم. تلزم هذه الدعاية جداً في كل محل، فاليوم الحرب إنما هي بالمال.

إن رئيس الجمهورية قام بهذه السياحة وطنطنت بها الجرائد ونشرت الخُطَب التي بها تأمين المسلمين على عقيدتهم، لكننا نحن نعرف براعة الفرنسيين في الخَطابة وصف الجُمَل. ستجدون في العدد الثامن من مجلتنا الجواب على هذه الخُطَب.

ملخّصه نريد أعمالاً لا أقوالاً ما دام الظهير المشؤوم لا يلغى. ما دام القسوس في بلاد البربر منتشرة ما دامت في البلاد شريعتان، فتكون نيّة فرنسا لا تزال بمكانها الأول، وإنما تريد التسكين بالكلام الفارغ لا غير.

سأبقي تتمّة كتابي هذا إلى يوم آخر لأني كتبت كثيراً اليوم، وبرغم غسلي العيون بالبابونج الحار مرتين لا أزال أشعر بحريق خفيف في العيون، وبعد أن أكتب لك تتمة الجواب أجاوب ولدنا الأجلّ السيد محمد داود.

أخي عادل يسأل خاطركم وولدي غالب يقبِّل أيديكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العنوان: 26 Avenue des Alpes, Lausanne

أخوكم أبو غالب

مجلة لا ناسيون آراب

رسالة بدون تاريخ، من الأمير شكيب إلى الحاج عبد السلام بنونة، وهي تتعلّق بما أبداه الحاج من استعدادٍ لمعاونة الأمير في مجلّته مادياً، وفيها إشارة إلى الأزمة المالية التي يعانيها إحسان الجابري وتأثيرها على مجلة «La nation arabe» وحالة الأمير المادية ومعاناته لبيع بعض عقاراته، وإعانة الجالية العربية بأمريكا له، وإعانة الخديوي عباس حلمي له وسوء العلاقة بينهما، والإعانة المالية من الملك ابن سعود، ويذكر توتُّر العلاقة بينه وبين ابن سعود، وفكرة توحيد الشام والعراق، وملاقاة فيصل وابن سعود في الجوف، وأخيراً تكليفه الحاج بنونة ببيع بعض كتبه في المغرب[(١)].

خصوصي لك

سألتني عن المجلة وحالها المالية وقلت إنك مستعد لمعاونتها وشكرتك على ذلك، ولكني والله لا أريد أن تؤدّي مليّماً من كيسك، فإني أرى أن حملتك ثقيلة ولا أجد لأهل المغرب غيرك، فمالك يهمّني أكثر من مالي.

غاية ما أقول إن حالة المجلة صعبة فزميلي كان قادراً على تحميل نفسه غرامتها، إلا أنه بهذه السنة رزىء بعدَّة رزايا مالية: له ألفا ليرة ذهب في برلين قد توقَّف البنك الذي هي فيه، وذهب له نحو ٥٠٠ ليرة ذهب في بنكين آخرين هنا وبفرنسا، وحصل عليه بسقوط الجنيه الإنكليزي فرق مهم، لذلك قال لي من يومين إنه لا يقدر أن يؤمِّن حياة المجلة إلا إلى عددين بعد هذا. هذا إن لم يأتِ دراهم من بدلات الاشتراك.

أما أخوكم هذا فحالتي أصعب من حالة زميلي، وإني في الغربة من ١٣ سنة فلم تمرّ عليَّ سنة عسيرة كهذه، فلا أقدر أن أساعد المجلة بشيء، ولقد كنّا في المجلة فصرنا في صاحب المجلة وهذا كله من ضيق الحال العامة.

أما وارداتنا الخاصة فسعر الزيت نزل إلى النصف مما كان. عندي ٤٠ قنطار زيت سنة الإقبال

---

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان، ١٩٨٠.

كانت تعطيني ٨٠٠ ليرة ذهب فنزل ثمنها إلى ٤٠٠، فلا أقدر أن آخذ منها شيئاً لأن عليها أموالاً أميرية ونفقات شغل، والباقي القليل لازم لمعيشة أخي حسن ووالدتي، وعندهم خدم وخوليه وبيتنا في لبنان مفتوح. وعندي في صوفر عقارات منها البناية التي رأيتم صورتها فكان حساب صوفر ٢٠٠ ليرة ذهب إلى ٢٥٠، فلم يجئنا هذه السنة إلا ١٢٠ ليرة ذهباً، وباقي إيرادي في الجبل غير مهمّ. وكان عندي في برلين بيت إيراده السنوي ١٣ ألف مارك لكن نظراً لثقل الضرائب لم يكن يفضل منها إلا القليل، فرهنت البيت من سنتين تحت ألفي ليرة ذهب وبنيت بها تلك البناية في صوفر، فأصبح البيت لا يفيدني بشيء. وكانت عندي مزرعة بقرب دمشق تعطيني ٦٠ ليرة ذهباً في السنة فاضطررت لبيعها بألف وأربعمائة ليرة، وجاءني منها النصف ولا يزال النصف الآخر ضمن المشترين الفلاّحين، لكنهم وقفوا أخيراً عن تأدية المبلغ بسبب شدة الأزمة المالية. وكانت تأتينا إعانات من الجاليات العربية في أميركا لأجل مصاريف الوفد السوري فيرد علينا من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جنيه إنكليزي في السنة، فانقطعت بالمرة بسبب هذه الأزمة. وكان الجناب الخديوي عباس حلمي من سنة ١٩٢٣ رتَّب لي راتباً شهرياً ٣٠ جنيهاً إنكليزياً، وقد عمل ذلك من نفسه فاستعفيته منه فلم يقبل، وحصل مرة بيني وبينه خلاف فانقطعت عنه وبعثت أطلب منه قطع الراتب فأبى إلا إرساله، وكان يقول إنه مساعدة لي على خدمتي للإسلام من ٤٠ سنة. ونحن لم نكن نقصِّر في خدمته والسعي في مهمَّاته إلا أننا لم نقدر على إقناع السوريين بنصبه ملكاً على سوريا، لأن الجمعية التأسيسية بالشام قرَّرت الجمهورية وهي مقاومة لنصب أي ملك ولو كان علي أخا فيصل بل لو كان فيصل. فهذا لم يقبل عذرنا فيه واغتاظ منّا بسببه، وبعد أن كان يقول إنه رتَّب المعاش لأجل خدمتنا للإسلام صار يشير إلى أننا قصَّرنا معه ولا نريد أن نعمل له شيئاً ولا أن نجاهر بالدعاية له من أجل سوريا، وانتظر حتى اشتدت هذه الأزمة المالية العالمية وقطع المرتَّب وذلك منذ ١٠ أشهر. ونحن انقطعنا عنه أيضاً لأن صحبتنا له عملت لنا أي عداوة مع الملك فؤاد. وكان ابن سعود يساعدنا أيضاً من وقت إلى آخر، ففي الماضي قدَّمنا هدايا أولاً وثانياً بمقدار المساعدة، إلا أننا منذ ستة أشهر جاءتنا دفعة ٢٥٠ جنيهاً صرفناها على أنفسنا وعلى المجلة واستفدنا منها في هذه الأزمة. وبعد ذلك ساءت الأحوال المالية في الحجاز إلى أقصى درجة فلم يرد لنا شيء، ويقال أيضاً إن ابن سعود بلغه أننا نؤيد فكرة اتحاد العراق والشام، ويظهر أن الخبر لا يخلو من صحة لأنه من شهرين أو ثلاثة لم يأتِنا منه ولا من أحد من جماعته جواب ولا جاءت مساعدة.

فاضطررنا أن نكتب له أننا نحن نفضِّله على الجميع، ولكن محبتنا له إنما هي لأجل العرب وأينما كانت مصلحة الإسلام والعرب فنحن ننشدها. فهل يصح لنا أن نوحِّد بين الشام والعراق ونرفض ذلك، وهل إذا أمكن ذلك يحتاج فيصل إليَّ حتى يتمّ هذا المشروع؟ إن كان فيصل يقدر أن

يجعل هذا الاتحاد فإن المشروع يتم من نفسه، نصرته أنا أم لم أنصره. غير أني أنا لا أنكر أن مكاني من هذا المشروع مكان الموافق ولم أخبىء شيئتي هذه لرفض عمل أدعو له من ٤٠ سنة. والخلاصة أني صرَّحت له بكل ما في نفسي من هذه الجهة وقلت له إنك بمقابلة سكوتك عن ذلك تقدر أن تأخذ من فيصل الاعتراف بالأمر الواقع في الحجاز، فهذا له مزيد الأهمية، لأن الأشراف لا يزالون يزعمون أنك اعتديت عليهم وطردتهم من كرسي إمارتهم الخ، فإن اعترف لك فيصل بالحجاز ففيصل هو خلاصة الأشراف. هل يدعني ابن سعود لما أبديت وأعدت له ويقبل عذري؟ الجواب: لا أعلم، والعلامات تدل على أنه غير راض. لكن هناك خبراً واحداً سارًا وهو أن الملكين سيتلاقيان قريباً في الجوف وسط البادية بين الشام والعراق ونَجْد ـ وهي تابعة لابن سعود ـ وهذه الملاقاة أنا حرَّضت فيصل عليها.

وقفتك على جميع عجري وبجري وسأزيدك أني لما رأيت الأزمة اشتدت بي عالجت نفسي بالاقتصاد، فبعد أن أنفق في الشهر ثلاثة آلاف فرنك سويسري ـ ١٥ ألف فرنك فرنساوي ـ أنزلت مصروفي الشهري إلى ألف فرنك ونقلت مسكني إلى جنيف استفادة من رخص أسعارها بالنسبة إلى لوزان، وتركت جميع الزوائد والفضول واقتصرت على الضروري فقط، وقلت: ليقطع الخديوي المرتَّب وليقطع ابن سعود الإمداد ما عاد هذا يهمّني، وأنا عائش بألف فرنك في الشهر وهذه تأتيني من واردات ملكي. وألف فرنك وأنا حر خير من ثلاثة آلاف وأنا مقيَّد بخاطر ذا وذاك، نعم، لا أزال مديوناً بسبعة أو ثمانية فرنك سويسري في لوزان منتظراً مجيء الباقي لي في الشام لأجل وفائها.

والآن بعد أن شرحت لك قصتي أريد منك بقدر إمكانك أن تساعدني في نشر كتبي، فقد أرسلت إدارة المنار إلى تطوان ٢٠٠ نسخة من رسالة «لماذا تأخَّر المسلمون» باسمك، و٥٠ باسم الشيخ محمد العربي الخطيب، و١٥٠ نسخة من «الارتسامات اللطاف» رحلتي الحجازية، وقد جاءني منك ثمن المائة الأولى على أنك إن تكرَّمت ببذل الهمة في إرسال مقدار إلى أصحابنا بفاس وبطنجة وبالرباط، فيمكنك أن تحملهم على تصريف أكثر من هذه الكمية فنطلب حينئذٍ ٢٠٠ نسخة أيضاً من كل من الكتابين إلى تطوان، وأنت تتفضَّل بإرسالها إلى من تعتمد عليه في هذه المدن، ولا شك أن ثمن كتب كهذه لا يفرِّج أزمتي لكنه سداد من عَوَز، وفي أثناء العسر القليل له أهمية وفي أثناء اليسر لا يهتمّ الإنسان ولا بالكثير.

فنحن الآن في زمان عسر ولقد أرسلت من كتبي إلى أمريكا وإلى الأقطار العربية، فعندي من الرسالة ثلاثة آلاف نسخة ثمنها ١٥٠ جنيهاً ومن الارتسامات ٢٠٠٠ نسخة ثمنها ٣٠٠ جنيه،

المجموع ٤٥٠ جنيهاً، باق عليَّ من نفقات طبعها وتوزيعها ٥٠ جنيهاً فيكون الباقي لي نحو ٤٠٠ جنيه، فإذا اعتنى أصحابي بتصريفها كان لي بها ما يسدّ الحاجة هذه السنة إلى أن تكون انفرجت هذه الغمَّة التي لا بد من أن تنفرج بحول الله.

فهذا ما تقدر أن تساعدني به فيه ثقلة وتصديع ولكن الضرورة دعت إلى ذلك.

قضايا شتّى مع ابن بنونة

رسالة من الأمير شكيب إلى الحاج عبد السلام بنونة، من لوزان مؤرخة في ٦ آذار ١٩٣١ م، يهنّئه فيها بالمولود الجديد، وينصحه بالاهتمام بتعليم أبنائه، ويخبره بأنه تلقّى رسالة من عبد الهادي السلاوي، ثم يعلّق على كتاب «تاريخ مكناس» لابن زيدان، ويطالب التازي وهو وزير المالية في عهد السلطان مولاي يوسف وعهد نجله السلطان محمد الخامس، بمساعدة الحركة الوطنية في المغرب، والحلف العربي، ويشير إلى موقف الملوك العرب منه، وإلى أن الهند في طريق الحرية والاستقلال[1].

لوزان ٦ مارس ١٩٣١

سيدي الأخ لا عدمته

من أربعة أيام كتبت إليك ثانية وبعد ذلك جاءني كتابك الأخير وفهمته وأهنّئك «بالقادم الجديد»، هذه كلمة الشيخ محمد عبده لوالدي عند ولادة أخي عادل.

قد صاروا تسعة أولاد حرسهم الله وحرسك من فوق رؤوسهم وأراك أولاد أولادهم.

إني أراهم مهما كانت بسطة أملاك والدهم إذا اعتمدوا عليها لا تكفيهم في مستقبلهم، فالأحسن أن تعلّم فريقاً منهم الصناعات حتى يكون بيد كل منهم مهنة تغنيه عن إرثه، ولا أقول لا يتعلّموا العلوم كلا بل يجب أن يكون أحدهم طبيباً والآخر مهندساً والآخر فقيهاً، ولكن يجب أن يتعلّم أناس منهم الصنائع أيضاً والله يوفّقهم جميعاً.

الشيخ عبد الهادي السلاوي لم أمتنع عن مراسلته اشتباهاً في إخلاصه، لا والله، بل خوفاً عليه لأني سمعت بما هو جارٍ في طنجة من المراقبة على من لهم علاقة معي، والشيخ عبد الهادي له وظيفة فقد يؤذونه لأجلي، هذا هو السبب في إمساكي إلى اليوم عن مكاتبته.

ومع هذا واصل كتاب بطيّه أرجو التكرُّم بإرساله ضمن مكتوب منك إليه.

تاريخ مكناس ليس السيد رشيد هو المقصِّر في التنويه به، بل أنا كنت المقصِّر.

---

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان ١٩٨٠.

فقبل أن أكتب إلى الأستاذ صاحب المنار لأجل الكتابة عن هذا التاريخ وإتحاف الناس بتقدير مزايا الإتحاف، يجب أن أقوم أنا بهذا الواجب وبعد ذلك أكتب لصاحب المنار وأتقاضاه الكتابة اللازمة.

ولقد تريَّثت في إبداء ما عندي بشأن كتاب المولى عبد الرحمٰن أيَّده الله حتى يكون صدر الجزء الثاني، فالآن قد صدر الجزء الثاني وقد تحتَّم ذكر المحسن بما أحسن، وأرجو منك أن تكتب للعلاَّمة الجليل سليل فخر الملوك إسماعيل مقبِّلاً أيديه من قِبَلي وذاكراً ما قلته لك، كما أني سأخبر صاحب المنار بحقيقة السيد النقيب المؤرِّخ المنقِّب العجيب وأزيل من فكره كل وهم بشأنه.

السيد التازي الذي في الرباط عظيم الثروة فيما سمعت، أفلم يكن من اللازم أن يساعد الطلبة المغاربة الذين في باريس فيما يبذلونه للدفاع عن دينهم... وأن يساعد أيضاً «لا ناسيون آراب» التي لا تريد ربحاً بل أن تكون رأسها بعبِّها كما يقال. فإن قيل إنه يخشى أن يتَّصل ذلك بالسلطة فالجواب إن المساعدة لها طرق كثيرة لا تشعر بها السلطة، وليترك مجلتنا وليساعد الطلبة الذين هم في الواقع أبناؤه.

مسألة الحلف العربي أخوك هذا هو الوحيد الذي قام بها، وإلا فلا تظن أن أحداً من جماعة فيصل يجرؤ أن يرغِّبه في محالفة ابن سعود... لأنهم يخشون أن يظن بهم الميل إلى ابن سعود فيخسرون الحظوة عنده. وكذلك جماعة ابن سعود لا يجسر منهم أحد أن يقول له كلمة قد يُظَن قائلها ميَّالاً إلى فيصل. وكذلك الإمام يحيى عنده أناس من هذا النمط ولا يفتأون يهيِّجونه على ابن سعود. أما أنا فلا يهمّني شيء من هذا وكلامي لكل من الثلاثة أن يتسامح مع صاحبه ولو ترك من حقه، لأن ضرر الخلاف وخطره بما يؤدي إليه من التدخُّل الأجنبي أعظم بكثير من هذا الذي يتساهل به على فرض كونه حقاً له. وأنا عارف أني لو كنت أقول لكل واحد منهم كل ما يهواه فلا يمكن أن يتقاربوا أبداً.

ثم إنه لما بدأ فيصل يسمع مني واقتنع بالحلف العربي وأراد أن يحقِّقه بالفعل، قامت عليه قيامة الجرائد التي تكره ابن سعود. ولمّا شاع أن ابن سعود نفسه جانح لقبول اقتراح فيصل قامت الجرائد المعادية لأولاد الحسين تنهى عن هذه المحالفة وتجعلها دسيسة إنكليزية... فالأجانب أنفسهم لم يحاربوا الحلف العربي مثل العرب... والعرب العوام لم يحاربوا الحلف العربي مثل المفكِّرين أو الذين يزعمون أنهم من المفكِّرين، ولقد نسخت لك بخطي المكاتيب الأخيرة الواردة لي من الملكين مع كونها خصوصية، لتعلم منها المساعي التي أنا أسعاها ويأتي غيري فيحبطها. يحبطون اتحاد العرب وهم يزعمون أنهم قادة الرأي العام في العرب! استعنا عليهم بالله.

أوصيك أن تقرأ مقالة ستأتي في «الشورى» تحت عنوان «الحلف العربي أتشمّرون قبل الوصول إلى النهر؟» فيها كل ما يلزم فتغنيني عن إبداء أفكاري هنا والوقت ضيّق.

ما زالوا يصخبون على هذا الحلف حتى إنه لولاي لكان مشروع فيصل عاد كالعرجون القديم: اتفاقاً على تسليم مجرمين وأشباه ذلك مما لا بال له. وهذا تفهمه من قصاصة من القبس الدمشقي واصلة طيّه. لكني سأكتب إلى الملكين أن الاقتصار على هذا لا يستحق هذا العناء وأعود إلى الحلف السياسي والعسكري الخ.

الإمام يحيى لم يزل جوابه لي بهذا الشأن مبطئاً، مع أني نقلت له عبارات الاثنين بالحرف ولا بد أن تتجلّى أفكاره. فقد كان كتب لي من قبل شيئاً أرسلت صورته إلى ابن سعود.

الهند جرى فيها اتفاق عظيم جداً، فهي اجتازت المرحلة الأولى من طريق حريتها التامة، وسيكون لها نظام الدومنيون.

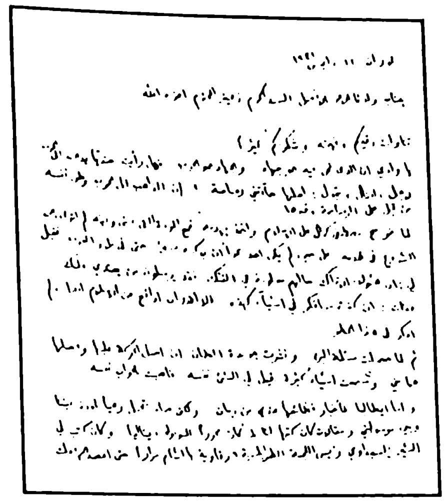
وجرائد فرنسا متشائمة حاسبة حساب آنام والتونكين والمغرب والجزائر وتونس، ولا تخفي أسفها من تساهل إنكلترا.

على أن الأحزاب الثلاثة في البرلمان الإنكليزي هنّأوا والي ولاة الهند على اتفاقه مع غاندي، لأن حالة الهند كانت أصبحت لا تطاق، فهل حارب الهنود إنكلترا بالسيف حتى ألجأوها إلى هذا؟ كلا، إنما حاربوا بسلاح المقاطعة الماضي المرهف الصارم القاطع.

فهل يفهم هذا المسلمون؟ والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم

أبو غالب



قضايا العالم الإسلامي

رسالة يوجِّهها الأمير إلى الأستاذ والأديب أكرم زعيتر أحد المجاهدين الكبار، وأحد أعيان مجلس النواب الأردني، مؤرَّخة من لوزان، في ١١ مايس (آذار) سنة ١٩٣١ م، ٣ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ. وفي هذه الرسالة يطرح الأمير عدداً من المسائل المهمة التي تشغل بال العالم الإسلامي، ويبدي نظره في أمور أخرى وقضايا في غاية الأهمية، وقد أشار إلى كيفية معالجتها.

لوزان ١١ مايس ١٩٣١

جناب ولدنا الأعز الأفضل السيد أكرم زعيتر المحترم أعزَّه الله

تناولت رقيمكم وفهمته وشكرتكم كثيراً.

يا ولدي، إن الذي نحن فيه هو جهاد، والجهاد هو الحرب، فهل رأيت جندياً يذهب إلى الحرب لأجل القتال ويقول: لعلها جاءتني رصاصة؟ إن الذاهب إلى الحرب وطَّن نفسه من قبل على الرصاصة وغيرها.

لمّا خرج مصطفى كمال على الإسلام وأخذ يهدمه، فمع المودة التي بيني وبينه لم أتوقَّف عن الشروع في هدمه على حين لم يكن أحداً يجرؤ أن يذكره بسوء حتى في بلاد العرب، فقيل لي: إن هؤلاء الأتراك حالهم معلومة في الفتك، فقد يرسلون من يعتدي عليك... فقلت: إن كنت سأفكِّر في أشياء كهذه فلا أقدر أن أدافع عن الإسلام أبداً. ولم أفكِّر في هذا الخطر.

ثم لمّا حصلت مسألة البربر، ونشرت جريدة «الطان» أن أصل الحركة عليها وفضلها هما مني، وسمعت أشياء كثيرة.. قيل لي الشيء نفسه، فأجبت الجواب نفسه.

وأما إيطاليا فأخبار فظائعها عندي من زمان، ولكني صابر ومتحمِّل رعياً لمودة بيننا وبين موسوليني ومقالات كان كتبها لنا لمّا كان محرِّراً «للبولولو ديتاليا». وكان كتب لي البشير السعداوي رئيس اللجنة الطرابلسية البرقاوية بالشام مراراً حتى أعضدهم، فقلت له: يا أخي ضاقت علينا

الأرض بما رحبته: إنكلترا ضدنا، فرنسا ضدنا، تركيا ضدنا، الأجانب كلهم ضدنا، ثم نثير عداوة إيطاليا من جديد. ونستحيي من موسوليني لأنه سبق له مساعدة لقضيتنا. فانشروا أنتم ما شئتم وأنا أساعدكم بالمساعي وبالنشريات بدون إمضاء لي. وفعلاً كنت أنشر بغير إمضاء لي.

ثم تفاقمت أفعال إيطاليا؛ فما استطعت الكتمان، ونشرت في «لا ناسيون آراب» مقالة انتقاد مع الاعتدال، ونبَّهت موسوليني للأخذ على أيدي قوَّاده.

ثم تفاقمت فظائع إيطاليا، فلم أستطع صبراً. وقبل أن أكتب فكَّرت في كل شيء، ولم أكن لأجهل أعمال الفاشيست، وتشكيلاتهم الخفية، وإعلانهم التوصُّل إلى محو أعدائهم بكل وسيلة. ولكني قلت: إن بقيت أحسب هذه الحسابات لا أقدر أن أدافع عن الإسلام دفاعاً مؤثِّراً. والمسألة وصلت إلى حدٍّ لا يطاق. وإذا جرت هذه الفظائع بالطرابلسيين وسكت لها المسلمون جرت في سائر الأماكن، لأن أكثر العالم الإسلامي مستعمرات. وإن لم يكن جميع الأوروبيين في سفالة الطليان فالفرق قليل. ومن الغريب أن الإفرنج ينظرون إلى الإسلام في كل محل كأنه ساكن بقعة واحدة وهم يجسُّون نبضه في كل قطر حتى يعرفوا كيف يعاملونه في القطر الإسلامي الذي تحت ولايتهم. تأمَّل، إن فرنسا أرسلت بعثة طويلة عريضة أنفقت عليها أموالاً لأجل البحث عن أهمية الإسلام في الصين، وهل هو هناك كثير العدد كما يقال أم لا؛ لأن الأقوال اختلفت. فأنت ترى أنها لأجل سياستها في مسلمي المغرب تريد أن تزن قوة الإسلام حتى في الصين... إذ هم لا يعلمون الإسلام إلا كتلة واحدة. ومثل فرنسا وإنكلترا وهولندا والروسية وإيطاليا وإسبانيا والجميع.

فرأيت أنَّ السكوت عن أعمال إيطاليا هذه سقوط لنا في كل محل، ونهايته محو مسلمي طرابلس وبرقة. ورأيت أن الجمعية الطرابلسية البرقاوية قد نشرت مراراً ولم يتنبَّه أحد ولا اكترث. فعند ذلك نبذت إلى إيطاليا بدون مداراة ولم أمسّ الضرّاء، وقلت: وعلى الله فليتوكل المؤمنون. ولو لم أفعل هذا ولو لم أكتب هذا البيان ما قام الناس وقعدوا لهذا الخطب، وأثبتوا نهضة إسلامية أكيدة انتبهت لها الدول التي كانت تظن أن الإسلام بعد إلغاء الخلافة وإلحاد تركيا تفكَّك تماماً وتلاشى. فالآن عرفوا أنه حيّ، وأنّه متكافل، وأنّ إلحاد تركيا لم يقدِّم ولم يؤخِّر شيئاً. فهذه نتيجة ثلج لها صدري وصدر كل مسلم مخلص ذي شعور ناظر للعواقب، وستكون فاتحة خير إن شاء الله. فأما احتراسي لنفسي فلا يمكن؛ لأنه إن كان مقدَّراً أن يغدر بي غادر فلا أقدر أن أمنعه، لأني أخرج كل يوم وأتناول الشاي خارج بيتي وأتمشَّى ساعتين. ولولا هذه النزهة اليومية ما كان يمكنني أن أكتب كل يوم مدة ٨ ساعات وأقرأ ٥ ساعات، هذا بدون انقطاع.

نعم لست بعد الآن ذاهباً عن طريق إيطاليا إلى محل، فإن سافرت مرة إلى الشرق ـ إلى

الحجاز أو اليمن، إذ لا أقدر أن أدخل إلى غيرهما - فلا أركب البحر إلا من ألمانيا أو بلجيكا أو بلاد اليونان. هذا كل ما أقدر أن أحتاط به. وأظنّ أن الفاشيست يفكّرون أنهم إن اغتالوني فالمسلمون يجدون قناصل وسفراء لإيطاليا في بلادهم لا يعجزهم اغتيالهم.

ثم اعلم يا ولدي أنَّ مَنْ خاف من شيء سلَّطه الله عليه. فأنا لا أخاف ولا أحب أن أخاف، وموسوليني ومصطفى كمال وأمثالهما عندما يقرأون ترجمة كلامي أو ما أكتبه بالإفرنسية رأساً، يعلمون أنه ليس بكلام من يحسب لهم حساباً، والله خير حافظٍ.

تكذيبات الطليان ولو كانت كاذبة دالَّة على أنهم اضطربوا لهذه الحركة، وأنهم علموا أن جسم الإسلام لم يُشَلّ، وأن آمالهم في الاستيلاء على اليمن بتخدير أعصاب العرب صارت ضعيفة. ولقد اعتبر بهذه الحركة الإنكليز والفرنسيين أيضاً، ووصل خبرها إلى أوروبا. نعم لا يزال بعض الفرنسيين يقولون إن مصدر حركات العالم الإسلامي كلها من لوزان. . . وأمس بلغني أن جريدة «البوند» التي تصدر في عاصمة سويسرا والتي هي من أهم الجرائد قالت شيئاً من هذا. وبعثتُ في طلب العدد. ولكن هذا لا يغيِّر من جوهر الحقيقة شيئاً؛ فالحقيقة أن الإسلام متضامن متكافل حيّ مستيقظ باغ للنهوض. فإذا كان كاتب مضى عليه ٤٥ سنة وهو يخاطب المسلمين ويدافع عنهم من شأنه أن يحرِّكهم بمقالة، فليس هذا إلا دليلاً على رقَّة شعورهم وشدَّة انتباههم لكل ما يمسّ الإسلام، وأنه لهم ثقة بمن صدقهم القول من ٤٥ سنة.

الحركة البربرية كانت أول نتائجها نشاط المغاربة واندفاع شبابهم للعمل. وهذه بذاتها نتيجة كافية لأن المساكين كانوا من قبل في حال اليأس، لا يبدون ولا يعيدون. فالآن الحركة عمَّت عندهم جميع الطبقات. وجريدة «الطان» اضطرت أن تعترف أن المغرب بدأ يسير على خطة مصر وسوريا. نعم تأخَّر، لكنه عاد وتعقَّب الطريق نفسها. والآن المراقبة من أشدّ ما يكون على طلبة المغاربة بباريس الذين يقولون لهم دائماً: أنتم تسيرون بإشارة شكيب أرسلان.

ولكن كل هذا غير ثانٍ من عزم هذه الناشئة المباركة المغربية.

وكانت النتيجة الثانية أنَّ «المسألة البربرية» وُجدت الآن شاءت فرنسا أم أبت. وبدأ كتَّاب من الفرنسيين يخوضون فيها منهم ضدنا ومنهم معنا. وإنَّ حزباً غير قليل ينتقدون هذا الظهير، ويطلبون إلغاءه. ومجلتنا «لا ناسيون آراب» تُقرأ بكل اهتمام، وتُعتبر هي نبض الأمة العربية. هذا يبلغنا من نفس باريس. وكل مركز عالٍ سياسي من مراكز الحكومة الفرنسية يرسل بدل اشتراكها سلفاً ويطلبها.

نعم فرنسا تخشى من إلغاء الظهير ازدياد الجرأة على مطالب أخرى سياسية فلهذا لا تزال تردَّد في إلغائه. ولو حصلت المقاطعة الفعلية لبضائعها، واشتدت الحركة عليها في العالم الإسلامي، لم يكن منها مناص من إلغاء الظهير. فالمقاطعة والاحتجاج هما الآن أحدُّ أسلحتنا، فلنرهف هذه الأسلحة. أفلم نرَ الهند كيف نالت ثلاثة أرباع مطالبها بها؟ ومسألة الهند هي أعظم مسألة استعمارية في الدنيا.

تسألونني رأيي في الطرق الواجب اتِّباعها لتحرير الإسلام وإنهاضه. ومرادي أن أحرِّر بعد رسالة «لماذا تأخر المسلمون؟» رسالة أخرى اسمها: «هذا هو الداء فما الدواء؟»، تكون تتمة للأولى، لكني سأصدرها بعد أن تنفد نسخ الأولى.

نحن أمة كسائر الأمم، بشر كسائر البشر، نتبع طرق الأمم التي كانت فقدت استقلالها ثم استقلَّت. أمامنا اليونان، البلغار، الصرب، الفلاخ، والبغضان، المجر، التيشك، الطليان أنفسهم، بولونيا، فنلندا، ليتوانيا، لتونيا، أستونيا، إيرلندا، سويسرا من قديم، كتالونيا هذه المرة، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية بجميع أقسامها، وهلم جرا.

كل هذه الأمم كانت استولت عليها أمم أجنبية عنها، وأسقطت حكوماتها، وصارت ترهقها. وكل هذه الأمم عادت فطردت الأجنبي واستقلَّت منها بعد ٥٠ سنة من سقوطها، ومنها بعد ١٠٠ سنة، ومنها بعد ٢٠٠ سنة، ومنها بعد ٥٠٠ سنة، الخ.

نحن نسلك طريقهم لا غير. طريقهم أنهم بعد أن انقرضت حكوماتهم ودولهم عمدوا إلى الجمعيات، جمعيات منها سرية، ومنها علنية قانونية. قامت لهم مقام دولهم. قام الفكر مقام السلطة. قامت السلطة الشعبية مقام السلطة الأجنبية الحاكمة، ولم تزل تتقوى حتى تناولت السلطة القانونية باسم الوطن. فالجمعيات، وهي ما يسمِّيه الترك بالتشكيلات، هي طريق الخلاص. جمعيات خفية، جمعيات قانونية، لجان، شركات، نقابات، كل هذه التشكيلات سواء كانت خيرية، أو علمية، أو اجتماعية، أو تجارية، أو صناعية، أو زراعية، قُوى للوطن ومنابع حياة له. وهذه الجمعيات لها صناديق. وهذه الصناديق وجودها يعلِّم البذل، أو ما يُعبَّر عنه بالتضحية. فإذا صارت في الوطن الواحد عدة جمعيات وشركات ولجان، وكل واحدة منها لها صندوق ملآن، صارت في الوطن عدة قُوى أو عدة أجنحة تنهض به. وقد تعاكسها السلطة الأجنبية الحاكمة، وتحاول خنقها، لكنها إذا قويت وكثرت تعجز عن ذلك، فتضطر إلى الاعتراف بها، وربما إلى الاستنجاد بها في الأحايين. عندكم أنتم في فلسطين المجلس الإسلامي، المؤتمر الفلسطيني ولجنته التنفيذية، جمعية الشبان المسلمين، الجمعية الإسلامية المسيحية، الخ. هذه غير كافية، لكن

لولاها كانت حالكم أسوأ جداً، لأنها على كل حال هي أجنحة لكم.

فإذا تعدَّدت هذه التشكيلات، ولا سيما أنها كانت صناديقها ملأى، كان بها الوطن ملآن حياة، فصار في مجموع العالم الإسلامي أشبه بعضو قوي ملآن دماً في جسم الإسلام. ويكون القطر الآخر الذي بجانبه على نمطه، والقطر الآخر، والقطر الآخر، وهلم جرّا، من أول العالم الإسلامي إلى آخره. وهي الطريقة الإقليمية (regionaliste) أي أن كل إقليم يبدأ أولاً بنفسه، ويوطِّد مداميك حائطه، فإذا رأى نفسه تقوى وارتاش، وصار قادراً على النهوض، التفت إلى جاره ومدّ يده إليه. وأما الجامعة بين هذه الأقطار فهي طبيعية حاضرة أقرب من حبل الوريد. وما دام القرآن موجوداً لا يخشى عليها. فبمجرد إشارة واحدة من أحد هذه الأقطار يتحرك الجميع كأنها ثريّا كهربائية تضيء بحركة زرّ واحد. لكن لا فائدة من مجرد الحركة إن لم تكن الأقطار كلها ملأى حياة محليّة أو الأفواه الكهربائية ملأى نوراً.

فإذا كان كل من الأعضاء ملآن حياةً تألَّف منها جسم نشيط وثيق قوي سريع ناهض جميع ما فيه يؤدي ما عليه تماماً، فنال مراده في هذه الحياة. وبعبارة أخرى إذا كانت سوريا وفلسطين ومصر والعراق ونجد والحجاز واليمن والسودان والحبشة والصومال وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش والهند والجاوى الخ الخ، كلها فيها هذه الجمعيات والشركات والنقابات والهيئات الممثلة بالشعوب، وكانت قائمة بوظائفها حق القيام فتصير إذا تحركت بحركة واحدة لقضية البربر أو قضية طرابلس أو غيرهما، تجد الأجانب لحركة هذه الأقطار نتائج فعلية عملية سريعة مؤثرة عامة شاملة، فتخشى مصادمتها ومقاومتها، وتنقاد لمطالبها؛ لأنها تعلم أنّ وراء مصادمتها فِتناً وغوائل عظيمة.

فالتشكيلات هي قوة كل أمة فقدت حكومتها وكيانها السياسي. وهي الزعيمة، مع الثبات والعزم وإتقان العمل وروح التضحية، بإعادة ذلك الكيان السياسي.

كان العالم الإسلامي قبل الحرب العامة معتمداً على الدولة العثمانية يراها كل شيء، ويطلب منها كل شيء، ويظن نفسه مستريحاً بوجودها.

وكان المسلم لا يفكِّر، ولا يريد أن يفكِّر في مسائل الإسلام العامة، اعتقاداً بأن هناك دولة كبرى وخلافة هي المرجع لكل هذا، وأنها ناظرة إلى كل هذا.

وصار هذا الاعتقاد وسيلة للمسلم أن يكسل ويهمل ويقول لنفسه ما لي وللاهتمام بما يهتم به من هو أولى وأقدر مني، وربما قال بما لا يعنيني.

فهذا الاعتماد أضرَّ الخلافة وأضرَّ العالم الإسلامي نفسه.

أضرَّ الخلافة، لأنه حمَّلها كل شيء من الفيلبين إلى المغرب، وألقى كل المهام عليها، فعجزت ورزحت تحت الحمل، حتى عجزت عن حفظ ما هو بيدها فضلاً عن البعيد.

وأضرَّ نفسه، لأنه بتخيُّل أن كل المهام قائمة بها الخلافة في استانبول أهمل كلَّ سعي وكلَّ عمل، وصار ينظر إلى نفسه كقاصر ليس له أن يهتم بشيء مع وجود وليّه؛ فصارت الدولة ضعيفة، وصار العالم الإسلامي ضعيفاً، وصار ضعف كل منهما يزيد ضعف الآخر.

وصارت الحال أشبه بجسم جميع أعضائه شلّاء أو مصابة؛ فالرأس مهما كان مفكِّراً لا يستطيع مع ضعف الجسم كله شيئاً.

فصار الناس الذين لا يدقِّقون في أسرار الأمور، أو الذين في قلوبهم مرض، يقولون: إن هذا الضعف إنما جاء من الخلافة، وأقنعوا بهذه السفسطة كثيراً من البُله أو السذَّج: «يقضى على المرأ في أيام محنته...».

والحقيقة لو كانت أقسام العالم الإسلامي كلها ملأى حياةً لكانت الدولة العثمانية أقوى دول الأرض؛ إذ كانت رأساً لثلاثمائة وخمسين مليون آدمي كل واحد منهم قائم بوظيفته في نصرتها، ولكنها كانت رأساً لثلاثمائة وخمسين مليوناً، منهم ٣٠٠ مليون في حكم القاصرين، فماذا يفيد القاصرون مهما كثروا؟.

فالآن يجب علينا أن نؤسِّس من تحت، يجب أن نربِّي الفرد الإسلامي فنخرجه فرداً عاملاً قائماً بالواجب عليه، سواءً كان زارعاً أو صانعاً أو حاكماً أو معلِّماً أو مصلياً.. الخ؛ ومن مجموع الأفراد القائمين بما عليهم حقّ القيام يتألَّف البلد الزاهر الراقي. ومن مجموع البلدان الزاهرة الراقية تتألَّف المملكة القوية المهيبة التي لا تحصل على القوة إلا حصلت على الاستقلال، لأنّ هذين لازم وملزوم.

ومن مجموع الممالك القويّة المهيبة يتكوَّن حينئذٍ رأس هو الخلافة إذا استقلت به إحدى دول الإسلام كانت رأساً تطأطىء له الرؤوس.

وليس بضروري أن سائر أقسام العالم الإسلامي تصير ولايات تابعة لدولة الخلافة. فهذا لن يكون، ولا ينبغي السعي له. إنما إذا كانت تلك الأقسام كلها سليمة نشيطة عاملة جادّة كان من نصرتها للخلافة مادة ومعنى ما يجعل هذه في غاية المنعة.

انظر إلى سلطنة إنكلترا وقوتها بواسطة بريطانيا العظمى والدومينيون والهند، برغم أن

من الأربعمائة مليون الذين تحت سلطة ملك إنكلترا نحو ٣٥٠ مليوناً هم في الواقع أعداء لإنكلترا، والإنكليز العاملون لمجد هذه السلطنة هم ٥٠ مليوناً لا غير. إلاّ أنهم كأفراد أو كأعضاء قائمون بكل ما يجب عليهم نحو الجسم.

فالعالم الإسلامي إذا نهض تكون قلوبه كلها مع الخلافة، لا كمستعمرات إنكلترا مع ملك الإنكليز.

هذا هو مذهبي في النهضة الإسلامية. ولذلك تأتيني كتب كثيرة من المغرب والجاوى ومصر وسوريا والعراق ونفس فلسطين بلدكم مقترحاً أصحابها عقد مؤتمر إسلامي أو انتخاب خليفة وما أشبه ذلك.

ويكون جوابي دائماً: يجب أن نؤسس من تحت. يجب أن نربّي الفرد، ثم البلد، ثم القطر، ثم المملكة، ثم العالم الإسلامي. ويقولون: إن تعليم الأفراد وترقية الأقطار هما مما يأخذ وقتاً طويلاً، ونحن في حاجة إلى العجلة. وأجاوب: إن التعليم بطبيعة الحال سائر مع التشكيلات التي ذكرناها؛ إذ لا خير في التشكيلات إن لم يكن أول شيء تبدأ له هو التعليم والتهذيب. وأما أن نعقد مؤتمراً مجموعاً من ضعفاء ليس لهم إرادة مستقلة وهم لا يقدرون أن ينفِّذوا قراراً، فما فائدة ذلك؟ أنريد نحن أن نجمع أصفاراً؟.

اجتمع المؤتمر الإسلامي في مكة منذ خمس سنوات وقرَّر إعادة العقبة ومعان إلى الحجاز وسكة حديد الحجاز كلها إلى المسلمين. فهل نُفِّذ شيء من ذلك؟

ولِم ذلك؟

الجواب: لأن الدول الأوروبية يعلمن ضعف العالم الإسلامي، فلا يبالين بقراراته. فأمّا إذا صار قوياً ـ وهنَّ يجسسن نبضه كل يوم ـ فتراهنَّ تلقين قراراته حالاً بالسمع والطاعة.

ثم إن من جملة ضعف العالم الإسلامي أن الذين جاءوا إلى ذلك المؤتمر أول سنة لم يجتمعوا فيه ثاني سنة. وأيّ ضعف، وأيّ تخاذل أكثر من هذا؟

أخذ معي هذا المكتوب أربع ساعات، وحملت نفسي عليه برغم ضيق وقتي، نظراً لأهمية الموضوع. فاقرأوه للمخلصين من المفكِّرين والمهتمِّين بمستقبل هذه الأمة، واشكروا لي عواطف النابلسيين الكرام بحقي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص / شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

استقلال العراق وشروطه

وبعث الأمير برسالة بتاريخ ١٣ مارس (آذار) سنة ١٩٣١ م، ٤ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ. إلى الأستاذ محب الدين الخطيب، صاحب جريدة «الفتح» حول استقلال العراق وشروطه، نشرها الخطيب في «الفتح» بتاريخ يوم الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هـ[١].

حضرة الأخ الأستاذ المجاهد السيد محب الدين الخطيب أخذ الله بيده

إني على ثقة بأنك لا تتوخّى خدمة القضية العربية والقضية الإسلامية عامة إلا بحقائق الأشياء الثابتة. لا تقصد التحسين موضع التقبيح ولا ترضى بالتقبيح في مكان التحسين. لا توافق على إيجاد المحاسن حينما تكون المساوىء فيكون ذلك مثبطاً عن طلب الكمال. ولكنك لا توافق على إيجاد المساوىء في غير محلها ولا المبالغة في الموجود منها، إذ يكون ذلك مما يفتّ في عضد القوة المعنوية التي لا بد منها لأجل النهوض بالأعمال. نحن قوم لا نضلّل الأمة العربية لا في الخير ولا في الشر، بل نواجهها بالحقائق من غير محاباة. ولم يكن النعي المستمرّ هو الشرط اللازم للوطنية.

فالذي نشرته بعض الجرائد عن شروط استقلال العراق ودخوله في جمعية الأمم، منه قسم غير صحيح بتاتاً، ومنه قسم ليس فيه شيء لم تتقيَّد بمثله الدولة المستقلة من قبل.

فليس في قضية الأقليّات الجنسية والدينية واللغوية قيد تقيَّد به العراق ولم تتقيَّد به من قبل دول كبيرة داخلة في عصبة الأمم. فإن كان هذا القيد ماساً باستقلال العراق فكم من دولة إذاً قد صار استقلالها بهذا ناقصاً.

وأما الامتيازات القضائية فلم تقبلها حكومة العراق بوجه من الوجوه. وقد عرضت عليها جمعية الأمم جملة حلول في الموضوع فرفضتها بأجمعها ولم تقبل إلا حلاً واحداً كانت رضيت بمثله تركيا في معاهدة لوزان، وهو تأليف محكمة مختلطة تحكم بموجب القانون العراقي ويكون

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان، ١٩٨٠.

فيها قضاة وطنيون وأجانب، وليس بشرط أن يكون الأجانب من الإنكليز. وهذا القضاء في القضايا المختلطة له أجل مسمًّى ١٠ أو ١١ سنة. ولقد رضيت تركيا في معاهدة لوزان بتأليف محكة كهذه في الأستانة إلى أجل مسمًّى. ولم يقل أحد إن تركيا غير مستقلة ولا يقول أحد إن العراق لا يجوز له أن يرضى بما رضيت به تركيا.

وأنما الامتيازات الاقتصادية التي استأثرت بها الدول قبل استقلال العراق ومن جملتها امتياز بترول الموصل الذي تقاسموه فهذه باقية. وبديهي أن حكومة ضعيفة استقلالها لا يزال في المهد وليس بيدها من القوة ما تقاوم به هذه الدول، لا تقدر من نفسها أن تلغي هذه الامتيازات ولا أن تحفظ زيت الموصل كله لها. فهي مضطرة إلى قبول نصيبها من هذا الزيت المفروض لها من الآن وهو نحو من مليون جنيه على أمل ازدياده في المستقبل.

إلا أن حكومة العراق شارعة في الاتفاق مع شركة غير الشركة الأولى على استنباط الزيت من أماكن غير داخلة في منطقة امتياز تلك. وإن شروط هذه الشركة الثانية هي الشروط التي تراضت عليها هي والعراق بدون أن يكون تأثير سياسي للدول فيها.

وأما حرية المبشِّرين والحرية الدينية والحريات كلها فلم يقبل بها العراق إلا على شرط عدم إخلالها بالأمن العام وبحسن سير الإدارة وبالأخلاق العمومية. وهذا كما هو في سائر الدنيا. فليس في هذا أيضاً شيء ماسّ بالاستقلال العراقي.

نعم يجب أن يستجلب نظر الجميع هنا ما كان من شدة تمسُّك مندوبي الدول في جامعة الأمم بحرية التبشير بالدين المسيحي. وهذا ما لم نزل نؤكده لأهل الشرق الذين قال لهم المضلِّلون وأعداء الإسلام إن أوروبا لادينية «لايقية» لا تحفل بالدين ولا تقيم له وزناً. فهذا الحادث بين ألوف من الحوادث دل على عدم صحة مزاعم هؤلاء المضلِّلين.

وقد كان جواب نوري باشا السعيد: إننا نحن مطلقون الحرية للمبشِّرين بجميع الأديان، لكن على شرط عدم الخلل بالأمن العام وبالإدارة.

فهذه معركة دخول العراق بجامعة الأمم حضرناها أنا وزميلي الجابري من أولها إلى آخرها. ولا يمكننا أن نشهد بخلاف ما نعلم ولا أن نقول نعياً عندما يقال لنا رعياً.

ولا يظن أن إلغاء الانتداب البريطاني على العراق ودخول العراق في العصبة قد وقعا بدون اعتراضات وتصعيبات ومحاولات تقييد بقيت تفعل أفاعيلها إلى آخر ساعة... إلا أن تقيُّد إنكلترا بوعدها للعراق واضطرار الإنكليز تحت ضغط قواسر سياسية واقتصادية متعددة أجبرا الحكومة

البريطانية على استعمال نفوذها في إزالة هذه العواثير من وجه العراق.

ولقد اجتهد الأثوريون النصارى في عرقلة استقلال العراق بكل ما أمكنهم فلم يحصلوا على أدنى طائل.

وإنما حصل الأكراد على التعهُّد بإرسال مأمورين إلى السليمانية وبلدان الأكراد يعرفون الكردية. وهذا أنا أراه صواباً. فهل نحن الآن نريد النكاية بإخواننا الأكراد؟ وهل من العدل أن يكون عليهم حكَّام لا يعرفون لسانهم؟.

لا يمكن أن يحصل العراق في الآونة الحاضرة على خير مما حصل عليه، ولكن لا يمكن أن يقال إن العراق في الآونة الحاضرة حاصل على جميع حقوقه. وكل ضعيف لا يحصل على حقِّه إلا منقوصاً، وسواء كان العراق أو الشام أو غيرهما من بلاد العرب فلا يرجى أن يحصل على حقوقه تامة، بل لا يأمن على حقوقه بأسرها إلا إذا تأسَّست الوحدة العربية المنشودة التي لا نزال ندعو إليها والتي تقيم من هذه الأمة العربية المجزَّأة المفرَّقة المفكَّكة المبعثرة اتحاداً عربياً ينضوي تحته من ١٥ إلى ٢٠ مليون عربي. ومن أغرب الأمور أننا لا نجد مقاومين للوحدة العربية إلا هؤلاء الذين لا يفتأون يذكرون نفوذ الأجانب في بلاد العرب ويصيحون ويصخبون، ليخبرونا ـ أصلحهم الله ـ عن الطريقة التي نتَّقي بها تحكُّم الأجانب فينا بدون هذه الوحدة العربية.

وإن كانت الوحدة هي الطريقة الوحيدة لنهضة هذه الأمة فلماذا كلما بدأنا بها من جهة أو دعونا إلى الابتداء بها من جهة كانوا هم في طليعة الصائحين الصاخبين وملأوا الدنيا أرجافاً.

يحاول الملك فيصل أن يتَّفق مع الملك ابن سعود، فيقيمون القيامة وينادون: الحذر الحذر. هذه دسيسة إنكليزية..

ومن بضع سنوات عندما كانت قبائل مطير وغيرها من قبائل نجد تشنّ الغارات على العراق كانوا يقولون: هذه كلها غارات مفتعلة ودسائس إنكليزية تلقيها إنكلترا إلى ابن سعود، فيحرِّك هو هذه القبائل على غزو العراق لتشغل العراق بهذه الغارات عن طلب الاستقلال.

وطالما أبدينا وأعدنا في دفع هذه الأوهام لا لتنزيهنا الإنكليز عن الدسائس بل لتنزيهنا ابن سعود عن أن يرضى بأن يكون آلة للدسائس الأجنبية على الأمة العربية. ولكن كانوا لا يسمعون لأحد كلاماً ولا يزالون ينادون: الدسائس الدسائس..

ثم حصحص الحق وتجلَّى الصبح لذي عينين وظهر أن الملك ابن سعود كان على خط مستقيم ساخطاً على فيصل الدويش وغيره ممن كانوا يعملون هذه الغارات، وأنه اضطر أخيراً إلى

أن يجرِّد عليهم الحسام أولاً وثانياً وينزل بهم من الضربات ما علم به الجميع إلى أن استقرت الحالة واستتبت الراحة.

فأين هي إذاً الدسائس الإنكليزية التي جعلوا ابن سعود آلة لها؟.

ولم تمضِ ستتان على هذه الحادثة حتى عكسوا الآية وزعموا أن الملك فيصل هو الذي جعل نفسه هذه المرة آلة للدسائس الإنكليزية، وأرسل نوري إلى الملك ابن سعود ليغويه ويدخل رجله في الأحبولة الإنكليزية.

تلك المرة ابن سعود آلة للدسائس الإنكليزية على العراق! وهذه المرة صار فيصل هو آلة للدسائس الإنكليزية على الحجاز ونجد!.

وكما ظهر أن الظن الأول كان وهماً في وهم فقد ظهر أيضاً أن الظن الثاني وهم في وهم، ولا الملك عبد العزيز ولا الملك فيصل ينزلان أنفسهما إلى دس الدسائس على أمتهما ولأجل سلب استقلالها، وهما العاملان الدائبان ليلاً ونهاراً لأجل تأمين هذا الاستقلال.

وبالاختصار نتكلم في الحلف العربي فيقومون للمعارضة والمعاكسة، ونتكلم في الخطر الشديد المحيط بالأمة العربية إن لم تبادر من الآن إلى الاتحاد فيقومون للمعارضة والمعاكسة.

ونتكلم في وجوب اتحاد سوريا مع العراق مقدمة للوحدة العربية فيقومون أيضاً للمعارضة والمعاكسة والتفلسف على استحالة هذا الأمر ويخلقون له المحاذير التي لم يفكِّر بها أعداؤنا أنفسهم.

نقول لهم إن إلغاء الانتداب البريطاني على العراق هو أقطع حجة لنا على فرنسا التي لا تبرح متمسِّكة بانتدابها على سوريا، وإن جنازة انتداب العراق مبشِّرة بجنازتي انتداب سوريا وانتداب فلسطين، فتجدهم في ضيق مما نقول كأن صدورهم تصعد في السماء ويبغوننا نقول ما يخالف الحقيقة والمصلحة العربية معاً وهو: إن الانتداب على العراق لا يزال كما كان وإن إلغاء هذا الانتداب ودخول العراق بجمعية الأمم إن هما إلا خزعبلة من الخزعبلات!.

أي يريدون أن يؤيِّدوا حجة فرنسا التي تأبى إلغاء انتدابها على سوريا، فتحاول تزهيد العرب في قضية إلغاء انتداب العراق.

ولو كان إلغاء الانتداب البريطاني على العراق أمراً غير ذي بال لما كانت اهتمَّت به فرنسا ولما كانت حاولت تعويقه بكل جهدها إلى آخر ساعة.

ولو كان إلغاء الانتداب البريطاني على العراق حديث خرافة كما تزعم هذه الفئة لما كانت قامت له قيامة الصهيونيين ونادت جرائدهم بالويل والثبور وقالت: ليقل الناس ما قالوا فالأمة العربية سائرة إلى الأمام. ما من أحد يقدر أن يقول إن اليهود لا يفهمون في السياسة أو إنهم غير مطّلعين على حقائق الأحوال العالمية.

ثم لا تعلم لماذا لا يصبرون حتى تظهر حقيقة الأمر؟ فإن كان إلغاء انتداب العراق غير صحيح فلا بد من أن يظهر قريباً عدم صحته ومن المحال تغطية السماء بالقباء.

والخلاصة أنهم يتكلّمون في الاستقلال العربي وفي النهضة العربية ويجعلون أنفسهم سباق هذه الحلبة، ولكنهم يعارضون اتفاق ابن سعود وفيصل، ويعارضون اتحاد سوريا والعراق، ويهزأون بإلغاء الانتداب البريطاني على العراق ولو أدى بهم هزؤهم هذا إلى تأييد حجة فرنسا في إبقاء انتدابها على سوريا.

وبعد هذا كله يبخلون علينا بإبداء الحل العملي اللازم لقضية العربية التي هي محتاجة إلى الحل ولا تنحلّ بمجرد النعاب والنعاق والقذف والطعن، وإنما تنحلّ بقرارات عملية إيجابية جازمة تجب المبادرة إليها وعقد مؤتمر عربي لأجلها. والله الهادي إلى سواء السبيل.

شكيب أرسلان

جنيف ١٣ مارس ١٩٣١

الحلف العربي

وأرسل الأمير شكيب رسالة إلى صاحب السماحة المفتي الحاج أمين الحسيني حول الحلف العربي، وقد نشرتها جريدة «الجامعة العربية» لصاحبها منيف الحسيني بتاريخ ٢٢ آذار سنة ١٩٣١ م، ٥ محرم ١٣٥٠ هـ.

اطَّلعت في «الجامعة» على ما تفضَّل ببيانه حضرة صاحب السماحة المفتي الرئيس الحاج أمين الحسيني أمتع الله الإسلام بطول حياته، وذلك عن قضية الحلف العربي وعن سياسة محرِّر هذه السطور.

فأمَّا ما تعطَّف به بشأني فهو محض كرم أخلاق أراد به أن يجبر عجزي الفاضح، ومجرد كمال قصد فيه تسديد نقصي الواضح، وإني بذلك لأوَّل المعترفين.

وأما من جهة الحلف العربي فلا مراء أن مشروعاً كهذا لا يتم دفعة واحدة، ولقد وضع الآن أساسه فصار على الأمة العربية أن تكمله بجهودها وأن تصيِّره حقيقة بعد أن كان خيالاً، لا سيما أن المخلصين من العرب متَّفقون طراً على وجوبه وغاية ما يريدون أنه يكون عربياً خالصاً.

ولقد بدأت الوحدة الجرمانية باتفاقات اقتصادية وإدارية، وما زالت تترقَّى نحواً من ثلاثين سنة حتى صارت وحدة سياسية.

وأما كون الجزء الناقص استقلاله لا يقدر أن يحالف التام استقلاله، فنحن إذا كنا نبتغي الحلف فلأجل أن نتمِّم الناقص بواسطة الكامل وأن نقوِّي الجزء بواسطة الكل، لأنه لا ينتظر من الأجنبي أن يقول لنا من نفسه: اليوم قد أكملت لكم استقلالكم فاذهقوا وتحالفوا وتضافروا على إعلاء شأن الأمة العربية.

وأما أن الحلف غير ممكن لأن الأمة العربية جاهلة وأنه لا بد من التربية العلمية وأن العلم مفيد وأن العلم ضروري وغير ذلك مما لا ينتطح فيه تيس معزى، فالجواب عليه إن الحلف العربي يقدر أن يرافق سير العلم وليس هذا بعائق لهذا، وليس بضروري أن تبلغ الأمة العربية مبلغ الأمة الألمانية في الرقي حتى تفهم فائدة الحلف، وليست الأمة العربية من الجهل إلى حد أنها لا تفقه

معنى الاتحاد ولا ضرورته في مواطن الخطر، حتى إن الحيوانات وليست بعلماء تشعر بحسن الدفاع عن النفس وتتَّحد بإزاء الخطر العام، فمن كان في نفسه شيء من قضية الاتحاد العربي فلينفخ في بوق غير هذا.

شكيب أرسلان

لوزان ٧ مايو ١٩٣١

شؤون وشجون مع الحاج بنونة

رسالة من الأمير شكيب إلى الحاج عبد السلام بنونة، بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٣١ م، يهنئه فيها بعيد الأضحى ثم يشير إلى عدوان إيطاليا في طرابلس، وغضبة الشعوب العربية وقبول إيطاليا بفكرة إرسال وفد للتحقيق، ثم يذكر أفكاره وتوجيهاته في التعاون مع إسبانيا للحصول على استقلال داخلي وبرلمان، وعدم موافقته على انسحاب إسبانيا نهائياً حتى لا تستولي فرنسا على المغرب، وسفر أحمد بلافريج، وهو زعيم مغربي كبير، من باريس إلى تطوان للمشاركة في تحرير المطالب، ونية السفير فريد زين الدين الالتحاق بتطوان لمساعدة الوطنيين، وإرساله كمية كبيرة من كتابه «لماذا تأخر المسلمون؟» لتوزيعها في العالم الإسلامي، وتعليق الأمير على إنشاء بنونة لمعمل المنسوجات الوطنية في تطوان، ثم يعود إلى الكلام عن ثمن بيع المزرعة التي يملكها، وتسلُّمه حصيلة بيع كتابه بالمغرب، ودفع كتابه الجديد للطبع «الارتسامات اللطاف» والحلف العربي ومساعيه في تقريب وجهات النظر بين الملوك العرب، وشعوره بالإحماض[١].

لوزان في ٢٦ أبريل ١٩٣١

سيدي الأخ لا عدمته

أخذت كتابكم رقم ٢٩ ذي القعدة وسررت بوجودكم مع الجميع بالصحة، ومن حيث إن هذا المكتوب سيصل إليكم في أيام العيد فإني أقدِّم لكم خالص التهاني وأسأله تعالى أن يجعله عليكم عاماً مباركاً وعلى ذويكم وعلى أمة محمد أجمع، وهو تعالى المسؤول بأن يصلح أمور الإسلام ويأخذ بيد هذه الأمة حتى تسترجع شأنها السابق وترد عنها اعتداء الظالمين. نعم إن المسلمين هم ظلموا أنفسهم وهذا منه تعالى تمحيص لهم يعودوا إلى أخلاق سلفهم ويأخذوا بالعزائم التي أمر الله بها في كتابه، ولا بد لهم بحول الله وقوَّته من نهضة عظيمة في جميع الأقطار.

كنت أرسلت لك مقالتي في جريدة «الفتح» عن فظائع إيطاليا في طرابلس الغرب، وهذه المقالة قد طبع منها صاحب «الفتح» ألوفاً من النسخ على حدة. وهذا الموضوع كان قد كتب عنه

---

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان، ١٩٨٠.

بعض الطرابلسيين في الشام لأن هنالك جمعية اسمها الجمعية الطرابلسية البرقاوية قد بذلت كل جهدها، إلا أن الناس مع الأسف لم يسمعوا لها، فأرسلت لي تستغيث بهذا العاجز وتشكو لي تقاعس الخلق عن نصرة أهالي طرابلس، فأنا بعد أن جمعت المعلومات اللازمة كتبت لهذه الجمعية برنامجاً تسير عليه وتبدأ به من نفس الشام، في الوقت نفسه حرَّرت المقالة التي أرسلت لكم بنسخة منها. فأما في مصر فقد أحدثت هذه المقالة هيجاناً وأضرب طلبة الأزهر عن الدروس ونقموا على شيخ الأزهر وسكوته، ولكن جمعية الشبَّان المسلمين إلى حد الآن لم تكن بدأت بعمل، وأظن ذلك لكون رئيسها عبد الحميد سعيد مقرَّباً للملك وكون الملك معروفاً بالصداقة مع إيطاليا، ولا أقول إن الملك خالي من الحمية الإسلامية، كلا ولكن قد يأتي سفير إيطاليا ويشكو له الهيجان وربما يكذب لديه هذه الأخبار، فالملك يشير لعبد الحميد بالتوقُّف فلذلك حتى هذه الساعة لم أجد احتجاجات من مصر إلا قليلاً، ولا سبب فيما أظن غير هذا. فأما في سوريا فلما وصلت مقالتي هاج الشعب جميعاً وكانت الجمعية الطرابلسية في دمشق قد أخذت كتابي ودارت به عل أعيان البلدة، فانعقد اجتماع حضره خمسمائة شخص وخطبوا وأرسلوا ببرقيات الاحتجاج بكل شدة إلى جمعية الأمم وإلى حكومة إيطاليا وإلى ملوك الإسلام، وأقفلت مدينة دمشق الحوانيت جميعها وعطَّلت الأشغال احتجاجاً وذلك نهار الخميس الدي قبل الخميس الماضي، وعمَّ الهيجان سائر مدن سوريا. وقد كنت أنا كتبت إلى الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي في القدس كتاباً خاصاً، فحصل هناك مثل ما حصل في الشام وأكثر، وأُلقيت الخُطَب في المسجد الأقصى بعد صلاة الجمعة، وتقدَّمت البرقيات الاحتجاجية إلى جميع المراكز وإلى جمعية الأمم وإلى إيطاليا بعبارات شديدة جداً، وكذلك حصل في نابلس الشيء نفسه في المسجد الأعظم ومثله في صفد وفي سائر فلسطين، وأبرقوا إلى إيطاليا قائلين لهم إنكم لا تقدرون أن تمحوا الإسلام من الوجود بهذه الأعمال، فالإسلام يثبت ويبقى برغم فظائعكم، ولكنكم تكونون أثبتُّم توحُّشكم. ثم إن الحكومة الإيطالية بواسطة قناصلها كذَّبت هذه الأخبار. ومساء أمس جاءني تلغراف من بيروت من زميلنا رياض بك الصلح يقول لي فيه: إن مقالتك عن طرابلس أحدثت هيجاناً عظيماً في الشعب وقد باشروا الاحتجاجات ومقاطعة الطليان، ولكن قنصل إيطاليا أذاع تكذيباً فجاوبناه بأن الناس مقتنعة بصحة الأخبار وأنه لا يصدِّق الناس عدم صحتها إلا بذهاب لجنة إسلامية إلى طرابلس، وأن القنصل أبرق بذلك إلى روما وأنه ورد الجواب من روما بأنهم قد قبلوا اقتراح ذهاب لجنة إسلامية، وهم في سوريا يقترحون على هذا العاجز أن أذهب أنا والجابري على رأس لجنة التحقيق هذه، وأنهم أبرقوا بالكيفية إلى دمشق والقدس والقاهرة وبغداد، هذا معنى التلغراف وظهر لي منه أن الاحتجاجات والمقاطعة تقرَّرت في مصر وسوريا والعراق، وبديهي أنها ستعمّ العالم الإسلامي لأنه

إذا مشت هذه البلدان مشت سائر الأقطار، وقد تقرَّر بيني وبين زميلي الجابري أننا نذهب على رأس اللجنة وأننا نبرق اليوم إلى بيروت بقبول هذا الاقتراح، لكن على شرط أن يكون الوفد مؤلَّفاً من اثنين من سوريا وواحد من فلسطين واثنين من العراق واثنين من مصر، بحيث نكون بالأقل عشرة أشخاص وتتعهَّد حكومة إيطاليا بأن لا يمسَّنا سوء وبأن نخالط من شئنا ونفحص بكل حرية.

قصدت يا أخي أن أطلعكم على حقيقة هذه المسألة لأنه يجوز أن تتمّ فنسافر إلى طرابلس، وأنا أفكِّر في أن يكون ملتقى الوفد بالإسكندرية ومنها نركب البحر إلى درنه ثم إلى بنغازي. وإذا تمَّ هذا الأمر يكون إن شاء الله توفيقاً عظيماً لأنها أول مرة رضيت فيها دولة مستعمرة بإجراء فحص من قِبَل الأمة الإسلامية عن أحوال المسلمين الذين تحت حكمها. والذي أظنه أن الطليان هم أنفسهم مرتبكون وأن المقاومة لهم هناك لم تخمد جمرتها، فربما يريدون مجيء وفد يدخل في قضية الصلح حتى يسود السكون لأني لا أعتقد أن هذه الأخبار غير صحيحة. نعم يجوز أن روما تستعلم من طرابلس وأن الولاة هناك يكذِّبون هذه الأخبار رفعاً للمسؤولية عن أنفسهم، ولكني معتقد بأن قبول مجيء وفد إسلامي مبني على فكرة التوسُّط في تسكين الثائرين. . وإذا ذهب هذا الوفد إلى طرابلس فيطول اللسان عند المسلمين بمطالبة فرنسا بقبول وفد يفحص قضية البربرة التي لا تزال فرنسا تنكرها، ولا يزال المسلمون في المغرب يؤيِّدون كلامهم فيها، فمن كل جهة المسألة مهمة. هذا ونعود إلى مسألة الانقلاب الإسباني. قبلاً بعثت إليكم ما به كفاية من جهة ملاحظاتي وكنت خائفاً من مسألة اختلاف أهالي المنطقة وعدم اجتماع كلمتهم وفوت الفرصة بهذا السبب. وأنا كنت كتبت لكم مرتين أني لا أبغي في الوقت الحاضر خروج إسبانيا التام من هناك، إذ لو خرجت لجاءت فرنسا بجميع الغطرسة المعهودة، ولكن مع بقاء الإسبانيول كان يمكن أن أهل المنطقة يحصلون على استقلال داخلي وبرلمان ووزارة مسؤولة مثل كتالونيا، وهذا الأمر لم ينقطع منه الأمل ولكن يلزم له شغل وبثّ أفكار ومضي وقت. ولقد فكَّر الطلبة في باريس لا سيما أحمد فيما فكَّرت به أنا، وكانوا قرَّروا إرسال وفد مؤلَّف من اثنين أو ثلاثة منهم، حتى إن بعض السوريين أيضاً أرادوا أن يرافقوه، ولكن مع الأسف حال دون ذلك العسر المالي وكتبوا لي في ذلك فجاوبتهم بأنهم إذا صبروا فربما يأتينا فلوس فنرسل إليهم ألفي فرنك فرنسوي تبرُّعاً منّا، ولكن في الوقت الحاضر لم يوجد في جيبي أكثر من تسعمائة فرنك وأنا حاضر أن أرسلها تلغرافياً إذا شاؤوا. وبينما أنا منتظر جوابهم جاء زميلي من باريس وأخبرني أمس أن أحمد سافر بالسلامة ولكن فريد زين الدين الذي هو من السوريين وكان يريد أن يذهب معه قد تأخَّر منتظراً ورود دراهم إليه. إذن أحمد حفظه الله عند وصول كتابي هذا لكم يكون هو عندكم، فهل يقدر أن يعمل شيئاً وهل يتحرك بحركته الشبان هناك ويتوفَّقون إلى جمع الكلمة؟ أسأل الله ذلك.

أرسلت إلى مصر بأن يرسلوا لكم ١٥٠ نسخة من رسالة «لماذا تأخر المسلمون» ولا شك عندي أنه متى انتهى تصريفها تطلبون غيرها جزاكم الله خيراً، وهي الآن مطلوبة من جميع الأقطار ولكن الأستاذ الرشيد لكثرة أشغاله ولكونه يريد أن يعمل كل شيء بنفسه تراه بطيئاً، ولقد كرّرت عليه الكتابة بالإلحاح في إرسال ١٥٠ نسخة لكم ومئات من النسخ إلى سوريا وفلسطين والعراق والجاوى والحجاز واليمن، ثم قد طلبوا مني من الجزائر وتلمسان وبسكرة وقد كتبت إلى أخي عادل الذي برحنا بالسلامة إلى مصر منذ عشرة أيام، أقول له بأن يذهب إلى مكتبة المنار ولا يخرج قبل أن يبعث هذه الإرساليات.

كم سررت بقولكم إنكم أنشأتم بتطوان معملاً لتحسين الثياب الوطنية، لم يبقَ لنا يا أخي في الوقت الحاضر إلا هذا السلاح: العمل في إصلاح أمورنا الاقتصادية حتى نضارع بها المستعمرين، فهذا يكون له نتيجتان عظيمتان، إحداهما تخلُّصنا من الفقر الذي نحن فيه لأن الأمة الإسلامية من حيث المجموع فقيرة جداً، والنتيجة الثانية هي أن المستعمر عندما يرى بضائعه كاسدة يزهد في الاستعمار ويقلّ فيه هذا التكالب على امتصاص جميع خيراتنا واستئصال جميع قوانا، فلا تيأسوا واشتغلوا وواظبوا، وإنها وإن كانت النتائج في البداية ضئيلة فمع الوقت تزداد، وما من شجرة ارتفعت إلى السماء إلا كان أصلها حبة.

المزرعة قبل ورود الجواب من أميركا كان وكيلي بدمشق أنهى أمرها فما عاد يمكن الرجوع، وتقرَّر بيعها بألف وأربعمائة جنيه، على أن أقبض نصفها هذه السنة ونصفها في السنة القادمة، وكان بيعها إلى الفلاَّحين، فقد فضَّلت ذلك ولو بخسارة عليَّ حتى لا يأتي تاجر يتحكَّم فيهم، وقد جاءني متنا جنيه دفعة أولى ودفعتها حالاً لأن المطاليب عليَّ كانت كثيرة ولا يزال عليَّ خمسمائة جنيه ولكنني بألف خير ولله الحمد. ثم إنني أشكرك على إرسال التحويل الذي بلغ نحو تسعين فرنكاً سويسرياً ولو أن الشيخ رشيد يعمل همَّة ويوزِّع هذه الرسالة قريباً لكان يأتيني منها بالأقل مائة جنيه بعد المصاريف. وقد أرسلت إليه مؤخراً رحلتي الحجازية الموسومة بالارتسامات اللطاف وأظنها تبلغ مائتين وخمسين صفحة، ففي مدة شهر ينتهي طبعها. تجدون هذا الكتاب بغير خطي لأنني من كثرة الكتابة حصل لي حريق في عيوني ورجعت إلى المعالجة بغسلها بمحلول وصفه لي الأطباء، ثم لم أجد فائدة أكثر مما في الراحة من الكتابة، ولمّا كان عليَّ من الكتابات شيء فوق التصوُّر أخذت أملي على الأستاذ طاهر المصري الذي يعلِّم ابني العربية فلا يشغل بالكم كون المكتوب بغير خطي. بطيّه مقالات من الجامعة العربية عن الحلف العربي وقبلاً كنت أرسلت لكم مقالة من العهد الجديد ومقالة من الجامعة فيما أتذكَّر. وإنني مسرور بأن مشروعنا في التأليف بين الملك فيصل والملك ابن

سعود والإمام يحيى قد تمّ معظمه، ولم يبقَ علينا سوى التأليف بين الإمام وابن سعود وهذا أيضاً لي أمل فيه، وربما في الشتاء القادم أتوجَّه إلى اليمن بنفسي. وأما التشاؤمات التي رأيتم آثارها في الجرائد العربية عن الحلف العربي، فمنها قسم ناشىء عن اعتقاد كون فيصل لا يأتي بحركة إلا بإشارة الإنكليز وأن الإنكليز لا يريدون خيراً للعرب، ومنها قسم ناشىء عن حب التفلسف وإظهار عمق الغور، ومنها عن سوء نية، فأناس لا يريدون هذا التقرُّب حتى يبقى لهم ميدان الفساد واسعاً ويضطر كل من ابن سعود ومن فيصل إلى إرضائهم. وأما غير المسلمين في سوريا فأكثرهم لا يريدون حلفاً عربياً تتقوّى به الأمة العربية، وهذه الأمور قد شرحتها لك في رسائل متعدِّدة ولكني لا أقدر أن أرسلها كلها لك، إذ لا بد من أن أحفظ صورها عندي، وبالإجمال المتشائمون سكتوا بعد أن برزت أنا على الميدان وجلوت لهم الحقائق. والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم
شكيب أرسلان

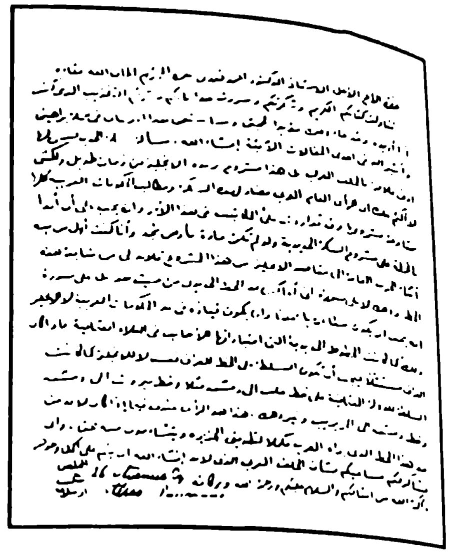
قبِّل لي عيون أحمد كثيراً كثيراً وسلِّم على الجميع.

أما الإحماض ففي بابه نقول:

مـا زلـت أهتـف إذ أراهـا قـائـلاً ... مـا كـان أحسنهـا وأقبـح بعلهـا
تبـاً لأيـام تصيـر مثلهـا ... تـرضـى بـزوج لا يسـاوي نعلهـا

سررت كثيراً باحتجاج جميع طلبة العرب بباريس على إيطاليا بالبرقيات الشديدة، واشكروا لي نور العيون أحمد على همَّته.

سلامي إلى الصهر الكريم السيد الداود وإلى الشيخ المصمودي.



الأمير وسكة الحديد

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري من لوزان في ٢٩ مايو (أيار) ١٩٣١ م، ١٠ محرّم سنة ١٣٥٠ هـ. وفيها أن مسألة سكة الحديد ليس لها علاقة بالحلف العربي، بل هو مشروع يريده الإنكليز، وأن الأمير يريده أن يكون خطاً عربياً وأن يكون قياده في يد الحكومات العربية لا الإنكليز، ويشكره أخيراً على سعيه بشأن الحلف العربي(١).

لوزان في ٢٩ مايو ١٩٣١

حضرة الأخ الأجل الأستاذ الدكتور أحمد قدري بك المحترم أطال الله بقاءه

تناولت كتابكم الكريم وشكرتكم وسررت جداً بأنكم نشرتم التكذيب الذي كنت أنا أريده وقد جاء ذلك مؤيِّداً، لحجَّتي وسأستعمل هذا البرهان في مجلة براهيني وأشير إليه في إحدى المقالات الآتية إن شاء الله. مسألة سكة الحديد ليس لها أدنى علاقة بالحلف العربي بل هذا مشروع يريده الإنكليز من زمان طويل، ولكنني لا أكتم عنك أن الرأي العام العربي مضاد لهذه السكة ومطالب الحكومات العربية كلها بمقاومة مشروعها، وقد تواردت عليَّ المكاتيب في هذا الأمر وأنه يجب عليَّ أن أبدأ بالحملة على مشروع السكة الحديدية ولو لم تكن مارَّة بأرض نجد، وأنا كنت أول من نبَّه أثناء الحرب العامة إلى مقاصد الإنكليز من هذا المشروع، فلا بد لي من متابعة هذه الخطة، وذلك لا على صورة أني أعاكس مدّ الخط الحديدي من حيث هو، بل على صورة أنه يجب أن يكون خطاً عربياً محضاً وأن يكون قيادُهُ في يد الحكومات العربية لا الإنكليز، ذلك كما كانت الخطوط الحديدية التي امتيازاتها للأجانب في البلاد العثمانية، فإذا كان العراق مستقلاً فيجب أن تكون السلطة على الخط للعراق نفسه لا للإنكليز، كما كانت السلطة للدولة العثمانية على خط حلب إلى دمشق مثلاً وخط بيروت إلى دمشق وخط دمشق إلى المزيريب وغير ذلك. هذا هو الرأي عندي فيما إذا كان لا بد من مدّ هذا الخط الذي يراه العرب مكمِّلاً لتطويق الجزيرة ويتشاءمون به

---

(١) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية، في دمشق.

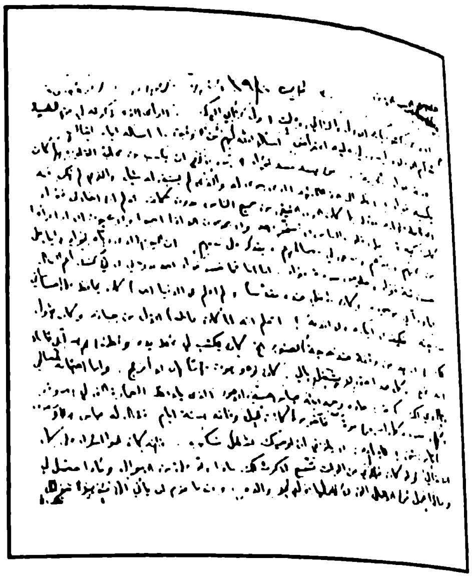
بحق. وإني لشاكر لكم مساعيكم بشأن الحلف العربي الذي لا بد إن شاء الله أن يتمّ على أكمل وجوهه، وأكثر الله من أمثالكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

هواجس الأمير العربية



ويكتب إلى أمين بك خضر رسالة مؤرَّخة في ٣٠ ماي (أيار) ١٩٣١ م، ٢١ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ. شاكياً هموماً تراوده بين لحظة وأخرى، ويتأسف على نَقْد ابن عمه الأمير فؤاد أرسلان (١٨٧٤ ـ ١٩٣٠) الذي كان أحد أعضاء مجلس النواب اللبناني، ومن ألدّ أعداء الانتداب الفرنسي. وفي الرسالة جولات تنمُّ على ما كان يعتلج في خلد الأمير من هواجس، وما يختلج في نفسه من مشاعر[1].

٣٠ مايس ١٩٣١

أخي الحبيب الأمين

أخذت مكتوبيك الأول والثاني وعلمت وصول كتابي إليك. الرأي الذي ذكرته لي عن قضية تعليم الأولاد ليس لي عليه اعتراض، أسأل الله لهم من التوفيق ما أسأله إياه لغالب. مصيبة فؤاد مصيبة. من يسدُّ مسدَّ فؤاد؟ من يقدر أن يكسب من محابّ القلوب ما كان يكسبه فؤاد؟ انظر إلى هذا المشهد الذي جرى له والذي لم يسبق له مثيل والذي لم تكن فيه العظمة متجلية فقط، بل كان الحزن الحقيقي من جميع الناس بدون تكلُّف. تعلم أن أخلاق فؤاد كانت كبيرة، فإن قلوب الناس لا تسخَّر لأحد ولا يحزنون إلا إذا أحبوا ولا يحبُّون إلا إذا رأوا من يحبّهم ويبرّهم ويسعى في مصالحهم ويقدر على نفعهم. إن اليوم الذي ربّاه فؤاد دليل على حسن نية فؤاد وخلوص سريرة فؤاد. أما أنا فما خسر فؤاداً أحد بدرجتي لأني كنت ناعم البال عما ورائي بوجوده، وكان شغلي عنده مقدَّساً، ولم أعلم في الدنيا أحداً كان يحافظ على إحساساتي بدرجته، فكيف لا أبكيه ولا أندبه؟ أتعلم أنه لمّا كان قاطعاً الأمل من حياته وكان يقول لك: لا بد من وقفة عند حرجة الصنوبر الخ، كان يكتب لي بخط يده ويُطمئني ويسلّيني قائلاً إنه بخير. كل هذا حتى لا يشغل بالي. كان وهو يموت مهتمًا بأن لا أنزعج. وأما اهتمامه بمصالحي فأروي لك نكتة: عاده ـ رحمه الله ـ

(١) من محفوظات المحامي محمد أمين خضر.

عباس حسين الأعور الذي يلاحظ العمارة التي لي بصوفر وكان يعوده كل أسبوع مرة، فآخر مرة كانت قبل وفاته بستة أيام، فقال له عباس وهو منصرف: أتأمر بشيء؟ فأجابه: لا يلزمني أن أوصيك بشغل شكيب. فإنه كان هو المشرف على كل أشغالي ولو كان عندي من الوقت متّسع لذكرت لك ماذا وفَّر عليَّ من الأموال وماذا حصَّل لي وماذا عمل من الأعمال التي لا يعملها ولد نحو والده. وعندما عزم أن يأتي إلى سويسرا صرمت أستعجله من شدة شوقي إليه، فكتب لي أنه مهتمّ ببيع بعض قطع قبل السفر، فقلت له: أنا أشتريها منك، فأجابني: كلا هذه قطع ليست بذات غلَّة فلا أبيعك إياها. وإنما كنت اشتريت منه كرم زيتون من سنتين فجرى تثمينه، ولكني أنا أرسلت له الثمن لا على التثمين بل على ما كان هو قدَّره من الثمن، ولكنه وبعد أن خمَّن المخمِّنون أراد التقيُّد بقولهم، فلما أرسلت إليه الثمن وكان فيما أظن ٢٣ ألف غرش وجده زائداً على ما قال المخمِّنون فكتب لي: هذا يزيد على التثمين، فلم أجاوبه رحمه الله. ولشدة محافظته على شعوري سكت. فإنه كان أرقّ الناس شعوراً وكان يخشى أن أعتب عليه لو أعاد الزيادة. وهذه اثنا عشرة سنة منذ تفارقنا مكاتيبه لم تنقطع ولا تغيرت عن مواعيدها، بل مهما أبطأت فلا تبطىء أكثر من ٢٠ يوماً. وفي هذه السنين كلها يذهب كل شهر مرة لسؤال خاطر والدتي قائلاً لها: ماذا تأمرين. حتى إن المرحوم نسيب كتب لي مراراً قائلاً لي: ما أحد أخلص لك في غيابك وخدمك بكل قوَّته مثل فؤاد. الخلاصة أيها الأخ الأمين لو أردت أن أشرح لشرحت طويلاً ولذلك أقول لك: بي من مصيبة فؤاد ما لا يعلمه إلا الله. وأحسن الله مآبه وجزاه عنِّي خيراً فإن له الفضل عليَّ وليس لي عليه أدنى فضل.

مسكين خيري ابن جارية المرحوم أحمد باشا، نعم حقّ أن يبكي عليه رضى بك لأنه خدمهم كثيراً، ومَنْ أوفى من رضى بك؟.

نازك ابنة عمّنا لا تستغلّ من سرحمول ولا أحد يقدر أن يستغلّ من سرحمول غير أهل سرحمول، لذلك هي مضطرة أن تبيع هناك. وهي على كل حال الشخص الوحيد الذي من بيت عمّنا مصطفى حفظ حصَّته. فعارف من تركة ٤٠ ألف ليرة - لأن حصَّته تساوي هذا المبلغ - بقي عنده مرتغون وتساوي ٤ أو ٥ آلاف ليرة وجل الشكارة مرهون، وأمين صار بائعاً هو ووداد بنحو ٣٠ ألف ليرة. والخلاصة أن أكثر من نصف البيت ذهب، وهذا كله في مدة ١٥ سنة وإذا قضى الله أمراً فلا مردَّ له.

ومما يزيد النكاية أن بيع آل أرسلان لأملاكهم وقع بعد الانقلاب الذي جرى في البلاد. ففي الماضي كانت الدولة العثمانية وكنّا عندها ذوي الكلمة العليا، فالناس تهرع إلينا من أجلها، وكانت التقاليد القديمة جارية على أصولها ولا يمكن الخلل بها ونحن لنا المركز الأول. فلو فرضنا أن ثروتنا تناقصت في ذلك الوقت لكان من المكانة والنفوذ ما يسدّ مسدَّها بعض الشيء. ولكن أبناء

عنّا ـ كلهم بأجمعهم ما عدا توفيق مجيد ـ انتظروا حتى انقلبت الأحوال وجرى الاحتلال وذهب ذلك النفوذ واختلّ نظام التقاليد المرعية وصارت فوضى ولم يبقَ أهمية إلا للمال وقالوا: هات بدك... أي أنهم فرّطوا بالثروة أيام لم يعد حكم إلا للثروة فاختاروا أنحس الأوقات لتبديدها وهي هي ذات الأهمية في كل وقت. في زماني أنا كان لنا ثلث صحراء الشويفات تماماً وأما اليوم فلم يبقَ لنا إلا شيء زهيد نحو ٩٠ قنطار تثمين لتوفيق مجيد و٩٠ لي ولأخوتي ونحو ٥٠ لأمين مجيد ومثلها لنازك وبقدر نصفها لسامي. هذا بعد أن كان إيراد العائلة سنة حمل الزيتون من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ قنطار زيت. فيا ليته بقي ذلك ولو قيل عنّا «أمراء الزيت» فأمراء الزيت بثورة خير من أمراء بلا زيت.

شكوت إليك همّي وبثّي، وإن لم أشكُ إليك فإلى مَنْ أشكو، ولا بد من شكوى إلى ذي مرؤة. أعظم مصيبة حلّت ببني أرسلان فقد الشهيد محمد. وكان المرحوم العم يقول لي: سترى أنه من بعد محمد سيحلّ النحس. وكان المرحوم العم متشائماً جداً ويقول لي أنا بعد أن يبدي تشاؤمه في المستقبل: مع الأسف ليس عندك ثروة، نعم قبل وفاته بقليل أخذ يعدِّل رأيه حسبما سمعت وعرف أن الله أراد أن لا يحرمني كل شيء فجعلني أكون شيئاً من الأشياء ولو بدون ثروة. هذا ولمّا كان يهمّني أمين أكثر مما تهمّني نفسي فلا أزال أؤمّل أنه تبقى له الناعمة والغدير ويعيش هو وأولاده. لا يمكن أن يكون في البشر أطيب سريرةً من أمين والله تعالى يحفظه ويحفظ الباقين جميعاً، فوالله لقد أُصبت بأخي نسيب ثم بفؤاد وحزنت على فؤاد مثلما حزنت على نسيب وأكثر، وكل هذا في غربة تجعل الأحزان مضاعفة وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الأزمة الاقتصادية هي اليوم في كل الدنيا بدون فرق، وإن سوريا أشدّ شعوراً بها، لأن معوَّلها على أمريكا وهناك الأزمة شديدة، ولأنه كان في سوريا ذهب ولكن إلى فرنسا ذهب، والله يكشف الغمّاء.

وبمناسبة الأزمة الاقتصادية واصل طيّه ليرة سويسرية ذهب أؤمل إرسالها للخوري ميخائيل المختارة حق قداديس.... فإنه كلّفك السلام عليَّ فهل نردّ سلاماً بسلام على قدس المحترم؟ هذا غير طبيعي فالمحترم لا يمكن السلام عليه عبارة عن كلام فقط.

ومنّي سؤال خاطر عطوفة السيدة خولة جنبلاط وسؤال خاطر البكوات أجمع والاستفسار عن صحة أخي محمود بك وقاه الله كل شر، ودام بقاكم.

أخوكم شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne

واسأل لي خاطر أخوتي، أخيك وأولاد خالك.

الأمير واللُّغة

ووصل لعبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع العلمي العربي البارزين، ردّ من الأمير شكيب حول (فتاوى لغوية)، وقد نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلد ١١، الصفحة ٧١٧، سنة ١٩٣١ م.

جاءني كتاب من الصديق الأمير شكيب أرسلان وفيه ما نصه:

«يا أخي!

لفظة (اكتشف) لا توجد في كتب اللغة أفرأيتها أنت في مكان؟ ومثلها (احترم) بمعنى وقَّر لم أجدها في المتون. ولكني وجدتها في كلام المولدين ومنهم صاحب البردة (أو يرجع الجار منهم غير محترم) فما قولك أنت؟ ثم إن الجاحظ يجمع ميسور على (مياسير) فكيف يقولون: إن جمع مفعول على مفاعيل لا يجوز. وإن الشنقيطي اعترض على رفيق بك العظم في تسميه كتابه (أشهر مشاهير الإسلام). وقالوا إنها ألفاظ معدودة واردة في كلام العرب منها مجانين. فما رأيك في هذه المسألة؟ قرأت في بعض الكتابات القديمة لفظة (مثبوت) بمعنى ثابت فهل مرَّت بك في محل؟ يوجد ألفاظ كهذه أي اسم مفعول من هذا الوزن والفعل مزيد لا مجرد. الجرائد لا تبرح تقول: (النضوج) ولا يوجد نضوج من نضج. ويقولون: (تكتموا) ولا يوجد تكتم. وإن كان يجوز فعلى معنى تظاهر بالكتمان، لا على معنى المبالغة في الكتم. فالمبالغة في الكتم هو التكتيم لا التكتم. قال أبو الطيب:

مـالـي أكتـم حبـاً قـد بـرى جسـدي ... وتـدعـي حـب سيـف الـدولـة الأمـم

لماذا تأخّر المسلمون؟

بعث السيد علي بانبيله، أحد شبّان جيبوتي عندما كان في مرسيليا، إلى جريدة «الفتح» برسالة خاصة جاءته من كاتب الشرق الأمير شكيب، وقد نشرتها «الفتح» في حينها، ونشرها محمد علي الطاهر في كتابه «نظرات الشورى»، مطبعة الشورى بمصر، سنة ١٩٣٢، والرسالة مؤرخة في أغسطس (آب) سنة ١٩٣١ م، ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ.

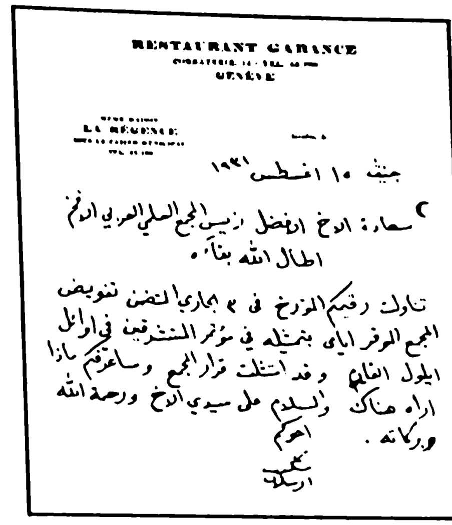
حضرة الأخ الناهض الكريم السيد علي بانبيله المحترم

أخذت من يومين كتاباً لكم، واليوم الكتاب الآخر وفهمت فحواهما. إن المسلمين يحبُّون «الشورى» و«الفتح» كثيراً، لكن بشرط أن لا يدفعوا شيئاً، وبشرط أن أصحاب الجرائد تلذّذهم بالأبحاث اللطيفة مجاناً، وتتبرَّع من عندها بثمن الحبر والورق وكل شيء. وما دام روح التضحية في المسلمين معدوماً فلا يمكن لهذه الأمة أن تتقدَّم وأن تتحرَّر.

رسالتنا (لماذا تأخر المسلمون) أكثرها في هذا المعنى، ولذلك استحسنها الجميع وراجت كثيراً لأنها أصابت محل الوجع، وسنعيد طبعها نظراً لكون النسخ الأولى أوشكت أن تنفذ، وسنضيف في الطبعة الآتية زيادات.

طمّنونا عنكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

المخلص
شكيب أرسلان
لوزان أغسطس ١٩٣١


RESTAURANT GARANCE

GENÈVE

LA RÉGENCE

جنيف ١٥ اغسطس ١٩٣١

سعادة الاخ الافضل رئيس المجمع العلمي العربي الافخم اطال الله بقاءه

تناولت رقيمكم المؤرخ في ٣ الجاري المتضمن تفويض المجمع الموقر اياي بتمثيله في مؤتمر المستشرقين في اوائل ايلول القادم وقد امتثلت قرار المجمع وساعرفكم ماذا اراه هناك والسلام على سيدي الاخ ورحمة الله وبركاته.

اخوكم

شكيب

ارسلان

المجمع في مؤتمر المستشرقين

رسالة أيضاً مؤرَّخة في ١٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٣١ م، ١٩ ربيع الأول ١٣٥٠ هـ. إلى محمد كرد علي، بقبول الأمير تفويضه لتمثيل المجمع العلمي في مؤتمر المستشرقين في برلين[١].

جنيف ١٥ أغسطس ١٩٣١

سعادة الأخ الأفضل رئيس المجمع العلمي العربي الأفخم أطال الله بقاءه

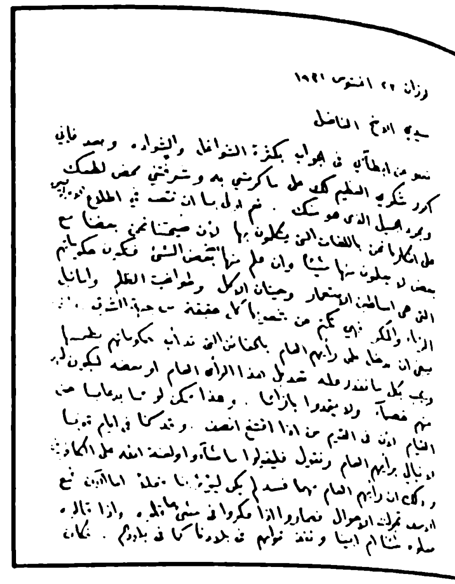
تناولت رقيمكم المؤرَّخ في ٣ الجاري المتضمِّن تفويض المجمع الموقَّر إياي بتمثيله في مؤتمر المستشرقين في أوائل أيلول القادم، وقد امتثلت قرار المجمع وسأعرِّفكم ماذا أراه هناك. والسلام على سيدي الأخ ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

شكيب أرسلان

ثمن مصوَّر كتاب الأديار للشابشتي كان قد وصلني وشكرتكم.

(١) من محفوظات المجمع العلمي العربي بدمشق.


لوزان ٢٧ اغسطس ١٩٣١

سيدي الاخ الفاضل

محمد جميل بيهم

وهذه رسالة وجَّهها من لوزان بتاريخ ٢٧ آب ١٩٣١، إلى العلاَّمة محمد جميل بيهم (١٨٨٧ ـ ١٩٧٨) الذي كانت وفاته في ٨ أيار سنة ١٩٧٨. يركُز فيها على أهمية الإعلام والعلم في نصرة القضايا الإسلامية، وضرورة المال للقيام بها، وقد كان للمجلة التي أنشأها بعنوان «الأمة العربية» فضل كبير في تحقيق هذه الغاية. وكان يصدرها باللغة الفرنسية ليستطيع الغربيون الاطِّلاع على مضمونها من القضايا العربية المهمة.

لوزان ٢٧ أغسطس ١٩٣١

سيدي الأخ الفاضل

تعفو عن إبطائي في الجواب لكثرة الشواغل والشواده، وبعد فإني أكرِّر شكري العظيم لك على ما كرَّمتني به وشرَّفني بمحض لطفك ومجرد الجميل الذي هو منك. نعم أولى بنا أن نتعب في إطلاع الأوروبيين على أفكارنا نحن باللغات التي يتكلَّمون بها، لأن صيحتنا نحن بعضنا مع بعض لا يعلمون منها شيئاً وإن علم منها أحد بعض الشيء، فتكون حكوماتهم التي هي أساطين الاستعمار وحيتان الأكل وطواغيت الظلم وأماثيل الرياء والمكر، فهي تكتم عن شعوبها كل حقيقة من جهة الشرق. فإذاً ينبغي أن ندخل على رأيهم العام بالحقائق التي تدأب حكوماتهم بطمسها، ويجب بكل ما نقدر عليه تعديل هذا الرأي العام أو بعضه ليكون لهم منهم خصماء ولا يتَّحدوا بإزائنا. وهذا ممكن لو قمنا بدعايتنا حق القيام لأن في القوم من إذا اقتنع أنصف. وقد كنّا في أيام قوَّتنا لا نبالي برأيهم العام ونقول: فليقولوا ما شاؤوا ولعنة الله على الكافرين، وذلك أن رأيهم العام مهما فسد لم يكن ليؤثِّر بنا فعلاً، أما الآن فمع الأسف تحوَّلت الأحوال فصاروا إذا فكَّروا في شيء عنّا قالوه، وإذا قالوه فعلوه شئنا أم أبينا ونفذ قولهم في بلادنا كما في بلادهم. فكأن أهم الجهاد هو في تصحيح أفكارهم قبل أن تصير أفعالاً، وهذا يتوقَّف على الدعاية، وهذه تتوقَّف على المال، وبذل المال في هذه السبل يتوقَّف على العلم، وهذه أمور لا يزال المسلمون ـ إلا النادر ـ غير فاهمين قيمتها. يعتبون على الله تعالى لماذا خذلهم وجعل النصارى واليهود والوثنيين أعلى منهم، ولا

ينظرون أنفسهم في إهمالهم للأوامر الإلٰهية إن كانوا متديِّنين، وفي إهمالهم للمصالح الدينوية إن كانوا غير متديِّنين، يريدون كل شيء بلا تعب ولا تضحية بل رأساً من الله تعالى، وهذا مخالف لسنن الله تعالى.

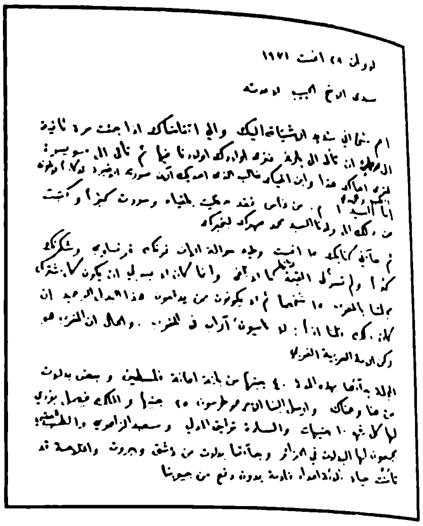
والدعاية في أوروبا كان يلزم أن تكون لها مكاتب ومراكز وجرائد ومجلات، وأن يبذل لأجلها كل مسلم بحسب طاقته، وكانت تأتي بنتائج لا تخطر على بال. ولكنَّ المسلمين لا يبرحون بعيدين عن هذه الغاية بمراحل، ومجلتنا «لا ناسيون آراب» برغم كونها شهرية وعدد صفحاتها غير كافٍ وأكثر المواضيع لا نقدر أن نوفيها حقَّها من قلة المحل، وبرغم أن قرَّاءها شديدو الرضى عنها، لا نزال نسدِّد عجز ميزانيتها من جيوبنا أنا وزميلي، وهي كلها لا تكلِّف في دور السنة أكثر من ٤٠٠ ذهب.

أما أن توجد مطبعة هنا تطبع كتابكم على نفقتها فهذا غير ممكن. لا يبذلون إلا فيما يروج عندهم، وهذه أمورنا لا تهمّهم ولا يتطلعون إليها. مجلتنا نعطيها لجميع باعة الجرائد والمجلات في جنيف وثمنها فرنك واحد، ولا ينفق منها في كل الشهر غير عددين أو ثلاثة إلى خمسة. وهذا هو السبب في كوننا نوزِّع منها ١٥٠٠ نسخة في أوروبا مجاناً حباً بنشر أفكارنا وبثّ ما عندنا، فلو تقاضيناهم عليها بدلاً ما قرأوها ولفاتنا الغرض المقصود. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

26 Avenue des Alpes, Lausanne



دعوة الحاج بنونة إلى سويسرا

رسالة من الأمير إلى الحاج عبد السلام بنونة، مؤرَّخة في ٢٨ آب ١٩٣١ م، يذكر له فيها شوقه إليه، ودعوته لزيارته في سويسرا، ووصول اشتراكات المغاربة دعماً لمجلته وبيان ما وصله من اشتراكات في المجلة من مصادر مختلفة، ويقترح الأمير مشروع إصدار مجلة «مغرب» في باريس للدفاع عن قضية المغرب، وأن جريدة «الجورنال» تمتنع عن نشرد الردّ على تعريضها بشخصية الأمير وصديقه بنونة، وأن الملك فيصل يفاوض في باريس بشأن سوريا، ورؤية الأمير في منامه للنبي ﷺ، ورأيه العلمي في المنامات، وتقدُّمه في تأليف تراجم مشاهير ميورقة، وعمله في كتاب «الرحلة الأندلسية»[1].

لوزان ٢٨ أغسطس ١٩٣١

سيدي الأخ الحبيب لا عدمته

أهم شيء أني شديد الاشتياق إليك وأني أتقاضاك إذا جئت مرة ثانية إلى مجريط أن تأتي إلى باريس فترى أولادك فيها، ثم تأتي إلى سويسرا فترى أخاك هذا وابن أخيك غالب الذي أهديك الآن صورته الأخيرة تذكاراً لأخوته الطيب والمهدي. أما السيد أ. م. من فاس فقد حظيت بلقياه وسررت كثيراً وكتبت عن ذلك إلى ولدنا السيد محمد صهرك ليخبرك.

ثم جاءني كتابك ١٥ أغسطس وطيّه حوالة الألف فرنك فرنساوي وشكرتك كثيراً، ولم تسرُّني القيمة لذاتها كما لا يخفى، وإنما كان لا يسرّني أن يكون كل مشتركي مجلتنا بالمغرب ١٥ شخصاً، ثم لا يكونون ممن يدفعون هذا البدل الزهيد. إن كان ذلك قلنا إذاً: لا ناسيون آراب في المغرب. والحال أن المغرب هو ركن الأمة العربية الغربي.

المجلة جاءها بهذه المدة ٤٠ جنيهاً من لجنة إعانة فلسطين وبعض بدلات من هنا وهناك،

---

(١) من كتاب «نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة» بين الأمير شكيب والحاج عبد السلام بنونة، تطوان، ١٩٨٠.

وأرسل إلينا الأمير عمر طوسون ٢٥٠ جنيهاً، والملك فيصل يؤدي لها كل شهر ١٠ جنيهات، والسادة توفيق المدني وسعيد الزاهري والطيب العقبي يجمعون لها البدلات في الجزائر، وجاءتنا بدلات من دمشق وبيروت، والخلاصة قد تأمَّنت حياة ثلاثة أعداد قادمة بدون دفع من جيوبنا.

ينبغي مع هذا تأسيس مجلة تصدر كل جمعة أو كل ١٥ يوماً في باريس، يتولَّى إدارتها أحد كتَّاب الفرنسيس وتسمى Le maghreb وتدافع عن مسلمي المغرب، فهذه تردّ عن إسلام المغرب أكثر من جيش ولا يقدر أحد أن يمنعها نظراً لأن مديرها سيكون أفرنسياً. تكلم في هذا المشروع المسيو لونغه وابنه المسيو فارج مع قرَّة العيون أحمد وكتب لي وقال إنهم يرون ٥٠ ألف فرنك فرنساوي ـ أي ٤٠٠ جنيه ـ كافية للمشروع، فأجبته: إن واحداً مثل التازي يدفع هذا المبلغ ولا يشعر به، لكن من حيث إنه لن يدفعه تُعمَل شركة بأربعمائة سهم كل سهم بجنيه واحد، وهذه الأسهم يشتريها ذوو الحمية وأنا أشتري ١٠ أسهم من كيسي وأحثّ أناساً في المشرق على الشراء، فالمسألة سهلة بسيطة ولن تأتي ضربة على يافوخ «القديس» أشد من هذه الضربة.

ولما اجتمعت مع السيد أ. م. رغَّبته في المشروع فوعَدَ بالسعي. ثم لمّا اجتمعت مع الكبير الذي لا أذكر اسمه لا تصريحاً ولا رمزاً ـ من يومين ـ ذكرت له أهمية المشروع فوعد أيضاً بالدعاية له. ولكن التجربة علَّمتني أنك أنت جمل المغرب القائم بحملته وجماله بتفصيله وجملته، فقصدت أن أستنهض همَّتك لذلك ومن الآن أريد إذا تمَّ هذا المشروع أن يكون للمسيو يونغ نصيب في تحرير المجلة. فإنه ما خدم الإسلام بين الفرنسيس رجل بدرجة هذا الرجل.

كنت كتبت إلى «الجورنال» رداً تلغرافياً على مقالته بحقي وبحقك فلم ينشر «الجورنال» الرد، فبعثت صورة التلغراف إلى يونغ بدون أن أطلب منه السعي لدى «الجورنال» في نشر الردّ، فذهب من تلقاء نفسه إلى «الجورنال» وأقام النكير وتجادل معهم وقالوا له: أنت صديق لأكبر عدو لفرنسا، فأجابهم: نعم ولكنه ليس عدواً لفرنسا وإنما هو طالب تحرير وطنه الخ.

مرسل لك طيّه صورة الحوار الذي جرى بين يونغ وبين رئيس تحرير «الجورنال» أرجو أن تقرأه لأن فيه ذكرك، ويقول محرر «الجورنال» إنك من أعدى أعداء فرنسا، وبعد أن تقرأه تعيده لي.

كتب لي يونغ لأبعث إليه بردّ مفصَّل وأنه يأخذه ويتقاضاهم نشره، فبعثت به إليه اليوم

وقلت له: قل لهم إن لم ينشروه أقم عليهم دعوى الافتراء لأني لا أرضى أن أوصم بتهريب السلاح وبأخذ دراهم من الألمان.

وصورة الرد واصلة طيّه أيضاً، وإن لم ينشروها هم فسأنشرها على كل حال في مجلتي.

كما أني بعثت أمس بردّ مشبع إلى جريدة «العهد الجديد» في بيروت على هذيان «الجورنال» متى جاء أبعث به إليك.

الملك فيصل في باريس، وأخي إحسان هناك ليعلم ماذا يتمّ بينه وبين الفرنسيس بشأن سوريا.

في مكتوب سابق أتذكّر أني رويت لك في شجون من الحديث رؤيا رأيت فيها النبي ﷺ وهو قاعد في عقب الصلاة ينظر إليَّ ويبتسم. وهذه الرؤيا رأيتها من نحو ٢٥ سنة، وبعد ذلك قرأت في تفسير المنامات للشيخ عبد الغني النابلسي أن من رآه ﷺ فإن الله يجمع على يده ما تفرّق من أمر المسلمين.

وبهذين اليومين جاءني مكتوب من بونس أيرس عن منام رآه سيف الدين رحّال، من أبلغ كتّاب المسلمين كان محرِّراً لجريدة «الفطرة» وهو لطيف جداً، فأحببت أن تقرأ خير هذه الرؤيا لأنها تسرُّك.

نعم هذه منامات، لكنها منامات خير تدعو إلى التفاؤل. وإذا نظرنا إلى العلوم الطبيعية لا يكون عندنا شك في صحة المنامات، والاطِّلاع على الأفكار بواسطة تموُّجات الأثير التي تنقل النور وتحرّك اللاسلكي، فمن اعتقد بالانتقال بواسطة تموُّجات الأثير وهو أمر محسوس، كان لا بد له من الاعتقاد بالمنامات وأنها كثيراً ما تكون رسائل بين الأرواح.

قبِّل عنِّي أخاك الحاج محمد ولدنا الحبيب وصهرك السيد محمد الداود وأنجالك، وسلِّم لي على الشيخ المصمودي وعلى الشيخ نعمة اللّه الدحداح، ودمت.

لأخيـك/ أبي غالب

«الأصول المعرِقة والأصول المورِقة في تاريخ جزيرة ميورقة» صار عندي منه كرّاس كامل يحتوي تراجم نحو ٧٠ عالِماً وشاعراً، كلهم ممن انتسب إلى تلك الجزيرة أو وُلِد فيها أو مات فيها. فتأمَّل جمعتها من تراجم الأندلس التي وقعت تحت يدي.

أما الجزء الأول من «الرحلة الأندلسية» وهو أيام العرب في جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وجبال سويسرا فقد يأخذ أربعة أو خمسة أشهر لينتهي، لأنه تمضي الأسابيع ومن وفرة الشغل لا يُتاح لي أن أخط فيه حرفاً.

نسيت شيئاً وهو الأهم

اقرأ المكتوب الواصل طيّه الوارد لنا من الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، فمنه تفهم قضية عزمهم على عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس.

جاوبته بمكتوب طويل ٨ صفحات كبار فيه كل شيء. طلبت أن لا يكون المؤتمر في التاريخ الذي عيَّنه في إعلانه بل يتأخر إلى رجب بالأقل، لأنه إن كان المقصود مؤتمر يقتصر على الشام ومصر والعراق والحجاز فيمكن في هذا الميعاد، أما إن كان لا بد من دعوة التركستان وبلاد البلقان وأفغانستان وإيران والهند والجاوى والمغارب كلها، فهذا الميعاد قريب جداً والناس لا بد لها من المذاكرة ومن تهيئة أسباب السفر.

طلبت أن لا يكون بروغرام المؤتمر ضيقاً جداً كمسألة البراق مثلاً، إذ عند ذلك لا يراها المسلمون تستحق السفر من وراء البحار، وأن لا يكون واسعاً جداً عاماً جميع خطوب العالم الإسلامي الكثيرة وذلك، خوفاً من أن تقوم دول الاستعمار وتمنعه، ثم خوفاً من فشل المؤتمر وعدم نفوذ شيء من قراراته فيكون في ذلك محل شماتة بالإسلام وظهور لضعفه الزائد. فقلت يجب أن يكون موضوع عقد هذا المؤتمر النظر في أمور «الأراضي المقدسة» أي «الحجاز والقدس» فيقال هذه المسألة دينية ليست سياسية، على أن أمور الأراضي المقدسة تتناول صيانتها فندخل في ذلك قضية صيانة فلسطين للعرب وصيانة الحجاز وجميع جزيرة العرب ووجوب تحالف ملوك العرب الخ. وتدخل قضية إصلاح أحوال الحجاز العمرانية وتسهيل الحج وترفيه الحجّاج براً وبحراً الخ.

وفي أثناء عقد المؤتمر الذي يكون هذا برنامجه الظاهر، تنعقد جلسات سرية تحت الإيمان المغلظة والطلاق لأجل المذاكرة في الأمور الإسلامية الأخرى، وإصدار قرارات بها كمسألة البربر ومسألة طرابس الغرب وغيرهما وقد عددت جميع المسائل الحاضرة.

أشرت بدعوة جميع بلاد الإسلام بدون استثناء وعددتها، وأن ترسل الدعوة إلى الجمعيات واللجان والهيئات الدينية والوطنية وعددتها، وإلى المشاهير من الأشخاص

وذكرت بعضهم على سبيل الاستشهاد مثل بنونة. قلت لهم ليؤخروا دعوة المغرب إلى أن تكون تمت كل الدعوات وصدر إذن الحكومة الإنكليزية به، وذلك لأني أخشى أن فرنسا إذا علمت به تسعى لدى إنكلترا بمنعه بتاتاً، أما منع أهل المغرب والجزائر وتونس من حضور المؤتمر فهذا سيكون، وإنما يمكن إنابة أهل المغرب أناساً من المغاربة الذين في الشام ومصر وهم كثيرون.

على أني أشرت بإرسال الدعوة على كل حال لكم وللداود ولمكوار ولعلال الفاسي ولعبد الحي الكتاني ولعمر التازي وللشيخ شعيب وللوزير المنبهي ولمولاي عبد الرحمٰن بن زيدان وللوزاني.

وبعد أن تقرأوا المكتوب الذي من الحاج أمين تعيدونه لي مع ملاحظاتكم، وليبق هذا الأمر مكتوماً الآن حتى لا تبادر فرنسا إلى عرقلته لدى إنكلترا، ولا يجوز أن ندعهم يشعرون إلا بعد أن يكون انتهى كل شيء.

جريدة «ديبش الجيريان» زعمت أني في خطبتي في لوزان دعوتكم إلى حضور مؤتمر إسلامي عام، والحال أنت كنت حاضراً ولم يحصل شيء من هذا.

لكن يظهر أن هؤلاء يحسُّون قبل الوقوع فالذي قالوه ولم يكن صحيحاً قد صح الآن.

جاءتني هذه المدة مراسلات من السي محمد الحجوي وظهر لي أنه أديب، وقال إنه سيرسل لي كتابه «الفكر السامي» وكان يريد المجيء إلى لوزان ثم تغيَّر فكره واعتذر.

أما المعمري فكنت أنت قلت لي لا بأس به وهكذا قال لي فاضل الجزائري، إلا أن أحد الثقات قال لي مؤخراً إنه ما أحد أضر الإسلام في المدة الأخيرة مثل المعمري والمقري، وهما اللذان شدَّدا الفرنسيس في قضية الظهير. وقال لي هذا الثقة إن المعمري أشد ضرراً من ابن غبريط.

فيا ويح مَن ابن غبريط أحسن منه...

عمر المختار من أعظم رجال العصر

رسالة مؤرَّخة من جنيف ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ م، من الأمير إلى صاحب جريدة «الجهاد» المصرية، نقلتها جريدة «الجامعة العربية» بتاريخ ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٣١ م، يشيد فيها بجهود عمر المختار في حرب طرابلس و«عمر المختار لم يكن ثائراً على حكومة شرعية بل كان مجاهداً يدافع عن وطن مغصوب بالقوة».

أمّا أن الشهيد عمر المختار، هو من أعظم رجال هذا العصر وممن تتزيَّن بسيرته صحائف التاريخ العام، فلا يُماري في ذلك أحد عنده ذرة من الإنصاف.

منذ شنَّت إيطاليا غارتها الغادرة على هذا القطر الطرابلسي السيىء البخت، أي منذ عشرين سنة تامَّة، عمر المختار واقف في وجهها بل واقف وقفة الأسد وفي مقدِّمة المجاهدين.

عشرون سنة مرَّت على غارة الطليان على طرابلس وبرقة وعمر المختار متقلِّد سلاحه، يناضل عن وطنه ودينه نضالاً نادر المثال يُقاوم بوسائله القليلة الضئيلة، وفي وطن محصور من كل الجهات دولة عدد سكَّانها ٤٢ مليوناً وعندها من الأعتاد الحربية ما لا يقلُّ عن أعتاد أكبر دولة في العالم.

كم وقعة شهد عمر المختار في هذه العشرين سنة في جهاده للطليان؟ الجواب على هذا متعذِّر. وربما يعرف ذلك المجاهدون من أهل وطنه وربما لا يعرفونه كلَّه لأن المجاهدين قد يعرفون شيئاً من مواقفه في مكان ويجهلون غيرها في مكان آخر. والسابقون الأولون منهم قد استشهدوا أو ماتوا فلم يعرفوا ماذا فعل عمر المختار من بعدهم. واللاحقون المحدِّثون قد عرفوا وقائعه الأخيرة ولم يعرفوا وقائعه السابقة. وهو قد كان دائماً على قدم الجهاد لا ملل ولا فتور ولا وهن ولا عجز. ولقد روى مراسل جريدة «الطان» الذي أنفذته هذه الجريدة عمداً إلى بنغازي منذ نحو شهرين ليوافيها بأخبار عمر المختار، أنه منذ عشرين سنة لم يخلُ يوماً واحداً من جهاد في الطليان، وأنه قد تجاوز الثمانين وهو لا يزال يقضي أكثر وقته على ظهر حصانه.

فعمر المختار هو من أعظم رجال هذا العصر ومن أكبر أبطال الإسلام بلا نزاع. ولا مندوحة من تدوين سيرته وتقييد ما يمكن تذكُّره من وقائعه التي تفوت الحصر، وذلك في كتاب خاص موسوم باسمه يُنشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فتتلقَّى منه الناشئة الإسلامية الدروس اللازمة

لها في البسالة والصبر والثبات والنزاهة والإخلاص وسائر الأخلاق العظام، التي لا يصعد المسلمون إلى الذروة بعد هذا الانحدار الذي انحدروه إلاّ بها.

وإذا أخرج الأدباء البرقاويون العالِمون بأخبار عمر المختار، كتاباً كهذا بالعربية حسنت ترجمة هذا الكتاب إلى اللُّغة الأوروبية.

وفي ذلك معنى سياسي كبير لا يخفى على أحد، فإن تاريخ هذا البطل عبارة عن احتجاج مجسَّم من الأمة الطرابلسية على إيطاليا المعتدية الغاصبة. ولم يكن عمر المختار رجل حرب فقط، بل كان رجلاً محنَّكاً، خبيراً بسياسة قومه، مطَّلعاً على أحوال وطنه، ذا عقل سليم وحكم سديد وتدبير مصيب، وإنما كان العبقري الأمبر في شجاعته وصبره وثباته وقوة عزيمته وصلابة عوده وشدة إيمانه، وكان كأنه صحابي كبير عاش في هذا القرن. ولقد استشهد ابنه وابن أخيه وكثير من أهله في هذه الحرب، وأخيراً ختم الله له بالشهادة حتى تتم محاسنه في الدنيا والآخرة.

عرفته يوم كنت في جهاد طرابلس سنة ١٩١١ م، وكنّا وقتئذٍ في معسكر أنور في عين منصور بظاهر درنه.

وكان الشهيد إذ ذاك من جملة مشايخ الزوايا الناهضين القائمين بأمر الجهاد، لكنه كان مشاراً إليه من بينهم بالبنان في شدَّة إقدامه وسِعَة بصيرته بأمور الحرب، وكان أكثر تعويل السيد السنوسي عليه في مباشرة الكرائه واقتحام لظى الوقائع، رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً وجعل سيرته سراجاً منيراً للمسلمين.

* * *

ولم تقع بيني وبينه مكاتبة ولا مرَّة إلاّ منذ أشهر بعد أن كتبت تلك المقالة التي كتبتها عن فظائع الطليان في طرابلس وبرقة، وأحدث نشرها في الخافقين ما أحدث من التأثير، وأفهمت دول الاستعمار أن الإسلام حيٌّ لم يمت، وأن الآمال التي عندهم في القضاء النهائي عليه بعيدةٍ عن أن تتحقَّق أو لن تتحقَّق أبداً. فيظهر أن السيد عمر المختار اطَّلع على تلك المقالة فشفت غليله كما شفت غليل الأكثرين وبعث إليَّ بالكتاب التالي (بعد الترجمة):

بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته

قد قرأنا ما دبَّجه يراعكم السيَّال عن فظائع الطليان، وما اقترفته أيديهم الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار، فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدِّم لسامي مقامكم خالص الشكر وعظيم الممنونية. وكلّ ما ذكرتموه عمّا اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم كثيراً. وأمّا

لو يذكر للعالم كلّ ما يقع من الإيطاليين لا تجد آذاناً تسمع كما يرونه من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح وأننا في الدفاع عن أوطاننا وديننا صامدون وعلى الله في نصرنا متوكِّلون وقد قال تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ

الختم: عمر المختار

وبعد هذا الكتاب أرسلت إليه بالواسطة بأن يتجنَّب مناجزة العساكر الإيطالية لكثرة عديدها وعتادها، وليحذر الوقوع في وسط حركة التفاف لم تزل إيطاليا ترسم خططها حتى تأخذه أسيراً.

فأبى الله إلاَّ أن يختم له بالشهادة حتى تكون درجته هي العليا في الدارين، ويفوز بالحسنيين. وما أرى وقوعه أسيراً إلاَّ نتيجة تدبير بين الطليان وبعض الخونة من الأهالي الذين راقبوه ودسُّوا بالخبر عن وجوده في المكان الذي وجدوه به، فأسرع الطليان بإرسال قوة كافية لم يكن أمامها إلاّ قوة ضئيلة، وهكذا تمَّ لهم ما أرادوا لأمر يريده الله. ومن مدة طويلة كان الطليان قد أعلنوا جائزة عظيمة لمن يأتيهم برأس عمر المختار أو لمن يسهِّل لهم طرق القبض عليه، وزعموا أنهم يعدونه «رئيس عصابة أشقياء»!!!.

فكون عمر المختار «رئيس عصابة أشقياء» فريّة لا يتنزَّل أحدٌ للجواب عليها، ولا يوجد في شرق ولا غرب من يصدِّقها. وينبغي للإنسان أن يكون طليانياً فاشستياً حتى يقدم على عضيهة كهذه العضيهة، وإنما يجوز أن يوجد حتى من المسلمين أنفسهم من يجهل حقائق الأمور فيقول: قد كان في وسع إيطاليا أن تستحيي عمر المختار وقد ارتكبت في قتله إثماً من جهة الأخلاق، إذ رمت بالرصاص شخصاً[1] لا يوجد في زماننا أجدر منه بالحرمة، لكن إيطاليا لم ترتكب في قتله مخالفة للقانون العسكري لأنه في نظرها ثائر على السلطة القانونية!.

فهذا هو موضوع مقالتي هذه!

وهذا هو الخطأ الفظيع الذي أريد أن لا يقع الناس فيه.

فعمر المختار ليس بثائر على سلطة شرعية ولا قانونية. وأهالي طرابلس وبرقة ليس فيهم واحد رعية حقيقية لملك إيطاليا.

---

(١) أثبتت الأنباء الأخيرة أن الشهيد عمر المختار أعدم صلباً وليس قتلاً بالرصاص.

والدولة الإيطالية مقامها في تلك البلاد مقام غاصب لا أكثر ولا أقلّ. فلمّا شنّت إيطاليا تلك الغارة التي لم يذكر لها التاريخ مثيلاً في الغدر على القطر الطرابلسي وأعلن البرلمان الإيطالي إلحاقه بأملاك إيطاليا، هزأ جميع الناس بذلك القرار ولم يُقِم له علماء الحقوق في أوروبا أدنى وزن. وذلك أنه لا السلطان العثماني سيّد طرابلس الشرعي ولا أهالي طرابلس أنفسهم اعترفوا بأدنى حق لإيطاليا على طرابلس. وما زالت إيطاليا تعمل دسائسها في البلقان حتى أثارت الدول البلقانية على الدولة العثمانية. فقد كان لإيطاليا اليد الطولى في إيقاد تلك الفتنة البلقانية حتى تشغل الدولة عن طرابلس.

ولم تكد دول البلقان الأربع تعلن الحرب حتى أنذرت إيطاليا الباب العالي بأنه إن لم يتخلَّ لها عن طرابلس انضمت إلى الدولة البلقانية بدون تردُّد.

في ذلك الوقت كنت في برقة فبادرت بالسفر إلى الأستانة لأسعى في تخفيف وطأة الصلح الذي كنت رأيت الباب العالي أصبح مضطراً إليه، فقابلت كامل باشا وشيخ الإسلام جمال الدين وناظم باشا وحسين حلمي باشا وغيرهم، وأقنعتهم بأنه مهما بلغ بالدولة الخناق لا يجوز لهم أن يتخلّوا عن السيادة العثمانية على طرابلس لدولة إيطاليا، بل إذا كان لا بدَّ ولا مناص من التخلي عن طرابلس اتّقاء انضمام إيطاليا إلى الدول البلقانية الأربع، فليكن تخلّي السلطان عن سيادته على طرابلس لأهالي طرابلس أنفسهم وإعطاء هؤلاء الحرية أن يفعلوا ما يشاؤون. وقد قال لي كامل باشا يومئذٍ الكلمات التالية: إننا نحن إزاء أربع دول تناجزنا القتال، وقد أنذرتنا إيطاليا بإنزال عساكر في البلقان أيضاً فنصير بإزاء خمس دول، ولذلك تعذروننا أنتم إخواننا العرب في تخلّينا عن طرابلس حفظاً لما هو أهم، ولكننا نعِدَكُم بأننا لا نتخلّى عن سيادة السلطان على طرابلس لدولة إيطاليا مهما بلغ منّا الخناق.

ولقد تمَّ صلح «أوشي» بين الدولة وإيطاليا وبذلت إيطاليا جميع مجهوداتها لإقناع مندوبي الدولة العثمانية بالتخلّي عن السيادة العثمانية على طرابلس وبرقة لإيطاليا، فلم تفلح وذلك لأن أوامر الأستانة كانت تصدر إلى المندوبين العثمانيين في «أوشي» بأنهم إن لزم قطع المفاوضات من أجل هذه النقطة فليقطعوها. (من شاء فليقرأ مذكرات جيوليتي).

نعم، هكذا كانت الدولة العثمانية تحافظ على الإسلام وبلاده، وكانت تعرِّض نفسها لحرب خمس دول معاً إحداهن من الدرجة الأولى، ولا ترضى بأن تسلِّم بلاد المسلمين للأجنبي تحت الضغط مهما كان من خطر هذا الثبات في وجه الأجانب.

نعم، هكذا كانت سياسة تلك الدولة التي اتَّهمها كثير من الناس بالتقصير في حفظ حقوق المسلمين، وقد بدأ المسلمون الآن يعرفون قيمتها ويدركون عمق مهواة الذلّ التي وقعوا فيها من بعد زوال تلك الدولة. وينبغي أن لا أنسى أيضاً ذكر كلمة قالها لي يومئذٍ ناظم باشا ناظر الحربية وهي:

إننا وإن كنّا مُكرهين على إخلاء طرابلس نظراً للأخطار المحدقة بالدولة، فكن واثقاً بأننا لن نتخلى عن إمداد إخواننا الطرابلسيين بما يمكننا من الإعانات بالمال والسلاح بكل طريقة ممكنة.

إذن لم يقع أي نزول من السلطان العثماني عن سيادته على القطر الطرابلسي لملك إيطاليا، بل نزل عنها لأهل طرابلس بصريح معاهدة «أوشي» المشهورة، فلا تقدر إيطاليا أن تدَّعي كونها تسلَّمت طرابلس من الدولة العثمانية كملك لها. وغاية ما قدرت أن تحصل عليه من الأتراك في تلك المعاهدة هي كلمة نصح لأهالي ذلك القطر بالامتزاج مع الطليان، وليس في هذا كما لا يخفى ما يقال له إعطاء سيادة لدولة إيطاليا.

أما معاهدة «سيفر» فمن المعلوم أنها لم تنفَّذ وبقيت غير معتبرة في نظر الدول، وجاءت معاهدة لوزان بين تركيا والدول ناسخة لها بحذافيرها. ثم إنه لو فرضنا أن تركيا نزلت في معاهدة لوزان عن شيء من تلك السيادة لإيطاليا على طرابلس، فهذا غير معتبر قطعياً وذلك لأن صاحب الحق في السيادة على طرابلس إنما هو السلطان العثماني الخليفة أمير المؤمنين، وهو في معاهدة «أوشي» أي معاهدة لوزان الأولى المنعقدة سنة ١٩١٢ إنما نزل عن سيادته لأهالي طرابلس لا لملك إيطاليا، فلا يحق لحكومة أنقرة الجمهورية أن تعقد معاهدة أخرى تنزل فيها عن تلك السيادة نفسها لإيطاليا بعد أن نزل صاحبها عنها للطرابلسيين. فإن الأمر يكون قد أنبت في معاهدة «أوشي» بشكل لا يبقى لتركيا أدنى حق في الرجوع عنه.

ومن البديهي أن الإنسان إذا تخلَّى عن ملك كان يملكه لأحد لا يحق له أن يرجع ويتخلَّى عنه لآخر. ثم إن الطرابلسيين في أثناء الحرب العامة كانوا قد طردوا الطليان من جميع أنحاء طرابلس وبرقة، ما خلا درنه وبنغازي وطرابلس وزوارة أي المرافىء البحرية المحمية بمدافع الأسطول، ولو كان عند الطرابلسيين مدافع لأخرجوهم منها أيضاً، وكانت تأسست حكومة سنوسية في برقة أميرها السيد إدريس السنوسي كما لا يخفى واعترفت بها إيطاليا وإنكلترا، كما أنه تأسست جمهورية في طرابلس مركزها مصراطة، وهذه وإن كانت إيطاليا لم تعترف بها بموجب معاهدة كما اعترفت للحكومة السنوسية البرقاوية، فإنها كانت تأخذ وتعطي معها كحكومة مستقلة، وتوالى هذا الأمر عدة سنوات. وسنة ١٩٢٣ خاطبت تلك الجمهورية دول أوروبا بمنشور هو تحت يدنا، وسننشره في مجلتنا «لا ناسيون آراب» ومنه يتَّضح حق طرابلس في الاستقلال من وجوه متعددة

قانونية. وبعد ذلك اجتهدت إيطاليا أن تقنع الأهالي بقبول استقلال داخلي وحكومة نيابية تحت حمايتها، وكان بعض الطرابلسيين في ذلك الوقت قد جنحوا إلى قبول هذا الوجه. ولكن جاء التغلُّب الفاشيستي في الدولة الإيطالية الذي قلب الأمور رأساً على عقب. ومن المعلوم أن الديكتاتورية الفاشيستية كانت غصباً محضاً في نفس إيطاليا ولا تزال جميع الأحزاب الديمقراطية إلى يومنا هذا يعدُّون الحكومة الفاشيستية في إيطاليا غير قانونية، ويرونها من نوع الغصب الذي يجوز في كلّ وقت القيام عليه وإزالته.

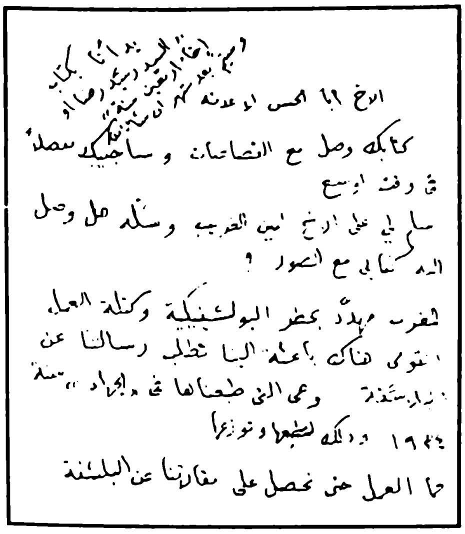
وبديهي أن الذي يكون غصباً في نفس إيطاليا يكون غصباً أيضاً في البلاد التي اعتد عليها إيطاليا، بل هذا الغصب في إيطاليا واقع من وجه واحد وهو في طرابلس واقع من وجهين أحدهما الغصب الطلياني الأصلي والثاني الغصب الطلياني الفاشيستي الذي ليس له أساس قانوني في أرضه، فكيف يكون له أساس في غيرها. فأنت ترى أيُّها القارىء أن الحكم الطلياني الفاشيستي وغير الفاشيستي من قبله لا يستندان في طرابلس وبرقة على أي أساس صحيح، ثم إن نقض الحكومة الفاشيستية لمعاهدتها مع السنوسي في برقة ولاتفاقها مع بعض الطرابلسيين على نظام الاستقلال الداخلي، كان أيضاً استبداداً لا يرجع إلى أي حقّ قانوني. فمن الأول إلى الآخر أعمال إيطاليا في طرابلس سلسلة استبدادات واعتداءات آخذ بعضها برقاب بعض، ليس لها في علم الحقوق أدنى قيمة. ولذلك لا يعدّ المجاهدون الطرابلسيون رعايا ثائرين على إيطاليا، وإنما هم في نظر علماء الحقوق المنصفين مقاومون عن أوطانهم للأجانب المعتدين عليها. فإذا وقع أسير منهم لم يكن من الجائز معاملته إلا كأسير دولة مستقلة. فزعم إيطاليا أن عمر المختار ـ رحمه الله ـ زعيم أشقياء بطشت به السلطة وعاملته بموجب القانون ليس فيه ذرة من الحق، وسيبقى دم عمر المختار ورفاقه المجاهدين في رقبة إيطاليا إلى الأبد، وهي وإن كانت مغترَّة الآن بقوَّتها مستخفَّة بالعالم الإسلامي، فسوف يأتي زمان تعرف فيه إيطاليا عاقبة غرورها، وتعلم أن المسلمين لم يموتوا، وأن حقَّهم لن يضيع، وأن الدهر أطول من أهله.

شكيب أرسلان

جنيف في ٣٠ سبتمبر ١٩٣١

المغرب مهدد بخطر البولشفيكية

وهذه رسالة من الأمير إلى أبي الحسن (محمد علي الطاهر) يخبره فيها أن قصاصات الصحف قد وصلت، وأن المغرب مهدَّد بخطر البولشفيكية، وفيها يسأل أيضاً عن مقالاته عن البلشفة. (لا يوجد تاريخ للرسالة)[1].


الأخ أبا الحسن لا عدمته
كتابك وصل مع القصاصات وسأجيبك مفصلاً في وقت أوسع
سلم لي على الأخ أمين الغريب وسله هل وصل إليه كتابي مع الصور ؟
المغرب مهدد بخطر البولشفيكية وكتلة العمل القومي هناك باعثة إلينا تطلب رسالتنا عن البلاشفة وهي التي طبعناها في الجهاد سنة ١٩٣٤ وذلك لتطبعها وتوزعها
فما العمل حتى نحصل على مقالاتنا عن البلشفة

الأخ أبا الحسن لا عدمته

كتابك وصل مع القصاصات وسأجيبك مفصَّلاً في وقت أوسع.

سلِّم لي على الأخ أمين الغريب وسَلْه هل وصل إليه كتابي مع الصور؟.

المغرب مهدَّد بخطر البولشفيكية، وكتلة العمل القومي هناك باعثة إلينا تطلب رسالتنا عن البلاشفة، وهي التي طبعناها في «الجهاد» سنة ١٩٣٤ وذلك لتطبعها وتوزِّعها.

فما العمل حتى نحصل على مقالاتنا عن البلشفة والبلاشفة، أفلا توجد مجموعة الجهاد في خزانة الكتب المصرية؟ أم يمكن تكليف صاحب يأخذها من إدارة «الجهاد». كلها سبع أو ثماني مقالات.

ودمت لأبي غالب

بدأنا بكتاب «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة»، وسيتمّ بعد شهر إن شاء الله.

(١) من محفوظات حسن محمد علي الطاهر، أوتاوا، كندا.

ردّ على النشاشيبي

وكتب الأمير شكيب رسالة إلى الأستاذ إسعاف النشاشيبي، ردًّا على رسالة بعث بها إليه، وفيها يلمّح النشاشيبي إلى أن الأمير أكثر من ذكر الحواشي والهوامش في الكتب. فأرسل إليه الخطاب التالي (ليس فيها تاريخ):

«أخي الأستاذ الأجلّ:

شفيتَ غليلي بهذين الشاهدين اللذين جئت لي بهما على فائدة الحواشي، ومن كان يقدر أن يأتي بهما غيرك؟ لله دَرُّك. وقد أتممت تحبير كتاب اسمه «أناتول فرانس في مباذله» يحتوي ترجمة كتاب لكاتب سرِّه (بروسون)، وخلاصة آخر لصديقه (سيغور) وتلخيص لتأبين أدباء فرنسا (لفرانس) يوم وفاته.

ولما كان فيه من الأعلام الكثيرة والمسائل الفلسفية والاجتماعية والأدبية ما لا بد من تفسيره، إعانةً للقارىء على فهم الكتاب، فقد جاءت في هذا التأليف أيضاً حواشٍ، إن لم تكن على نسبة حواشي «حاضر العالم الإسلامي» فهي حواشٍ لا بأس بها، وما كان أسرعني إلى تأييد وجهي في الحواشي إلى نقل كلام ذينك الإمامين عن الأستاذ المحقِّق النشاشيبي، ولعمري لو أنجدتني بجيش مَجْر[1] ومال دَثْر[2] ما أحسستُ فضل النجدة كما أحسست بها عندما قرأت ذينك الشاهدين»[3].

---

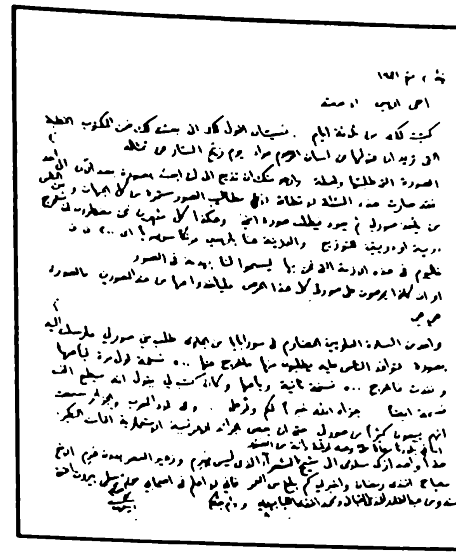
(1) المجر: الكثير من كل شيء.

(2) الدثر: المال الكثير. (القاموس).

(3) مجلة الرسالة، عدد ١٨، فبراير ١٩٤٦.

صُوَر الأمير

كان الأمير شكيب مالىء الدنيا وشاغل الناس، تتناقل أخباره أعمدة الصحف العربية والإسلامية والغربية، في الشرق وفي الغرب، وكانت صُوَره تتخاطفها الأيدي وتوزَّع في كل مكان، حتى إن بعضهم اتَّخذها تجارة رابحة له. وهذه الرسالة تدلُّ على ذلك. مؤرَّخة من جنيف، ٢ تشرين الثاني، سنة ١٩٣١ م.



جنيف ٢ تشرين الثاني ١٩٣١

أخي الأمين لا عدمته

كتبت لك من ثلاثة أيام. نسيت أن أقول لك إني بعثت لك ضمن المكتوب الخطبة التي تريد أن تقولها عن لسان المرحوم فؤاد يوم زَيْح الستار عن تمثاله.

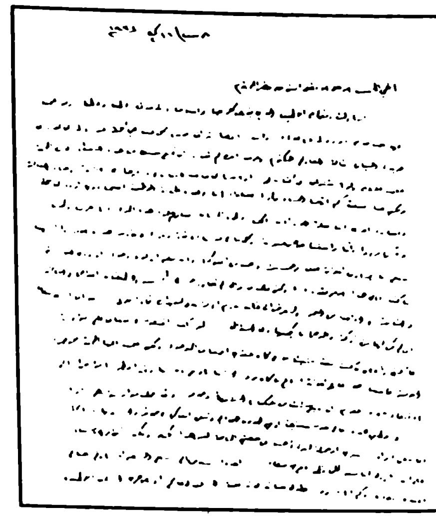
الصورة التي طلبتها واصلة، وأرجو منك أن تذيع أني لن أبعث بصورة بعد الآن إلى أحد، فقد صارت هذه المسألة لا تطاق لأن مطاليب الصور مستمرة من كل الجهات، ومن الناس من يأخذ صورتي ثم يعود فيطلب صورة ابني، وهكذا كل شهرين نحن مضطرون أن نستخرج دزينة أو دزينتين للتوزيع، والدزينة هنا بأربعين فرنكاً سويسرياً أي ٢٠٠ ف. ف. (فرنك فرنسي)، فاليوم في هذه الأزمة التي نحن بها ليسمحوا لنا بهدنة في الصور.

أو إن كانوا يحرصون على صور لي كل هذا الحرص فليأخذوا عنها من عند المصوِّرين، فالصورة هي هي.

واحد من السادة العلويين الحضارم في سورابايا من الجاوى طلب مني صورتي فأرسلت إليه بصورة، فتوافد الناس عليه يطلبون منها، فأخرج عنها ٥٠٠ نسخة أول مرة فباعها ونفذت، فأخرج ٥٠٠ نسخة ثانية وباعها، وكان كتب لي يقول إنه سيطبع ألف نسخة أيضاً. جزاه الله خيراً فكم وفَّر عليَّ. وفي بلاد المغرب والجزائر سمعت أنهم يبيعون كثيراً من صورتي، حتى إن بعض الجرائد الإفرنسية الاستعمارية أقامت النكير... أما في بلادنا فأنا عليَّ وحدي غرامة دائمة من الصُوَر.

هذا واهدِ أزكى سلامي إلى شيخ الشعراء الذي ليس بهَرِم وزهير العصر بدون هَرَم الأخ مصباح أفندي رمضان وأخبرني كم بلغ من العمر، فإني لا أعلم في أصحابي من مسلمي بيروت أعتق منه ومن عبد القادر أفندي القبّاني ومحمد أفندي اللبابيدي، ودام بقاكم.

أخـوكـم
شكيب أرسلان



قضايا خاصة مع أمين بك خضر

رسالة من جنيف، ١٦ كانون الثاني، سنة ١٩٣٢ م، إلى أمين بك خضر يبثُّ فيها الأمير لواعجه وعاطفته، ويشكو إليه وضعه الاقتصادي، وقد باع من أرزاقه ما يساوي ٣٥٠٠ ليرة ذهبيّة، وبذل الغالي والرخيص في سبيل الدفاع عن الأمة العربية. ويتطرّق الأمير في الرسالة إلى الحكم الفيصلي لسوريا والعراق ويبدي في شأنه، لكن من المؤسف أن الصفحة الأخيرة من هذه الرسالة فقد فُقِدت ففاتنا أن نطّلع على ما فيها من كلام الأمير(١).

جنيف ١٦ كانون الثاني ١٩٣٢

أخي الحبيب الأجلّ الأفضل أمين بك خضر المحترم

تناولت رقيمك اللطيف الذي يفيض كله حباً وإخلاصاً ويترقرق لطفاً وعطفاً، ولا عجب فهو حب قديم موروث عن الآباء، وأنت شخصياً تراني بعين، كل عيب هي كليلة عنه، وقد طالعت في جريدة «البيان» مقالة الصارخ المكتوم وعرفت أنك لم تقدر أن تمنع نفسك من هذه النفثة لأن المحبة غلبت عليك، ولو استشرتني في كتابتها أو استشارني صاحب «البيان» في نشرها لما أشرت وحياتك الغالية، ولكني عدت فقلت كم اتّهمنا الحسّاد ولمزنا الأعداء بأننا في هذه القضية الوطنية أصبحنا ذوي ثروة طائلة. وبعبارة أخرى إننا بعلة الورشان أكلنا رطب المشان، فعلَّهم علموا هذه المرة أننا حُرِمنا وطننا وقسماً من وارداتنا وأنفقنا جوهر عيوننا وكل ما في نفسنا من نعمةٍ وقوة في خدمة هذه الأمة، وانتهينا ببيع ما يساوي ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب من أملاكنا، والله يعلم أنه لولا وجود أولادي القاصرين ما كنت أبالي بهذا الأمر بقدر ذرة، ولكن غالب لا يزال لم يتجاوز خمس عشرة سنة والطفلتان إحداهما في الثالثة والثانية في الواحدة من العمر، ولنفرض أن غالب يلزم أن يشتغل ليعيش فماذا تعمل سيّدتان أرسلانيتان إن لم يكن لهما من تركة والدهما ما يكفيهما ذلّ السؤال. لو كنت اقتصرت في نفقاتي على مؤونة عائلتي وشخصي ما كنت بعت شيئاً لا بل كان

---

(١) من محفوظات المحامي محمد أمين خضر.

عندي أضعاف الموجود، ولكن غلبت علينا الحمية للقضية العربية فأنفقنا عليها ثلاثة أرباع ما كان يَرِد وعشنا بالربع لأنفسنا، وقد اضطررنا مؤخراً إلى الاقتصاد حتى لا نلتزم أن نبيع شيئاً من ملكنا في الشويفات وصوفر. وقد عملت موازنة إذا سرت في خطتي هذه فإلى حد سنتين أوفي الديون التي عليَّ وتبقى أملاكي في صوفر والشويفات سالمة، أي يبقى إيراد سنوي أربعمائة ليرة ذهب عن حصتي الخاصة ليس هذا بكثير ولكنه شيء من الأشياء، على أنه مشروط لتأمينه المحافظة على الاقتصاد. اهدوا سلامي إلى شيخ الشعراء الأخ مصباح أفندي رمضان، وكم أنا مسرور بطول حياته لأنه بقية السلف الصالح أو بالأحرى السلف اللطيف، ومن حيث إننا الآن بمحضره فأرجو أن تنشدوه هذين البيتين اللذين أقولهما ارتجالاً:

كل المصابيح في هذا الزمان خَبَتْ ... وأنت ما زلت يا مصباح وهَّاجا

كأن زيتك بحر لا حدود له ... يظل يقذف بالأمواج أمواجا

نعم قلت لي إن الوطنيين كانوا متفائلين خيراً. وقد نبّهناهم وأبرقنا إليهم ونشرت الجرائد برقيتنا ولم يبالوا بكلامنا، وأرادوا التقرُّب إلى السلطة حتى تعطيهم جمهورية الرفاق ويسودوا ويزيطوا في الشام، وهذا الذي جعلهم يحبطون مشروعاً من أقدس ما فكَّر به العرب وهو الاتحاد السوري العراقي. لا أريد أن أخوض بك في موضوع سبقت لي فيه مقالات وآتية فيه لي مقالات أخرى، ولكني أؤكد لك أيها الأخ وأنت تعلم أني لست من أرباب الخيالات، بل إن حنكتي وبياض شعري كفيلان لي بالتزام الحقائق الراهنة في السياسة: لو أن هذه الكتلة الوطنية عندما شاع خبر نيَّة فرنسا توحيد القطرين تحت تاج واحد لأسباب كثيرة، قابلت هذا المشروع بالقبول وقالت كما كتب لي هنا فارس الخوري من باريس إلى جنيف وكما قال الشهبندر نفسه: نحن جمهوريون لا نرجع عن الجمهورية، أما إذا كان هناك مصلحة حيوية كاتحاد العراق وسوريا فهو حادث يستشفى يتقدَّم على شكل الحكم. لو قالت الكتلة هكذا لكان تمَّ هذا الاتحاد وكانت فرنسا عرفت أن هذا شيء لا يمكن الوقوف في وجهه وأن الأولى أن تختار السير معه، ولكن الكتلة نظير كل عصبة وطنية تبدأ بداية حسنة وتغدق في الخدمة، حتى إذا نجحت ونالت الثقة يلعب بها الغرور كالاتحاد والترقي مثلاً وكالكماليين وكجماعة الثورة الإفرنسية الخ. نعم الكتلة قد أصابها الغرور أيضاً وظنَّت أنها هي الكل في الكل، وأن من أنا مولاه فَعَلِيٌّ مولاه اللهم عادي من عاداه ووالي من والاه. فالوطن ليس قبل الكتلة بل بعد الكتلة، وهي التي تحدِّد مصالح الوطن وهي الفاتيكان الوطني وهي المعصومة في الأمور الوطنية فلا يجوز مناقشتها الحساب، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. فإذا كان الاتحاد السوري العراقي حياة للعرب فالكتلة هي التي وحدها تقدر هذه الحياة وليس لغيرها أن يحكم... فلهذا لم يبالوا ببرقيتنا الأولى ولا الثانية ولا مكاتيبنا التي نصحناهم بها، ومضوا في سبيلهم ظانِّين أن بونصو هائم وراءهم وأنه سيسلِّم إليهم المقاليد يداً بيد.

وبونصو من المهارة بمكان، فهو قد رأى ووازن وعلم أن الكتلة الوطنية التي تنشز على فيصل واضع أساس الوطنية في سوريا، والذي بيعته في أعناق جميع الكتلة بدون استثناء، تهدِّد الاتحاد السوري العراقي بجميع ما فيه من مصالح لا تُعَد ولا تُحصى كل ذلك حباً بالحكم، فكيف يمكن أن لا تنشز هذه الكتلة في وجه فرنسا وتقاومها ويقع الخلاف بينها وبين السلطة. فبونصو قال: نعم جمهورية، لكنه وضع نصب عينيه جمهورية يرأسها من لقَّبهم بالمعتدلين حتى يديرهم كما يشاء ويعقد المعاهدة التي يشاء. وهكذا خرج الوطنيون المذكورون ـ ولا أقول جميعهم ـ لا من الذين آمنوا ولا من الذين كفروا، وأنا على ثقة أن كثيراً منهم نصحوا رفاقهم ولكن هؤلاء لم يرتدعوا، وعندي هنا تفاصيل لا محل لها، وبالاختصار حالة سيئة جداً جرَّ إليها الغرور.

أما يا أخي أمين، زعم بعضهم ـ ومن جملتهم أحب الناس إلى قلبي رياض بك الصلح ـ أن الاتحاد السوري العراقي لا يستلزم تاج فيصل على القطرين، وأنه مشروع قبضت عليه الأمة العربية بيدها لن تفلته، وأنه يمكن تحقيق هذه الوحدة بواسطة برلماني الشام والعراق الخ. أقول لك وسأكتب إلى رياض حرسه الله وأقول له إن شيئاً من هذا لن يتمّ، وإن جمهورية لا تتفق مع ملكية ولم يسبق لهذا مثال، وإن المقصود ليس عقد محالفة هذا منه كثير حتى بين دول ليست من جنس واحد، بل المقصود وحدة عربية بمعناها الحقيقي أقل شبه لها ما كان بين النمسا والمجر، وأنه لو كانت حصلت جمهورية في الشام لما كانت تقدر على عمل شيء من هذا، ولكان وقع القيل والقال والخصام والنزاع واشتغلوا بعضهم ببعض واضطروا إلى سلطة فرنسا في كل مسألة، فهم بين أمرين إما أن يراجعوا فرنسا ويتقيَّدوا بسلطتها وحينئذٍ فلا استقلال، وإما أن يكونوا مستقلِّين فعلاً وحينئذٍ فالفوضى. هذه هي الحقيقة لمن أراد الحقائق لا الخيالات، وإن العراق إذا انقلب جمهورية ـ لا سمح الله ـ فهي بين أمرين إما الفوضى وتعود إنكلترا فترسل جيوشها ثانية وتحكم مباشرة، وإما تتَّفق إنكلترا مع تركيا وتعطيها العراق وتتعهَّد لها تركيا بحفظ البترول الذي يخصُّها ومنافعها الاقتصادية. ارفع من عقلك أنه يمكن تحقيق وحدة بين العراق بغير فيصل نظراً لمهارته السياسية، ومكانته بين الدول، ومرونته، والعوامل الاقتصادية التي في يده والتي أصبحت طوع إرادته. نعم بعد أربعين سنة مثلاً يجوز أن يصير الشعبان السوري والعراقي من الرقي إلى درجة يتَّحدان بها وهما تحت حكومات جمهورية، فهل يسمح لنا الوقت أن نصبر أربعين سنة؟ الوقت ضيِّق والمستقبل حالك الظلام والحرب الأوروبية آتية ولو تأخرت سنوات، وهي ستكون بدون شك سبباً لتقسيم جديد بين الدول للممالك الشرقية، فإذا بقينا على ما نحن عليه الآن فلا شيء في يدنا نقاوم به أي تقسيم طرأ علينا. . . .

تكذيب شائعات

وأرسل عطوفة الأمير شكيب إلى جريدة «المقطَّم» بمصر رسالة حول أخبار وقضايا ملفَّقة عنه، نشرتها «المقطَّم» في ١٩ شوال سنة ١٣٥١ هـ، ١٦ شباط سنة ١٩٣٢ م. العدد ١٠٠٠٣، جاء فيها:

جنيف ٤ فبراير

حضرة مدير المقطَّم المحترم

اطَّلعت في أحد أعداد المقطَّم الأخيرة على بعض نقاط أرى من اللازم تصحيحها.

أولاً: قول مكاتبكم في بيروت إنه ورد منِّي إلى هناك مكتوب بأني مريض وطريح الفراش من أسبوعين.

استغربت هذا الخبر لأني كل هذه المدة لم أمرض ولله الحمد، ولا كنت طريح الفراش، لا أسبوعاً ولا أسبوعين ولا يوماً ولا يومين، وبالبداهة لم أكتب إلى أحد أني مريض. فمن أين جاءت هذه الإشاعة.

ثانياً: قول مكاتبكم في بيروت إن «رئيس الوفد السوري» في جنيف اتَّفق مع المسيو بونسو، ولم يصرِّح باسم رئيس الوفد السوري ولكنه فيما أظن يعنيني أنا، لأن هذا الخبر ورد في جرائد أخرى عربية وفرنسوية. والحقيقة أنه وإن كان زميلاي الكريمان إحسان بك الجابري ورياض بك الصلح يقدمانني لكوني أسنّ منهما فليس للوفد السوري رئيس ونحن الثلاثة أعضاء.

ثالثاً: إنه لم يقع بين الوفد السوري والمسيو بونسو اتِّفاق كما ذاع، ويا ليته وقع، وقد افترقنا ونحن نقول له: لا يتم عقد معاهدة إلاّ بإدخال جبل الدروز وبلاد العلويين في منطقة الاستقلال وفك الانتداب، وهو يقول: هذه لم يأتِ وقتها بعد... هذه كانت خلاصة الأحاديث الطويلة. فإن كان المسيو بونسو رجع إلى رأينا بعد أن ذهب إلى باريس فذلك ما كنّا نبغي، وإن كان لا يزال على رأيه الذي عرفناه فليس إذاً بيننا ما يقال له اتِّفاق، ولقد أبرقنا إلى جرائد سوريا بالصورة.

أما لبنان فقد اتَّفقنا على أن أمره متروك لأهله، هذا صحيح. فنرجو نشر هذه الأسطر ولكم الفضل.

شكيب أرسلان

تعزية بالشيخ سعيد حمدان

كان المرحوم القاضي الشيخ عادل حمدان حدَّثني عن رسالة بعث بها الأمير شكيب إلى القاضي ملحم حمدان يعزِّيه بوالده القاضي الشيخ سعيد، وبحث عنها ليعطيني إياها فلم يجدها، إلى أن عثرت عليها في العدد ١٣٣٨ بتاريخ ١٨ شباط سنة ١٩٣٢ م، من جريدة «الصفاء» منشورة كما يلي: [حياة يغبطها كل إنسان، ورحمة لا يختلف فيها اثنان].

إني لأتأمل في فقيد البلاد المغفور له الشيخ سعيد حمدان، فأجده من أفراد الدهر ومن أرجح الناس ميزاناً في كل فضل. أتحيَّر في أيّ نواحي فضله هي الجُلّى وأيّ أخلاقه الحسان هو الأعلى، وكيفما نظرت إليه وجدته كما قال القائل:

هـو البـحـر من أي النـواحـي أتـيـتـه

كان الفقيد من أرجح خلق الله عقلاً وأوسعهم علماً، فكان عقله وعلمه يتباريان وهذا منتهى السعادة، وكان يضمُّ إلى هذا العقل الوافر وهذا العلم الزاخر أخلاقاً رضية وشمائل زكية وسعة صدر نادرة وحلماً معنياً وعواطف إنسانية متجلية في كل حركاته وسكناته بأتمّ معانيها، وكان سمحاً سخياً مولعاً بإسداء المعروف وإغاثة الملهوف، برًّا بالناس أجمع باذلاً بشره وإيناسه لكل من يلقاه ورأيه ورفده لكل من يرجوه، وأما إذا كان له صديق فهو الذمام الذي لا تزعزعه الأيام ولا يغيِّره الحدثان، والوفاء الذي لا يفتّ في عضده الزمان مهما كان. وكانت تقوى الله شعاره في جميع مآتيه والعفَّة والحشمة من أكمل الخلال التي امتاز بها منذ ريعان شبابه إلى أن مضى إلى باريه. ولعمري إن سجية واحدة من هذه السجايا لو توفَّرت في إنسان كما توفَّرت في الشيخ سعيد حمدان لكان جديراً بحسن الأحدوثة في العالَمين، فكيف تقول بمن انتظمها كلها عقداً وارتداها كلها بُرداً وأصبح المرء لا يدري أيُّها فيه أبعد مدًّا.

وأما الأدب فكان به فيه القدح المعلّى ما شئت من حفظ ورواية وحكمة ومحاضرة فيّاضة بالنكات والنوادر ومساجلة فضفاضة باللطائف والدقائق، إلى نظم عالي الطبقة جامع بين الرِّقة والجزالة يستعيده السامع لعذوبته ويترنَّم به المنشد لسلاسته، وهناك أيضاً الترسُّل البليغ الجامع لين مباني الأولين ومعاني المحدَّثين مع سرعة الخاطر وسيل العبارات من تلعات الفكر الحاضر كأنها

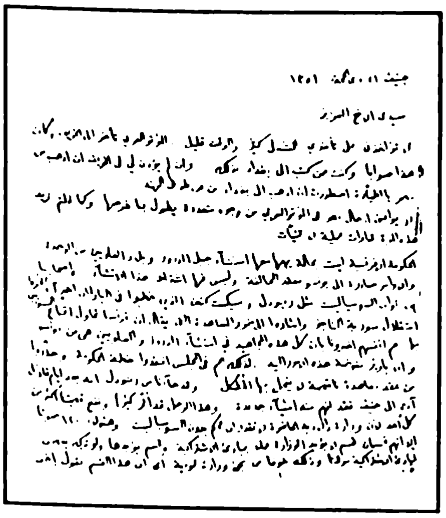
السحب المواطر، فكان الشيخ الفقيد من رؤوس البلغاء والأفذاذ الذين تفتخر بهم طبقة الأدباء.

وأما الفقه الذي هو مزيته الكبرى وخطَّته التي هو فيها لا يُجارى، فلا أبالغ إذا قلت إنه أبو يوسف عصره أو زفر دهره وأنها قد انتهت فيه إليه الرئاسة، ولا نعلم فيمن علمنا فقيهاً أعلى منه كعباً في مذهب النعمان رضي الله عنه، لا سيما أنه عدا الموهبة التي أتمَّها الله عليه في هذا العلم، قد فسح الله في أجله فسحةً أمكنته من المطالعة والتبحُّر والغوص على الدقائق، ما لم يتق لغيره من فقهاء هذا العصر وإن وجد فيه من يساويه في الاطِّلاع، وهو مما لا شك فيه ندوره فلم يكن ليساويه في التطبيق ووضع الآراء موضع الإجراء، لأن الشيخ المرحوم زاول القضاء ما يزيد على خمسين بدون انقطاع وبدون فتور، وكان مجلسه في غير مجلس القضاء غاصًّا لا يخلو من مستفيد ومستفتٍ، وكان المرجع الأول في بلاده لحلِّ المشكلات الشرعية وإيضاح الدقائق الحقوقية، ولم يكن يشغله شيء من أمور الدنيا ولا بيع ولا تجارة عن العلم والفتيا والغوص على درر المسائل، فبلغ من هذا الباب ما لم نعلم أن قد بلغه أحد في زماننا هذا، لأن حلية العلم هي أن يقترن بالعمل ولقد جمع ـ رحمه الله ـ في قضائه الطويل هذا بين العلم والعدل، وكان ممن يراقب وجه الله في أحكامه وممن يتحرَّى فيها مزيد التحري حتى لا تلحق به غمزة منتقد. ولن يبرأ إنسان من الخطأ والله وحده هو الذي له العصمة والكمال، وإنما كان الفقيد ـ رحمه الله ـ من أكثر القضاة تحرُّزاً من الخطأ وسوء القالة واجتهاداً في الوصول إلى الحق.

وبالجملة فقد كان هذا الرجل آية بالغة في قوة عقله وثقوب ذهنه وسعة صدره وشدة صبره وسماحة خلقه وحسن قصده، وناهيك أنه بقي فيما بلغني إلى آخر نسمة من حياته مع هذه السن العالية ومع الإنافة على التسعين لم يفقد شيئاً من قواه العقلية ولا ظهرت عليه عيوب الكبر. فهو من المعمِّرين السعداء الذين رزقوا الحظ الوافر في العمر والعلم وحسن الذِّكر، والذين لبثوا مدة سبعين سنة في الاستفادة والإفادة لم ينحل منها يوم واحد من عمل نافع ومعونة للبشر. فأيُّ إنسان لا يغبط حياة مديدة مفيدة كهذه الحياة، وأيُّ منصف لا يترحَّم على من قضاها بمثل هذه المبرَّات والفضائل والأعمال الجلائل. والله تعالى يتغمَّده برحمته ورضوانه، ويحييه بروحه وريحانه، ويجعل العوض في سليله وأحفاده، ويحسن فيه عزاء قومه وأهل بلاده. وهذه شهادة أدَّيتها تخليصاً للذمة وتقييداً للحقيقة، وما رأيت نفسي أروح وجداناً مما رأيتني إذ أنا أسطر هذه الكلمات، والله على ما أقول شهيد.

شكيب أرسلان

جنيف ١٨ شباط سنة ١٩٣٢



إرجاء المؤتمر العربي في بغداد

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري، من جنيف في ٢١ ذي الحجة ١٣٥١ هـ، ١٨ نيسان سنة ١٩٣٢ م. يذكر فيها أن المؤتمر العربي المزمع عقده في بغداد قد تأخّر إلى الخريف، وأن زعماء السوسياليست والنواب في البرلمان الفرنسي سوف يقفون مع توقيع المعاهدة بين فرنسا وسوريا، وأن الطلبة العرب في باريس يريدون الوحدة بين العراق وسوريا[١].

جنيف ٢١ ذي الحجة ١٣٥١

سيدي الأخ العزيز

لا تؤاخذني على تأخُّري، الشغل كثير والوقت قليل. المؤتمر العربي تأخَّر إلى الخريف وكان هذا صواباً وكنت ممن كتب إلى بغداد بذلك، وإن لم يؤذن لي في الخريف أن أذهب من مصر بالطيَّارة اضطررت أن أذهب إلى بغداد عن طريق الهند.

لا يوافق إدخال مصر في المؤتمر المعربي من وجوه متعدِّدة يطول بنا شرحها، وكما قلتم نريد هذه المرة قرارات عملية لا تمنِّيات.

الحكومة الإفرنسية ليست بحالة يهمُّها معها استثناء جبل الدروز وبلاد العلويين من الوحدة... والأوامر صادرة إلى بونسو بعقد المحالفة وليس فيها اشتراط هذا الاستثناء. وأصحابنا من نواب السوسياليست مثل رينودل وسيكست كنين الذين خطبوا في البرلمان أخيراً وتنجَّزوا استقلال سوريا الناجز وأشاروا إلى ضرر المعاهدة التي يقال إن فرنسا تحاول إقناع السوريين بها... هم أنفسهم أخبرونا بأن كل هذه المجاهيد في استثناء الدروز والعلويين هي من بونسو، وأن باريس مفوِّضة هذه الأمور إليه. لذلك هم في المجلس انتقدوا خطة الحكومة وحذَّروا من عقد معاهدة ناقصة لا ينحلّ بها المُشكل. وقد جاءنا من رينودل أنه بعد أيام قلائل آتٍ إلى جنيف فقد

(١) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

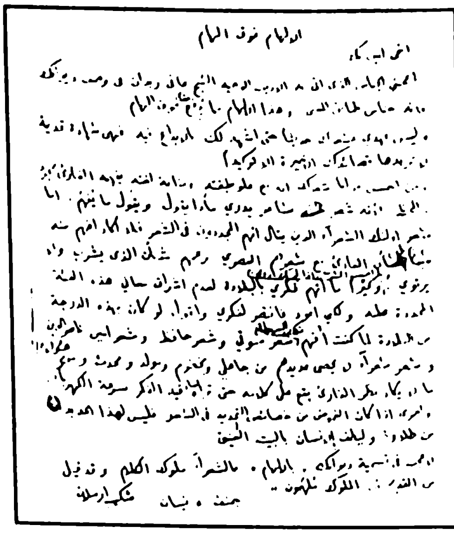
نفهم منه أشياء جديدة. وهذا الرجل قد أثَّر كثيراً ونفع قضيتنا أكثر من كل أحد، لأن وزارة دالاديه الحاضرة لا تقدر أن تحكم بدون السوسياليست. وهؤلاء ١٢٠ صوتاً إلا أنهم قسمان، قسم لا يؤيِّد الوزارة عملاً بمبادىء الاشتراكية، وقسم يؤيِّدها ولو ترك بعض المبادىء الاشتراكية مؤقتاً وذلك خوفاً من مجيء وزارة قومية، أي أن هذا القسم يقول بأخذ الضررين وهذا القسم يرأسه رينودل وقد صار اليوم هو الأكثرية، فعماد الحكومة الحاضرة هو رينودل.

والوزارة تسمع كلامه. لكن إن كان بونسو ينال ما يريده من «وطنيتي» بلادنا فما الحيلة؟

الطلبة في باريس عاقدون اجتماعاً وهم يريدون إصدار قرار بوحدة سوريا، ويقولون إنهم هذه المرة سيقولون بوحدة سوريا مع العراق؟ سرَّنا ذلك منهم وأرسلنا لهم بروغراماً مختصراً فعسى أن ينجزوا ما وعدونا. وأخي إحسان يسأل خاطركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم أبو غالب

شكيب أرسلان



الإلهام فوق الهام

كان الأمير يقرأ ما كان يُرسل إليه من الكتب الأدبية والشعرية والفكرية والتاريخية والسياسية، فيبدي بعض الملاحظات بشأنها، وله رسائل بهذا الصدد منها رسالة بعث بها إلى صديقه الأمير أمين آل ناصر الدين حول ديوانه «الإلهام»، وفيها يشير إلى تقريظ كان قد أرسله إليه المرحوم الشيخ أبو حسن هاني ريدان من عين عنوب. وقد نشرها أمين بك آل ناصر الدين في جريدة «الصفاء» العدد ١٣٤٧، تاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٣٢. وقد مهَّد لها وعلَّق عليها بما يلي:

دخل إسحاق الموصلي يوماً على الخليفة الرشيد فأنشده أبياتاً أعجبته، فقال له: لله درُّ أبيات تأتينا بها ما أشد أصولها وأحسن فصولها وأقلَّ فضولها. فقال الموصليّ: وصفك شعري يا أمير المؤمنين أحسن منه.

وما تفضَّل به العلاَّمة أمير البيان من تقريظ ديوان «الإلهام» هو أحسن من الديوان. فشأني وأنا أحاول شكر منَّته بمثل بلاغته شأنُ من يُخيلُ إليه أنَّ في استطاعته محاكاة اللؤلؤ بالصدف والسجد بالخزف.

وبعد، فقد كان الأمير، وأنا حديث عهد بصناعة القلم، إذا وجد في إنشائي صدعاً رأبه أو رأى خلَّةً سدَّها أو هفوةً نبَّه عليها فأجتنبها. فإذا جاء اليوم يتعهَّدني بحسن ظنِّه وينزلني بفضله فوق منزلتي، فذاك لأني في هذه الصناعة خرِّيجه المستضيء بمشكاته. أطال الله بقاءه وأعزَّ به دولة العلم والأدب.

أخي أمين بك

أعجبني الجناس الذي أتى به الأديب الوجيه الشيخ هاني ريدان في وصف ديوانك، فإنه جناس طابق المعنى. وهذا الإلهام مما يُرفع حقاً فوق الهام.

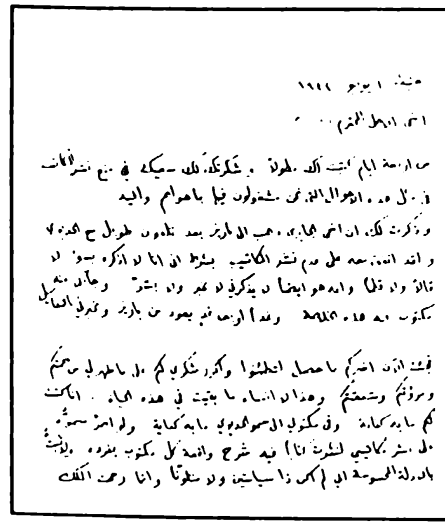
وليس عهدي بشعرك حديثاً حتى أشهد لك بالإبداع فيه، فهي شهادة قديمة لا تزيدها قصائدك الأخيرة إلاّ توكيداً.

ومن أحسن مزايا شعرك أنه مع علوّ طبقته ومتانة لغته يفهمه القارىء بمجرد اللحظ، لأنه شعرُ شاعرٍ يدري ماذا يقول، ويقول ما يُفهم. أما شعر أولئك الشعراء الذين يُقال إنهم المجدِّدون في الشعر فلا أكاد أفهم منه شيئاً، بل شأن القارىء مع شعرهم العصري بزعمهم شأن الذي يشرب ولا يرتوي وما أصعب الشرب إذا لم يكن يروي، وكثيراً ما اتُّهِمَ فكري بالبلادة لعدم إشراق معاني هذه الفئة المجدِّدة عليه، ولكني أعود فأنتصر لفكري وأقول لو كان بهذه الدرجة من البلادة لما كنت أفهم بتلك السهولة شعر شوقي وشعر حافظ وشعر أمين ناصر الدين، وشعر شعراء لا يُحصى عديدهم من جاهلي ومخضرم ومولّد ومحدّث، ومن هؤلاء ما لا يكاد نظر القارىء يقع على كلامه حتى تراه صار قيد الفكر بسرعة الكهرباء. ولعمري إذا كان الغموض من خصائص التجديد في الشعر فليس لهذا الجديد من طلاوة، وليطف الإنسان بالبيت العتيق.

لا عجب في تسمية ديوانك (بالإلهام) فالشعر ملوك الكلام. وقد قيل من القديم: «إن الملوك مُلهَمون».

شكيب أرسلان

جنيف ٥ نيسان



رسائل الأمير إلى الخديوي

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري[١]، من جنيف بتاريخ ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٣٢ م، ٤ صفر ١٣٥١ هـ. يشكر فيها سعيه لمنع نشر المكاتيب التي وجَّهها الأمير إلى الخديوي. ثم يذكر أن الملك ابن سعود أهم عنده من الخديوي، وأنه ما زال يؤيّد اتحاد سوريا والعراق[٢].

جنيف ١٠ يونيو ١٩٣٢

أخي الأجلّ المحترم (الدكتور أحمد قدري)

من أربعة أيام كتبت لك مطوّلاً وشكرت لك سعيك في منع نشر المكاتيب في مثل هذه الأحوال التي نحن مشغولون فيها بما هو أهمّ وأفيَد.

وذكرت لك أن أخي الجابري ذهب إلى باريس بعد تلفون طويل مع الخديوي. ولقد اتَّفق معه على عدم نشر المكاتيب بشرط أني أنا لا أذكره بسوء لا قالاً ولا قلماً، وأنه هو أيضاً لا يذكرني لا بخير ولا بشرّ. وجاءني منه مكتوب فيه هذه الخلاصة، وغداً أو بعد غدٍ يعود من باريس ويخبرني بالتفاصيل.

فجئت الآن أخبركم بما حصل لتطمئنوا وأكرِّر شكري لكم على ما ظهر لي من حميتكم ومروءتكم وشفقتكم، وهذا لا أنساه ما بقيت في هذه الحياة. أنا كتبت لكم ما به كفاية وفي مكتوبي إلى سمو الخديوي ما به كفاية، ولو أصرَّ سموُّه على نشر مكاتيبي لنشرت كتاباً فيه شرح

(١) الدكتور أحمد قدري (١٨٩٣ ـ ....) طبيب وسياسي عربي، التحق بالأمير فيصل سنة ١٩١٨، حُكِم عليه بالإعدام من قِبَل الفرنسيين، فاضطر لمغادرة دمشق لمصر عام ١٩٢٠، ثم أسند إليه الملك فيصل قنصلية العراق في القاهرة عام ١٩٣٠، مثَّل سوريا في كثير من المؤتمرات الدولية العالمية، من مؤسسي جمعية الفتاة في باريس عام ١٩١١، عاد إلى دمشق سنة ١٩٣٦ وعُيِّن أميناً عاماً لوزارة الصحة في دمشق.

(٢) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

وإنما واقعة كل مكتوب بمفرده، ولأثبتُ بالأدلة المحسوسة إني لم أكن ذا سياستين ولا متلوِّناً، رجَّحت الملك فيصل على الخديوي بعد أن استقلَّ العراق وتعلَّق الأمل باتِّحاده مع الشام، فليس في المصلحة العربية القومية ما تقوم له الأهواء الشخصية والعلاقات الخصوصية. ابن سعود أهمّ عندي من الخديوي وأبرّ بي من الخديوي وفيه من الشرف والوفاء والذمام ما لا جدال فيه، ولقد صرَّحت له بمكاتيب طويلة عريضة أني كعربي وكسوري وكمسلم لا أتردَّد في تأييد اتحاد سوريا مع العراق طرفة عين. إذاً إن تردَّدت أكون ساقطاً. ولقد أحببنا ابن سعود لأنه جمع كتلة عربية نحو أربعة ملايين في الجزيرة. أفنحب اجتماع كتلة عربية في الجزيرة ونكرهها في وسط بلادنا ونحن على ما نحن فيه من ذلّ وما يتهدّدنا من أخطار.

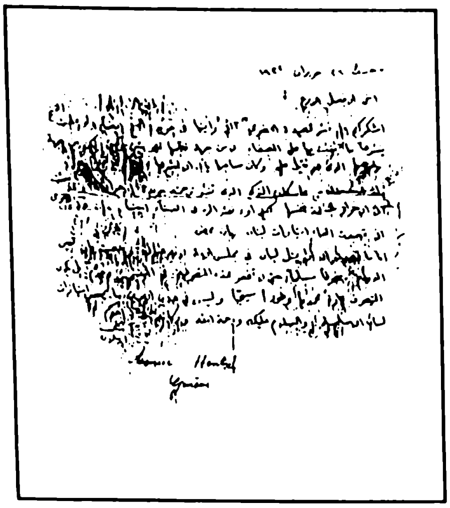
وأما راتب الخديوي فأنا هذا الفقير بذلت على قضية بلادي أكثر مما وصلني به الخديوي بأضعاف، فماذا يقدر هو أو غيره أن يعيِّرني به؟ هل يعيِّر بقبول المساعدات رجل لم يقبلها إلا في سبيل مصلحة وطنية ولم يكن هو الساعي بها، ثم هو يبيع من ملكه بألوف من الجنيهات ليحفظ شرف المهمة التي هو قائم بها.

برغم هذا سررت بكون سمو الخديوي رجع عن تلك الفكرة التي إنفاذها كان سيضرُّه ويضرّ قضية سوريا. ولا عدمت أخوَّتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

شكيب أرسلان

نفي السعي لإلغاء امتيازات لبنان



وهذه رسالة من الأمير شكيب إلى صديقه الأمير أمين آل ناصر الدين، ينفي فيها الزعم أنه قصد يوماً إلغاء امتيازات لبنان. صادرة عن جنيف، بتاريخ ٢٦ حزيران، سنة ١٩٣٢ م.

جنيف ٢٦ حزيران ١٩٣٢

أخي الأفضل الأبرع

أشكرك على نشر قصيدة الحضرمي التي رأيتها في جريدة «الفتح» أيضاً، ولو علمت «الفتح» بنشرها ما ثقلت بها على «الصفاء» لا من جهة نظمها فهو متين رقيق، لكن من جهة موضوعها الذي هو ثقيل عليَّ وكان صاحبها يأبى إلا نشرها.

لقد أرسلت إليك على كلام التركي الذي تنشر ترجمته جريدة «الأحرار». وقد بعثت إلى «الأحرار» بالنسخة نفسها لكني أود نشر الرد في «الصفاء» أيضاً، فإن هذه الدعوى أني قصدت إلغاء امتيازات لبنان بهتان محض.

أنا ما قصدت إلا أن يمثل لبنان في مجلس الأمة لأنه عثماني، وسعيت بأن تعيِّن الدولة متصرِّفاً مسلماً حتى لا تنحصر هذه المتصرفية في المسيحيين وحدهم، بل يكون المتصرف تارةً محمدياً وطوراً مسيحيًا، وليس في هذين الأمرين ما يمسّ امتيازات لبنان الأساسية. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

شكيب أرسلان

9 Avenue Hentsch, Genève

محمد علي بك العابد

رسالة الأمير إلى صديقه محمد علي بك العابد، يهنّئه فيها بتولّيه رئاسة الجمهورية السورية. وقد كان ثمّة ودٌّ قديمٌ بين آله وآل أرسلان. والذي يقرأ بإنعام هذا المكتوب يفهم منه أنه لا يعد الجمهورية في سوريا إلا حكومة مؤقتة، أحسن ما توصف به هي أن تكون مقدِّمة لاتحاد سوريا والعراق تحت تاج جلالة الملك فيصل. وقد نشرت هذه الرسالة في جريدة «الأيام» في شهر تموز عام ١٩٣٢ م.

جنيف ٢٨ حزيران سنة ١٩٣٢

سيدي الأخ محمد علي بك العابد

رئيس الجمهورية السورية الأفخم

إن سروري بتوليكم رئاسة الجمهورية أنت تعلمه من ضميرك ولما كنت عندنا في جنيف أخبرتك بأن الأمنية العظمى عندنا هي اتحاد الشام والعراق تحت تاج فيصل، لا لمجرد التمسك بالشخص بل لأجل الوحدة العربية التي لا ترجى للعرب حياة إلا بها، ولكن إذا كان لا بد من جمهورية في الشام في الوقت الحاضر فإنك أنت المفضَّل على الجميع، نظراً لحسن أخلاقك وسعة اطلاعك ولبعدك عن الضرر لاعتدالك بين الأحزاب. ولما كان قد جرى انتخابك لهذه الرئاسة فقد كنت مغتبطاً بذلك جداً، وكيف لا أغتبط وبيننا من الأخوة والصداقة ما يرجع عهده إلى أربعين سنة فضلاً عما بين العائلتين من الصداقة الموروثة، وإني لأرجو من توفيقك في هذا المنصب العظيم ما أرجوه لوطني وأمتي وأسأل الله أن يجعله عهد فلاح ودور نجاح، وهذه الأماني لا تمنع أن يكون الوفد السوري معترضاً على كيفية الانتخابات التي وقعت وعلى كثير من الإجراءات التي بعدها مجحفة بحقوق الوطن وماسة باستقلال البلاد. وإننا لننتظر أن يكون وجودكم في رئاسة الجمهورية سبباً لصيانة حقوق الأمة السورية وتمامية استقلالها ومقدمة للوحدة العربية التي بدونها تبقى البلاد تحت خطر الاستيلاء والانتقال من يد هذا إلى يد هذا، وفي إهمال هذه الملاحظات العائدة لمستقبل سوريا مسؤولية شديدة علينا جميعاً، لا سيما على الذين يديرون دفة الحكومة، فعسى أن تنال الأمة السورية أمانيها القومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بدور مبدأه رئاسة فخامتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم/ شكيب أرسلان

العراق وعصبة الأمم

وأرسل الأمير شكيب كتاباً إلى الأستاذ منيف الحسيني صاحب جريدة «الجامعة العربية» بفلسطين، حول دخول العراق في عصبة الأمم وملاحظات الأمير شكيب عليها. وقد نشرت في جريدة «الجامعة العربية» بفلسطين في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٣٢. والرسالة صادرة من جنيف، بتاريخ ٦ تشرين الأول سنة ١٩٣٢ م.

جنيف ٦ تشرين الأول ١٩٣٢

حضرة الأخ صاحب الجامعة العربية المحترم

قبلاً أرسلت إليكم بمقالة ويليام مارتين الكاتب السياسي الأشهر، الذي لا يرمي الكلام على عواهنه ولا يوجد سبب يداجي لأجله العرب، بل هو ممن اشتهر بعكس ذلك ومع هذا فقد قال ما قاله عن استقلال العراق ونوَّه بأهمية هذا الحادث وجعل عنوان مقاله «يوم العراق».

على أنه مهما يكن من أهمية كلام المسيو ويليام مارتين في السياسة فليس شيئاً في جانب الرجال المسؤولين ممثلي الدول العظام وسائر الدول التي تتألف منها عصبة الأمم. وهؤلاء لا يصرِّحون بكلمة إلا بعد أن يلوكوها مراراً ويزنوها ويفكِّروا فيما يمكن أن تؤدي إليه، لأن كلامهم كله رسمي إذا صدر عن أفواههم لا يصدر إلا معرباً عن رأي الدول التي هم ينطقون بلسانها.

فواصل إليكم الآن خلاصة ما ألقي من الخُطَب الرسمية الدولية في الجلسة العامة التي جرت يوم الاثنين ٣ أكتوبر بعصبة الأمم، ذلك اليوم الأغر المحجل الذي كان أول يوم سمعنا فيه الإعجاب بالأمة العربية ومزاياها الباهرة ومدنيتها الزاهرة من أفواه ممثلي الدول ورجال الحكومات الرسمية في مجمعهم العام.

لا شك أننا قرأنا كثيراً من التنويه بفصل العرب في كتب مؤرخي أوروبا، وسمعنا أناساً ينصفون مدنيتهم وخدمتهم للعمل في المحافل العلمية والأدبية، ولكنا نقدر أن نقول إن هذه أول مرة سمعنا فيها هذه النغمة في المحافل السياسية.

وعليه أرجو أن تنشروا ترجمة هذه الخُطَب في الجامعة بحرفها مع كتابي هذا الذي فيه ملاحظاتي الخاصة في هذا الموضوع.

أولاً: إن قبول العراق عضواً في جمعية الأمم بصفة دولة مستقلة استقلالاً تاماً ذات سلطان قومي كامل، قد تقرر بإجماع آراء ممثلو الاثنتين والخمسين دولة التي تتألف منها عصبة الأمم.

ثانياً: إن ممثلي الدول الذين هنأوا العراق على استقلاله بخُطَب طنَّانة ليسوا من حزب واحد بل هم من أحزاب مختلفة، ففيهم الشرقي والغربي وفيهم المسلم والمسيحي والبوذي وفيهم الألماني والإفرنسي والإيطالي الخ، وكلهم مع ذلك أجمعوا على الاعتراف بحقيقة هذا الاستقلال والإشادة بفضل الأمة العربية التي من بعض أجزائها العراق.

ثالثاً: إن جريدة جورنال دو جنيف التي نحن مرسلون بها لكم ليست فيها إلا خلاصة الخُطَب التي تُلِيَتْ، ونحن قد بادرنا إلى أحد الصور الأصلية من قلم جمعية الأمم لأجل نشرها في مجلتنا لا ناسيون آراب بحرفها.

رابعاً: إن جورنال دو جنيف اختصاراً لم ينشر شيئاً من نصوص خُطَب ممثلي ألمانيا وإيطاليا واليابان وبولونيا.

خامساً: إن ممثل إنكلترا في جلسة قبل هذه كان قد ذكر ما سيحدثه استقلال العراق من حسن التأثير بين الثمانين مليون مسلم الذين في الهند. إذاً الرابطة الإسلامية بين الشعوب المسلمة غير خافية عن إنكلترا وإذاً هذه الرابطة ليست بالشيء التافه الذي لا حكم له... وفي هذه الجلسة التي شهدناها نحن تكلم المستر سيمون ناظر الخارجية الإنكليزية بكلام لا تنكر أهميته.

سادساً: تصريح آغا خان مندوب الهند، وهذا للمرة الثانية، بسرور أهل الهند باستقلال العراق نظراً لما بين الهند والعراق من الروابط الكثيرة ليس من الأمور التي لا يُؤبه لها.

سابعاً: قد صرَّح أيضاً فروغي خان ممثل فارس بالسرور العظيم الذي يخامر أفئدة الإيرانيين جميعاً من استقلال جيرانهم العراقيين الذين بينهم وبينهم من العلاقات الكثيرة الوطيدة ما لا يخفى عن أحد..

ثامناً: صرَّح بمثل ذلك توفيق رشدي بك ناظر الخارجية التركية وتمنّى أيضاً أن تحصل سوريا قريباً على ما حصلت عليه العراق. وهذا قد أشار إليه كثير من الخطباء الآخرين تلميحاً لكن توفيق رشدي صرَّح به تصريحاً. ومساء ذلك اليوم اجتمع محرر هذه السطور مع توفيق رشدي بك في المأدبة الحافلة التي أقامها نوري باشا السعيد رئيس نظار العراق لممثلي الدول فقال محرر هذه السطور: هذه أول مرة أشكركم بها لأن الاعتراف بالجميل واجب وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ثم أدى البحث بيننا إلى جدال على مسائل أخرى ليس هنا محلها أظهرنا له فيها أنهم لم يكونوا على صواب.

تاسعاً: كلام رئيس الجمعية هذه المرة المسيو بوليتيس ممثل اليونان كان له مغزى كبير، وقد نوَّه بمآثر العرب فيما تلقوه من المدنيات القديمة وما أضافوه من عندهم إليها، حيث حلّوا تنويهاً غاظ أولئك الذين يغصون بذكر مجد العرب في التاريخ، ومن جملة هؤلاء جريدة «الجورنال» الباريسية التي رأت في كلام المسيو بوليتيس اعترافاً ضمنياً بأن جميع من هو باق من الأمة العربية تحت حكم الأجانب يجب أن يتحرر، وهذا كما لا يخفى لا يوافق أهواء الاستعماريين من الفرنسيس.

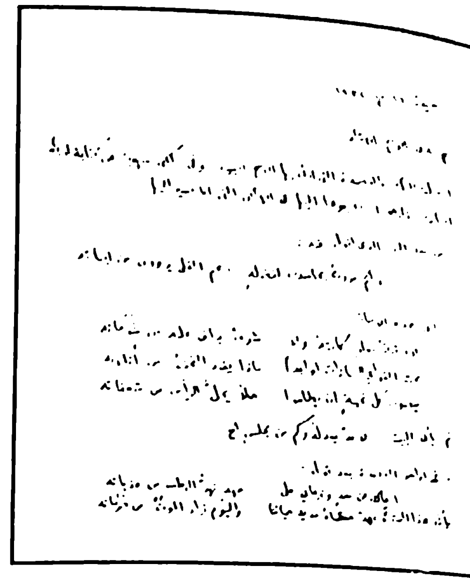
عاشراً: برغم هذه النزعة المنكرة التي عند الاستعماريين من الفرنسيس لم يقدر المسيو «بيارنجه» ممثل فرنسا إلا أن ينوِّه أيضاً بفضل العرب. وكان قد تكلم بمثل ذلك في جلسة من قبل. وكنا قابلناه أنا وسعادة أخي الجابري مقابلة طويلة فوعد بأنه سيتكلم أيضاً في حفلة دخول العراق في جمعية الأمم بما يوافق أمانينا من جهة سوريا. نعم إن كلامه الثاني الذي وعد به خلا من التصريح الذي جاء في كلام ناظر خارجية تركيا ولكنه لا يفيد أن فرنسا تأبى الاعتراف في زمن غير بعيد باستقلال سوريا كما هو الآن دائر في جميع الأندية السياسية.

حادي عشر: إن ممثل بولونيا ـ مع أنها صديقة فرنسا ـ قد قال في خطبته إن بولونيا التي تحملت من تسلُّط الأجانب ما تحمَّلته مدة حقب طويلة، تفرح أشد الفرح لاستقلال العراق وتقدر قدر الحرية أكثر من غيرها.

ثاني عشر: إن ممثل يوغسلافيا الذي كان محرر مضبطة استقلال العراق قد نصح نصحاً بليغاً وأخلص إخلاصاً كبيراً للقضية العراقية، ونحن لما كنا مؤخراً في بوسنة والهرسك كنا ذكرنا ذلك لكل من والي سرايفو ووالي بانالوقا، ورجوناهما أن يبلغا الحكومة اليوغسلافية شكرنا بلسان العرب لخطة المسيو «ينيتش» ممثلها في جمعية الأمم نظراً لما اجتهده لأجل مصلحة العرب. وكنا على ثقة أن المندوب اليوغسلافي المشار إليه لم يعمل ما عمله إلا رعاية لمسلمي يوغسلافيا الذين تراعي حكومة تلك المملكة خواطرهم. ولما كنت بين أظهرهم كانوا يسألونني في مجالس خاصة وعامة عن جميع المسائل المتعلقة بالعالم الإسلامي، وبخاصة المسائل المتعلقة بالعالم العربي وما كنت أشعر أن اهتمام العرب بأنفسهم يفوق اهتمام مسلمي يوغسلافيا بهم. بل أقول: يا ليت بعض العرب يتمنّون للقضية العربية من النجاح معشار ما يتمنَّاه مسلمو يوغسلافيا وألبانيا وبلاد البلقان.

بل يا ليت القضية العربية تخلص من شر أناس من العرب... ولكنها سائرة إلى الأمام ولله الحمد برغم آنافهم. وما من سياسي اليوم في أوروبا إلا وهو موقن بأن العرب سائرون بأجمعهم إلى أمرين: الاستقلال والاتحاد.

شكيب أرسلان



ديوان الأمير شكيب أرسلان

وهذه رسالة من الأمير أرسلها إلى خليل مردم بك من جنيف، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ م، طالباً إليه إضافة بعض الأبيات على قصيدته الهائية في رثاء أمير الشعراء أحمد شوقي، وكان الأمير قد أرسل إليه مخطوط ديوانه الشعري وكلَّفه أن يشرف على تصليح مسودَّاته، في مطبعة ابن زيدون في دمشق[1].

جنيف ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢

سيدي الأخ الأستاذ

أرسلت إليك بالقصيدة التي أرثي بها الأخ الحبيب شوقي لكني سهوت عن كتابة أربعة أبيات، فأرجو أن تضيفوها إليها في الأماكن التي أنا مشير إليها:

من بعد البيت الذي أقول فيه:

ولكـم مـررتُ بحـاسـديـن لفضلـهِ   رغـم القلـى يـروون مـن أبيـاتـه

تأتي هذه الأبيات:

لا رتبـــةُ تعلـــو مكـــانتـــهُ ولا   شـرفٌ يُنـاف عليـه مـن شُـرُفـاتـهِ
نحَـتَ القـوافـي السـائـراتِ أوابـداً   مـاذا يفيـد النحـتُ مـن أثَـلاتـه
ينضـــون كـــل نجيبـــةٍ أن يطلعـــوا   جبـلاً يحـلُّ الـرأسَ مـن شَعَفـاتـهِ

ثم يأتي البيت: لا ندَّ يعد لهُ وكم من مجلسٍ... الخ.

وفي أواخر القصيدة بعد قولي:

أرعـاكَ عـن بعـدٍ وتـرعـانـي علـى   عهـد نهـزُّ الـرطـب مـن عَـذَبـاتـهِ

---

(١) من محفوظات المجمع العلمي العربي بدمشق.

يأتي هذا البيت:

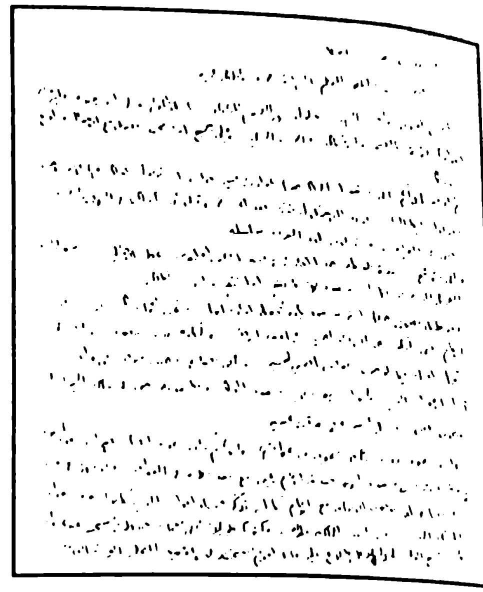
عهــدٌ حفظنــاهُ مــديــدَ حيــاتنــا والـيــوم زاد المــوتُ مــن حُــرُمــاتــهِ

فأرجو أن تأمروا بكتابة هذه الأبيات في أماكنها، فإن وصل كتابي هذا قبل الأربعين تقرأ أيضاً القصيدة، وإن لم يصل تُنشر فيها عند الطبع وأشكر لطفك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخــوك

شكيب أرسلان

9 Avenue Hentsch, Genève



الخلاف بين اليمن والسعودية

رسالة إلى ملك العراق فيصل الأول، مؤرخة في ٢٠ شعبان ١٣٥١ هـ، ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٢ م، صادرة عن جنيف، يبسِّط له فيها وجهات نظره لقضية عسير المنطقة التي كان الخلاف قائم حولها بين الإمام يحيى عاهل اليمن وابن سعود عاهل المملكة العربية السعودية، لافتاً النظر إلى مطامع إيطاليا في احتلالها، وأن استمرار هذا الخلاف يشجعها على ذلك، وخصوصاً في حال وجوب الخلاف بين الدول العربية. وختم هذه الرسالة بأربعة اقتراحات تؤول إلى تسوية هذه القضية بإرضاء الإمامين يحيى وسعود والإمام الإدريسي الذي هو في الأساس صاحب تلك البلاد.

جنيف ٢٠ شعبان ١٣٥١

جلالة سيدنا الملك المعظَّم أدام الله نصره وأطال عمره

أقدم لمولاي واجب التهنئة بحلول شهر الصوم المبارك سائلاً المولى تعالى أن يعيده عليه وآله أعواماً كثيرة بالصحة والإقبال والعز والتمكين وعلى جميع أمة محمد بصلاح الأحوال وبلوغ الآمال.

ثم أعرض لجلالتكم أني مشغول البال جداً بحوادث عسير خائف أن تؤول الحالة فيها إلى ما يوجب احتلال إيطاليا. وبهذا الاحتلال ينتثر عقد الجزيرة وتتلاشى آمالنا في النهضة العربية حتى في العراق وسوريا لأن بلاد العرب سلسلة.

وإني متوقع من مدة طويلة هذا الحادث في عسير لما كنت أعلمه من سخط الأهالي بسبب سوء إدارة العمال الذين من قِبَل ابن سعود لا سيما بعد أن اشتدت الأزمة المالية.

وقد طالما نصحت جلالة ابن سعود بأن يجعل إمارة الأدارسة تحت الحماية المشتركة بينه وبين الإمام يحيى، ليكون هذا الاتحاد أهيب في أعين الأجانب وليكون لابن سعود شريك في تحمُّل الحملة فيما لو جرى تعرُّض أجنبي لعسير. ولكن نصائحي ذهبت صرخة في وادي بسبب

آراء الأعوان الذين كانوا يزيِّنون لابن سعود المحال ويطعمونه حتى في ملك اليمن الأصلي، فالآن انفتحت مسألة عسير وفي وقتٍ عسير.

وابن سعود بدون شك متخوِّف من عواقبها والإمام يحيى متخوِّف أيضاً ينصح ابن سعود بالتؤدة، وقد يثبت لابن سعود الآن صدق الإمام يحيى مع بُعد نظر في العواقب ولا شبهة في كونه تذكَّر نصائحي له بوجوب الاتفاق مع الإمام، كما أنه تذكَّر فساد أعوانه الذين كانوا يغرونه بعداوة المشار إليه. قد كتبت للملك عبد العزيز مكتوباً طويلاً ثماني صفحات حفظت نسخته عندي، وإن كان يتسع الوقت لجلالتك للاطِّلاع عليه فإني أقدِّم نسخته لأن موضوعه المصلحة العربية العامة. ملخص كتابي لابن سعود:

أولاً: أن يتحالف مع الإمام يحيى على إخماد الثورة ولو لزم أن ينزل للإمام عن إمارة الإدريسي كلها.

ثانياً: أن يتحالف مع الإمام محالفة دفاعية فيما إذا وقع تعرُّض أجنبي لسواحل اليمن أو الحجاز.

ثالثاً: أن يتجنبا استعمال الشدة والإسراف في القتل لئلا يحرجوا الأهالي فيطلبوا معاونة الطليان.

رابعاً: إن أصرَّ الإدريسي على استرداد إمارته يردون عليه إمارته على شرط أن تبقى تحت حماية كل من الإمامين يحيى وابن سعود وأن لا يكون للإدريسي حق الاتصال بالأجانب رأساً.

خامساً: أن ينتدب السيد أحمد الشريف السنوسي ليذهب إلى عسير ويقنع الإدريسي بالصلح، ولا أرتاب في كون السنوسي يقنع الإدريسي خوفاً من تدخُّل إيطاليا.

هذا وقد انتهزت هذه الفرصة لأبيِّن لجلالة ابن سعود الضرر الذي ألحقه به أعوانه بما قاموا به من مقاومة الاتحاد العراقي السوري، وما ألحقوا به من الضرر بالقضية العربية وقلت له: «لو كان الأجانب يعلمون أنهم إن احتلوا عسير تقوم عليهم العرب المتحالفون من حلب إلى عدن ومن البحر المتوسط إلى بلاد فارس ما كانوا يفكِّرون بشيء من هذا، ولا كنّا نحن الآن نرتجف خوفاً من احتماله».

هذا ما كتبت إليه منذ أيام ثم أبرقت إليه بإرسال الشيخ السنوسي إلى عسير لإقناع الإدريسي بالصلح، وأنا الآن أعرض على جلالتكم بعض آراء وقبولها، وعدمه عائد إلى حكمة جلالتكم.

أولاً: شائع تدخُّل الأمير عبد الله وجماعته الآن في ثورة الإدريسي كما في ثورة ابن رقاده، فالذي توجبه السياسة هو منع هذا التدخُّل لأنه إن انتهت هذه الفتنة بتدخُّل الطليان في عسير جعل الناس أخوتكم مسؤولين عن هذه المصيبة، وقالوا إنهم هم الذين فتحوا الباب، ولم يكن هذا الخطر يخافِ على مثلهم.

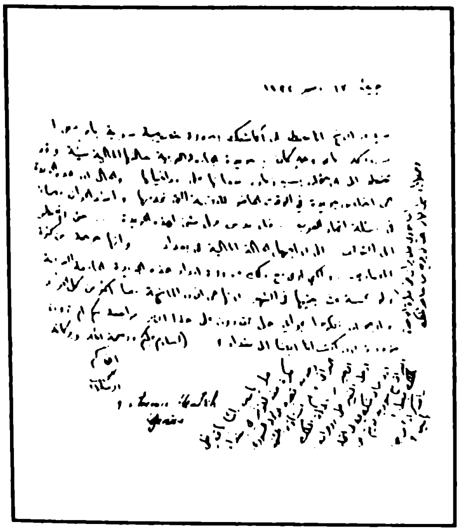
ثانياً: أن تبرقوا لابن سعود بأنكم حاضرون لمعاونتكم بالجنود في عسير وفي أي محل اقتضى الأمر، وأن لا مطمع لكم سوى إعادة السكينة والقيام بواجب الأخوة.

ثالثاً: أن تبيِّنوا له أن تفكُّر المفكرين بتحالف ملوك العرب وبالوحدة العربية لم يكن لمطامع شخصية أصلاً، بل كان احتياطاً وراء صيانة البلاد العربية من اعتداء الأجانب الطامحين إليها وهذه الصيانة لا تتأمن إلا بالاتحاد.

رابعاً: أن تكون حكومة العراق على استعداد تام بإزاء هذه الحوادث لئلا تحدث فتن وتنفتق فتوق يوجب تطاولها دخول العراق لإعادة السكينة، لا سيما أن الحجاز مكان يهمّ جميع العرب وجميع المسلمين أمر المحافظة عليه.

هذا ما رآه هذا العاجز وحكمتكم أوسع وبصيرتكم أشف ورأيكم أعلى والله يؤيدكم في جميع أعمالكم والسلام على مولاي ورحمة الله وبركاته.

شكيب أرسلان



جريدة الجامعة العربية

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري، بتاريخ ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٢م، ١٧ شعبان ١٣٥١هـ. يذكر له فيها عجز الحالة المالية لجريدة الجامعة العربية التي تصدر في فلسطين، ويدعوه إلى مساعدتها بالإمكانات المتوافرة، ويسأل هل أنَّ ياسين باشا في بغداد باقٍ على فكرة عقد المؤتمر، وخدمة قضية الاتحاد السوري العراقي؟(١).

جنيف ١٧ ديسمبر ١٩٣٢

سيدي الأخ

أنا مضطر أن أكاشفك بصورة خصوصية سرية بأمر ينبغي أن نستدركه بأي وجهٍ كان: جريدة الجامعة العربية حالتها المالية سيئة، وقد تضطر إلى الاحتجاب بسبب زيادة نفقاتها على مداخيلها. والحال أن هذه الجريدة هي أخلص جريدة في الوقت الحاضر للقضية التي نخدمها وأشد الجرائد مضاءً في مسألة اتحاد العرب. فلا بد من عمل شيء لهذه الجريدة... حتى لا تضطر إلى التوقُّف. إني لا أجهل الحالة المالية في بغداد... وإنها حرجة من كثرة المصاريف.. ولكني أرى مع ذلك ضرورة إمداد هذه الجريدة الجامعة العربية ولو بخمسة عشر جنيهاً في الشهر لأنها هي الآن الماضية معنا أكثر من كل الجرائد، وأرجو أن تتكرموا بجوابي هل تقدرون على هذا الأمر بمراجعة منكم أم ترون ضرورة لأن أكتب أنا أيضاً إلى بغداد؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شكيب أرسلان

9 Avenue Hentsch, Genève

هل ياسين باشا باق على فكرة عقد المؤتمر في بغداد وخدمة قضية الاتحاد السوري العراقي؟ أم استياؤه الشخصي الأخير من جلالة الملك أدخل التغير على بروغرامه؟ إنه مما لا شك فيه أن اتحاد العراق مع سوريا لا يتم إلا بالملك فيصل. ما عندكم إذاً من جهة ياسين؟. أما نوري فلا يزال على فكرة واحدة ونحن وإياه ليل نهار وهو لا يخرج من خاطر الملك.

---

(١) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

تكذيب مزاعم

كتاب من الأمير شكيب إلى صاحب جريدة «الصفاء» يطلب إليه وثائق تظهر خدماته نحو الكثيرين من أبناء لبنان، وتكذّب مزاعم بعض الجواسيس والمغرضين. صادر عن جنيف بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م[1].

جنيف ١٦ شوال ١٣٥١

أخي الأجل الأفضل لا عدمته

أخذت كتابكم وفهمته وشكرتكم شكراً جزيلاً ولكني يا أخي أنا بهذه المدة ما مرضت أصلاً، ولا أعلم من أين جاء خبر أني اعتللت وإني ملازمٌ الفراش؟ وقد سمعت أن جريدة «القبس» بالشام نقلت هذا الخبر عن بيروت قائلة إنه ورد مني مكتوب إلى أحد أصحابي أقول له فيه إني طريح الفراش من أسبوعين. وهذا لا أثر له من الصحة إذ كيف يُعقل أن أكتب أني مريض وأنا غير مريض.

الخلاصة أرجو منك أن تكتب في «الصفاء» ما يلي:

«كتبنا إلى الأمير شكيب أرسلان نستفسر عن صحته نظراً لما نشرته بعض الجرائد من خبر التياث مزاجه. فأجابنا بأنه في هذه المدّة كلها لم يمرض وأنه متعجِّب من أين جاء خبر مرضه. وقيل له إن جريدة القبس في دمشق نقلت هذا الخبر عن بيروت عن مكتوب زعموا أنه ورد منه يقول فيه إنه ملازم الفراش من أسبوعين. والأمير يقول: ما مرضت ولا لازمت الفراش لا أسبوعاً ولا أسبوعين ولا يوماً ولا يومين، وبديهي أني لم أكتب أني مريض أنا لله الحمد صحيح مُعافى. فمن أين جاؤوا بهذا الخبر ولماذا؟ لا أعلم. غاية ما أعلم أنه لا أصل له».

هذا وكنت كتبت إليك في ٢٧ كانون الثاني كتاباً أسترعي فيه نظرك إلى حملة موجَّهة عليَّ من قِبَل جواسيس أتراك، يرأسهم كمال الذي كان مستنطق في (عاليه) أيام الحرب والذي بافترائه وتزويره أوقع معتقلي عاليه بعضهم ببعض وجعل بعضهم يشهد على آخرين ويقول للواحد: فلان

---

(١) من وثائق الأمير نديم آل ناصر الدين.

شهد عليك أنك عملت كذا وقلت كذا وكذا له بزعمه ما قال الآخر فيغضب هذا فيقول له: بل هو الذي فعل كذا وقال كذا وهكذا أخذ بالاحتيال والاختلاق شهادات بنى عليها جمال باشا ما أراد من قتلهم.

كمال هذا جاء يختلف عليَّ هذه المرة انتقاماً عن حملاتي على تركيا الكمالية، تلك الحملات التي كان السبب فيها نشر الإلحاد والإباحة.

وقد واطأه على ذلك شاب يكاتب «الأحرار» اسمه فؤاد ميداني، وأخذ يترجم كتابته وهو يكتم اسمه عمداً حتى لا يُعرف أنه هو كمال الخبيث المزوِّر المشهور.

كتبت إليك لتنبيهك إلى هذه الدسيسة.

ثم بعد ذلك أرسلت إلى «العهد الجديد» ثلاث مقالات. وأنجدني حسين بك الأحدب بشهادة ذات قيمة عظيمة، وهي أني كنت ذكَّرته في عرض كلامي على ما سعيته لحفظ امتيازات لبنان، أني لمَّا أراد علي منيف بك أن يتلو خطاباً على أثر تعيينه لمتصرفية لبنان حملته على تأمين اللبنانيين على امتيازاتهم. وبناء على ذلك لم يعمل ذلك الخطاب حتى أطلعني عليه ونقَّحت منه بقلمي وقوَّيت فيه العبارات المتعلِّقة بامتيازات الجبل. واستشهدت بعلي منيف الذي لا يزال حيًا وقلت: من شاء فليسأله. وأما صورة الخطاب المذكور فلم تكن محفوظة عندي. فقلت اطلبوها من الجرائد.

فانبرى حسين بك الأحدب بمحض مروءته وأبرز الخطاب المذكور الذي كان محفوظاً عنده ونشره في «العهد» وذكر أني نقَّحت ما نقَّحت منه بقلمي تقوية للعبارات المتعلِّقة بامتيازات لبنان، فقَبِل أن نطلب شهادة علي منيف شهد حسين الأحدب بالواقع لأنه كان يومئذٍ رئيس القلم التركي وهو الذي قرأ الفرمان والخطاب في ميدان بعبدا. إني شكرته كثيراً ولو لم يقل إلاّ الواقع ولو لم يعمل إلاّ الواجب. وذلك لأنه صادف أني أدَّيت مائة خدمة أثناء الحرب، وأن ناساً جاؤوا يفترون عليَّ ويكابرون في خدماتي وعرف مكابرتهم ألوف من الناس الذين يعلمون أن هؤلاء المفترين هم مفترون، ومع هذا فلبثوا ساكتين كأنهم لا يعلمون شيئاً.

وأغرب من هذا أن هذا السكوت كان يقع حتى من أنفس الذين أسديت إليهم ما أسديت من الجميل. نسوا تعبي من أجلهم وتفريجي من كروبهم ولم يشاؤوا ـ إلاّ النادر منهم ـ أن ينشروا كلمة يقولون فيها: نعم هكذا حصل.

أما حسين بك الأحدب، فلما اطَّلع على افتراء هؤلاء بحقي وعلى ردِّي واستشهادي بعلي

منيف وبخطابه وقولي: لا بدَّ أن يكون هذا الخطاب مطبوعاً في الجرائد، أبرز الخطاب بنفسه ونشره وأعلن قائلاً: نعم أنت نقَّحت الخطاب بقلمك.

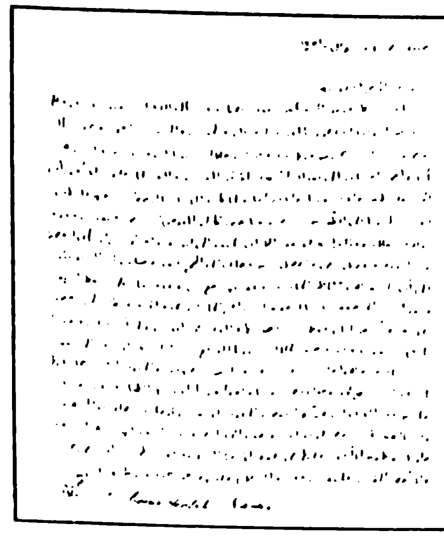
أكون شاكراً لك إن نشرت مقالاتي أو بالأقل خطاب علي منيف، وما جاء في «العهد الجديد» عن كونه تُرجم تحت إشرافي وتنقَّح بقلمي، ومنه يظهر جلياً اختلاق الجاسوس الذي زعم أني كنت أعمل للخلل بامتيازات لبنان.

ولا عدمتك سنداً وركناً ودمت.

لأخيـك

شكيب أرسلان

ومن اختلاقات هؤلاء أني أنا بعد شنق القافلة الأولى عملت حفلة لجمال باشا. أرجو منك أن تراجع مقالاتي بتدقيق، ففيها الجواب على كل مادة بمفردها.



المؤتمر العربي في بغداد

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري، من جنيف في ٢٣ شوال ١٣٥١ هـ، ٢٦ كانون الأول ١٩٣٢ م. يذكر فيها أن الملك فيصل يريده أن يذهب وإحسان الجابري لحضور المؤتمر العربي في بغداد، وفيها يطلب إليه السعي لدى السلطات المصرية السماح له بالمرور للذهاب إلى فلسطين، ومن ثم إلى لبنان لمشاهدة والدته[1].

جنيف في ٢٣ شوال ١٣٥١

سيدي الأخ لا عدمته

تلقيت بطاقتكم البتريكية بعيد رمضان وأسأل الله أن يعيده عليكم وعلى ذويكم أعواماً لا تُحصى بالعزّ والإقبال والخيرات والمسرّات. أخي، يوجد خصوصية أريد همَّتكم فيها، وذلك أن جلالة سيدنا أيّده الله يريد أن نذهب أنا وأخي إحسان إلى بغداد لشهود المؤتمر العربي، ولكنني كما تعلمون لا أقدر أن أمرَّ بفلسطين ولا بسوريا ولا بتركيا، ولمّا كان الأمل بالرخصة من جهة فلسطين أقرب كتبنا إلى أنطونيوس صديقنا حتى يُكالم المفوض السامي، فبعد أن وعده بذلك تعلَّل وقال إنه لا يقدر إلا أن يكتب إلى لندره. وأخشى أن لا تأتي الرخصة من لندره ويحصل معي ما حصل سنة ذهابي إلى الحج. فقد وصلت المسألة يومئذٍ إلى أن المستر هندرسون ناظر الخارجية وعد ثم رجع عن وعده بناء على ضغط اليهود. ولقد كتبت إلى جعفر باشا أرجوه أن يراجع الخارجية هذه المرة ويطلب لي رخصة ثلاثة أو أربعة أيام فقط أشاهد بها والدتي في القدس، ولي أمل ولكن ضعيف بأنهم يسمحون، وقد عرضت لجلالة سيدنا الواقع مسترحماً منه الإبراق إلى جعفر إن شاء، ومع هذا فأنا أريد أن تجرّبوا أنتم من جهتكم مع الحكومة المصرية هل يمكنها يا ترى أن تسمح لي بدخول مصر يوماً واحداً حتى أركب منها الطيارة إلى بغداد. يمكنكم من الآن أن تجسّوا نبض الحكومة لأنه إن لم يمكن ذهابي من فلسطين ولا بالطيارة من مصر، لزم أن

---

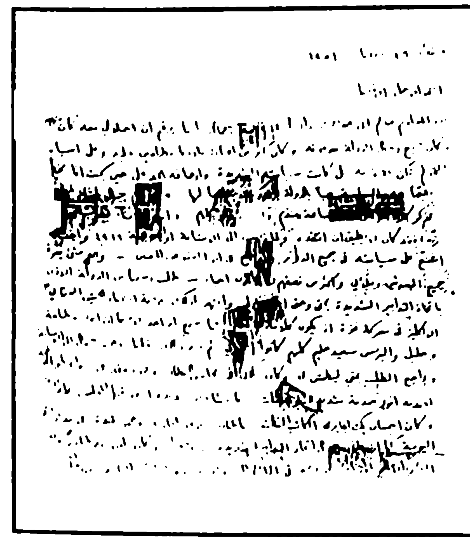
(١) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

أذهب إلى البصرة عن طريق الهند، وهذا طريق طويل وكلفة لا أقدر عليها في هذه الأزمة الشديدة، أو اضطررت أن أبقى ولا أحضر المؤتمر، فكيف ترون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوك

شكيب أرسلان

9 Avenue Hentsch, Genève



الأمير وجمال باشا والسياسة التركية

بعث الأمير شكيب بالرسالة التالية، من جنيف، المؤرخة في ٢٩ رمضان ١٣٥١ هـ، الموافق ٢٧ كانون الأول سنة ١٩٣٢ م. إلى صديقه الأمير نديم آل ناصر الدين، يردُّ فيها على منتقدي تعاونه مع جمال باشا، ثم يقبّح السياسة التي اتَّبعها مصطفى كمال، ويذكر نيَّات الترك تجاه حلب وإسكندرونة، والحملات ضده التي قادها رجل اسمه كمال في دوائر المخابرات التركية، إلى غيرها من القضايا المهمة التي طرحها الأمير في هذه الرسالة.

جنيف ٢٩ رمضان ١٣٥١

أخي الأجل الأفضل

من المعلوم عندكم أني هُوجمت مراراً في قضية جمال باشا برغم أن اختلافي معه كان شهيراً، وكان جميع رجال الدولة يعرفونه، وكان كثير من أعيان بلادنا مطَّلعين عليه وعلى أسبابه التي لم تكن خصوصية، بل كانت سياسته الشديدة وإرهافه الحدّ على حين كنت أنا مخطِّئاً له ثم مقبِّحاً هذه السياسة حباً بالدولة التي كنت مخلصاً لها. وقد ندم جمال باشا فيما بعد وتذكَّر كلامي، ولكن لات ساعة مندم ولا متذكر كلام. وأما في أثناء غطرسته ومنكرة عزّه فقد كان لا يطيق أن أنتقده، ولمّا ذهبت إلى الأستانة في أواخر سنة ١٩١٦ وأخذت أشنِّع على سياسته في جميع الدوائر وأراجع في أمر العفو عن المنفيين ـ وهو شيء يعرفه جميع المبعوثين زملائي وأكثر من نصفهم لا يزالون أحياء ـ طلب رسمياً من الدولة الإذن له باتِّخاذ التدابير الشديدة بحقِّي وحق أخي عادل. وانتهز لذلك فرصة انتصار الجيش العثماني على الإنكليز في معركة غزة، إذ يكون كلامه نافذاً فما سمع له أحد لا سيما أن أنور وطلعة وخليل والبرنس سعيد حليم كلهم كانوا أصحابي. ثم بعد ذلك بقليل ذهب جمال إلى الأستانة وراجع الطلب بحقي ليبطش بي، وكان ذلك في مجلس النظَّار وهو منعقد في سراي طولمة بغجة فصدمه أنور صدمة شديدة وحصلت بينهما مشاحنة شديدة انتصر فيها المجلس كله لأنور، وكان إحسان بك الجابري الكاتب الثالث للسلطان فعرف بالحادثة وهي مقيدة في مذكَّراته اليومية، كما أن طلب جمال اتِّخاذ التدابير الشديدة بحقي وحق أخي، كان تلفن به طلعة

وهو الصدر الأعظم إلى الجابري وهو في المابين الهمايوني. وهذه الحادثة الثانية مقيدها أحمد بك في مذكراته اليومية. ولما أخذ بعض أعدائنا السياسيين في مصر يتهموننا بأننا كنا من أعوان جمال باشا، نقلنا تلك الجمل من مذكرات الجابري بنصِّها التركي ـ لأنه كان يكتبها بالتركية ـ ونشرناها في جريدة «الشورى». ثم إن المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش انبرى وكتب مقالاً في «الشورى»، ومهَّد بما عرفه من نيَّة جمال البطش بي. ثم إنه لمَّا كان جمال قد قال أمام الدكتور أحمد فؤاد المصري الذي كان في دائرة الأمن العام في استنبول هذه الجملة: «أنور باشا أو لمازسه أيدي شكيب أرسلان بكي آصار دم» أي لولا أنور باشا لشنقت شكيب أرسلان بك. وذكر الشيخ جاويش هذه الجملة. وبعد ذلك ذهب صاحب «الشورى» محمد علي الطاهر إلى الدكتور فؤاد وأراد أن يستنطقه بأسلوب فذكر كلاماً يُفهم منه أني أنا كنت من أعوان جمال باشا! ففي الحال اعترض عليه الدكتور فؤاد وقال له: أنا أعلم الناس بالعداوة التي كانت بينهما، ولي أنا قال جمال باشا: لولا أنور لشنقت شكيب أرسلان بك. وذكر له القصة. والشواهد التي عندي على عداوة جمال لي وعلى أنه لم يكن لها أدنى سبب خصوصي لي، بل كانت من أجل انتقادي سياسة الشنق والنفي التي سار جمال عليها وأضرَّ بالعرب والترك معاً هي كثيرة وبيدي عليها وثائق. وأنا مهيِّىء كتاباً للطبع اسمه «البيان عما شهدته العيان وعمن شاهدته من الأعيان من إعلان الدستور العثماني إلى الآن» منه جزء خاص بسوريا أيام الحرب.

ولم أنتظر نشر هذا الكتاب الذي منه قسم كبير لم يكمَّل بعد، بل سنة ١٩٢٢ نشرت في «المنار» خلاصة معارضاتي لجمال باشا في القتل والنفي، ونقلت ذلك جرائد كثيرة كالبيان في نيويورك وكالصفاء فيما أتذكر. وبعد ذلك لمَّا كنت في أمريكا سنة ١٩٢٧ أرادني بعض إخواننا المسيحيين على نشر شيء من هذا الموضوع، فحرَّرت سلسلة مقالات في «مرآة الغرب» فيها شرح أطول مما كنت كتبت في «المنار». ولقد كان ذلك في الجواب على التُّهم الموجَّهة من بعض المسيحيين الناقمين على سياستي العربية الاستقلالية... المشفوعة بسياستي الإسلامية وهناك الطامة الكبرى عند بعضهم كما لا يخفى. ثم لمَّا حصل الخلاف بين السوريين بمصر جاءتنا الضربة هذه المرة من بين مسلمي العرب وعادوا إلى مزاعم أني كنت شريكاً لجمال باشا في أعماله. واضطررنا لردود كثيرة وردَّ عنا أناس مثل الشيخ كامل القصاب الذي هو نفسه اعتُقِل «بعاليه» وأمير الألاي محمد بك إسماعيل الذي كان بعاليه وغيرهما. ولكن كونوا على ثقة أن أكثر الذين كانوا يحملون هذه الحملات عليَّ سواء من النصارى أو من المسلمين كانوا عارفين بالحقيقة، ولكنهم كانوا يريدون التشنيع والتشفِّي وكانوا يتولّون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

والآن جدَّت علينا حملة ثالثة وهذه من مصدر آخر، وذلك أني كما هو معلوم أُقبِّح السياسة التي سار عليها مصطفى كمال بعد انتصار الأتراك على اليونان، وهي عبارة عن نشر الإلحاد في العقيدة والإباحة في الأخلاق. نشرت في هذا الموضوع مقالات كثيرة في «الفتح» و«الشورى» و«الجامعة العربية» و«العهد الجديد» ومجلتنا «لا ناسيون آراب» وغيرها.

والجرائد التركية الأنقرية ردَّت علينا وطعنت بنا، ولكن لم يشفِ ذلك غليلها، لأنها تعلم أنها غير مقروءة في بلاد العرب. ثم حاول الأنقريون توفيق رشدي وغيره أن يتفاهموا معي، ومن شهرين جاء توفيق رشدي الذي هو ناظر الخارجية الآن، ودنا مني وكالمني في إحدى الولائم وأحب أن يزيل ما بأفكاري من جهتهم، فأفهمته أني لا أنخدع وأني مطَّلع على سياستهم من أولها إلى آخرها. ثم إنهم قد غضبوا جداً من نشري المقالات التي نبَّهت أفكار السوريين إلى مقاصد الترك بحق حلب وإسكندرونة وأنطاكيا، وذلك لأن مقاصدهم في الاستيلاء عليها أكيدة فأنا فضحت هذا الأمر، ثم قمت بمشروع توحيد القطرين العراقي والسوري، وهذا أشقُّ شيء على حكومة أنقرة لأنه يقطع آمالهم من الاستيلاء ثانية على البلاد العربية.

فيظهر أنهم دبَّروا عليَّ حملة في الموضوع الذي خاب في إلصاقه بي أُناس غيرهم من أبناء وطني، وبالجملة كل هذه الحملات مصدرها مخالفتي بعض الناس في الآراء السياسية، لما جرى اعتقال من اعتقل بعاليه أول مرة وثاني مرة أيام الحرب. كان المستنطق في تلك الدعاوى رجل تركي يعرف العربي كأبناء العرب اسمه كمال، وهو من أسفل البشر الذين عرفتهم في حياتي وأكثر شنق أولئك الناس كان بسببه، لأنه كان في الاستنطاق يوقع بعضهم ببعض قائلاً للواحد منهم إن الآخر قرر عليه ما هو كذا وكذا، فيغضب هذا ويقرر على رفيقه فيؤذيه جداً، وهكذا أمكن جمال باشا من شنقهم. ومن أجل ذلك كنت لا أكره أحداً أكثر من كمال هذا، وكان يعرف ذلك ويتربَّص بي الدوائر. ولكن جمال باشا نفسه لم يتمكن أن ينتقم مني، فما عساه يعمل هذا الثعلب؟ ذهب إلى اسكيشهر وغيرها من الأناضول حيث كان المنفيون فقال إني أنا كنت سبب نفيهم! ولم يؤثر كلامه لأني كنت في أول كل شهر آخذ لهم الأوامر من الباب العالي بتأدية معاشاتهم إلى غير ذلك، فكانوا يعلمون أنه لو كان لي مدخل بنفيهم ما كنت أُعادي لطف اللّه لأجل نفيهم وأواصل السعي للعفو عنهم وأقدِّم العرائض بأني أكفلهم. غير أنهم كتبوا لي عن كلام كمال هذا وعدم تأثيره. وبعد ذلك صادفته في «سركه جي» وأهنته وأنكر ما نُسب إليه، ولكنني لم أصدِّق كلامه. ومنذ مدة بدأت جريدة «الأحرار» تنشر تحت عنوان «الاستخبارات الجاسوسية في الدولة العثمانية» مذكرات تزعم أنها من قلم مدير الاستخبارات لطف اللّه ويترجمها فؤاد ميداني. ومرة أطلعوني على شيء منها

يقول هذا الكاتب أني سعيت لإلغاء امتيازات لبنان أيام الحرب! على حين أن الذي عملته هو عكس ذلك تماماً. فأرسلت رداً على هذا الكلام معزَّزاً بالحجج القاطعة ونشرته «الأحرار» ولم أكن أعلم أن كمال هذا السافل هو وراء هذه المذكرات، وظننت أن هناك تركياً لا أعرفه وهِمَ هذا الوهم لعدم اطِّلاعه على الحقائق.

وإذا بصاحب هذه المذكرات يعود إلى النغمة نفسها ويكابر، فرددنا مرة ثانية تحت عنوان «رد فرية مكرَّرة». وبعد ذلك انبرى فؤاد ميداني يأبى إلاّ أن يكون هذا الطعن بحقي صحيحاً ويؤيد كلام هذا التركي الذي يستتر ويقول لي: هذا صديق قديم لك!.

وأنا لا أتذكَّر أن لي صديقاً قديماً رئيس جواسيس. ثم طعن فؤاد ميداني بي وبأخي عادل، ففهمنا أن القضية مدبَّرة مرتَّبة وأنهم متواطئون جميعاً. وبعد ذلك جاءني الخبر أن كمالاً هذا اللعين هو الذي يكتب هذه الاختلافات ويكتم وينسبها إلى غيره، وأنه متواطىء في ذلك مع فؤاد ميداني، ويرجِّح أن الحملة مدبَّرة ويقصدون منها إيقاعي في عداوة مع بني وطني. فالذين هم قائمون بهذه الحوادث أتراك ومسيحيون مختلفون في المشارب لكنهم ذوو أغراض مجتمعة بحقي.

وكمال هذا الذي هو جاسوس من الأصل والذي نفس فؤاد ميداني يقول إنه رئيس الاستخبارات الجاسوسية، لا يهمُّه أن يخترع عليَّ أني كان لي يد في السعاية برضى بك الصلح الذي هو أعزّ أصدقائي! وأن يزعم أنه لمَّا شاهد جمال باشا القافلة الأولى قلت له: لو كنت جمال باشا لشنقت الباقين.

ماذا يقول الإنسان في رجل مهنته جاسوس من الأصل ويخلق ما يقول وهو آتٍ عمداً لينتقم مني عن كتاباتي بحق أنقرة.

الحاصل لم أجد بُدًّا من الكتابة رداً عليه لأن الناس لا يعرفون من كمال هذا، وما سفالة كمال هذا؟ وقد يعلق بأذهانهم بعض هذه الأكاذيب. أرسلت إلى «العهد الجديد» رداً مشبعاً وسأردفه بثانٍ وثالث لإكمال الموضوع.

وأنا أرجو منك أيها الأخ أن تنقل مقالي تباعاً إلى «الصفاء» وإن أردت أن تردّ من عندك بما سبق لك به الفضل فيكون خير الأعمال بالإكمال.

ولك أن تستند على المعلومات التي في كتابي هذا والتي قد سبق لي ذكرها في مذكراتي الماضية، وإن شئت أن أرسل إليك ردّي في «الأحرار» على اختلاق كمال هذا بحقي في مسألة امتيازات فتكرَّم بتعريفي ذلك. وقصارى الأمر أن علي منيف بك متصرف لبنان أيام الحرب هو

أدرى بما فعلته لحفظ امتيازات لبنان، وهو حيٌّ يُرزق فليسأله من شاء، وكذلك على فؤاد بك رئيس أركان حرب جمال باشا هو أدرى بالخلاف الذي وقع بيني وبين جمال لأجل القتل والنفي، فليسأله من شاء. وفي رجال الأتراك عدد كبير من الذين لا يزالون في الحياة يعلمون اختلافي مع جمال باشا لأجل البطش الذي بطشه في سوريا، منهم خليل بك وصلاح جيمجوز بك ومدحت شكري بك وحسين رؤوف بك وغيرهم فليسألهم من شاء.

والسلام على أخي ورحمة الله وبركاته.

أخـوك

شكيب أرسلان

وفاة موسى كاظم الحسيني

وبعث الأمير برسالة إلى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني، يعزّي فيها بوفاة المجاهد موسى كاظم الحسيني رئيس المؤتمر الفلسطيني، وقد نشرتها جريدة «الجامعة العربية» بتاريخ ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ، ٧ شباط ١٩٣٣ م.

لجانب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الموقّرة

تلقّيت برقيتكم التي صكّت المسامع وأجرت المدامع بنعيها لنا الشيخ الجليل عماد فلسطين وركن أركانها المتين، والعلم المفرد المشار إليه والسيّد السند المعوّل عليه، موسى كاظم باشا، رئيس المؤتمر الفلسطيني، رحمه الله، وجعل جنة الخلد مأواه. لقد أوجعنا من فقده ما يوجع كل عربي مقدِّر لقدره، عارف لقيمته، مفكِّر في جهاد هذا الرجل في سبيل أمته ووطنه إلى آخر نسمة من حياته، جهاد الشباب، وكفاح الأبطال، الذين لا يبالون التعب، ولا الوصب، ولا شيئاً من ضروب المحن في سبيل وقاية الوطن. إننا لنبكي طويلاً هذا الفقيد العظيم في نفسه، الكبير في قلبه، الموزون في إدراكه، المدهش في همَّته، مع علوّ سنِّه، ونعدُّ المصاب به من المصائب العربية العامة، ومأتمه مما يجب أن تقوم له النوائب، في المشارق والمغارب، من بلاد الأعارب، ولكننا، في الواقع، نهنيه على هذا العمر الطويل، الذي قضاه بأحسن سمت، وأشرف نعت، وأكرم أحدوثة، وختمه بجهاد جهيد، ودفاع جيد، هو أشرف ما يقوم به الإنسان، ويستريح به الوجدان، فهنيئاً لمن مات هذه الميتة، ورزق هذه السعادة، وانقلب إلى ربه راضياً مرضياً، مطمئناً على آخرته، في جوار ربه الكريم، الذي كتب على نفسه الرحمة، ونسأله تعالى أن يجعل سريرة هذا الفقيد قدوة للعرب، ونوراً يضيء على أهل فلسطين، وأن يؤتينا العزاء على فقده.

الأسيف
شكيب أرسلان

حدود سوريا واللغة الرسمية

كانت جمعية الرابطة الوطنية في البرازيل، قد بعثت برسالة إلى الأمير شكيب تسأله هل قَبِل الوفد السوري في جنيف بأن تكون اللُّغة الفرنسية لغة رسمية في سوريا بعد انضمام العلويين وجبل الدروز إليها، وعن اللامركزية وعن أوضاع لبنان. فأجاب في كتاب نشرته جريدة «الصفاء» في عدد ١٣٨٧ بتاريخ ١٦ شباط سنة ١٩٣٣ م، جاء فيه النصّ التالي: «إنه لم يقع بين الوفد السوري والمسيو بونسو اتفاق كما ذاع، ويا ليته وقع، وقد افترقنا ونحن نقول له: لا يتمّ عقد معاهدة إلاّ بإدخال جبل الدروز وبلاد العلويين في منطقة الاستقلال وفكّ الانتداب وهو يقول: هذه لم يأتِ وقتها بعد... هذه كانت خلاصة الأحاديث الطويلة فإن كان المسيو بونسو رجع إلى رأينا بعد أن ذهب إلى باريس فذلك ما كنّا نبغي، وإن كان لا يزال

ابتداء الحملة على إيطاليا

بعث الأمير إلى الرصيفة (العرب) رسالة يتكلَّم فيها عن سياسة إيطاليا في طرابلس، ويدعو العالم الإسلامي إلى التعاون في سبيل إنقاذ البقية الباقية في طرابلس الغرب، نقلتها جريدة «الجهاد» السورية بتاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٣٣ م.

ذكَّرتكم في أحد الأعداد الأخيرة من «العرب» استمرار سياسة الاستئصال التي تتمشى عليها إيطاليا في طرابلس، وعمدها لمحو العنصر الإسلامي في ذلك القطر؛ ليخلو فيه الجو لمرتزقة الطليان ويعودوا فيحوِّلوا طرابلس وبرقة بلاداً لاتينية بحتة بسلام وأمان. ولمَّا كان هذا الفقير إليه تعالى هو أول مَن نبَّه العالم الإسلامي إلى هذه الفادحة الطرابلسية، وكشف أعمال الطليان في ذلك القطر البائس، وكنت لم أزل متابعاً السعي فيما يكشف هذا البلاء أو يخفِّفه عن إخواننا الطرابلسيين، جئت أفضي إليكم بالمعلومات الآتية:

إني من أول الأمر لم أقصد التشفِّي ولا الانتقام بالكلام، ولا التجريس بالطليان في الجرائد عن أعمالهم الفظيعة في طرابلس، بل عمدت ـ كما هو دأبي دائماً ـ إلى العمل بدون ضوضاء وإلى السعي في التنفيس من خناق الطرابلسيين بدون إثارة قيل وقال.

ولمَّا كانت بيننا وبين موسوليني معرفة قديمة وصداقة ـ يعرفها الأخ عبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر ـ منذ سنة ١٩٢٢، وكان الزعيم الفاشستي الأعظم قد انتصر لنا في قضية استقلال سوريا، ونشرنا بإمضائه عدة مقالات في جريدة «بوبولو ديتاليا» دفاعاً عن قضيتنا، رأينا في أول الأمر أنه يكون الأولى بنا مراجعة السنيور موسوليني في الكفّ عن هذه الأعمال التي تشين الإنسانية وتضرّ فعلاً بسمعة الدولة الإيطالية، وقلنا لعله على غير علم بتفاصيل ما هو جارٍ في طرابلس لأن المأمورين هناك يخفون عنه الحقيقة أو أكثر الحقيقة، ولعلنا نقدر أن نفرج من كروب إخواننا المسلمين بدون طعن وتشهير وصراخ وتجريس لا يكون منه فائدة سوى زيادة الأضغان، فنصحنا إذاً بطريقة خصوصية راجين الإمساك من العنان الذي أطلقه الطليان في طرابلس وبرقة لأنفسهم، وطالبين إعادة الثمانين ألف عربي الذين أُجلوا عن أوطانهم إلى أوطانهم في الجبل الأخضر، لا سيما أنهم باعتراف إيطاليا نفسها لم يكونوا ثائرين وقصارى الأمر متَّهمون بالاتصال مع

الثائرين، وأن هذه التهمة قد تكون مجرّد ظنّ وتخمين. فلم نستفِد من ذلك النصح الخاص شيئاً.

ثم رأينا الأمور تتفاقم والانتقام يزداد، فحرَّرنا مقالة في مجلتنا «لا ناسيون آراب» نذكر فيها محبتنا للشعب الإيطالي وتمنينا له كل خير ومزيد إعجابنا الخاص بالقائد الأكبر لهذا الشعب اليوم، السنيور موسوليني الذي سبقت له مواقف محمودة في قضيتنا السورية لا أنساها، وغير ذلك من الكلام اللطيف. ونصحنا بعده بإعادة الثمانين ألف عربي المحبوسين ضمن الأسلاك الشائكة في صحراء سرت إلى أوطانهم وأملاكهم في الجبل الأخضر، وبالإقلاع عن السياسة المتَّبعة في طرابلس وبرقة من ضغط وعسف وإرهاق وتحقير وإهانة للإسلام وقتل الناس رمياً من الطيارات أمام أعين نسائهم وأولادهم، إلى غير ذلك مما لا يزيد إيطاليا بل ينقصها. وذهبت نصيحتنا هذه صرخة في واد ونفخة في رماد.

ثم حملنا بعد ذلك حملة شديدة في مجلتنا «لا ناسيون آراب» وتجافينا فيها عن ألفاظ الرِّقة وأساليب المعاتبة المألوفة وذكرنا ما في تلك الفظائع من العار على إيطاليا والإنسانية أجمع وسمَّينا الأشياء بأسمائها. ولم نستفد أيضاً في هذه النوبة شيئاً.

وعند ذلك نشرنا تلك المقالة التي نشرناها في «الفتح» وطبعوا منها في مصر عشرة آلاف نسخة على حدة، وفي الشام عشرة آلاف نسخة وحدثت من بعدها تلك المظاهرات في جميع أنحاء العالم الإسلامي مما هو معلوم عند الجميع.

فعندها جعل الطليان يتوسلون بالواسطة لإقناعنا بأن الأخبار التي نقلناها غير صحيحة، أو أن فيها مبالغة عظيمة! وأخذت سفاراتهم في الخارج تذيع أن هذه الأخبار كلها باطلة وأن إيطاليا تدعو من شاء لزيارة طرابلس ليتحقق بطلانها.

وبلغ من بهتان ممثلي إيطاليا في الخارج أن قناصلها في بلاد الجاوي عندما حصل هناك ذلك الاجتماع العظيم من جميع المسلمين وملأوا الآفاق صراخاً وقرروا مقاطعة بضائع إيطاليا، زعموا أن إيطاليا دعت عصبة الأمم إلى إرسال وفد خاص إلى طرابلس ليتحقق كذب تلك الأخبار! . فتأملوا في هذه القحة على الكذب. وهكذا قالوا لشوكت علي ودعوه أن يمر بهم في روما ليؤكدوا له أن كل هذه الأخبار كذب! . ونسوا أن ستين ألف مهاجر من برقة هم الآن في أرض مصر والسودان، وأنهم يقولون إن هذه الأخبار هي دون ما حصل. ونسوا أنه لجأ إلى تونس عشرون ألف طرابلسي وإلى الجزائر ١٥ ألفاً. وأنهم يقولون إن كل وصف يقصر عن أعمال الطليان في ليبيا. ونسوا أن الثمانين ألف عربي الذين هم محصورون ضمن الأسلاك الشائكة في صحراء سرت قد مات نصفهم، لا يزالون في مكانهم على أمل الطليان بموت النصف الباقي.

والخلاصة أنهم اعتمدوا على شيء واحد: أن يتابعوا عملهم في طرابلس ثم يكذّبوا أخباره في الخارج. ولمّا كانت أعمالهم غير معهودة في البشر كان أناس كثيرون يستصعبون تصديقها، كما كتب لي الشهيد عمر المختار قبل شهادته بقليل وقال لي: «بل أنت لم تذكر كل ما فعلوه».

ثم إننا لما رأيناهم مجتهدين في التكذيب حاسبين حسبان مقاطعة المسلمين لتجاراتهم، أرسلنا إلى السنيور موسوليني مع أحد أصدقائه ممن هو صديق لنا أيضاً نقول له: «قد مضى الذي مضى فليعيدوا الآن الثمانين ألف عربي إلى الجبل الأخضر، فإن الثورة باعترافهم هم قد انتهت». فكان كلام موسوليني: لم نعمل ما نسبوه إلينا. أي التكذيب الفارغ المجرد الذي لا يفيد شيئاً. وبقي الذين لم يموتوا من الثمانين ألف عربي ضمن الأسلام الشائكة في صحراء سرت. ومن نحو شهرين كتبت إلى أحد إخواننا بمصر عن الحالة الراهنة هناك لأنه على اتصال دائم بالبرقاويين الذين أصله منهم، فأجابني إن البقية الباقية من عرب الجبل الأخضر لا تزال في صحراء سرت ما تغير شيء، وإن جميع الزوايا السنوسية وأراضيها وأراضي العرب المذكورين هي في حوزة الطليان.

ثم قرأنا في الجرائد أنهم عفوا عن ٥٠ شخصاً ممن هم في سرت ورجعوا إلى أراضيهم في جهات طبرق. فتأملوا!! ٥٠ شخصاً من ٨٠ ألفاً.

ثم قرأنا في الجرائد الإيطالية أنهم عفوا عن أربعة آلاف؟!. ولكن لا يقدر الإنسان أن يثق برواية من روايات الجرائد الإيطالية أصلاً.

ثم أرادت إيطاليا أن تستميل المسلمين فنشرت عند دخول رمضان نظاماً بمعاقبة كل مسلم يأكل في رمضان نهاراً، أو يعاقر الخمرة، أو يرتاد أماكن المومسات، وبإقفال هذه الأماكن كلها طول النهار، وغير ذلك مما نشكرها عليه ونتمنى أن تقتدي بها فيه الحكومات الإسلامية، لأننا لسنا ممن يقول: إن التديُّن شيء في القلب بين العبد وربه فلا حاجة إلى صيانة مظاهره، بل مذهبنا أنه يجب فيه الباطن والظاهر معاً، وإن الدين الذي ليست له شعائر تقام متداعٍ منهار بلا نزاع. غاية ما نقول لإيطاليا: إنه لأجل أن يستفيد المسلمون من هذا النظام يجب أن يبقى مسلمون في طرابلس، والحال أن قريباً من ثلثيهم قد باد؛ وأن إيطاليا ماضية في سياسة استئصالهم فما الفائدة لإيطاليا في المحافظة على الشريعة الإسلامية في بلاد يتلاشى فيها الإسلام؟ فالمسلمون ليسوا بأغبياء إلى هذا الحدّ.

إننا نتقاضى إيطاليا إعادة بقية الثمانين ألف عربي الذين في سرت إلى مساقط رؤوسهم وأملاكهم في الجبل الأخضر. وإعادة الزوايا السنوسية وأراضيها الوقفية إلى مشايخ الزوايا الذين

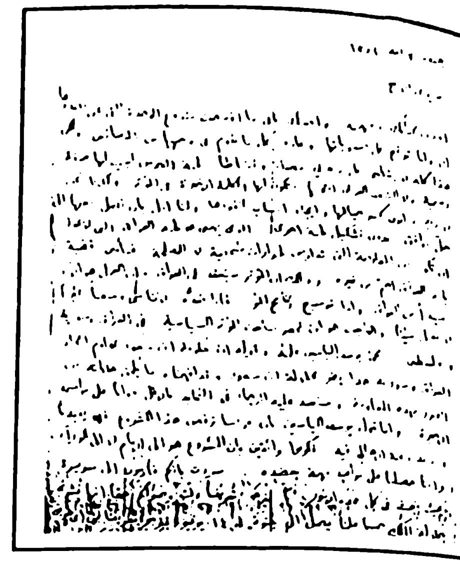
كانوا نظّاراً على أوقافها. وإعادة الأطفال والصغار الذين انتزعوهم من حجور والديهم إلى والديهم الذين هم الأوصياء عليهم في جميع قوانين الأمم.

وإن لم تفعل إيطاليا هذا في وقت قريب، فيجب على المسلمين في كل قطر أن يؤلِّفوا لجاناً خاصة لمقاطعة البضايع الطليانية وكل شيء طلياني فلا دواء غير هذا.

ولو كان المسلمون ثبتوا على مقاطعة الطليان منذ ثارت هذه المسألة لكانت انحلَّت من سنتين. ولكن أضرُّ ما أضرَّ المسلمين هو سرعة نسيانهم للأذى والإهانة.

وهذا الذي أطمع الأوروبيين فيهم أكثر من كل سبب آخر فيجب أن يعلموه.

جنيف: شكيب أرسلان



مشروع الوحدة العربية

رسالة من الأمير إلى الدكتور أحمد قدري، من جنيف، بتاريخ ٧ صفر ١٣٥٢ هـ، الموافق ٢ نيسان سنة ١٩٣٣ م. يقول فيها إن مشروع الوحدة العربية يواجه صعوبات ودسائس، وأنه ليس من رأيه توسيع برنامج المؤتمر، لأن الواجب يقتضي حصر مباحث المؤتمر السياسية في العراق وسوريا وفلسطين[١].

جنيف ٧ صفر ١٣٥٢

سيدي الأخ

أخذت كتابك وفهمته وأجيبك بأني ما اقترحت مشروع الوحدة التي نحن بصددها إلا وأنا متوقِّع كل صعوباتها، وعارف بكل ما يقوم في وجهها من الدسائس، ولكن هذا كله لا يثبطني بل يزيدني مضاءً ونشاطاً. لجنة القدس ليست لها صفة رسمية ولا الشعب العربي انتخبها لتكون لها الكلمة الأخيرة في المؤتمر، ولكننا نحن لا نريد من الآن كسر خيالها وإيجاد أسباب لنفورها، ولنا أمل بأن نصل معها إلى حلّ موافق بدون تشكيل لجنة أخرى. الذي يهمُّني هو لجنة العراق التي لا يجوز أن تكون من المعارضة التي تعارض لحزازات شخصية لا للمصلحة. فتأمين قضية لجنة العراق أهمّ من غيره وذلك أن المؤتمر سينعقد في العراق، وأن العمل هو الآن سيبدأ من العراق. وأما توسيع برنامج المؤتمر فأنا ضدُّه لأننا متى وسَّعنا كثيراً لا نعمل شيئاً، والواجب هو أن نحصر مباحث المؤتمر السياسية في العراق وسوريا وفلسطين. مجيء يوسف الياسين علمته وقوله إن حكومة ابن سعود تقاوم اتحاد العراق وسوريا هذا يضر بجلالة ابن سعود، وقد أفهمناه ما يلحق جلالته من الضرر بهذه المقاومة، وسنعيد عليه الرجاء في التحايد بالأقل جواباً على مراسيمه الأخيرة. وأما قول يوسف الياسين بأن فرنسا ترفض هذا المشروع فهو يفيدنا ويزيد رغبة الأهالي فيه. فكونوا واثقين بأن المشروع هو إلى الأمام لا إلى الوراء. وإننا حصلنا على مواعيد مهمة

---

(١) من محفوظات مديرية الوثائق التاريخية في دمشق.

بعضده. . . سررت بأنكم قادمون إلى سويسرا بحيث نبحث في كل هذه الأمور معاً، فنرجو تعريفنا وقت وصولكم حقاً إنها بشرى. جلالة الملك حسبما علمنا يصل إلى جنوه في ١٤ يونيو فنرجو تعريفنا من أي طريق يذهب من جنوه إلى أوستند؟ وذلك لنلاقيه في الطريق وإن لم يكن مانع نرافقه إلى أوستند. وإنه يمكنكم أن تجيبوني على ذلك قبل وصول جلالته بالسلامة إلى جنوه إذا أسرعتم بجوابي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

تعزية بسليمان أبي عز الدين

وقعت في جريدة «الصفاء» على رسالة بعث بها الأمير شكيب إلى أمين أبي عز الدين يعزّيه بالمؤرخ سليمان، نشرتها «الصفاء» في عددها ١٣٩٧ المؤرَّخ في ٢٧ نيسان سنة ١٩٣٣ م.

نزل عليَّ خبر مصرع المرحوم سليمان بك أبي عز الدين كالصاعقة. وهل من حاجة إلى التأكيد بأن الفجيعة بمثل سليمان أبي عز الدين تنزل كالصاعقة على كل من عرفه وقدَّره حق قدره، واطَّلع على حقيقة سيرته وجليل مواقفه في خدمة الإنسانية وفي خدمة العلم وفي خدمة قومه ووطنه. إن هذا الرجل كان من النمط النادر الذي يُشار إليه بالأصابع، أخلاق عالية، ومناقب زاكية، وفضل جمّ، وعلم زاهر، وأدب غضّ، واطِّلاع واسع، وهمَّة بعيدة، ومودة قريبة، وثبات كرسوخ الجبال. كانت لا تشوبه شائبة في حياته كلها ولا يجد الإنسان فيه مطعناً ولا مغمزاً، هذا بالنسبة إلى ضعف هذه البشرية التي لا تعرف إلاّ الكمالات النسبية، ومن ينسى الأثر الخالد الذي لسليمان بك أبي عز الدين في خدمة المعارف بين أبناء طائفته، وكونه هو صاحب اليد البيضاء التي لا تعادلها يد في تنشئة شبان الدروز وتثقيفهم وإخراج طبقة منهم تفتخر بهم أوطانهم، كل ذلك بفضل مساعيه وثباته وجمعه الإعانات سنة فسنة للبذل في هذه السبيل التي لم يكن أشرف منها. فجميع آل معروف عليهم دَيْن لهذا الفقيد الكريم من هذه الجهة لا يقدرون أن يؤدُّوه إلاّ بالذكر الجميل والترحُّم الدائم. وقد كان الفقيد مغرماً بعلم التاريخ إجمالاً وبتاريخ سوريا خاصة وبتاريخ جبل لبنان وطائفة الدروز بنوع أخصّ، قد وقف حياته على التنقيب والبحث وجمع من الكتب المتعلِّقة بهذا الشأن، ولا سيما من المحفوظات القديمة ومن السجلاَّت والصكوك والوثائق المتنوعة مما أبقت عليه يد الحدثان، شيئاً لم يجتمع عند غيره وقرأها قراءة ممحّص وقارن بعضها ببعض مقارنة عالِم متخصِّص، فوصل بطول الدرس والمطالعة وكثرة المقابلة والمراجعة إلى نتائج لم يصل إليها غيره في هذا الموضوع، فإن قيل إنه في هذا الباب نسيج وحده فليس في ذلك مبالغة. ومنذ خمس أو ست سنوات كانت رسائله إليَّ تترى لا يكاد يمضي شهر بالكثير حتى تأتيني منه ـ رحمه الله ـ رسالة وافية كافية فيها كثير من المعلومات النفيسة والآراء الرئيسة.

كان يسألني عن أشياء يريد معرفة رأي محرِّر هذه السطور فيها، وكنت أُفضي إليه بما يعنُّ

لي، كما أني كنت أسأله هو أيضاً عن رأيه فيما يشكل عليّ، وما يغمض عني من أمور قضيت شطراً من حياتي في تحقيقها واستثبات وجه الصحة فيها. فإذا جمعت ما عندي من رسائله بلغت مجلّداً وإذا اجتمع ما في تركته من رسائلي بلغت أيضاً مجلّداً. وأكثر ما كانت تدور هذه المباحثات والمطالعات هو على تاريخ جبل لبنان ودخول العرب إليه، ومنشأ الطائفة الدرزية، وأصول عائلاتها، وتفرُّع بعضها عن بعض، وانشقاق الطوائف المحمَّدية بعد أن كان أصلها واحداً للقرون الأولى من التاريخ العربي. ثم انشقاق الدروز من الشيعة واستقلال كل من الفئتين فرقة قائمة بنفسها في أوائل القرن الخامس للهجرة، إلى غير ذلك من المواضيع التي ليس هنا محلّ الكلام عليها، وإنما أشرنا إليها من جملة مآثر المرحوم الفقيد والمعارف التي تفوّق بها. وكنا وإيّاه على اتِّفاق في الرأي من جهة كون الدروز عرباً أقحاحاً ربما لا يوجد في سوريا فئة أصرح منهم عروبة، وأنهم، ما عدا عائلات معدودة، يتحدَّرون من عرب اليمن في الأكثر. والأدلّة على ذلك متعددة منها التواتر فيما بينهم أن أُصولهم هي من الطوائف الاثنتي عشرة التي جاءت من معرَّة النعمان في زمان الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي. وهذه الطوائف الاثنتا عشرة كانت من لخم وجذام وغيرهما من قبائل اليمن. والثاني وجود تواريخ مكتوبة محرَّرة منذ قرون ككتاب النسبة وغيره، تؤيد الخبر المتواتر بين الأهالي خلفاً عن سلف. والثالث وجود عائلات لا تزال حافظة لأسمائها القديمة وإن كان قد طرأ تغيير على أسماء غيرها بطول الزمن مما لا يخلو منه آن ولا مكان. والرابع أنه إذا كان أصل الشيعة والدروز واحداً، وهو حقيقة تاريخية لا شك فيها، فالشيعة أيضاً هم من عرب اليمن وجبل عاملة إنما قيل له كذلك نسبة إلى عاملة إحدى قبائل اليمن. والخامس حسن منطق الدروز باللُّغة العربية وكونهم بأجمعهم عوام وخواص يخرجون حروف الكلام العربي من مخارجها الحقيقية التي تنصّ عليها كتب العلم المدرسية، هذا ما عدا ما يمتازون به من وضع الألفاظ في محلِّها واستعمال المفردات والجمل التي لا يملكها إلاّ قوم ينزع به عرق صحيح من العربية. ولقد لاحظت بعض اصطلاحات عند الدروز لا تزال هي بعينها في بلاد اليمن إلى اليوم، وذلك مثل استعمالهم لفظة «العقال» بمعنى الوجوه ومقدمي القوم. ولفظة «مناصب» بمعنى أكابر القوم من ذوي الإقطاع وأمثالهم.

نعم كان الطيّب الذكر سليمان أبو عز الدين قد أحكم تاريخ لبنان وتاريخ فرقة آل معروف إحكاماً إن لم يكن أحاط فيه بكل شيء، فإنه دون نزاع أكمل ما توصلنا إليه حتى اليوم. ولذلك يُرجى من أبنائه في النسب والأدب أن يكملوا ما بدأ له والدهم ولا يدعوا تلك التحقيقات تذهب سدى، بعد أن قضى في اقتناص شواردها ونثل كنانتها ذلك الجهبذ المدقق سنين طوالاً من عمره الثمين.

ومما ينبغي أن لا يفوتني في عرض تأبينه أنه كان ـ رحمه الله ـ رغب إليَّ أن أبعث إليه بترجمة حياتي، وقد كنت لا أفكّر في هذا الأمر إمّا لتراكم الأشغال وإمّا لملاحظة ما في ترجمة الإنسان لنفسه من رائحة البأو والاعتداد بالنفس. فلمَّا ورد لي من المرحوم هذا الاقتراح وكرَّره المرة تلو المرة، وكانت له عندي حرمة وافرة لم أجد بُدًّا من إجابة طلبه، وأخذت أُملي هذه الترجمة على بعض أصحابي وأبعث إليه بها كرَّاساً بعد كرَّاس حتى بلغنا أكثر من مائة صفحة بالقطع الكبير، ووصلنا من الحوادث إلى سنة ١٩٠٧ في أثناء الحرب. وعند ذلك تراكمت عليَّ الأشغال إلى درجة لا توصف فكتبت إليه بأن يمهلني بعض أشهر ريثما أكون أنجزت طبع الكتب التي أنا مباشر طبعها. فكانت هذه الكراريس عندما تصل إلى يد المرحوم يدفعها إلى أديب ذي خط حسن ينسخها له ثم يعيدها إليَّ مع الأهل لأقابل بينهما، فكنت أنا أقابل بين النسختين وأوقِّع على النسخة الثانية وأقول إنها مطابقة للأصل، ثم أُعيدها إلى المرحوم سليمان بك موقَّعة بخطي وذلك تحفُّظاً مني ومنه على النصّ الأصلي، وخشية أن يأتي بعدنا من يزيد فيه أو ينقص منه ويقول إن الأصل كان كذلك، فكل قطعة من هذه الترجمة ليست مصدَّقة بتوقيعي الخاص بخط يدي المعروف المشهور فلا ينبغي التعويل عليها. وما حرَّرت هذه الترجمة إلاّ على شرط أن لا تُنشر إلاّ بعد أن أكون أنا قد انطويت، وكنت أظن أن المرحوم هو الذي سينشرها، ولكن لكل أجلٍ كتاب. فجزاه الله عنّي أفضل الجزاء على هذا البرّ الجزيل الذي لا أنساه.

إنه على مثل هذه الحياة الحافلة بجلائل الأعمال الصافية من شوائب القيل والقال، يتحسَّس كل إنسان يقيم للإنسانية وزناً ويفهم للفضيلة معنى. فلا عجب وقد قدَّرت أنا من قدر هذا الفقيد ما كان يملأ صدري له حرمة وقلبي له محبة، إذا كنت اليوم في مقدمة من يذرفون الدموع على موته ويرون في مصيبته فراغاً لا يسدُّه غيره. إنه لمصاب من أجلّ ما فجعت به الأوطان بل مما يشعر له كل منتسب إلى عدنان وقحطان. وإن «الأوتو» الوبيل كانت له ضحايا كثيرة في هذه البلاد ولكن أشرف هذه الضحايا بدون مراء كان سليمان أبو عز الدين رحمه الله وطيَّب ثراه وعطَّر بذكره الأفواه، ونسأل المولى أن يحسن العزاء بآله الكرام وأن يفرغ علينا وعليهم صبراً. آمين.

شكيب أرسلان

جنيف ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ

كتاب أصل الشيعة

بمناسبة صدور كتاب «أصل الشيعة وأصولها» أرسل الأمير شكيب إلى المؤلِّف السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء رسالة يظهر له فيها إعجابه بكتابه ويثني عليه، كما يثني على الأورع الأزكى والألمع الأذكى السيد ضياء الدين الطباطبائي وقد زاره في سويسرا. ويرسل الأمير مع الرسالة نسخة عن كتابه «حاضر العالم الإسلامي»، والرسالة من جنيف ٥ محرم الحرام سنة ١٣٥٢ هـ، ١ أيار سنة ١٩٣٣ م.

جنيف ٥ محرم الحرام ١٣٥٢

حضرة سيدي الأستاذ العلاَّمة المجتهد الكبير السيد السند الخطير، السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء المعظَّم أطال الله بقاءه

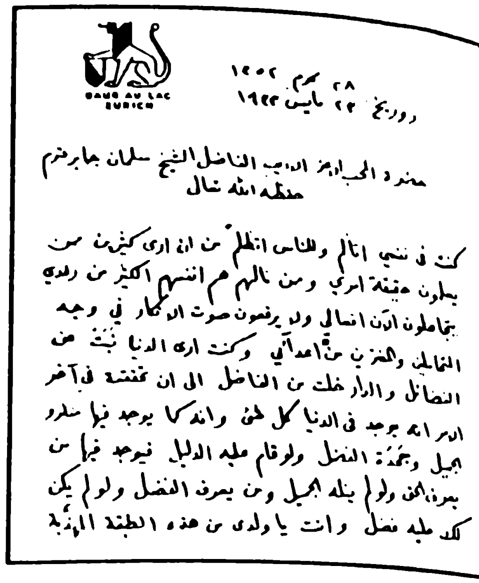
تشرفت بالكتاب الكريم وحمدت الله تعالى على وجود سيدي بالصحة، أمتع الله بطول عمره الإسلام. ووصلتني الكتب وقد بادرت بقراءة رسالتكم «أصل الشيعة وأصولها» واستفدت منها كثيراً، وحقاً أن تآليفكم كلها ممتعة بل هي ضرورة لأهل الإسلام في هذا العصر، ومنها يعرف ما اتفق فيه أهل السنّة والشيعة وما اختلفوا فيه.

ثم إنكم باجتهاداتكم تقرِّبون بين الفريقين وتضيِّقون فرجة الخلاف ما أمكن، وإذا حاججتم فعن باع طويل وبرهان ودليل، وسأكتب لسماحتكم قريباً أعجب ما أعجبني من رسالة «أصل الشيعة وأصولها» وأشير إلى كل نقطة بمفردها، كما أني سأسألكم عن الغوامض التي حصل عندي التوقف فيها ـ أو بعض التوقف ـ ملتمساً كشف الغطاء.

السيد الأورع الأزكى الألمع الأذكى ضياء الدين الطباطبائي هو في سويسرا بمحل يبعد عن جنيف ساعة ونصف ساعة بالسكة الحديدية، زرناه وزارنا بهذا الشتاء مراراً وكنا معجبين به لا بل مفتونين بذكائه وحسن أخلاقه وسِعة عقله وإحاطته، وكنا نذكركم كثيراً، وفي هذا النهار نحن راكبون بالسكة لزيارته وقضاء يومين في جبل مونتر الذي هو فيه، أمتع الله الإسلام برجال كثيرين من مثل هذا السيد، وأرجو التكريم بتعريفي عن الوكتي هذه، وإرسال تآليفكم الباقية، وأنا سأبعث إليكم بالطبعة الجديدة عن «حاضر العالم الإسلامي» أربعة مجلدات، وإن كنت أعلم أن الماس لا يقابل بالزجاج، وأن الغوالي هي أغلى من الزجاج، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مستمد الدعاء/ شكيب أرسلان

الأمير وامتيازات لبنان


زوريخ ٢٣ مايس ١٩٣٣
٢٨ محرم ١٣٥٢
حضرة المحب الأعز الأديب الفاضل الشيخ سلمان جابر المحترم
حفظه الله تعالى
كنت في نفسي أتألم وللناس أتظلم من أن أرى كثيرين ممن
يعلمون حقيقة أمري ومن نالهم أنفسهم الكثير من رفدي
يتجاهلون الآن أفعالي ولا يرفعون صوت الإنكار في وجه
المتحاملين والمفترين من أعدائي وكنت أرى الدنيا نبت من
الفضائل والدار خلت من الفاضل إلى أن تحققت في آخر
الأمر أنه يوجد في الدنيا كل شيء وأنه كما يوجد فيها منكرو
الجميل وجحدة الفضل ولو قام عليه الدليل فيوجد فيها من
يعرف الحق ولو لم ينله الجميل ومن يعرف الفضل ولو لم يكن
لك عليه فضل وأنت يا ولدي من هذه الطبقة المهذبة

كانت بين الأستاذ سلمان جابر (١٩١٠ ـ ١٩٨٣) والأمير شكيب بعض المراسلات. ففي سنة ١٩٣٢ أُثيرت ضجّة مدبَّرة على الأمير شكيب تتَّهمه زوراً بأنه كان في أثناء الحرب الكونية الأولى يعمل لإلغاء الامتيازات اللبنانية، في حين أن الحقيقة أنه لم يألُ جهداً في السعي للمحافظة عليها وذلك بشهادة كرام القوم وبشهادة الوثائق الرسمية، فنهض المرحوم سلمان جابر يُظهر هذه الحقائق في مقالٍ مسهب نشرته جريدة «البيان» وكتب إلى الأمير رسالة يلفت إليها أنظاره، فأجابه الأمير بهذه الرسالة، ولا يسعنا إلاّ أن نعجب بالبلاغة التي انطوت عليها هذه السطور القليلة، والأدب الرفيع المتجلّي من خَلَلِ كلماتها. مؤرَّخة من زوريخ، ٢٣ مايس (أيار) ١٩٣٣ م، ٦ ذو الحجة ١٣٥٢ هـ.

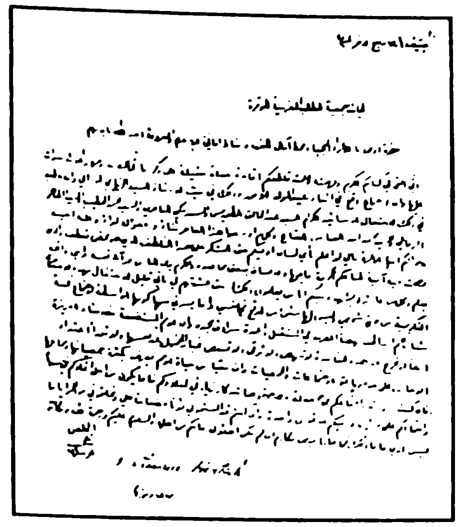
زوريخ ٢٣ مايس ١٩٣٣

٢٨ محرم ١٣٥٢

حضرة المحب الأعز الأديب الفاضل الشيخ سلمان جابر المحترم حفظه الله تعالى

كنت في نفسي أتألم وللناس أتظلَّم من أن أرى كثيرين ممن يعلمون حقيقة أمري، وممن نالهم هم أنفسهم الكثير من رفدي يتجاهلون الآن أفعالي، ولا يرفعون صوت الإنكار في وجه المتحاملين والمفترين من أعدائي، وكنت أرى الدنيا نَبَتْ عن الفضائل والدار خلت من الفاضل، إلى أن تحقَّقتُ في آخر الأمر أنه يوجد في الدنيا كل شيء وأنه كما يوجد فيها منكرو الجميل وجَحَدة الفضل ولو قام عليه الدليل، فيوجد فيها من يعرف الحق ولو لم ينلَه الجميل ومن يعرف الفضل ولو لم يكن لك عليه فضل، وأنت يا ولدي من هذه الطبقة المهذَّبة التي ليس لي عليها أدنى يد، ولكنها نهضت للنضال عني حباً بالحق ومعرفةً لما أسدته عند غيرها، ولقد أكَّد لي عملك هذا وعمل أمثالك أن في الدار فضلاء وأن في الدنيا من الكمالات بقدر ما فيها من الأقذاء، ولا غرو أن تظهر أخلاق منبعها الصفاء. وتقبَّل مزيد شكري على كتابتك في الجريدة وكتابك إليَّ والله أسأل أن يكافيك عني. والسلام عليك ورحمة الله.

المخلص/ شكيب أرسلان 9 Avenue Hentsch, Genève



جمعية الطالب المغربية

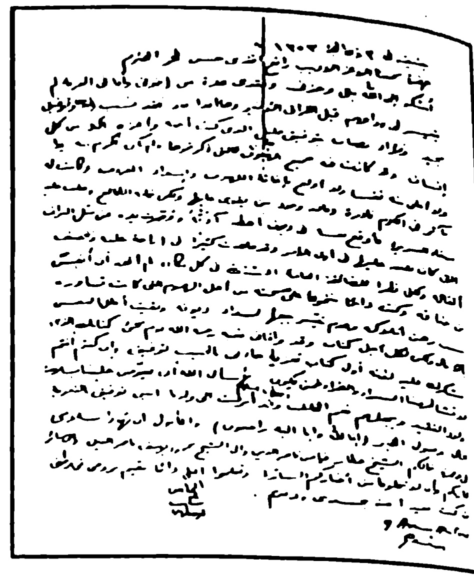
وبعث الأمير برسالة جوابية إلى «جمعية الطالب المغربية» في الذكرى الثالثة لزيارة الأمير لتطوان في المغرب، مؤرخة في ١٢ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ.

لجانب جمعية الطالب المغربية الموقَّرة

حضرة أولادنا الأعزاء النجباء محطّ آمال ومناط أماني الإسلام والعروبة، أخذ الله بأيديهم

إني ألقي كتابكم الكريم وفهمته وعلمت تلطُّفكم بإقامة حفلة حفيلة على ذكرى زيارتي للمغرب ومرور ثلاث سنوات عليها، وإن الاجتماع وقع في أثناء عيد المولد الأنور، وذلك في بيت السيد التهامي الوزَّاني، وأنه خطب في ذلك الاحتفال الأساتذة الكرام: السيد عبد الخالق الطريس والسيد مكّي الناصري والسيد محمد الخطيب والسيد الطاهر الرفاعي والسيد محمد بن العباس القباج، وكلهم أوسعوا هذا العاجز ثناءً ورفعوا له لواءً، وعليه أجيب حضراتكم أيها الأعزاء بأني لا أعلم بأي لسان أوفيكم حق الشكر على هذا التلطُّف الذي هو محض تعطُّف، والذي نضحت فيه آنية طباعكم الكريمة بما فيها، والإنسان ينفق مما عنده والكريم يرى الناس بمرآة نفسه، وإنني والله يعلم وكل من عاشرني يشهد وبينكم أناس يعلمون ذلك لسبق عشرتهم لي، بأني قليل الاحتفال بهذه الاحتفالات التكريمية من جهة شخصي وليس لها شيء من الواقع في نفسي، وإنما يسرُّني منها لكونها الواسطة لاجتماع نخبة شباب هم أساطين النهضة للمغرب في المستقبل وأعمدة سرادق مجده، وإن الأمم المستضعفة خصوصاً والعزيزة أيضاً لا تخرج عن هذه القاعدة، لا تنهض، ولا ترقى، ولا تنفض غبار الخمول عن نفسها، ولا تدرأ اعتداء الأجانب على حوضها إلا بالاجتماعات والجمعيات، وإن مقياس حياة الأمم يعرف بكثرة جمعياتها ومحافلها، فإن كنت سررت باجتماعكم في حفلة خصَّصتموها بتذكار زيارتي لبلادكم فإنما يكون من أجل اتحادكم في مبدأ واجتماعكم على مشرب ورميكم عن قوس واحدة، وإن كنتم قد ألبستموني ثوباً فضفاضاً عليَّ ونحلتموني من المزايا ما ليس لديَّ، فإنما ذلك كما قلنا فيض مكارم إن لم نكن أهلاً له فإنكم من أهله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص/ شكيب أرسلان



مشاعر الأمير

رسالة من الأمير، مؤرخة من جنيف في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هـ، ١٠ آذار ١٩٣٤ م. إلى الشيخ رافع أفندي حسن فخر، يخبره فيها عن أحبّاء فقدهم وعزَّ عليه فراقهم.

جنيف في ٣ ذي الحجة ١٣٥٣

حضرة محبنا الأعز الأديب رافع أفندي حسن فخر المحترم

أشكو إلى الله بثّي وحزني وفقدي عدة من إخوتي وأنا في الغربة لم يتيسَّر لي وداعهم قبل الفراق الأخير، وها أنذا بعد فَقد نسيب وفندي وتوفيق مجيد وفؤاد مصاب بتوفيق خليل الذي كنت احبُّه وأعزُّه أكثر من كل إنسان، وقد كانت فيه جميع الأخلاق التي ذكرتموها ولم يكن أكرم منه يداً ولا أعلى منه نفساً ولا أولع بإغاثة الملهوف وإسداء المعروف، وكانت له مآثر في الكرم نادرة ونادر رجود من يقوى عليها، ولكن خانه الطالع وغلب عليه صفاء السريرة فأوقع نفسه في ديون باهظة ذتَّه وقصَّرت يده عن مثل المبرَّات التي كان يقدر عليها في أول الأمر، وقد جاهدت كثيراً في إزاحة لّه وتخفيف أثقاله ولكنني نظراً للضائقة العامة المشتَّتة في كل مكان لم أقدر أن أنفِّس عن حناقه، كنت دائماً متخوِّفاً على صحَّته من أجل الهموم التي كانت تساوره بسبب رهن أملاكه وعدم تيسُّر عها لسداد ديونه، وبقيت أعلِّل النفس بالآمال ولكن لكل أجل كتاب، وقد وافاني نعيه ـ رحمه ـه ـ يوم مجيء كتابك الذي أشكرك عليه لأنه أول كتاب تعزية جاءني بالحبيب توفيق، وإن كنتم نم لا تشاطروننا السرَّاء والضرَّاء فمن يكون. لأسأل الله أن يعوِّض علينا بسلامة أولاد الفقيد جعلهم نِعْمَ الخلف ويعوِّض بسلامتكم. وقد أبرقت إلى ولدنا أمين توفيق بالتعزية على وصول خبر (إنّا لله وإنّا إليه راجعون). والمأمول أن تهدوا سلامي إلى حضرة خالكم الشيخ خطار فياض سر الدين وإلى الشيخ محمود يوسف ناصر الدين وإلى سائر أقاربكم، وأن لا تخلونا من أخباركم مارَّة وتعلموا أنني دائماً مقيم بروحي في وطني وإن كنت بعيداً عنه بجسدي ودمتم.

المخلص/ شكيب أرسلان

9 Avenue Hentsch, Genève

مشاهدات عن الوطن

مرَّ الأمير شكيب بمرفأ بيروت وهو مسافر من فلسطين إلى أوروبا، ولم تسمح له السلطات الإنكليزية بالصعود إلى البرّ، ولا بمقابلة أحد من أصدقائه في الباخرة. ولمَّا وصل الأمير إلى أوروبا، كتب إلى أحد أصدقائه عمَّا شعر به وهو في مرفأ بيروت. نشرت هذه الرسالة في «الصفاء» ٦ أيلول سنة ١٩٣٤.

سررت جداً بمروري بميناء بيروت، ولو لم أشاهد أحداً ولو لم يشاهدني أحد، وذلك لأنني رأيت بلادي التي غبت عنها ١٨ سنة وبقيت أُحدِّق في بيروت ولبنان من الفجر إلى المساء، ومع أنه لم يكن معي نظَّاراتي فقد شاهدت بيتنا في الشويفات وعمايرنا في خلدة والغدير ومقام الإمام الأوزاعي وغير ذلك.

وكم كان سروري عظيماً برؤية قرى الغرب مثل الشويفات ودير قوبل وعين عنوب وبشامون وعاليه وعيتات وشملان وعيناب وعين كسور وعبيه وبعقلين، ومن المتن شويت والعبادية وبيت مري وبرمانا وغيرها، وقد شاهدت أيضاً صوفر وعمارتي فيها ولذَّتني مشاهدة أعالي لبنان مثل تومات نيحا وجبل الباروك مع غابة الأبهل التي فيه، وجبل فالوغا وجبل صنين وجبال كسروان. مدة ١٢ ساعة بقيت أُحدِّق في تلك القرى والجبال قائلاً لنفسي: أتراها هذه هي النظرة الأخيرة، أم يقسم الله أن أراها أيضاً؟ هذا الأمر جوابه في خزانة الأقدار الإلٰهية.

وقد جاءت بنا الباخرة إلى ميناء الإسكندرية، فما حدثت نفسي بالنزول إلى البرّ ولا تكلَّمت مع أحد من أهل القطر المصري، ومع هذا فاثنان من البوليس ليلاً نهاراً ملازمان مدخل الدهليز الذي فيه غرفتي، فكأن أولئك الجماعة لم يملُّوا تلك السخافة التي عملوها أولاً وثانياً فأرادوا تكرارها ثالثاً.

الأمير وبشير السعداوي

وبعث الأمير شكيب برسالة إلى بشير السعداوي رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية بتاريخ ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٤ م، ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٥٣ هـ. يسأله فيها استقصاء المعلومات بما يتعلّق بالليبيين الذين شرَّدتهم إيطاليا، هل عادوا جميعاً أو ثمّة من لم يرجع بعد؟ وكان الأمير قد بذل مساعي كبيرة وقابل موسوليني شخصياً لإنهاء الخلاف بين الإيطاليين والليبيين، وقد وُفِّق إلى إنهاء الخلاف إلى مصلحة العرب.

جنيف في ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٥٣، ٩ أكتوبر ١٩٣٤

أخي بشير لا عدمته

جاءنا الأخ إحسان سامي حقي من الشام وأبلغني سلامك وسرَّني أنك ولله الحمد بالصحة، ولكن ساءني كما أخبرنيه عن لسانك نقلاً عن أُناس حضروا من طرابلس، وهو أن العرب أهل الجبل الأخضر لم يعادوا كلهم إلى أوطانهم والحال أن زعيم إيطاليا نفسه لمَّا طلبت إليه إعادة المنفيين والمشرَّدين بأجمعهم قال لي: لا أظن بقي منهم أحد ولكني مع ذلك سأسأل.

لهذا أنا أرجو منك أن توافيني في الحال بما حدَّثك به هؤلاء القادمون من طرابلس عن الأحوال كلها، ولكن بعد الاستقصاء منهم وتحليفهم أن لا يقولوا إلاّ الحق، وأن تأخذ منهم ومن غيرهم معلومات عن الذين من عرب الجبل الأخضر باقٍ في صحراء سرت ومن أي القبائل هم وما عددهم؟ إني أريد أن أعرف كل هذا، حتى أراجع روما وأذهب بنفسي لتعقُّب هذه المسألة وغيرها مما يتعلَّق بطرابلس.

إنني عندما مررت بمصوع وأسمره وغفار في أثناء رجوعي من اليمن، جاءني كل أعيان المسلمين وذلك من حجازيين ويمانيين ومصريين ومسلمين وأحباش، وبأجمعهم أثنوا على معاملة إيطاليا لهم من كل الوجوه، واستقصيت في السؤال وأجابوا عن كل شيء، ومن يومين قرأت في جريدة «البوبولار» لسان حال الحزب الاشتراكي في فرنسا رسائل عن حوادث تونس يقول كاتبها: «إن من جملة أسباب هيجان التونسيين على فرنسا هو أن إيطاليا بدأت تحسن معاملة المسلمين في طرابلس، وأن فرنسا في تونس لا تريد أن تغيِّر خطَّتها»، فهذا كلام له معناه ومع هذا فافحص لي أنت مدقِّقاً وأجبني عن حقيقة الواقع لأعلم ماذا أقول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخـوك/ شكيب أرسلان

الأمير وأكرم زعيتر

رسالة من عطوفة الأمير إلى الأستاذ المجاهد أكرم زعيتر بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٥٣ هـ، الموافق ٤ كانون الأول ١٩٣٤ م. بشأن لقائه رئيس اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية في جنيف. والنص الأصلي موجود لدى الأستاذ أكرم زعيتر[١].

٢٦ شعبان ١٣٥٣ Berlin den

حضرة ولدنا الأديب البارع والوطني الناهض السيد أكرم زعيتر الأجل المحترم حفظه الله تعالى

أخذت كتابكم المؤرَّخ في ٢٠ رجب ١٣٥٣ الذي فهمت منه أنكم رجعتم إلى بغداد، والعود أحمد، فلا شك أن في وجودكم هناك فائدة عظيمة لا من وجه واحد، ولعمري لنعمت الوزارة التي رفضت استقالتكم، فقد أتت بدليل على أنها تقدِّر قدر الرجال ولا تهمل قضية العلاقات بين البلدان العربية، تلك العلاقات التي بدونها لا تُرجى حياة سعيدة لهذه الأمة.

إن الخطر على فلسطين أصبح مسألة مفروغاً منها وكان اليهود في الماضي يسترون بعض الشيء، فالآن أصبحوا يعلنون بدون محاباة أنهم آتون إلى فلسطين بخمسة أو ستة ملايين نسمة رضينا نحن أو أبينا، وإن إنكلترا نفسها لو أرادت أن تمنع هذا الأمر لما قدرت. ومنذ شهر ونصف جاءنا إلى جنيف من باريس رئيس اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية (نسيت اسمه)[٢] ولكن يعرفه موسى بك العلمي، وقد كتب لي عن رغبة هذا الرجل بالاجتماع معنا، وقال لي إنه بيده كل شيء عند الصهيونيين، والحاصل إنه جاء ومعه ترجمان إفرنسي وجلس عندنا ثلاث ساعات ولم يتجمجم في أن يقول لنا أنا وزميلي: إن اليهود لا بد أن يجيئوا إلى فلسطين وشرقي الأردن، وأن يبلغوا عدد المهاجرين منهم إلى هذين القطرين ستة ملايين بالأقل. فقلنا له: إذا كان الأمر كذلك ولا حيلة لنا في دفع هذه الهجرة فما الداعي له حتى يأتي ويخبرنا بهذه العزيمة؟ قال: لأنهم يرجِّحون أن يكون هذا

---

(١) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (من أوراق أكرم زعيتر)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

(٢) دافيد بن - غوريون.

الأمر بدون خصام وخلاف وأنهم يريدون أن يؤكِّدوا لنا أنهم لا ينوون التعدِّي على عرب فلسطين ولا إخراجهم من ديارهم، نعم مسألة كون أكثرية البلاد ينبغي أن تصير يهودية هذه لا جدال فيها. فأجبناه بكل هدوء قائلين إننا نحن سنمنعهم من المجيء ومن أخذ البلاد، لا شرقي الأردن فقط بل فلسطين نفسها ستبقى عربية. قال: فكيف تمنعون؟ فضبطنا أنفسنا وقلنا: إننا سنمنع وأما الكيف فمجهول، ومهما حصل فنعود ونقنعكم بأن البلاد باقية عربية. ثم أخذ يلفِّق اقتراحات سخيفة من قبيل أن اليهود ذوو قوة عظيمة في الأرض يساعدون بها العرب على استقلالهم. فقلنا له: أإذا تعهَّد اليهود لنا بإخراج فرنسا من سوريا ومن مراكش وتونس والجزائر أفيبلغ منا الحمق أن نصدِّقهم؟ ثم قال: إنهم يعرضون قرضاً على العراق ليصلح به شؤونه، فقلنا له: إن العراق لا يحتاج إلى قرض ولا يريد أن يقترض، وكل يوم يأتي أناس يعرضون على حكومة العراق أموالاً تقترضها منهم وهي ترفض. وبالاختصار لا أروي لكم هذا الكلام لأجل التأمُّل في أهمية الاقتراحات التي جاء لها الزعيم الصهيوني، ولكن لأجل أن تتأمَّلوا في درجة الوقاحة التي وصل إليها هؤلاء الجماعة في هذه السنة خصوصاً، بينما عرب فلسطين غير مهتمِّين إلا في انتخابات البلدية وفي السفاسف التي تعلمونها، وما بليَّتنا نحن باليهود كبليَّتنا في أنفسنا. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أبلغتموني سلام الأخ فوزي القاووقجي وإني والله لمشتاق إليه جداً رغم كثرة ما يقلِّدني على ما سمعت، فإنه كان يقلِّد الناس أمامي ويجيد التقليد فما ظننت أن الموسى سيلعب بذقني، وإذا به في غيابي يقلِّدني أكثر من جميع الذين قلَّدهم في حضوري، وكما قهقهت له على تقليده لهم وطربت واستلقيت على ظهري من الضحك، وجد أناس يقهقهون ويستلقون على ظهورهم عندما فوزي كان يقلِّد كلامي وصوتي وحركاتي. ولكن هذا الملعون من جملة ما وضع عن لساني أنني كنت أقول أشعاراً من شعر البيهقي... وكان حسبما سمعت يأتي بأشعار ويرويها على أنها للبيهقي، والحقيقة أن البيهقي ليس بشاعر بل هو محدِّث وله كتاب في الحديث، وأنا لست متحدِّثاً ولا قرأت كتابه وغاية ما سمعت أن البيهقي هو من المحدِّثين، ومع هذا ففي حياتي ما ذكرت البيهقي أمام فوزي القاووقجي، فلا أعلم لماذا اختار البيهقي من جملة العلماء الذين يريد أن يضع عن لساني كلاماً عنه. قولوا للحبيب فوزي يجب لأجل إتقان الصنعة أن يورد الأمثلة المطابقة فلا يجعل الشاعر محدِّثاً والمحدِّث شاعراً. وسلِّموا عليه وعلى أولادنا الدكاترة: أمين رويحة وفريد زين الدين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم/ شكيب أرسلان

قريباً أعود إلى جنيف إن شاء الله.

نفي لتولّي منصب

ذكرت بعض الصحف أن جلالة الملك السعودي استدعى حضرة الزعيم العربي الجليل العلاّمة الأمير شكيب أرسلان إلى تولّي وزارة الخارجية السعودية. ولمّا قرأ الأمير ذلك الخبر في الصحف، بعث إلى سليم آل ناصر الدين بالرسالة التالية، وقد نشرتها «الصفاء» بتاريخ ١٣ كانون الأول سنة ١٩٣٤ م.

حضرة الأخ الأجل الأفضل

قرأت في بعض الجرائد خبراً منقولاً عن رجل زعم أنه اطّلع في أحد كتبي الخاصة على عبارة أقول فيها تلميحاً إن ولي أمر الحجاز استدعاني أو يستدعيني أن أتولّى منصباً عالياً في الحجاز!. فهذا الخبر مختلق من أصله، لأنه لا وليّ أمر الحجاز استدعاني لشيء من هذا، ولا إذا استدعاني جلالة الملك المشار إليه أو غيره من الملوك لتولّي أي منصب مهما كان عالياً أُجيب هذا الاقتراح. ليس هذا مني من قبيل التعاظم على المناصب والاعتداد بالنفس ولا من قبيل إنكار عطف جلالة ملك الحجاز ونجد أو غيره من ملوك العرب على هذا الضعيف، بل هو من أجل كوني أكره المناصب وأعاف خدمة الحكومة، وقد كنت رفضت المناصب وأنا بعد في العهد الذي يصح أن يقال فيه عهد الشباب، فكيف أقبل المناصب وقد دخلت في سن الشيخوخة، إنني لا أرضى منصباً سوى منصب خدمتي لوطني بتمام حريتي واختياري، ولا أعلم مقصد هذا الشخص الذي أذاع هذا الخبر المختلق إلاّ أن يكون قصد الفتنة بيننا وبين أصحابنا الذين يشغلون بعض المناصب العالية هناك، وقد نسي هذا المختلق المجهول عندنا أن جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الإمام يحيى ـ أيّدهما الله ـ يعلمان أن قضية قبول المناصب مرفوعة من فكرنا تماماً منذ زمن طويل، ويظهر أن الأفّاك الذي وضع هذا الخبر من عند نفسه احتاط لأكذوبته هذه من قبل، فزعم أن المكتوب الذي اطّلع عليه مني يشير إلى ذلك المعنى تلميحاً... فكأنه لحظ أنني إذا سمعت بهذه القصة بادرت بتكذيبها فرموه الناس بالبهت والاختلاق، فوطّأ لذلك توطئة يعتذر بها عن فريَّته إذا ظهرت، وهذا بقوله إنني كتبت «تلميحاً» حتى إذا سئل لماذا أشاع هذا الخبر العاري عن الصحة، أجاب بأنه قرأ عبارة توهَّمها بهذا المعنى لأن التلميح كما لا يُخفى غير التصريح فقد يلتبس على القارىء.

شكيب أرسلان

برلين ٢٩ تشرين الثاني

زيارة الأمبراطور غليوم

زار الأمير شكيب جلالة الأمبراطور غليوم الثاني في قصره بهولندا، وقضى في ضيافته ليلة. وقد كتب الأمير الجليل على أثر هذه الزيارة كتاباً خاصاً إلى أحد أصدقائه المصريين. نقلت هذه الرسالة جريدة «الصفاء» في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٥ م، وقد جاء فيها:

... وفي هذه النوبة ذهبت من برلين إلى هولندا وزرت جلالة أمبراطور ألمانيا السابق الذي كان دعاني للطعام عنده هو وجلالة الأمبراطورة، وبتُّ ليلة في قصره المسمَّى «دورن» ولقيت حفاوة فوق الوصف، وتجاذبت مع جلالة القيصر أطراف الحديث عن قديم وحديث، وأعظم ما أوجب شكري له وإعجابي بجلالته قوله لي ونحن نتذاكر زيارته لدمشق سنة ١٨٩٨ : «لست ناسياً أبداً الجملة التي قلتها في دمشق» يريد بذلك الجملة التي قال فيها يومئذٍ إنه صديق الثلاثمائة مليون مسلم الذي على وجه الأرض.

وقوله لي: «أهنتك ورفاقك الذين ذهبتم إلى جزيرة العرب وعقدتم الصلح بين ملكي العرب، وإني أهنئهما أيضاً على جنوح كل منهما لمسالمة أخيه»، ثم شدَّ يده على يديَّ قائلاً: «ينبغي أن يكونا هكذا يداً واحدة لا يفصل بينهما أحد لأسباب أنتم تعلمونها».

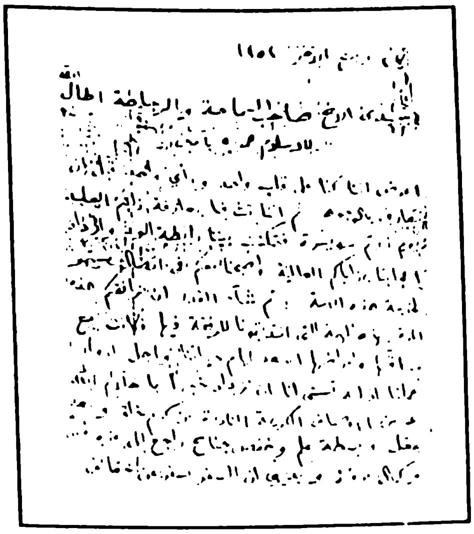
ووجدت جلالة الأمبراطور متألِّماً ممَّا بلغه من أن التاج الذي أهداه إلى مقام صلاح الدين الأيوبي قد سرقه بعضهم... وقال: «هذه مسألة لا تعلُّق لها في الحرب حتى يجعلوا هذا التاج من جملة الغنائم». ومن العبارات المهمَّة التي قالها لي:

«ألمانيا لم تغتصب شبر أرض من أراضي العالم الإسلامي».

والقيصر ولهلم الثاني قد بلغ السادسة والسبعين من عمره، وتظنه لم يبلغ الستين، وإن كثيراً لم يبلغوا الخمسين لا تظهر عليهم ملامح القوة ولا مظاهر الذكاء وطراوة الفكر التي تظهر عليه، وقلَّما عرفت رجلاً في سرعة لحظه وإحاطة فكره وسِعة اطِّلاعه. ومما خصَّني به من الإكرام أنه أهداني صورة مكبَّرة بزي قائد عثماني، وأهداني مؤلَّفاته، وكذلك أهدتني الأمبراطورة صورتها، وكل منهما كتب اسمه على صورته.

والقيصرة هي أيضاً نادرة في الذكاء والاطِّلاع وسِعة العقل، ولها حرمة عظيمة عند الألمان مثل جلالته. وفي أعياد القيصر لا تزال تأتيه إلى الآن الأُلوف من تلغرافات التهنئة ولا يوجد عاقل فَقَد عرشه ولا يزال موقَّراً كأنه على عرشه مثل هذا الملك.

بين الأمير والمفتي الحسيني



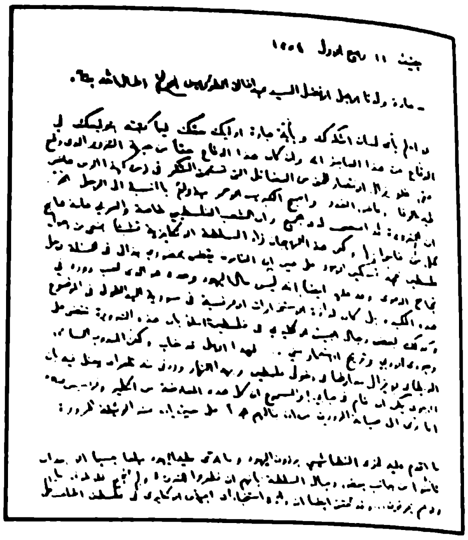
وكتب الأمير شكيب رسالة إلى سماحة الحاج أمين أفندي الحسيني المفتي الأكبر ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى في القدس الشريف، يبادله بعض العواطف والمجاملات ويحثُّه على خدمة الإسلام والمسلمين. وقد نشرت هذه الرسالة في جريدة «الجامعة العربية» بتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٣٥ م.

٢٧ ربيع الآخر ١٣٥٣

سيدي الأخ صاحب السماحة والرجاحة أطال الله للإسلام عمره آمين

أعرض أننا كنا على قلب واحد ورأي واحد قبل أن نتعارف بالوجوه، ثم إننا تشرَّفنا بمعارفة ذاتكم العلية يوم زرتم سويسرا فتمكَّنت بيننا رابطة الود وازداد إعجابنا بمزاياكم العالية، وأصبحنا معكم في اتصال مستمر لخدمة هذه الأمة. ثم شاء القدر أن نرافقكم هذه المدة بهذه المهمة التي انتدبتمونا للرفقة فيها فكانت مع مشاقِّها وأمراضها أسعد أيام حياتنا وأجلّ أدوار عملنا، إذ أنه تسنَّى لنا أن نزداد خبراً بما حلاَّكم الله به من الأوصاف الكريمة النادرة من كرم خُلُق، وسِعَة عقل، وبسطة علم، وخفض جناح راجع إلى عزة نفس، وكمال مروءة. وبديهي أن السفر يسفر عن حقائق أحوال الرجال فرأينا من سماحتكم كل ما زادنا بكم ارتباطاً وبمحبتكم اغتباطاً، وعلمنا أنكم خير من يعوَّل عليه في الوقت الحاضر للنهوض بالإسلام والمسلمين. فأقصى أمانينا هو أن يطيل الله لكم حياتكم ويؤيِّد كلمتكم وهذا دعاء شامل وخير كامل. ثم أرجو أن تداوموا على الاستجمام والاستشفاء وتبديل الهواء، إلى أن يزول كل أثر للضعف وتقدروا على استئناف الشغل. وسلامي وثنائي ومزيد تشكراتي لكل من حواه مجلسكم الكريم، لا سيما فضيلة الأستاذ الشيخ إسماعيل الحافظ، وسعادة سعيد بك الحسيني، وأمين بك التميمي، وجمال بك الحسيني، والسيد منيف الحسيني، والشيخ فهمي الغريب، ولا تبرحونا دائرة الخاطر الكريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الداعي/ شكيب أرسلان



الوثائق المزوّرة

رسالة من الأمير شكيب إلى الأستاذ عبد الخالق الطريس أحد علماء المغرب العربي، يشكره فيها على ما كتبه عنه في جريدة «الحياة» العدد الخاص بقضية رسالة التزوير عن الأمير، مروراً بهذه القصة التي كان وراءها المسّ بكرامة الأمير وإلحاق الضرر بشخصه والطعن في جهاده. مؤرخة في ١٤ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ، الموافق ١٤ حزيران ١٩٣٥ م. وإن من المؤسف أن الرسالة طُويت ووجهها إلى الخارج فصادف طيُّها على السطر السابع عشر منها، فتحاتَّ الورق وانطلس السطر بكامله فلم يمكن استدراك شيء منه[1].

جنيف ١٤ ربيع الأول ١٣٥٤

سعادة ولدنا الأجل الأفضل السيد عبد الخالق الطوريس الأفخم أطال الله بقاءه

لا أعلم بأي لسان أشكرك وبأيَّة عبارة أوفيك حقَّك فيما كتبته بتوقيعك في الدفاع عن هذا العاجز. إنه وإن كان هذا الدفاع حقاً من جهة التزوير الذي وقع بحقي فلا يزال الانتصار للحق من الفضائل التي تستحق الشكر في زمن كهذا الزمن، غاض فيه الوفاء وفاض الغدر وأصبح الكبريت الأحمر مبذولاً بالنسبة إلى الرجل الحرّ. إن التزويرة قد افتضحت لدى الجميع وإن الشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة هائج على من قاموا بها، ولكن هذا الهيجان زاد السلطة الإنكليزية تشبُّثاً بمنعي من دخول فلسطين بحجة تسكين الأمور، على حين أن القانون يقضي بحضوري بذاتي في المسألة لأجل نجاح الدعوى. وقد ظهر أيضاً أنه ليس مال اليهود وحده هو الذي لعب دوره في هذه المكيدة بل كانت لدائرة الاستخبارات الإفرنسية في سوريا اليد الطولى في الموضوع، وكذلك لبعض رجال الجيش الإنكليزي في فلسطين يد، أملاً بأن هذه التزويرة تقضي على وجودي الأدبي وتريح الاستعمار مني. . . فهذا الأمل قد خاب ولكن المندوب السامي البريطاني لا يزال معارضاً

---

(١) من كتاب «وثائق سرّية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب» لمحمد بن عزوز حكيم، تطوان، ١٩٨٠.

في دخولي فلسطين، وبهذا النهار وردني منه تلغراف يعتلّ فيه بأن الدعوى يمكن أن تُقام في غيابي؟ والمسموع أن كل هذه المعارضة من إنكليز وفرنسيس ويهود إنما ترمي إلى صيانة المزوِّرين من أن ينالهم الجزاء، على حين أن نشر الوثيقة المزوَّرة...

... ما أقدم عليه فخري النشاشيبي برذون اليهود، وما أدّى عليه اليهود مبلغاً جسيماً إلا بعد أن تأمّنوا من جانب بعض رجال السلطة بأنهم نشروا التزويرة ولم تنجح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون... وقد تحقَّق أيضاً أن دائرة استخبارات الجيش الإنكليزي في فلسطين اطَّلعت على الكتاب المزوَّر قبل نشره... نعم دائرة استخبارات البوليس عند اطِّلاعها عليه قالت إنه مزوَّر ولم تُشِرْ بنشره خوفاً على الأمن العام، غير أن رأيها لم يكن المطاع. فأما الأمن العام فبقي مصوناً بسبب أن الشعب كله إلا زعنفة لا تُذكر كان معنا، وأن ستين ألف رجل كانوا في موسم النبي موسى يهتفون باسمنا واسم الحاج أمين الحسيني ولم يجرأ أحد أن يخالفهم، ثم في يافا أخيراً صارت مظاهرة عظيمة لنا من النمط نفسه أثبتت أن حزب التزوير دليل مهين، وإنما يقوم بهم مال اليهود من جهة ومحافظة السلطة الاستعمارية عليهم سراً من جهة أخرى. هذا هو الموقع الآن وشكراً لكم ولأهل المغرب العزيز أجمع على مظاهرتكم لنا بما كان له أعظم وقع في العالم العربي والإسلامي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان

لغويّات

رسالة كتبها الأمير إلى صديقه محمد رشيد رضا، بتاريخ ٩ أغسطس ١٩٣١، وكانت تقوم بينهما مناقشات لغوية. وقد اخترناها كنموذج من عدة رسائل نشرها أحمد الشرباصي في كتابه «أمير البيان شكيب أرسلان» الجزء الأول، ١٩٦٣.

لوزان في ٩ أغسطس ١٩٣١

سيّدي الأخ الأستاذ أيّده الله

تناولت كتابك رقم ٢٤ يوليو وهو الذي فيه الكلام على أغلاطي اللغوية والبيانية وغيرها، وقد شكرتك على ذلك كثيراً، ولم يسرني كتابٌ منك أكثر من هذا الكتاب، فإننا قوم مهنتنا الكتابة، وبقدر ما نبعد عن الخطأ، ويقل تعرُّضنا للانتقاد يكون سرورنا، وهذا بديهي. إلا أني مضطر أن أراجعك في أشياء، لا لأنه يصعب عليَّ الاعتراف بالخطأ، ولا سيما إذا نبَّهت عليه أنت، بل لأنه يجوز أن تكون أنت غير متذكِّر بسبب كثرة أشغالك، ولذلك ينبغي تذكيرك. ومن باب التمثيل أقول لك: إنك خطّأتني في استعمال «الفيلق» بالتذكير، وذكرت ذلك في حاشية أحد الكتب التي طبعتها عندك، وقد كنت تقدر أن تقول إنه يجوز فيها التذكير مراعاة للَّفظ، أو تأويلاً لها بجيش، مما له نظائر كثيرة في كلامهم، فلم تفعل، بل جزمت بالخطأ، وهذا الجزم هو الذي اضطرني إلى أن آتي لك بشاهد من ابن الأبار القضاعي:

وأوطـــىء الفيلـــق الجـــرار أرضَهُـــم حتـى يطـأطـىء رأسـاً كـلُّ مـن رَأَسـا

وما كنتُ ممن يجهل أن ابن الأبّار وأمثاله مولدون، وأنه لا يؤخذ كلامُهم حجةً في اللغة، بل لا يؤخذ بكلام مَن أعلى منهم في اللغة، ولا بكلام المتنبي، ولا بكلام أبي تمام، ولا بكلام أبي نواس، ولا بكلام هذه الطبقة كلِّها، مع رسوخهم في اللغة، ولقد علمت هذا وأنا ابن ١٤ سنة، فلا يخفى عليَّ وأنا ابن إحدى وستين، فقولك لي: «لاتفاق علماء اللغة على أن المولدين لا يحتج بعربيتهم فلا يجعل شاهداً على أن الكلمة العربية (وتريد أن تقول إن الكلمة عربية فوضعت أل سهواً) وأنا عندما كتبت لمثلك أن كلمة الفيلق مؤنثة مثلاً، فإنما أعني بذلك الاستعمال الحر الفصيح... إلخ». هذا قد استغربته لأني منتظر منك فوائد جديدة، لا ذكر شيء أعرفه منذ الصغر.

ولعلك تقول لي: فإذا كنت تعرف هذا من الصغر فلماذا تستشهد بكلام المولدين؟ فأجيبك بأن كلام المولدين إن لم يصلح حجة ككلام الجاهليين والمخضرمين، فإنه يصح الاستئناس به، ولا سيما إذا كان هناك أصل من اللغة نفسها، وكان المولد من أمثال المتنبي وأبي تمام الذين كانت إحاطتهم باللغة موصوفة، فهؤلاء لا ينطقون بالكلمة إن لم يعرفوا لها أصلاً، وكذلك ابن الأبّار القضاعي الحافظ الشهير، لا شك أنه يُستأنس بكلامه، وتطمئن النفس إلى استعماله، ومثله أبو البركات الأنباري رأس النحاة وأمير علماء اللغة في وقته، إن لم يتخذ كلامه حجة ككلام امرىء القيس، أو علي بن أبي طالب، أو الأخطل، أو جرير مثلاً، فلا يجوز أن يهمل ويزدرى. ولقد رأينا كثيراً من المؤلفين في مباحثهم اللغوية يستشهدون بكلام الأئمة من المولدين، أو يجرون مجراهم، وذلك كما قالوا (مشاهير) مثلاً، لكثرة ورودها في كلام الأئمة. ولو كان ابن الأبار والأنباري استعملا لفظة(جاوب) بمعنى أجاب ولم يكن لها أصل من اللغة، لكنَّا نقول إنهما أيضاً قد غلطا، ولكن (لسان العرب) يقول: «والتجاوب»: التحاور، وتجاوب القوم جاوب بعضهم بعضاً، واستعمله بعض الشعراء في الطير فقال جحدر:

وممــا زادنــي فــاهتجــت شــوقــاً غِنــاء حمــامتيــن تجــاوبــان
تجــاوبتــا بلحــنٍ أعجمــيٍّ علــى غصنيــن مــن غَــرْبٍ وبــانِ

ثم نعود إلى (التحاور) الذي فسَّر به «التجاوب» فنراه يقول في مادة (حور) ما يلي:

«كلمته فما رجع إليَّ حَواراً وحِواراً ومحاورة وحَويراً ومَحُورة بضم الحاء بوزن مشورة أي جواباً. وأحار عليه جوابه ردَّه، وأحرت له جواباً وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحَوِير، تقول سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب».

ثم يذكر حديثاً لعلي رضي الله عنه فيه: «يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثتما به» ويقول في تفسيره: «أي بجواب». وبالاختصار نجد هنا المجاوبة والتجاوب والجواب نظير المحاورة والتحاور والحوار، فكلها صحيحة فصيحة، وغاية ما يقال إن: (أجاب) أشيع في الاستعمال من (جاوب)، وإن جاوب يقتضي أخذاً وردًّا بين المتجاوبين.

ولقد أنصفت في قولك إنك إنما تبغي الاستعمال الحر الأصلي في اللغة أو الفصيح أو الأفصح، وإذا كان مرادك الأفصح فلا كلام لي، ولكن يا سيدي هذا الأفصح أرجوك أن تقول لي من تقيد به؟. هذا كلام الأئمة كلهم، تجد فيه من العدول عن الأفصح ومن استعمال الضعيف ما لا يحصى، وأنت ـ وإنك لا شك من الأئمة ـ لك في «المنار» استعمالات كثيرة من هذا القبيل، منها ما هو ليس من العربي الأصلي الحر، ومنها ما لا يصح إلا بتأويل، وما ألومك على ذلك ولا

ألوم الأئمة، وذلك مقصدهم التفهيم، ولك عصر ألفاظ غالبة عليه، فلم يكن لهم مندوحة عن الاستعمالات التي هي أقرب إلى فهم الناس. ومؤخراً كتبتَ إليَّ تقول لي: «بنونة لم يستلم الكتب»، وهذا اصطلاح عامي في هذا الموضع، وإن صح فلا بد من تأويل بعيد، والأصح فيه: «لم يتسلَّم الكتب». ولكنك جريت هنا مجرى الجمهور من أبناء هذا العصر. وأنا إنما أذكِّرك بذلك لتعلم أني مثلك قد أتابع الناس أحياناً، لا جهلاً بل مراعاة لفهمهم. ولقد قرأت في حياتي «درة الغواص» وشرحها للخفاجي وشرحها للآلوسي، وقرأت كثيراً من المباحث التي في معناها، وقرأت مناقشات أحمد فارس، وإبراهيم اليازجي، أي «سلوان الشجي في الرد على إبراهيم اليازجي»، وقرأت «لغة الجرائد» لإبراهيم المذكور، وغير ذلك، وكنت كثيراً ما أشافه البستاني والشرتوني في هذه الأمور: ما يجوز وما لا يجوز، وما يمكن تأويله وما لا وجه له، فلست بدون بضاعة في هذا الباب، ولكني لا أدَّعي مع ذلك أني سالم من الخطأ حتى في اللغة التي أكثر ما أشتغل بها.

وما أراجعك فيما تقوله استصعاباً لنقدك إياي، بل أنا والله شاكرٌ لك جداً هذا النقد الذي معناه حبُّ الكمال لي ما أمكن، ولكني أراجعك حتى أذكِّرك وأنبِّهك إلى ما قد تكون أشغالك أذهبته عن بالك، أو لست منه على بيِّنة. قلت لي مرة إن استعمال «فضلاً عن كذا» تحسبه مولَّداً، وأنا أراه كذلك، ولكني رأيته في كلام المنشئين الكبار الأولين وقيَّدته، وأظن أني رأيته في كلام الجاحظ، وحسبنا أن نقتدي بهؤلاء. ولقد ساءني كون وقتك لم يتسع للإتيان بأمثلة من أغلاطي اللغوية والبيانية، فحبذا لو تيسَّر لك ذلك، فيكون لك الفضل العظيم فيه. أما استعمالي (رأساً) بمعنى تواً فهو فاشٍ، ولا يصعب تأويله، لأن «رأس كل شيء أوله» في اللغة، فقولنا: «ذهب رأساً» أي أولاً. فأي شيء في هذا؟. وأما العياء فالمتنبي ـ الذي كان يعرف معنى العياء ـ يقول: «عياء به مات المحبون من قبل». وأنت مصيب في قولك إنه المرض الذي يُعيي الأطباء، وهو ما كان مرضي بمكة، لولا أن الله سلَّم، فقد كانوا خافوا كثيراً، وأقرُّوا لي بذلك بعد أن شفيت، وقالوا لي: إني قبل صعودي إلى الطائف كنت أشفيت. «ونحو كذا» بدلاً من «نحو من كذا» قالوا فيه إنه خطأ كما تقول، وقرأت أنا ذلك، ولكني أنا أعلم جيداً أنهم يقولون: «زهاء مائة» أي قدر مائة، ولا يقولون زهاء من مائة، وقد فسَّروا الزهاء بالقدر، وماذا عليَّ أن أجري «نحواً» مجرى زهاء والمعنى واحد؟. وقد ورد في مستدرك التاج: «والنحو المثل والمقدار». وأما «صدر منه» بدلاً من «صدر عنه»، فلعمري هذا عائد للمعنى، فإن كان المراد الإتيان بذنب، وقلنا: «الذنب الذي صدر منه» بمعنى برز منه، أفترى ذلك غلطاً؟.

التقديم والتأخير في المسند والمسند إليه ومتعلِّقات الفعل قد نقع فيه من العجلة وعدم اتِّساع

الوقت للمراجعة، وأرى منه كثيراً في كلام الكبار الذين لا يقدرون أن يراجعوا من ضيق وقتهم، وحبذا لو جئتني ببعض جُمل من كلامي لأتجنَّب الوقوع.

والعطف في غير موضعه في كلامي أريد له مثالاً، ومتى عطفتُ أنا في ابتداء الكلام؟ ومتى تركت العطف حيث يجب؟ كل هذا ممكن بسبب العجلة، لكن يتَّضح لي أكثر لو أتيتني بشاهد، ومثله جواب الشرط في موضع جواب القسم، ويجوز من كثرة العجلة أن تبقى كلمات في المحبرة، على حين أنا أظن أني أثبتُّها، ثم إني لا أتنبَّه لها إلا فيما بعد، وقد وقع لي ذلك مراراً.

وأما رسالة «لماذا تأخر المسلمون» فبنونة كان غائباً، ولما جاء تسلَّمها، وقريباً يبعث إليك بالثمن، أي عن ١٥٠ نسخة، ولذلك أرجو أن تبعث له بخمسين نسخة من «الارتسامات» أو بإحدى وخمسين؛ الواحدة له هدية والخمسون للبيع.

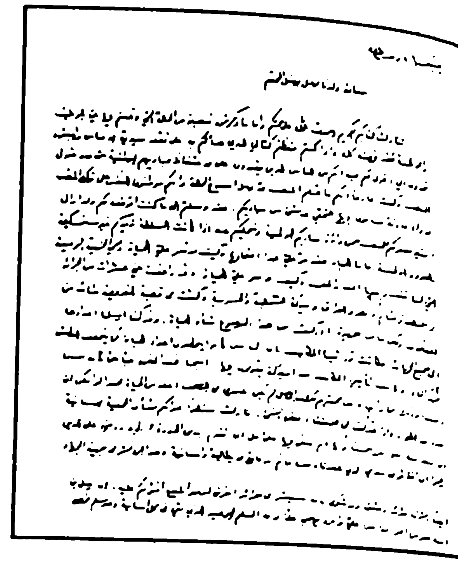
والزاهري يرى عدم وصول الكتب إلى أصحابها بالجزائر وتلمسان ناشئاً عن عدم صحة العناوين، لهذا كتبت إلى السيد عبد الرحمٰن عاصم ليصحِّح جيداً العناوين، ويبعث بالرسالة والارتسامات طروداً صغيرة، كل طرد ٢٠ نسخة، وليجرِّب بطرد إلى الزاهري والمدني، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخـوك

شكيب أرسلان

الملك فيصل تغدَّى عندي أمس هو وجميع حاشيته، وعاد عصر النهار إلى برن.

استقالة الطريس



رسالة من الأمير مؤرخة من جنيف بتاريخ ٢٠ رجب ١٣٥٤ هـ، الموافق ٨ تشرين الأول ١٩٣٥ م، إلى الأستاذ عبد الخالق الطريس، حول استقالة الأستاذ الطريس من منصب مدير عام للأحباس في الحكومة الخليفية، هذا نصُّها[1]:

جنيف ٢٠ رجب ١٣٥٤

سعادة ولدنا الأجل الأمثل المحترم

تناولت كتابكم الكريم وحمدت الله على صحتكم، وأما ما ذكرتموه تفصيلاً عن الحالة التي وقعتم فيها بين الوظيفة والوطنية، فقد فهمته كله وإذا كنتم حفظتم كتابي الذي هنَّأتكم به على تقلّد مديرية الأحباس وراجعتموه، تجدون أني أقول لكم فيه إنكم من الناس الذين يقدرون على الاحتفاظ بمباديهم الوطنية حتى بعد قبول المنصب، وكنت عارفاً أنكم ما قبلتم المنصب إلاَّ لأجل إصلاح الحالة وأنكم موطِّنون النفس على ترك المنصب لأول حادثة تُسامون فيها التخلي عن شيء من مباديكم. فقد وصلتم إلى ما كنت أتوقعه لكم ولا أزال أشير بقبولكم للمنصب ضمن دائرة مباديكم الوطنية، وتخليكم عنه إذا كانت السلطة تريدكم غير مستمسكين بالعروة الوطنية، فأما «الحياة» فقد عزّ عليَّ جداً احتجابها وكيف لا تعزُّ عليَّ «الحياة» وهي الجريدة الوحيدة التي كنا نتنسَّم منها أخبار المغرب، وكيف لا تعزُّ عليَّ «الحياة» وقد دافعت عني عشرات من الجرائد في فلسطين والشام ومصر والعراق وأميركا الشمالية والجنوبية وكتبت في قضية التزويرة مئات من المقالات، ولكن ما من جريدة أدركت من هذا الموضوع شأو «الحياة». وقد كنا أرسلنا أعدادها إلى جميع الجهات فكانت ترد إلينا المكاتيب بأن الناس كانوا يتخطَّفون أعداد «الحياة» كما يتخطَّف العطاشى قِرَب الماء، وكانت تأتيني المكاتيب من أميركا يقولون فيها أصبحنا نحب المغرب حباً جماً كأنه

---

(١) من كتاب «وثائق سرّية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب» لمحمد بن عزوز حكيم، تطوان، ١٩٨٠.

نفس وطننا وذلك مما رأيناه من محبتهم لك. والحاصل لم يكن عندي في الصحف أغلى من «الحياة». فحبذا لو أمكن أن تعود إلى الظهور ولو اعتدلت في الانتقاء بعض الشيء. ما زلت منتظراً جوابكم بشأن الجمعية الإسبانية الإسلامية هل نقرر جميعنا تركها أم نبقى فيها على أمل أن نقوم ببعض الخدمة؟ يليه ردٌّ مني على الذين زعموا أن المؤتمر الإسلامي الذي عقدناه هنا قائم بدعاية إيطالية وإسبانية، وهذا الرد نشر في جريدة «الجهاد» أيضاً ونشرته جرائد دمشق، ولا شك بأنه سينشر في جرائد أخرى أرجو إطلاع إخوانكم عليه. إن خليل بن أمية هو من أعزّ الناس عليَّ وأمره يهمُّني جداً لأنه المسلم الوحيد الذي بقي في كل إسبانية، وهو مسلم مخلص وممن يستفاد من علمه وقد جاء واتخذ تطوان داراً، فالرجاء من مكارمكم أن تجدوا له من الأشغال ما يقوم بأوده وبذلك تكفونني هماً كبيراً، وقد كنت أريد لو تساعدوه في نفقة السفر إلى مصر وإعطاءه جميع النواحي اللازمة ولكن وعدوه وما أنجزوا وهو مضطر أن ينتظر البرّ فيه وقد لجأ الآن إلى تطوان وطالما أثنى عليكم، فأرجو أن تشملوه بعواطفكم ولا تغفلوا عن مساعدته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

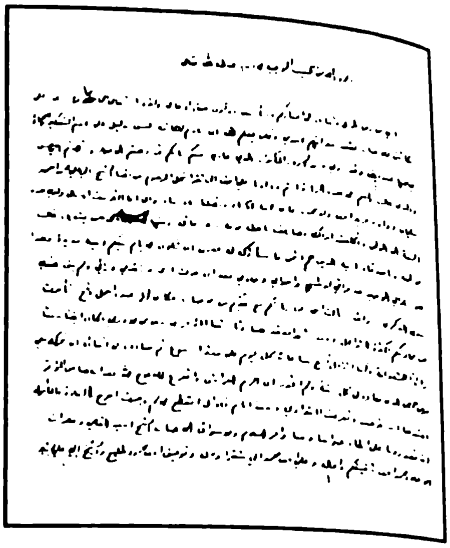
المخلص

شكيب أرسلان

11 Rue marignac, Genève

أمليت هذا الكتاب من الفراش لأن مرض الحصى عاد فتحرك عليّ.

خصوصيات مع وهبه طليع



رسالة من الأمير إلى الشيخ وهبه طليع الذي كان يكنُّ له محبة وتقديراً، وفيها بعض الذكريات ومرض شكيب وبعض المسائل التاريخية. كتبها من جنيف بتاريخ ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٣٥ م.

١٠ تشرين الأول ١٩٣٥

حضرة الصديق الحبيب الوجيه الأديب حفظه الله تعالى

إنني من زمن طويل مشتاق إلى أخباركم ومتأسف من كون ضيق أوقاتي وكثرة أشغالي هما مما لا يساعد على مكاتبتي للأحباب بقدر منزلتهم عندي، ولكن يعلم الله أن عدم المكاتبة ليس بدليل على عدم التفكير والضمائر بعضها عند بعض، وقد سرَّني مزيد السرور المكتوب الذي جاءني منكم بأنكم قد ذهبتم إلى صوفر وشهدتم أخي حسن وولدي غالب، وكنتم في هذه الزيارة أنتم وولدنا علي أفندي أبي شقرا نجل المرحوم صديقنا الشيخ أبي علي محمد أحمد سليمان وولده فريد أفندي، ولا عجب فإن محبة الآباء متصلة بالأبناء، وإني إنما التزمت إرسال ولدي هذه السنة إلى الوطن وتكلَّفت لذلك مصاريف باهظة لأنه سفر عائلة برمتها، حتى يتعرَّف غالب بوطنه وبأصدقاء أبيه الذين هم أثمن ما سأتركه له، فعسى أن تكون الأيام بينكم وبينه مديدة وهذا هو سلواني الوحيد عن فراقي لوطني وإخواني وخلاَّني بعد أن صرت أرى مستقبلي ورائي ولم يبقَ عندي سوى الذكرى. ولقد سألت ابني عن زيارتكم مع غيركم من الأحباب فكان لها عنده أجمل وقع. تأخرت عن مجاوبتكم لكثرة الشواغل ومنذ شهر انعقد هنا برئاستنا المؤتمر الإسلامي الأوروبي فكان أيضاً سبباً زائداً للمشغولية، وكنا نشتغل تسع ساعات كل يوم على مدة أسبوع، ثم صادف في أثنائه أن تحرَّك معي مرض الحصى الذي يعاودني كل سنة، ولم أقدر أن ألزم الفراش وأتفرَّغ للعلاج إلاَّ بعد انفضاض المؤتمر فعندها استرحت وتفرغت للتداوي، ومنذ أيام قلائل انقطع الألم وصرت أخرج كالعادة فالمأمول أن تعذرونا على إبطاء جوابنا، ومنا وافر السلام والأشواق إلى جناب الشيخ أمين القاضي، وحضرات الأجلاء محمد أفندي شقيقكم وأنجاله، وعلي أفندي محمد أبي شقرا ونجله،

وتوفيق أفندي محمود طليع، والشيخ أبي علي بشير الفطايري الذي أفكِّر فيه كثيراً وأؤكد له بأنه لن يختلف مع سعادة الست نظيرة، إذا كان السبب الذي يتصوَّرة لوقوع الخلاف هو أن نعود إلى البلاد ونختلف معها فعلى فرض البعيد وإمكان رجوعنا إلى الوطن، فليس من المحتمل أن نتعاطى سياسة محلية حتى تختلف مع أحد أياً كان وهذا لا يخفى عن ذكاء الشيخ أبي علي بشير، ولكنه إنما أراد الممازحة مع الست نظيرة وأراد أيضاً أن يبيِّن لها شدة تعلُّقه بنا، فسلِّموا لنا عليه بقدر محبته ومحبتكم لنا وسلِّموا على أنجالكم ودمتم.

المخلص/ شكيب أرسلان

11 Rue Marignac, Genève

إن جميع أهالي بوسنة والهرسك هم سنيّون على المذهب الحنفي، وما سمعت أصلاً بوجود أحد من بني معروف لا في بوسنة والهرسك ولا في ألبانيا ولا في اليونان ولا في استانبول ولا في الأناضول، نعم في ألبانيا يوجد فرقة اسمها البكثاشية يختلف اعتقادهم عن أهل السنة ويبالغون في سيدنا علي رضي الله عنه وهم غير الدروز، وكذلك يوجد في الأناضول أناس من هذه الفرقة ومن فرقة أخرى مشابهة لها في العقيدة ومشابهة أيضاً للنصيريّة اسمها قيزل باش، وربما يوجد من هؤلاء أناس في الأستانة ولكنهم يكتمون أنفسهم. فأما في الهند فيوجد إسماعيلية وليسوا تسعة ملايين بل ربما كانوا نصف هذا العدد، والإسماعيلية هم والدروز من أصل واحد، والدروز يسمُّونهم الفئة المقصِّرة لأنهم قصَّروا عن الدرجة التي وصل إليها آل معروف، وهؤلاء الإسماعيلية هم فرقتان: فرقة يقال لها الخوجة وهم الذين يرأسهم آغا خان الشهير، ومن هذه الفرقة الإسماعيلية الذين في القدموس وحماه، وأما الفرقة الثانية فيقال لهم البُهرة ومنهم كثير في الهند ومنهم أيضاً في اليمن في مقاطعة حراز، وكذلك أهل نجران اليمن كلهم منهم. ولمَّا ذهب فؤاد بك حمزة إلى نجران من قِبل الملك ابن مسعود اجتمع معهم وسألته في مكة هل تحادث معهم في أمور عقيدتهم؟ فقال لي: نعم ورئيسهم هناك يقال له الداعي والسبب في انقسام الإسماعيلية إلى هاتين الفرقتين - مع أن العقيدة واحدة - أنه كان من الخلفاء الفاطميين اثنان أخوان تنازعا الخلافة أحدهما اسمه نزار والثاني اسمه المستعلي، ففرقة الخوجه اتَّبعوا نزار وفرقة البُهرة هم جماعة المستعلي وقد انقرضوا جميعاً من مصر، ولكن كان منهم بقايا في الصعيد يكتمون أنفسهم، ولمَّا زرت الصعيد سنلا ١٩١٢ وكان معي عباس عبد الخالق قال لي إنه اجتمع بواحد منهم، وهم بدون شك من بقايا الإسماعيلية وأخبرني السيد جمال الدين الأفغاني أن جبال هزارة في أفغانستان سكانها أيضاً من الإسماعيلية.

مع الأمير نديم ناصر الدين

كان بين الأمير نديم آل ناصر الدين والأمير شكيب أرسلان مراسلات كثيرة، سرقت من مكتبة الأمير نديم في (كفر متى) أثناء أحداث الشحار الدامية ولم يسلم غير بقايا مبعثرة، وبينها الرسالة التالية، من جنيف، بتاريخ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٥ م، يشير فيها إلى حملات الافتراء عليه[١].

جناب ولدنا الأجل الأمير نديم آل ناصر الدين المحترم دام بقاؤه

شكرتكم كثيراً على إرسالكم قصاصة جريدة «النهار» التي فيها تكذيب شبلي بك الملاّط لذلك الذي سمُّوه بالقائد التركي الكبير، وما أظنه إلاَّ اسماً مستعاراً لجاسوس من جواسيس أنقرة، وبارك الله في وجدان شبلي بك الذي لم يكن كغيره، كذلك لا عجب في أن يتفضَّل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية حبيب باشا السعد بما تفضَّل به من شهادة تبرئة هذا العاجز ممّا نسب إليه، فإذا لم تكن هذه الشهادة بالحق فعند من تكون؟ أسأل الله أن يمتع لبنان بطول حياته، ولقد رأيت مقالتي في أحد الأعداد الأخيرة من «الصفاء» وشكرتكم على نشرها، فإن اطَّلعتم على شيء من جريدة «النهار» يتعلق بهذا الموضوع، فتكرَّموا بإرساله حتى أطَّلع عليه. ولدي غالب يشكركم ويسأل خاطركم. تتأخر أجوبتي كثيراً لأنني أتلقّى في دور السنة ألفي مكتوب وأُجيب عليها كلّها هذا عدا الكتابة الأخرى، وقد صممت في هذه المدة الأخيرة على ترك مراسلة الجرائد إلاَّ لسبب فوق العادة، وذلك لأنه عندي كتب لا بدَّ من إنجازها قبل وداع هذه الدنيا، فإن بقيت أراسل الصحف وأجاوب في الحين كلّ مُكاتب بقيت هذه الكتب في زوايا مكتبتي وانطويت أنا قبل أن تنشر، ولا تعجب إذا قلت لك من دون أدنى مبالغة إني أتكلّف في السنة مائة وخمسين ليرة ذهباً أجرة بوسطة وأجرة تلغرافات، وربما أعوزني المال للوازم ضروريّة لعائلتي فلم أجده، وعدا ضياع الوقت وضياع النقد فإني أحمِّل صحتي وأنا في الخامسة والستين ما لا تتحمَّله صحة، ويكون الجزاء في آخر النهار الطعن والقذف والحقد واللوم، وهكذا يكافأ من يخدم هذه الأمة وهذا الوطن، وعند الله تجتمع الخصوم والأصدقاء ودام بقاكم.

المخلص/ شكيب أرسلان
جنيف ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٥

---

(١) من محفوظات الأمير نديم آل ناصر الدين.

وفاة الإمام محمد رشيد رضا

عندما بلغ الأمير وفاة صديقه الحميم الإمام السيد محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) بعث إلى الأستاذ محمد علي الطاهر بهذه الرسالة أدناه، التي نمَّت كل كلمة فيها على مدى حزن الأمير وتأثُّره العميق لوفاة هذا الصديق الصدوق، وقد نشر هذه الرسالة الأستاذ الطاهر في كتاب «خمسون عاماً في القضية العربية» دار الريحاني، بيروت.

أخي أبا الحسن لا عدمته

لا أعرف كيف أخاطبك، ولا بماذا أعبِّر لك عن حالتي النفسية. وهذه ثلاثة أيام مضت على نعي المرحوم فقيد الإسلام السيد رشيد وأنا لا أعي من الحزن، وكأني متعتع إذا أردت أن أمسك القلم أو أن أتكلَّم لا أجدني حاضراً، فإن شدة الصدمة تركت الذهن ذاهلاً وأعادت العقل خاملاً. وقد كنت هذه الأيام الأخيرة في زوريخ ذهبت لمشاهدة صديقي العزيز عزت باشا وكان ذهابي في سادس عشر أغسطس فبقيت إلى ٢٣ منه، وفي أثناء غيابي في زوريخ جاء التلغراف المتضمِّن ـ واحسرتاه ـ نعي ذلك الرجل العظيم الذي لا يخلفه الدهر إلا في القرون، فأرسلوا لي بالتلغراف إلى زوريخ وكنت أنا غادرتها إلى برن، فبتُّ فيها ليلة في الأوتيل الذي ننزل فيه دائماً والذي أسلم فيه الروح الملك فيصل رحمه الله، ثم جئت إلى لوزان فبتُّ ليلتين ثم رجعت إلى جنيف، وبعد وصولي بساعات جاء الأخ إحسان حقي وسألني عما إذا كنت تلقيت مكتوبه المنطوي على التلغراف، فقلت له إني خرجت من زوريخ ولم آخذ تلغرافاً. وماذا عسى أن يكون، وكان كلامه لي يُشعر بأن هناك خطباً عظيماً فقلت له: كيفما كان الأمر فلا بد من أن تخبرني بفحوى هذا التلغراف بدون تأخير، فقال لي: عظَّم الله أجرك في السيد رشيد. فانعقد لساني وكان بجانبي بعض الأخوان فأخذوا بالتعزية، وبعد ذلك فاضت العبرات وتوالت الزفرات، وكان يوماً من الأيام المعدودة في حياتي لشدة ما أصابني فيها من الحزن. وكنت ليلة مبيتي في برن أي ٢٣ الجاري نهضت صباحاً في غاية الانزعاج ولا أدري السبب، وحلمت أحلاماً كلها غمّ وكرب، ولما انجلى الليل بالصبح لم يكن إلا صباح بأمثل! ولا أعلم هل كان فراق فقيدنا للحياة ليلة ٢٣ أغسطس فإنه إن كان ذلك فأكون قد شعرت بالمصاب باتصال الأرواح، وإلا فماذا الذي يوجب أن أقضي ذلك الليل في أحلام مزعجة ويصبح علي الصباح وأنا في غمّ شديد أشعر به ولا أعلم سببه هذا.. ولمَّا انتهيت من

البكاء بعد أخذي للخبر من فم إحسان حقي كتبت برقية باسم «المنار» جواباً على النعي وضمَّنتها بعض ما يجب إلى مقام الفقيد الأكبر أستاذ الأساتذة، وعلاّمة العلماء، وإمام الأئمة، ونبراس هذه الأمة. ووضعت إمضائي وإمضاء أخي إحسان بك الجابري وبقينا ذلك المساء نتحدث ـ واحرقتاه ـ عن مناقب هذا الفقيد الفريد، ونبرِّد أكبادنا الحرَّى بسرد محاسنه التي لا تحصى. وأخذت أتلو له آخر كتبه إليَّ وكيف كان رضي الله عنه يشتغل بهمَّة لا تعرف الكلال ولا الملال، إنه كان في هذه المدة الأخيرة يشتغل بترتيب ديواني وتصحيح طبعه، وأنه لم يكن أعجبه الترتيب الذي وجده فقدم آخر في مواضع القصائد وألزم الترتيب الذي رآه، وحمل نفسه على نسخ كثير من الشعر بخط يده ـ رحمه الله ـ مع أن أشغاله لا تحصى. وذكرت لهم أن كتابه الأخير إليَّ لم يمضِ عليه إلا عشرون يوماً وهو بخط يده وفيه أثر للشكاية من المرض ولكن ليس فيه شيء يدل على ضعف في النفس، ولا على حينونة الأجل.. وقد أجبته قائلاً له: دع عنك الآن كل شيء وانظر إلى صحتك. ونهار أمس أردت أن أكتب إليك فما كان يجيبني الكلام لشدة وقع الصدمة، فحدثت نفسي بأن أبعث إليك برقية وهذا أيضاً ذهلت عنه وقمت في هذا النهار وأردت أن أبرق إليك وأشكو بثِّي وحزني، ومضى النهار وأنا ذاهل إلى أن فكرت في أنه لا بد لي من أن أكتب إليك وأعزيك وأبث ما عندي من هول هذا المصاب ولوعة هذا الحزن، وأقول لك إني لو كنت جبلاً لتصدعت، وإني بخلاف سائر أيامي لا أكاد أمسك القلم إلا تكلُّفاً، ولا أُملي على الكتَّاب إلا تلكؤاً. ولا يجول في فكري سوى السيد رشيد، أتذكَّره وأذكر علاقاتي معه من اثنين وأربعين سنة، وأتأمل في خلاله الكثيرة الأثيرة من حسن عهد، وصفاء ودّ، وطيب سريرة، وشرف نفس، وعلوّ همة، ورقة شعور، وكرم أخلاق، ونبالة مبادىء، وهذا عدا العلم الذي هو فيه بحر لا تنزحه الدلاء، والتحقيق الذي قلَّما يصل إلى مثله أحد من العلماء، حتى إنه لينْدر في الغابرين فضلاً عن الحاضرين. ولقد كنا في أثناء مذاكراتنا عنه منذ سنين نقول إنه إذا انطوى لا يخلفه أحد، وإنه في الفن الذي اختص به ـ وهو إيجاد الحل الشرعي للقضايا العصرية ـ لن يقوم بعده من يسدُّ مسدَّه، وإن هذا الرجل أمة وحده، وإنه سيتعب من بعده.. وإن شأوه لا يدرك في مناقب كثيرة. والآن بعد أن فقدناه وواجهنا هذه الحقيقة ازداد علمنا بها، وخفقت القلوب من هولها، ورأينا بأعيننا الفقد الذي لا يعوَّض، والفراغ الذي لا يسدّ، والمنار وقد خبا، وذلك القلم الجبار وقد انطوى، وذلك السراج المنير وقد انطفأ، وأوحشت الدنيا لانطفائه، وأظلم العلم الإسلامي لفقد ضيائه. إنها المصيبة ولا كالمصائب، وإنها لحياة كانت ملأى بالجد وجلائل الأعمال.

وما انتهت إلا بعد أن امتلأت الآفاق شرقاً وغرباً بذكر رشيد رضا، فهكذا فليحيا من أراد أن يحيا حياً وميتاً، وهكذا فلينقلب إلى ربه من أراد أن يلقاه بقلب سليم، ونفع لعباده عظيم، ومَن

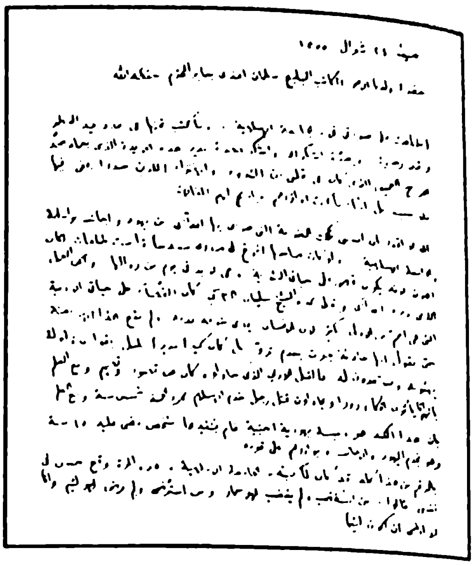
كرشيد رضا في العلماء العاملين، ومَن كذلك السيد السند في رجالات المسلمين، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. اللهم إنه كان رؤوفاً رحيماً فتغمَّده برحمتك، وإنه كان براً كريماً فعامله بكرمك، وأنزله منازل الأبرار الذين أنعمت عليهم، واجعل علمه خالداً يستفاد به في الأعقاب، واجعل اسمه رمزاً للعلم والكرم والنبل على طول الأحقاب، وأورث أنجاله وذريته خلاله الكريمة ومحاسنه الباهرة حتى يبقى هذا البيت مناراً عالياً ومثالاً صالحاً، وأفرغ الصبر الجميل عليهم وعلينا جميعاً فقد جلَّ هذا الخطب وفدح هذا الأمر، حتى إننا لا نتعزَّى عنه إلا بذكرى المصاب برسول الله عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين، الذين شيَّدوا بناء الإسلام، ثم أرجو منك أن تخبرني كل ما تعرف من كيفية مرضه - قدس الله روحه - وفي أي يوم وأية ساعة فاضت تلك الروح الطاهرة راجعة إلى ربها، وإنه ليبرد من لوعتي الوقوف على ذلك ولا شك أنه ستتألف لجنة للتأبين نهار الأربعين وسيكون مشهداً حافلاً لائقاً بمقام الراحل الكبير، فعرِّفني عن الذين تتألف منهم لجنة التأبين وهل وافق أن أبعث بالرثاء شعراً إلى الجرائد قبل الأربعين أم أبعث إليك وأنت تقدِّم القصيدة إلى اللجنة. وسأكتب إلى الصحف عما يحضرني بشأن الفقيد تباعاً وربما كتبت كتاباً خاصاً كما كتبت عن صديقي شوقي، وللسيد الفقيد عندي أكثر من ١٥٠ مكتوباً محفوظة كلها في ظرف خاص فيجوز أن آخذ منها ما يناسب نشره، لأن فيها فوائد كثيرة وأخلاقاً وآداباً وتحقيقات في كل فن. وأراني لا أقدر أن أخفِّف من حسراتي إلا بنشر مناقبه والتحدث إلى الناس عنه:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

والله تعالى يعظِّم أجركم، ويطيل عمركم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك الحزين الأسيف

شكيب أرسلان



جنيف ٢٤ شوال ١٣٥٥

حضرة ولدنا الأعز الكاتب البليغ سلمان افندي جابر المحترم حفظه الله

التزوير على الأمير

كانت جريدة «الجامعة الإسلامية» قد تولَّت نشر ما يوجَّه إلى الأمير من زور وبهتان بتدبير يهودي يؤازر عليه أعداء العروبة والإسلام، فقام الأستاذ سلمان جابر يكتب في الجريدة نفسها ما يفنّد ما سبق أن نشرته هذه الجريدة وشفعه بصورة لائقة للأمير، وأطلع عليها الأمير فسرَّ بها وبما كتب تحتها، فبعث إلى الأستاذ سلمان برسالة مؤرخة من جنيف، ٢٤ شوال ١٣٥٥ هـ، ٨ كانون الثاني ١٩٣٦ م. وقد جاء فيها:

جنيف ٢٤ شوال ١٣٥٥

حضرة ولدنا الأعز الكاتب البليغ سلمان أفندي جابر المحترم حفظه الله.

اطَّلعت على صورتي في «الجامعة الإسلامية» وما كتب تحتها في عدد عيد الفطر، وقد رضيت وجئت أشكرك وأشكر حضرة مدير هذه الجريدة الذي بعمله ضمَّد الجرح العميق الذي كان في قلبي من التزوير والافتراء اللذين صدرا بحقي فيها بلا سبب بل أثناء ما كنت أؤازرهم وأدبّج لهم المقالات.

إني لا أقدر أن أنسى تلك الضربة التي ضربني بها أعدائي من يهود وأجانب بواسطة «الجامعة الإسلامية».. ولو كان صاحبها أفرغ في صدري مسدساً ذا ست طلقات لكان أهون لأنه يكون قضى على حياتي البشرية وهي لا بد في يوم من زوالها، ولكن العمل الذي دبَّره أعدائي وتولَّى تكبيره الشيخ سليمان التاجي، كان القضاء على حياتي الأدبية التي هي أهمّ من الأولى بكثير لأن الإنسان يفدي شرفه بدمه. ولم يقع هذا الأمر بغتة حتى نقول إنها حادثة جرت بعدم تروٍّ، بل كان كيداً مدبَّراً بليل بقوا مدة طويلة يهيِّئونه ويستعدُّون له. فالقتل الأدبي الذي حاولوه كان عن تصوُّر وتصميم، ومع العلم بأنهم إنما يأتون إفكاً وزوراً ويحاولون قتل رجل خدم الإسلام بمجرد الحمية خمسين سنة، ومع العلم أن هذا الكيد هو دسيسة يهودية أجنبية قام بتنفيذها شخص عليه ١٥ سنة وهو يخدم اليهود والأجانب ويؤازرهم على قومه.

بالرغم من هذا كله قد كان لما كتبته «الجامعة الإسلامية» هذه المرة وقع حسن في نفسي، قالوا: مَن استُغضب ولم يغضب فهو حمار ومَن استرضي ولم يرضَ فهو لئيم، وأنا لا أرضى أن أكون لئيماً.

إن أمكن أن ترسلوا لي خمس نُسخ من العدد الممتاز الذي فيه الصورة المذكورة فأكون شاكراً فوق شكري الأول.

تغيَّبت شهراً ونصف شهر ورجعت من يومين إلى جنيف. قضيت أكثر شهر الصوم في بوسنة وعيَّدت فيها، ولكني بسبب شدة البرد هناك اعتللت نحواً من أسبوعين. سألتني جريدة «ڤريما» Wrema ـ أكبر جريدة صربية ـ أسئلة معلومة أهمها عن قضية فلسطين وعن قضية إسكندرونة وأجبت بما يلزم، لكن حكومة يوغوسلافيا منعت الجريدة المذكورة من نشر شيء من ذلك. أما في القضية الأولى فمراعاة للإنكليز... وأما في القضية الثانية فمراعاة للأتراك... وهكذا السياسة كثيراً ما تجني على الحقيقة.

جرى التفاهم الآن بين إيطاليا وإنكلترا كما لا يخفى. وإذا سئل الإنكليز: لماذا نقضتم مبادئكم الأولى التي حشدتم لها الأساطيل وطبلتم وزمرتم من أجلها وحملتم جمعية الأمم على عقوبة إيطاليا الخ، فماذا عدا مما بدا وأين ذهبتم بمبدأ استقلال الأمم، وكيف نسيتم الحبشة التي زعمت أنكم إنما تريدون لتحفظوا استقلالها؟ أجابوك: نحن نريد قبل كل شيء أن نحافظ على مصالحنا فالمبادىء يجب أن يحافظ عليها، إلا أنها إذا تعارضت مع المصالح فهذه يكون لها التقديم... فمصالحنا قضت علينا بأن نهدر كيان الحبشة ونسالم إيطاليا وذلك من باب اختيار أهون الشرَّين. هذا لسان حال إنكلترا التي هي أقوى دولة على وجه الأرض. فأما نحن العرب الذين ليس في أيدينا شيء من قوة إنكلترا والذين نحن أولى منها بمداراة مصالحنا، فقد نسينا أنفسنا وجعلنا ننتصر لمجرد المبادىء وكنا إذا قام منا قائم أو قال قائل:

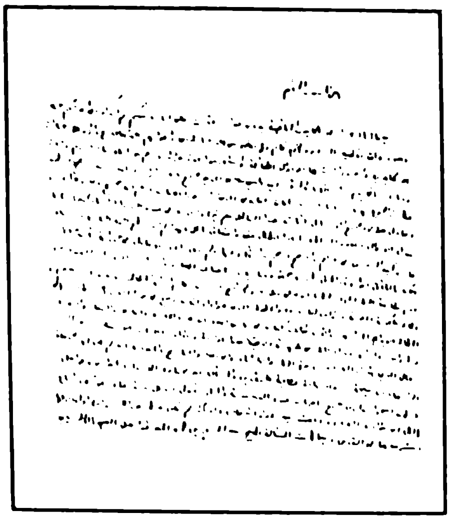
أيها العرب على رسلكم يكفيكم أن تعلنوا أنكم لا ترضون بمحو استقلال أمة أيَّة كانت، فأمَّا أن تنغمسوا في هذه المسألة هذا الانغماس كله فليس بضروري لكم، وهؤلاء الذين جعلوا أنفسهم اليوم حماة للحبشة يحشدون ما يحشدون لأجلها بينهم وبين الطليان معاهدات سابقة خفية على تقسيمها إلى مناطق.. فرويدكم أيها العرب فلا تغترُّوا، لو قال لنا قائل كلمة كهذه قمنا نشتمه ونقول له: أنت إنما مقصدك خدمة إيطاليا وتمكينها من الاستيلاء على الحبشة! والحال أن مقصد هذا الناصح لا يكون سوى اختيار أهون الشرَّين كما يفعل

كل عاقل إذا وقع بينهما، وإن مقصد هذا الناصح لا يكون سوى نهي العرب عن أن يظنوا الورم سمناً، وعن أن يأخذوا بظواهر الأمر، وعن أن يتهوَّروا في مسائل يوجد لهم ما هو أمسّ بهم منها وأهمّ وأولى بأن يندفعوا فيه... ولعل الاتفاق الإنكليزي - الإيطالي الذي انعقد من بضعة أيام يكون لهم درساً مفيداً.

هذا ما لزم الآن ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان



التزوير على الأمير شكيب

كان للأمير شكيب أعداء كثر منتشرين في كل مكان، يترئصون به الدوائر ويحيكون المؤامرات الدنيئة في كل مناسبة، للنيل من سمعته ومكانته الأدبية، حتى وصلت بهم السفالة والحقارة إلى تزوير كتاب نسبوه إليه. ففي هذه الرسالة يلقي الأمير بعض النور على ردّة الفعل التي قامت إثر هذا التزوير. وكان الأمير قد استقدم الشيخ محمود عبد الصمد، ليكتب ما يمليه عليه الأمير في الرد على سيل الرسائل الذي كان يَرِد إليه من شتى أنحاء العالم. فهذه الرسالة من خط الشيخ محمود عبد الصمد لكنها بإنشاء الأمير وبتوقيعه. كتبها من جنيف، ٢٠ كانون الثاني، ١٩٣٦ م.

جنيف ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦

أخي الحبيب المحترم

بينما أنا أبحث في المكاتيب الباقية بدون جواب، عثرت على كتاب منكم لم أتذكَّر أني أجبتكم عليه، وهو متعلق بقضية التزويرة التي قام بها بني النشاشيبي وأعوانهم بالاتفاق مع دائرة الاستخبارات الإنكليزية، وأرصدوا لنشرها الأموال الطائلة واستخدموا عدة جرائد، وبرغم هذا كله ماتت يوم ولدت، وصادف ثاني يوم نشر الكتاب المزوَّر عيد النبي موسى الذي تجتمع فيه عشرات الألوف من مسلمي فلسطين، فكانت الجموع تهتف علناً بلعن سليمان الفاروقي الذي نشر هذا الكتاب وزعم أنه صحيح ولعن كل المزوِّرين، وحاول هؤلاء بجميع الوسائل إثبات هذا الباطل فلم يتمكَّنوا لأنه في هذه الدنيا أشياء كثيرة ممكنة ببذل الأموال ونفوذ السلطة ما عدا إبطال حق وإحقاق باطل فهذا لم يستطع إليه الناس سبيلاً، فارتدَّ كيد المزوِّرين في نحرهم وافتضح أمرهم شرقاً وغرباً، ولم يبق أحد ممن حاول في البداية تأييد صحة الكتاب الملفَّق إلاّ وقد أطرق رأسه خجلاً وصار يعتذر بأصناف المعاذير، وانتشرت التقريرات الفنية عن عدم مطابقة الخط المزوَّر لخطِّنا الأصلي، مثل تقرير الشيخ نسيب مكارم أشهر الخطَّاطين، وتقرير نجيب بك هواويني خطَّاط الحكومة المصرية، ومؤلف كتاب تزوير الخطوط الذي هو أول كتاب وضع في هذا الفن، ومحمد علي

أفندي البهائي الخطَّاط الإيراني المشهور. والآن يؤلف كتاب في بونس أيرس عن هذه الحادثة وفيه هذه التقارير الثلاثة، وتقريران من أشهر خبراء الخط في الجمهورية الفضيّة، هذا عدا تقرير مؤلِّف الكتاب الأستاذ سيف الدين رحال الذي يثبت التزوير من جهة الخط والإنشاء والإملاء والتاريخ. والخلاصة أنه لم يكن لهذه الفعلة الشنعاء من نتيجة سوى زيادة فضيحة المزوِّرين والمسألة غير محتاجة إلى تقارير الخبراء، لأن كل أهل فلسطين أصبحوا يعلمون جميع مجريات هذه الدسيسة، والمثل يقول إن كل سرّ جاوز الاثنين شاع. والحال أن مؤامرة التزويرة وقعت بين عدة أشخاص ولذلك لم يمكن ضبط هذا السر فمن أول وقوعها انتشر خبرها في القدس، وبينما كانت المسألة تُطبخ بين المزوِّرين كان الخبر قد اتصل بالمفتي وآل الحسيني والحزب العربي، الذين هم وأتباعهم ٩٥ في المائة من عرب فلسطين، وفي الليلة التي كانوا يطبعون فيها المكتوب المزوَّر في جريدة سليمان الفاروقي ـ الذي كان تنصَّر في شبابه كما يعلم ذلك كل أهل فلسطين، وكان طُرد أيضاً من المحاماة بقرار رسمي من أجل تزويرة سابقة ـ كان يطبع في الجامعة العربية جريدة المفتي الرد على هذه التزويرة، بحيث ظهر المكتوب المزور وظهر الردّ بعده بساعتين لا غير وذلك، لأن حزب المفتي تمكّنوا من أخذ صورة المكتوب المزوَّر وهو تحت الطبع، وأتوا بها إلى الجامعة العربية التي لم يصعب على صاحبها البليغ السيد منيف الحسيني ومَن هناك من جماعتهم استخراج الأدلة القاطعة من طرز الكتابة ومن اختلاف الخط ومن اختلاف الإملاء ومن الأغلاط النحوية على أن هذا المكتوب تزوير محض. نعم نجح المزوِّرون في شيء واحد وهو أن السلطة الإنكليزية حمتهم من الدعوى، فعندما أبرقت إلى المندوب السامي ليسمح لي بالذهاب حتى أقيم الدعوى أجاب بأنه لا يقدر على ذلك، فأبرقت إليه وكيف يمكنني أن أؤدِّب الذين افتروا عليَّ هذا الافتراء، فأجاب بأنه يمكنني أن أوكِّل مَن يقيم الدعوى بالنيابة عني، فأرسلت ووكّلت عدة وكلاء فلما جاؤوا يقيمون الدعوى صدر قرار المدعي العمومي بأن الدعوى لا تقبل إلاّ بحضور المدعي نفسه. وكان المندوب السامي لا يعمل شيئاً إلاَّ بعد المذاكرة مع المدعي العمومي، فمن جهة يقرِّرون عدم دخولي إلى فلسطين، ومن جهة أخرى يقرِّرون أن الدعوى لا تُسمع إلاّ إذا حضرت بنفسي، وكل هذا لأجل سدّ الأبواب على إقامة الدعوى لأنهم كانوا يعلمون أنها لو أقيمت لحكم على المزوِّرين. والحال أن دائرة الاستخبارات الإنكليزية كانت وعدت فخري النشاشيبي بالحماية من الدعوى بل يقال إن الأموال التي توزَّعت لنشر الكتاب المزوَّر لم تكن من الجمعية الصهيونية، كما كان تبادر إلى الذهن من قبل، بل كانت من صندوق الاستخبارات نفسها. وكان المندوب السامي يعلم أن القضاة ولو كانوا انكليزاً لا يحكمون بحسب إرادته، وكان هو أيضاً يخجل من توصيتهم بتبرئة أناس مزوِّرين، فعملوا كل وسعهم حتى يمنعوني من إقامة الدعوى، ولكن الرأي العام قد حكم فيها بدون انتظار

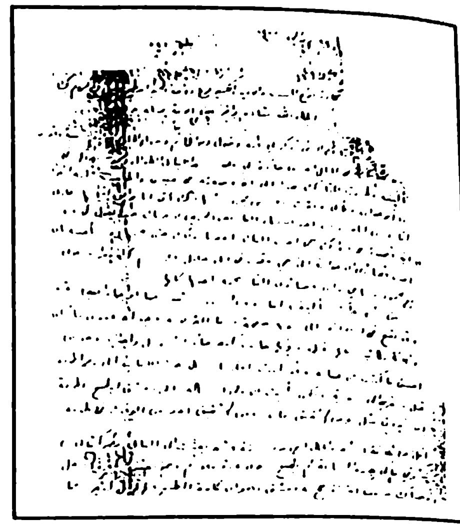
حكم المحكمة، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال.

أخبرني الأخ الأستاذ الشيخ سليمان ظاهر أنه أعطاك قصيدة عن حادث التزويرة لتنشرها في بعض الصحف المصرية وأنها لم تنشر، وعليه فأرجو منك أن ترسل إليّ هذه القصيدة لأضمَّها إلى الأوراق المتعلِّقة بهذه الدسيسة، التي لا بد من نشر خلاصة عنها بعد أن يصل كتاب سيف الدين رحال.

عائلتي شكرت كثيراً في أثناء وجودها في صوفر مكارم عطوفة الست خولة جنبلاط، وعليه أرجو أن تقدِّموا لها شكري وثنائي وخالص دعائي وتعرِّفوني وصول هذا المكتوب ودام بقاكم.

أخوكم

شكيب أرسلان



شؤون طباعية

رسالة من الأمير إلى خليل مردم بك، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ، ٦ آذار سنة ١٩٣٦ م. تتناول طباعة كتبه، ومنها كتاب السيد محمد رشيد رضا وأحمد شوقي، ويطلب فيها إلى خليل مردم بك ومحمد المغربي تصليح مسوّدات الكتاب.

جنيف ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٥

سعادة الأخ الحبيب والأديب الكبير فرع دوحة المجد العظيم خليل بك مردم بك أطال الله بقاءه وأقرَّ عين الأمة بمثله

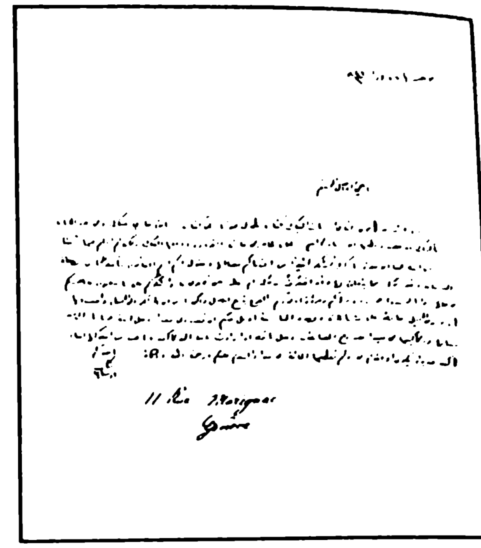
تشرفت بكتابك الذي تذكر لي فيه وصول ديواني ثم وصول الحلل السندسية، وقد كان كلامك في الحلل أحسن جائزة لي على سهر الليالي الطوال التي سهرتها في تأليفه، وطربت لكتابك هذا إلى أن وضعته في جيبي وأطلعت عليه كثيراً من الإخوان، وكأني وثقت بنفسي بمجرد شهادتك التي أنا واثق بقيمتها.

جاءني كتاب من المغرب من أحد الأدباء البارعين المحبِّين لأخيك هذا، يقول لي فيه: أية قصيدة في ديوانك هي أحب إليك؟ أخبرنا بذلك حتى نحبها. وسأجيبه بأن أحبَّ قصائدي الإخوانية إليَّ هي قصيدتي إلى خليل بك مردم بك ومراسلاتي مع محمود سامي، وأن قصائدي التاريخية أحبها كلها.

ومن شهر بدأت بتأليف كتاب «السيد رشيد رضا أو أخاء أربعين سنة» وقد يقع في أربعمائة إلى أربعمائة وخمسين صفحة، وربما أكثر، لأنه وجد له عندي مائتان وثلاثة مكاتيب كلها بخطه، وفيها جانب كبير جائز نشره بل واجب، وهو من أحسن ما كتب في حياته، وقد كنت أفكِّر بإرسال هذا الكتاب إلى مصر لطبعه قبل سفري إلى سوريا، ولكني رأيت الأولى إرساله إلى دمشق ليطبع بمطبعة ابن زيدون مثل «روض الشقيق»، فإن «روض الشقيق» أخذ من الوقت في طبعه أقل من ثلاثة أشهر، والحال أنني من ستة أشهر بعثت إلى البابي بمصر كتابي عن شوقي، فإلى هذه الساعة

لم يطبع سوى عدة ملازم وهو يعتذر بكثرة الشغل، وهناك سبب آخر تترجَّح به دمشق وهو أن كلفة الطبع فيها أقل بكثير. فما رأيك في هذا؟ وهل تتكرم أنت والأستاذ المغربي بعد إيابه من مصر بتصحيح مسودَّات الطبع؟ وهل يمكنني أن أرسل من الآن دفترين أو ثلاثة من الكتاب؟ وماذا تخمنون نفقات الطبع إذا قلنا إنه ٤٥٠ صفحة من قطع «روض الشقيق»؟ وأنا في انتظار ما تتكرمون به من الجواب. وأطال المولى بقاكم.

أخــوك
شكيب أرسلان



حادثة التزويرة

كأني بهذه الرسالة ملحقاً بالرسالة التي سبقتها (٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦) وهي بخط الشيخ محمود عبد الصمد وبإنشاء الأمير وتوقيعه. من جنيف، بتاريخ ٢٦ آذار، سنة ١٩٣٦ م.

جنيف ٢٦ آذار ١٩٣٦

أخي الفاضل المحترم

من عشرين كانون الثاني أرسلت إليك بكتاب مطوّل جواباً على كتاب سابق جاءني منك، وفي هذا الكتاب سألتك عن قصيدة نظمها الأستاذ الشيخ سليمان ظاهر في حادثة التزويرة ودفعها إليك، ولكني لم أعلم عنها شيئاً.

إن ابنة عمنا الأميرة نازك تشكر كثيراً من اعتنائكم بمصالحها، وتقول إنكم أنتم القائمون بتأجير المخازن وملاحظة البستان وغير ذلك مما يتعلق بها، وقد أخبَرَتْ بذلك أم غالب حتى تخبرني به وأشكركم على ما تتعبون به أنفسكم لأجلها. وأنا لست أتعجَّب من مروءتكم ومروءة أولادكم والفرع يتبع الأصل، ولكني أرى أن الشكر على الجميل واجب مهما كان مسدي الجَميل عاملاً على شاكلته. وبهذه المناسبة أومل منكم أن تفيدوني مقدار دخل ابنة عمنا نازك من بستانها ودكاكينها في صيدا بعد دفع المصاريف، وهل يا ترى إذا زادت عدد الدكاكين وباعت من أملاكها لبناء دكاكين جديدة يكون أوفق أم لا؟ وكم تعطيها المائة في صيدا؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم
شكيب أرسلان

11 Rue Marignac, Genève

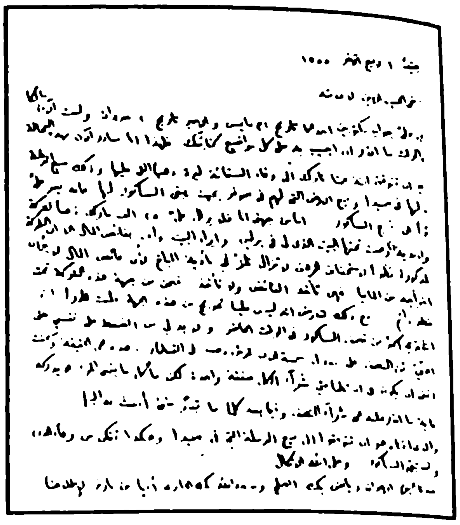
المفاوضات بين فرنسا وسوريا

تلقَّى النائب الدكتور توفيق الشيشكلي كتاباً من أمير البيان شكيب أرسلان من جنيف، مؤرخاً في ١٣ صفر ١٣٥٥ هـ. نهار الأربعاء ٢١ أيار سنة ١٩٣٦ م، يعلمه فيه عن سير المفاوضات بين فرنسا وسوريا، بعد أن تسلَّم الوفد المسافر مشروع المعاهدة والملاحق، وأنه منصرف الآن لدرسها، وقد جاء فيها:

فوز حزب الشمال العظيم في فرنسا من ٥٠ إلى ٦٠ نائب شيوعي و١٣٠ اشتراكي عدا الراديكالي يساعد جداً على حلّ القضية السورية، فإن ١٨٠ نائباً في البرلمان الجديد لا يقبلون تقرير اعتمادات مالية عسكرية لسوريا، وهؤلاء لا يقدر الراديكال أن يتولَّوا الحكم بدونهم، وعلى الله الاتكال.

شكيب أرسلان

قضايا خاصة وأمين بك خضر



أن يأتي رياض الصلح وسعد الله الجابري من باريس إلى جنيف، لإطلاع الأمير شكيب على المباحثات الجارية بشأن المعاهدة الفرنسية التي لم يكتب لها النجاح إنما هو أمر طبيعي، لأن آراء الأمير في السياسة العربية كانت أساساً يستند إليه كل وفدٍ مفاوض في أي شأن من شؤون المشرق الإسلامي، وقد رَأسَ عدداً من هذه الوفود، وأسهم فيها بقسط وافر. هذه الرسالة إشارة إلى ذلك، فضلاً عمّا فيها من قضايا شخصية، وذكريات بعيدة فجّرت في قلب الأمير الحنين والشوق والعاطفة الفيّاضة. مرسلة إلى أمين خضر، من جنيف، ١٠ ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ، ١ تموز سنة ١٩٣٦ م[١].

جنيف ١٠ ربيع الآخر ١٣٥٥

أخي الحبيب الأمين لا عدمته

لك عليَّ جواب مكتوبين، أحدهما تاريخ ٣١ مايس والأخير تاريخ ٢٠ حزيران، ولست الآن مالكاً من الوقت ما أقدر أن أجيب به على كل مواضيع كتابَيك، فلهذا أنا مبادر الآن بهذه العجالة. أريد أن تتوفّق ابنة عمنا نازك إلى وفاء الستمائة ليرة ذهباً التي عليها وذلك ببيع الرملة التي لها في صيدا، وبيع الأرض التي لهم في صوفر بحيث يبقى الساكور لها، فإنه يعزُّ عليَّ كثيراً أن تبيع الساكور. أما من جهتي أنا فلا يزال عليَّ ٢٥ ألف مارك ذهباً لشركة هولندية، أنا رهنت تحتها البيت الذي لي في برلين وإيراد البيت وافٍ بفائض المال، إلا أن الشركة المذكورة نظراً لاستحقاق الرهن لا تزال تلزُّ في تأدية المبلغ، لأن فائض المال لا يؤذن بإخراجه من ألمانيا، فهي تأخذ الفائض ولا تأخذ فنحن من جهة هذه الشركة تحت خطر دائم. مع ذلك لنفرض أنه ليس علينا تحريج من هذه الجهة فلست قادراً أن أشتري أكثر من نصف الساكور في الوقت الحاضر، ولا بد لي من الضغط على نفسي حتى أهيّىء ثمن النصف على معدل خمسة آلاف قرش ذهب في التنطار. هذه هي

(١) من وثائق المحامي محمد بك خضر.

الحقيقة وكنت أتمنى أن يكون في استطاعتي شرآء الكل صفقة واحدة، لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. غاية ما أقدر عليه هي شراء النصف وفيما بعد كل ما تيسَّر شيء أبعث به إليها. والذي أتمناه هو أن تتوفَّقوا إلى بيع الرملة التي في صيدا، وهكذا تتمكَّن من وفاء الدين وتستبقي الساكور، وعلى الله الاتكال.

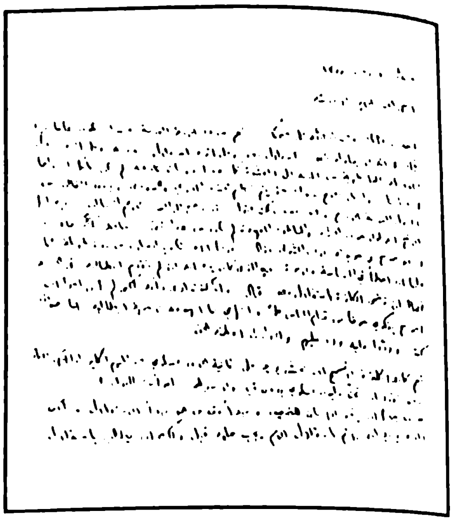
عندنا اليوم الإخوان رياض بك الصلح وسعد اللّٰه بك الجابري، أتيا من باريس لإطلاعنا على نتيجة المفاوضات بين الوفد والحكومة الإفرنسية، وقد بقينا أمس من الساعة التاسعة مساءً إلى الساعة الثانية بعد نصف الليل بالمذاكرات، وقرأنا خلال ذلك جميع الأخذ والرد، ولا شك أنه لا يزال عقبات كثيرة دون إمضاء المعاهدة الإفرنسية ـ السورية، وإنما يترجَّح في الآخر الوصول إلى الاتفاق إن لم يجدّ ما ليس في الحسبان. ولولا مجيء الوزارة الحالية كان الأمل بالاتفاق ضعيفاً.

إن حصل اتفاق فلا بد من زيارتي للوطن إن شاء الله، أمَّا أن أسكن في البلاد بمجرد عقد معاهدتَي سوريا ولبنان مع فرنسا فلا. فإني أفضِّل في الوقت الحاضر أن أبقى ساكناً في سويسرا.

في مكتوبك السابق ذكرت لك ما كان من محبة المرحوم والدك لي، وأثرت عندي ذكريات قديمة تفيض دموعي عندما أتمثَّلها أمام ناظري. كنا في الشويفات سنة ١٨٨٥ وجاء المرحوم والدك من بعقلين فدعاه المرحوم والدي إلى الغداء، وبعد الغداء جلسا يتحدَّثان مدة وأنا حاضر حديثهما وكنت ابن ١٥ سنة، فلم أجد أرقّ من تلك الأحاديث ولا أصفى من وداد كل منهما للآخر ولا أخلص مجلساً من ذلك المجلس، وعندما نهض أبوك للانصراف أهوى على يد أبي وأبي يعانقه ويقبِّله في وجهه ويقول له هكذا: يا حبيبي يا حسن بك، وقد اغرورقت عيون كل منهما عند الوداع. هذا منظر لا يزال في خاطري إلى هذه الساعة كأنه وقع أمس وقد مضى عليه إحدى وخمسون سنة، وكلما تذكرت ذلك تندى عيوني أنا أيضاً. وأما ما بيني وبين المرحوم والدك فذكريات طويلة أرجو أن يمنَّ الله بالاجتماع فنتحدَّث عنها، وما أصدق الحديث: محبة الآباء متَّصلة بالبنين. فلا عجب إن أحببتك وأحببتني يا أمين فالأبناء تكملة الآباء، وأسأل الله أن لا يحرمني لقاءك ودام بقاك لأخيك.

شكيب أرسلان

قضايا خاصة وأمين بك خضر



كان الأمير طوال حياته، وفي كل العهود التي مرّت عليه، صريحاً، صادقاً، بعيداً عن التزلّف، ولم يكن سياسياً مراوغاً، بل كانت نظرته صدقاً تعلو على الابتذال. وكان الأمير واسع الاطّلاع، يشهد بذلك تعليقاته وكتاباته وشروحه بما يتعلق بشتى المواضيع. وفي خلال إقامته في الخارج، بعيداً عن وطنه، كان الأمير يعاني صعوبات كثيرة من الناحية المادية فمرّ في ظروف قاسية وصعبة، وقد تحدَّث أكثر من مرة عن ضوائقه وأزماته وعن أوضاعه المعيشية الصعبة. هذا الكتاب وجَّهه إلى أمين بك خضر، يكشف لنا عن بعض هذه الأمور، أرسله من جنيف، بتاريخ ٧ رجب ١٣٥٥ هـ، ٢٤ أيلول سنة ١٩٣٦ م[١].

جنيف ٧ رجب ١٣٥٥

أخي الحبيب الأمين لا عدمته

أخذت كتابك وحمدت الله على صحتك. نعم سرور الأمة العربية يجب أن يكون عاماً ولا شك في أنه لا يعادله شيء: استقلال مصر وعلى إثره استقلال سوريا وعلى إثره نزول المعضلة الفلسطينية من المائة إلى العشرة، كل هذا فتوحات تاريخية لم نكن نأمل أن نراها في حياتنا. وانتظر بضع سنوات حتى يتم تنظيم الجيشين المصري والسوري وينعقد التحالف بين الدول العربية الأربع ومصر، فعند ذلك نقول: قد رجع إلى العرب مجدهم السالف. وثِقْ أيها الأخ أنه لولا حرب الحبشة والمناظرة المعهودة لم يكن من هذا شيء.

حافظ بك عوض صحافي كبير في مصر صرَّح في جريدته «كوكب الشرق» فقال: عرفنا الأمير شكيب أرسلان من مدة طويلة فما علمنا أنه أخطأ في السياسة ولا مرة، فهو الذي كان يرى أنه إن لم تتقدَّم إيطاليا في الحبشة فمحال أن ترضى إنكلترا باستقلال مصر. قال: وأنا كنت أرى رأيه لكني لم أكن أجرؤ أن أصرِّح بفكري خوفاً من قيام الناس عليَّ، واتِّهامي بما اتَّهموه به من جهة

(١) من محفوظات المحامي محمد بك خضر.

إيطاليا. أما هو فقد كتب وردُّوا عليه وردَّ عليهم والحوادث أعطته الحق.

نعم كانت إنكلترا لا تسمح لمصر بجيش يزيد على ثمانية آلاف عسكري ضباطهم إنكليز، اما الآن فصارت مصر تقدر أن تجنِّد مليون عسكري بدون قيد ولا شرط. أفرأيت الفرق؟.

حسن جداً أن ينتصر الإنسان للضعيف، ومبدأ مقدَّس هو مبدأ الاستقلال، ولكن الذي يريد أن يهتمَّ باستقلال الأمم يجب عليه قبل ذلك أن يطالب باستقلال نفسه حتى لا يقال فيه: طبيب يداوي الناس وهو عليل. ما سمعنا أن إنساناً يصلِّي النوافل والسنن ويترك الفروض. فالحمد لله على أن الناس أدركوا الصواب في الآخر واهتموا بالفروض ونالوا ما أرادوا بانتهاز هذه الفرصة، وما أخطأ الذي قال:

إذا هبـــت ريـــاحـــك فـــاغتنمهـــا فـــإن لكـــل خـــافقـــةٍ سكـــونـــا

الحزب القومي السوري ليس لي معه أدنى علاقة ولا عرفت بوجوده حزباً مشكَّلاً إلا من الجرائد العربية. وكيف تكون لي به علاقة وهو حزب لا يقول بالجامعة العربية.

لنترك آلان السياسة ولندع جانباً القصة التي أخبرتني بها عن بني الجوهري، وآسفتني ـ أصلحهم الله ـ ولنتكلم عن قضية الساكور: سامح الله نازك ابنة عمنا فقد كنت أفهمتها رأساً وبواسطتك أنه ليس عندي ما أشتري به إلا نصف الكرم، وأني أدفع لها ذلك ولا أسجِّل البيع إلا عندما أتمكَّن من دفع النصف الآخر، وأني كلما دخل في يدي مال أدفع لها. وقلت لك: من الآن إلى شهرين لا يبقى معي ولا ثمن ثلث الكرم لأن مصاريفي كثيرة.

فالذي قلته لك قد جرى بعينه لأني الآن لا أقدر أن أجهِّز أكثر من ثلاثمائة ليرة ذهب، فإن شاءت أرسلت إليها المبلغ لتفي به من دينها. ثم كلما تيسَّر شيء بعثت به إليها تدريجاً، إلى أن أدفع لها كامل الثمن فعند ذلك يقع التسجيل، وإن شاءت أن تبيعني ستة قناطير من أصل الكرم فكذلك لا بأس وفيما بعد نجتهد أن نأخذ الباقي. أنا لا أسأل مع نازك عن المسطرة فإني أدفع لها خمسين ليرة ذهباً بالقنطار لأن كيسنا واحد، ولكن رطل الزيت لم أسمع أنه يباع بثمانين غرشاً بل كتبوا لي من الشويفات أن ثمنه خمسون غرشاً سوريًا.

بالاختصار لا أقدر في الوقت الحاضر أن أجهِّز أكثر من ٣٠٠ ليرة ذهب، وغيري لا يشتري من نازك المسطرة بخمسة آلاف كن من هذا على يقين. وكيلي القانوني بدري بك طليع تذاكروا معه إن قرَّرتم البيع، ووكيلي في الشويفات الشيخ قاسم إبراهيم استدعوه فتحت يده دراهم. نعم ليس عندي غير هذا المبلغ ولو كان الوفي العارف للجميل... الشيخ حسين حماده ـ سماحة الشيخ

الأكبر - يقول إن إيطاليا دفعت لي ٤٠ ألف ليرة ذهباً لأعمل لها دعاية، فإن كلام سماحته غير صحيح، بل عليَّ ٢٤ ألف مارك ذهب ديناً لشركة فورمن في أمستردام مرهون تحتها بيتي في برلين. نعم جاءنا من أمريكا مبلغ ولا يزال لنا ثمن كتب ولكن المصاريف كثيرة.

لا كلام في سفري الآن إلى البلاد بل يجب أن تشكَّل حكومة جديدة في سوريا، ثم تقرِّر هي هذا الأمر بالاتفاق مع فرنسا التي لها حق المداخلة مدة دور الانتقال أي السنوات الثلاث، وإلى الله مرجع الأمور ودام بقاكم.

أخوكم

شكيب أرسلان

كنت أرسلت إليك مسجلاً «تاريخ الإسلام في الحبشة» للأستاذ الشهير يوسف أحمد فهل وصل؟.

الحزب السوري القومي

رسالة من الأمير إلى سلمان جابر نشرتها الصفاء بتاريخ ٢٩ رجب سنة ١٣٥٥ هـ، الموافق ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٣٦. وكان جابر قد أرسل إليه رسالة يسأله فيها هل عنده اطّلاع على الحزب السوري القومي؟ ويرجو منه إيضاحاً بهذا الشأن. وقد أجابه بأن ليس عنده اطّلاع ومعلومات عن الحزب، وأن هناك أقاويل حول موقفه مبيّناً علاقته بيوسف حويك ورأيه بالجامعة الإسلامية والجامعة العربية وأمور أخرى. قال الأمير في رسالته:

من سنتين فأكثر مرَّ من جنيف النحّات يوسف بك الحويك فسأل عني وزراني واجتمعنا مرتين أو ثلاثاً، لأن والده سعد اللّه بك الحويك وعمه البطريرك الحويك الطيب الذكر كانت بيني وبينهما صداقة ثم ذهب إلى باريس، وفي السنة الماضية في مثل هذا الوقت عاد من باريس قاصداً الشرق ومرَّ بجنيف، وبحال وصوله تلفن إليَّ فقلت له: تفضَّل. وجاء فزارني وتناول معي الغداء، وكذلك زارني في اليوم التالي وخرجنا للنزهة، ومما أتذكَّره أنه قال لي في أثناء الحديث، والحديث ذو شجون، إنه يوجد في بيروت فئة من الشباب من طوائف مختلفة يقولون باستقلال سوريا وتحريرها من كل سلطة أجنبية، ولم يقل لي إن هنالك حزباً اسمه الحزب القومي السوري ولا إنه كسائر الأحزاب وأن له تشكيلات في البلاد، بل كان يقول إنه يوجد فريق من الطلبة ممن عندهم هذه النزعة الوطنية برغم اختلاف أديانهم، وبعد أن روى لي ذلك قال لي: ماذا ترى في هذه النزعة؟ فقلت له: شيء حسن والله تعالى يوفِّقهم إلاّ أنهم لا يقولون بالجامعة العربية، ولذلك وقفت وقلت له: لست أُوافق كلّ الطلبة على آرائهم لأن سوريا لا بدَّ أن تصون نفسها بدون أن تعتصم بالجامعة العربية، في زمن كهذا الزمن لا تتكالب فيه دول الاستعمار على الشرق من كلّ جهة، فأخذ يبحث معي في التنوُّع، فقلت له: يا حبيبي، ليس المقصود بها سوريا تصير مملكة واحدة وإدارة واحدة مع مملكة ابن سعود واليمن والعراق ومسقط والكويت والبحرين والمكلاّ وحضرموت الخ، أنا أقول لك جميع هذه الممالك تبقى مستقلة بإدارتها كما هي الآن ولكنه ينعقد بينهما حلف عسكري عام بحيث إذا هاجم مهاجم لمملكة منها رأى جميع العرب في وجهه، وكذلك ترتفع بينها الحواجز الجمركية ويكون لها في المستقبل بريد واحد وسكة واحدة ومعاهدات تتعلّق بالدخول والخروج وبتسليم المجرمين وبكثير من التسهيلات الجوارية، حتى يستفيد بعضها من بعض وتصير هذه الأمة

العربية التي تزيد على ٢٢ مليوناً في آسيا كتلة واحدة في وجه الأجانب، وهكذا ينجو العرب من خطر إنكلترا ومن خطر إيطاليا ومن خطر فرنسا ومن خطر تركيا ومن خطر العجم، وأخذت أفيض له هذا الموضوع بما يسمعه من الناس في كلّ يوم تقريباً، لأن عندي عقيدة ثابتة أنه إن لم يحصل هذا الاتحاد بين العرب فلا يمكنهم أن يصونوا ذمارهم، كما أنني معتقد بأن هذه الوحدة العربية لا بدّ من أن تتحقق في يوم غير بعيد، بل عندي عقيدة ثابتة بأن مصر لأجل أن تتحرَّر تماماً من طائلة نفوذ إنكلترا وأن تنجو تماماً من خطر إيطاليا، ستدخل حتماً في هذا الاتحاد العربي وتصل كتلة العرب في الشرق الأدنى لا اثنين وعشرين مليوناً فقط بل أربعين مليوناً، فتقطع دول الاستعمار جميع آمالها من اجتياح الممالك العربية.

فقال لي يوسف بك الحويك: لقد كنت أتحدث مع بعض هؤلاء الشبان فرأيتهم يجلُّونك ويحترمونك، ولكنهم لا يوافقونك على نظريتك هذه في الوقت الحاضر على الأقل، ثم زادني معنى آخر قائلاً: تكلَّمت مع واحد منهم - كل هذا وهو لا يقول لي إن هنالك حزباً مشكَّلاً - وهو مسلم من بني النقاش في بيروت فقال لي: إن الذي يبعدنا عن سياسة الأمير شكيب هو قوله بالجامعة الإسلامية، فلمَّا سمعت هذا الكلام شعرت بتأثُّر في نفسي وقلت له: إنَّ بعض الناس لا يفهمون معنى الجامعة الإسلامية، وأخذت أشرح له مواضع الاستفادة منها. وهنا أقول إن هنا خطأ آخر لا يزال يزلق فيه كثير من المفكِّرين الذين يعتقدون أن الجامعة الإسلامية هي مخالفة لروح العصر الحديث وأن الكلام فيها يضر بالمسلمين.

فأنا أقول: يا سبحان الله يأتي المسيو بريان إلى البرلمان الفرنسي فيقول: إن خمسة وعشرين مليوناً من سكان أمريكا الشمالية، وهم جميع الكاثوليك الذين فيها، يطلبون من حكومتهم أن تترك الديون التي لها على فرنسا، فكيف تريد يا مسيو هربو أن نقطع علاقتنا بالفاتيكان الذي هو مرجع الكاثوليك؟ أي أن العلاقة الكاثوليكية مفيدة لفرنسا.

وإننا نحن أولاً نرى فرنسا وسائر دول أوروبا ذوات علاقة من قديم الزمان مع بعض طوائف مسيحية في الشرق، مع أنه لا يجمع بينها وبين هذه الطوائف جامعة لا من لغة ولا من نسب، وإنما هي جامعة الدين التي لا يفيدنا شيئاً أن نتجاهلها والتي تجاهُلنا إيَّاها لا يمنع من كونها حقيقة ملموسة باليد.

من ثلاث سنوات جمعية الأمم والدول كلها مشغولة بقضية الآشوريين، فلو كان الآشوريون مسلمين أو بوذيين أكانت دول أوروبا تشتغل بقضية إسكانهم في سوريا بمثل هذا الاهتمام العظيم؟؟ إننا لو أردنا إيراد الشواهد على صحة ما نقول هنا لاستلزم ذلك مائة مقالة وما وفَّينا الموضوع حقه.

فالجامعة الإسلامية ليس معناها في نظرنا أن يقوم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويؤلفوا كتلة واحدة ليقاتلوا كلّ من هو غير مسلم، ليس هذا هو المراد من الجامعة الإسلامية التي نقول بها، بل المراد من الجامعة الإسلامية أن المسلمين يستفيد بعضهم من بعض في المآزق، بسبب ما يجمعهم من رابطة الإسلام، فإذا حصل لهم خطبٌ أو نزلت بهم نازلة ـ كما هي في فلسطين اليوم ـ أمكنهم أن يتَّخذوا من سائر مسلمي الأرض أعواناً يمدُّونهم بالوسائل المادية والأدبية.

نحن نرى أن مسلمي مصر وشمال أفريقيا، ومسلمي الحبشة وزنجبار والهند والجاوي والعجم والأفغان والترك، ومسلمي البلقان وغيرهم يتواجدون بل يتحرَّقون على حالة فلسطين الحاضرة، وكما جاءتني من مسلمي البوسنة والهرسك في هذه المدة رسائل يسألونني فيها عن حالة فلسطين التي هم في قلق دائم من أجلها، فهل يظن الناس أن مسلمي بوسنة والهرسك أو مسلمي بلغاريا هم من قحطان وعدنان؟؟ فلذلك يسألون عن فلسطين، لا والله فهؤلاء القسم الأول منهم صقالبة أقحاح مثل الروس، والثاني بلغار وتُرك، فإن كانوا يحنُّون إلى عرب فلسطين فإنما هي رابطة الإسلام التي تنزع بهم، وهل مسلمو الهند هم عرب لينتصروا لعرب فلسطين؟ كلاّ، بل لا يجمعهم بعرب فلسطين إلاّ كلمة الإسلام.

أعود إلى موضوع حديث الحويك فأقول: إني ذكرت ما أفهمه أنا من الجامعة العربية والجامعة الإسلامية، وبعد شهرين أو ثلاثة سمعت بقبض السلطة في بيروت على شباب يضمهم حزب يقال له الحزب القومي السوري، فصرت أقول في نفسي أيا ترى هؤلاء الذين أخبرني عنهم يوسف الحويك؟ إنه لم يقل لي إن هناك حزباً منظماً.

ثم بلغني أن جريدة اسمها «الرابطة» تصدر في بيروت، وتبثُّ الأفكار البلشفيكية وتطعن بي، ولم أطَّلع أنا على ما نشرته هذه الجريدة، ولو اطَّلعت عليه ما أجبتها لأنني أعلم أن في بيروت جمعية بلشفيكية تستقي مباديها من مركزها الأصلي في باريس وظاهر مقصدها الدفاع عن استقلال الحبشة، على حين أن المقصد الأصلي هو الانتقام من موسوليني الذي قضى على البلشفة في إيطاليا قضاء تاماً، ولا يقدر البلاشفة أن يفتحوا أفواههم في موضوع استقلال الأمم لأن القيصرية الروسية لم تفعل أكثر من فعلهم في العبث باستقلال الأمم المجاورة للروسية، فالذي يريد أن يحتج على محو استقلال الحبشة يجب عليه أن يبدأ بنفسه، ولا يكون قضى على استقلال أوكرانيا والقريم وداغستان وكرجستان وأذربيجان وخيوه وبخارس، وغير ذلك من الممالك التي يرجع استقلالها إلى ألف وخمسمائة سنة، فأنا لست ممن ينطلي عليهم خلط البلشفيك حتى أهتم بكلامهم، ولذلك لم

أحفل بما كانت تنشره تلك الجريدة في بيروت، وأنا عارف بحقيقة أمرها، غير أنني كتبت إلى يوسف بك الحويك أسأله عمّا نشرته تلك الجريدة عن لسانه ممّا ليس لي به علم، وأتعجّب كيف لم يردّ عليها ويدحض افتراءها، وبينما أنا أنتظر جوابه وقد ساءني أن يكون قرأ ذلك الافتراء ولم يردّ عليه، إذ علمت أن السلطة تستنطقه بحجة إنه كان واسطة بيني وبين الحزب القومي السوري، والحقيقة أنني لم أعلم منه بوجود حزب كهذا كما تقدّم بيانه، وأنني عندما سمعت من كون بعض شبان في بيروت يعترضون على الجامعة العربية والجامعة الإسلامية أحسست بنفسي بالنفور منهم، لانني علمت أن هنالك شباناً تنقصهم التجربة ولا يفهمون الأمور على وجوهها الحقيقية.

وقد كان اطّلاعي على قضية استنطاق السلطة للحويك في جريدة «المقطم» مما حداني أن أبعث في ١٦ الجاري برسالة إلى «المقطم» أكذّب بها أن يكون لي أدنى علاقة بالحزب القومي السوري، أو أدنى معرفة بوجوده قبل أن قرأت بالصحف قبض السلطة على أعضاء هذا الحزب. وأعرق من ذلك في البُطلان زعم الأعداء أنني كنت الواسطة بين الحزب القومي السوري وبين إيطاليا، فأنني أكذّب ذلك أشدَّ التكذيب في وجه كل أفَّاك أثيم، فإن هذا الحزب لم أعلم بوجوده من أصله حتى أكون وسيطاً بينه وبين إيطاليا، ولا أنا داعية لإيطاليا ولا لدولة أجنبية في حياتي. وقد صرت مكرّراً أكثر من ستين مرّة الأسباب التي دعتني إلى التفاهم مع إيطاليا وهي موقفها من القضية السورية والقضية الفلسطينية، وكوني أسعى في إيصال عرب طرابلس إلى حقوقهم بقدر إمكاني والذي يريد الأعداء أن يقولون هو أن مساعدة موسوليني لنا بمقالاته في جريدة «بوبود يطاليا» قبل أن تولّى زعامة إيطاليا طالباً استقلال سوريا التام، هي شيء ليس بذي بال!! كما أنه بعد أن تسلَّم زمام أمور إيطاليا ليس بذي بال أيضاً أن يكون طالب باستقلال سوريا ولبنان مدة خمس عشرة سنة في جمعية الأمم، ونحن لم نكن نرى لنا نصيراً واحداً في وجه الدول المحتلة لسوريا وفلسطين، كما أنه ليس بذي بال أيضاً أن يكون موسوليني غير مشارك مع سائر الدول في تهديد فلسطين، كما أنه لا يهم هؤلاء الأعداء إنقاذ قبائل الجبل الأخضر من الهلاك جوعاً وعطشاً في الصحراء، وتخليص عشرات ألوف منهم من الاعتقال، وإخلاء سبيل مئات من المسلّحين، وإعادة أوقاف المسلمين إلى المسلمين، وإعادة قسم كبير من الأراضي المضبوطة إلى أصحابها، وتخفيف آلام المسلمين في القطر الطرابلسي بما أمكن إلى الآن، ومنع الدعاية التبشيرية المسيحية بتاتاً من بين المسلمين، فهذا كله لا يهمهم وليس من المقاصد التي يؤبه لها، ويجدر بالرجل السياسي أن يُعنى بها، على حين أن دولاً عظاماً لا تقدر أن تُخاطب موسوليني بشأنها وعلى حين أن التهويش في الجرائد لمجرّد إظهار الوطنية لا يبلغ في جانب هذه المساعي من إفادة عرب سوريا وفلسطين وطرابلس الغرب قليلاً ولا كثيراً، فينبغي أن تكون عندنا الجرأة الكافية أن نسمّي الأشياء

بأسمائها وأن نصرِّح بأن الضعيف ما دام ضعيفاً فلا بدّ له من مصانعة القوي.

فلقد صانع المصريون الإنكليز وحالفوهم وهم أعداؤهم ولم يتَّهمهم أحد بالمذق في الوطنية، كما صانع العراقيون الإنكليز من قبل وما أحد قال إن محالفة العراق لإنكلترا نزعة أجنبية ولا كان اتفاق السوريين مؤخراً مع فرنسا خروجاً عن القومية العربية، ولا عملاً يشين الذين قاموا به، فكلٌّ من الممالك الثلاث التي ضايقت إنكلترا وفرنسا لأجل مصالح أوطانها لم ترتكب إثماً ولا أتت عملاً يخلُّ بالمبادىء الوطنية، ولم نعلم حتى الآن الفرق بين هذه الدول وبين إيطاليا، ولماذا جاز هذا ولم يجز ذاك؟؟ هذا جوابي لك على ما سألت عنه وإنك مفوَّض أن تنقل عني حيث أردت، والله تعالى يوفِّقك ويأخذ بيدك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان

المعاهدة السورية وجبل الدروز

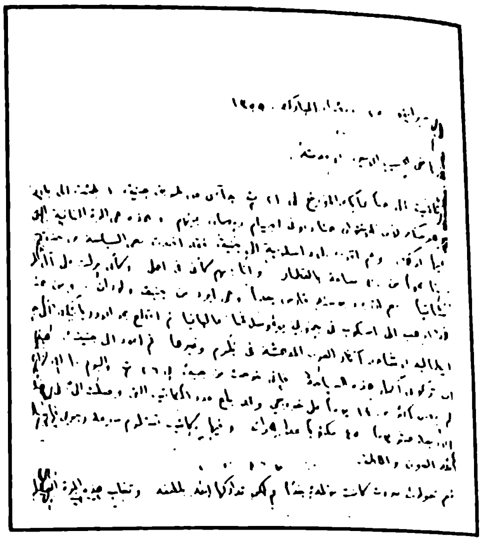
تلقَّى السيد يوسف خطار المحيثاوي أحد المهاجرين القدامى إلى الولايات المتحدة الأميركية كتاباً مسهباً من الأمير شكيب أرسلان، أشار فيه إلى جهود السيّد خطار وتضحياته المادية في سبيل القضية الوطنية، كما تناول المعاهدة السورية وحظ جبل الدروز منها، وهذا بعض ما جاء فيه، كما ورد في جريدة «النهار» ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ م، وكما ورد في جريدة «الصفاء» في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ م. وهذا نصُّه:

. . . فالناس في ظمأ لمشاهدة شهم مثلك طالما سمعوا عن مآثره وافتخروا به على السماع، ولم يكن عندي شك في كون الوطنيـين بدمشق وبكل مكان يرون لقاءك عيداً، وأما ما ذكرتم عن فخري بك البارودي وعلي بك مصطفى الأطرش وسؤالهما عنّا فإن هذه صحبة قديمة، وقد كان والد فخري بك البارودي من أصدقائي، وقد كان مصطفى بك الأطرش أعزُّ أخ لي في آل معروف فليكن هذا معلوماً، وكم ابتهجت برؤيتي هذا الفرع الكريم ينشأ على ما كان عليه والده، فلا يوجد في الدنيا شيء أولى من مطابقة الفرع للأَصل، وقد أصاب أهالي الجبل عموماً باستقبالكم والحفاوة بكم ليعرفوا من هو هذا الشخص يوسف خطار ويروا أنك فوق ما كانوا يتصوَّرون. أما مقاومة بعض الأشخاص لانضمام جبل الدروز إلى الوحدة السورية فهذا كنت أعرفه وليس بذي بال فهي حركات صغيرة مؤقتة إن لم تكن تلاشت فإنها ستتلاشى قريباً، فالجبل داخل في الوحدة السورية حتماً ولكن محفوظة له امتيازاته ومعاملته لا تشبه معاملات سائر البلاد السورية بل له استثناء خاص وهذا شيء قديم، فجبل الدروز حتى في زمن الدولة العثمانية كان مستثنى ولم يكن يعامل كسائر البلاد، فالذين عندهم بعض أوهام من جهة انضمام جبل الدروز إلى الوحدة السورية لا يعرفون حقائق الأمور، ويجوز أن تكون الدعاية الأجنبية قد أثَّرت فيهم، فجبل الدروز لا يقدر أن يكون منفصلاً عن سوريا التي هي أمه، ولا يقدر أن يعيش مستقلاً إذا كان تحت حماية أجنبية. فيا ليت شعري لماذا تثقل علينا الأمة العربية ولا تقبل أن ننضم إليها ونحن أطهر عرق عربي نسباً، ولا يثقل علينا الالتجاء إلى حماية أجنبية يجوز أن تكون اليوم ولا تكون غداً. فنحن عرب وينبغي أن نكون حيث يكون العرب ولا يليق بنا أن نفضِّل الإفرنج على العرب، هذا وليس هنا خضوع الجبل للشام كما أنه ليس هنا خضوع فريق لفريق، بل هي وحدة عربية عبارة عن اجتماع أفراد الأمة بعضهم مع

بعض وأقطارها بعضها مع بعض ليس فيها رئيس ومرؤوس بل الجميع سواء، والرئيس الحقيقي هو الأمة العربية أينما كانت، ولهذا كان مؤسفاً المظهر الذي ظهر به بعض زعماء الجبل وبعض مشايخ الدين حتى جعلوا للناس حجة عليهم، وجعلوا الدروز الذين وقع منهم أربعة آلاف قتيل في سبيل قضية الاستقلال العربي، يضيعون دماءهم الزكية ومواقفهم العنترية ويعودون كأنهم لا يعلمون ماذا فعلوا، بل يفضِّلون الأجانب على أمتهم فهذا لا يليق ولا يجوز وهو خطأ يجب الرجوع عنه، وليس هناك أدنى خوف من استبداد أهل دمشق بدروز الجبل كما يتوهم بعضهم، إذ أن الجبل كما قلنا ستبقى له امتيازاته ولن يستبد به أحد ونحن الذين قمنا بسياسة ضم جبل الدروز وبلاد العلويين إلى الوحدة السورية، لكن اشترطنا قبل كل شيء بقاء امتيازات الجبل كما كانت من القديم، وسترون ذلك بأعينكم وسيكون الجبل على سوريا هو الأعز الأكرم وسيكون له ثواب في مجلس الأمة السوري، وأنتم تعلمون أو تسمعون أني من زهاء أربعين سنة كنت وسيطاً دائماً بين الدروز والدولة العثمانية لحلّ مشكلاتهم ورتق فتوقهم، وأبذل كل ما في يدي لأجل تخفيف عنائهم. فما كذَّبتهم القول في وقت من الأوقات، وقد أصبحت الآن في سن الشيخوخة فليس من المعقول أن أخدع قومي لأجل أهل الشام.

نحن مرتبطون مع فرنسة بمحالفة ندّ لندّ لمدة خمس وعشرين سنة، والله تعالى يجعل العهد القادم مباركاً على سوريا وعلى جميع الأمة العربية وعلى آل معروف الذين هم من أصح العرب نسباً وأصفاهم عرقاً.

شكيب أرسلان



كثرة الأسفار والمشاغل

رسالة يوجِّهها الأمير من سرايـيفو إلى أحد أصدقائه، يشكو له فيها كثرة الأسفار وكثرة الرسائل التي ترده، ويذكر حوادث مؤلمة وبعض القضايا التي أثيرت ضده. مؤرخة ٢٥ رمضان المبارك سنة ١٣٥٥ هـ، ١٠ كانون الأول ١٩٣٦ م[1].

سرايـيفو ٢٥ رمضان المبارك ١٣٥٥

أخي الحبيب الأمير لا عدمته

تلقَّيت إلى هنا كتابك المؤرَّخ في ٢١ تشرين الثاني جاءني عن طريق جنيف، جئت إلى بلاد بوسنة وهرسك لأن الإخوان هنا دعوني لصيام رمضان بينهم، وهذه هي المرة الثانية التي يدعوني فيها لذلك وهم أقرب بلاد إسلامية إلى جنيف، فقد أخذت معي السياحة من جنيف إلى بوسنة نحواً من ٣٠ ساعة بالقطار وأنا بينهم كأني في أهلي وكأني نزلت على آل المهلَّب شاتياً. نعم إن برد بوسنة قارس جداً وهي أبرد من جنيف ولوزان. ومن هنا قد أذهب إلى أسكوب في جنوبي يوغوسلافيا فألبانيا ثم أقطع بحر الأدرياتيك إلى جنوبي إيطاليا لأشاهد آثار العرب المدهشة في بَلَرم وغيرها، ثم أعود إلى جنيف هذا إن تركوني أكمل هذه السياحة، فإني خرجت من جنيف في ٢٦ تشرين الثاني واليوم ١٠ كانون الأول أي لم يمضِ أكثر من ١٤ يوماً على خروجي، وقد بلغ عدد المكاتيب التي وصلت إليَّ في هذه الأربعة عشر يوماً ٤٥ مكتوباً عدا الجرائد، وفيها مكاتيب تستلزم سرعة رجوعي فأسأل الله العون واللطف.

نعم حوادث بيروت كانت مؤلمة جداً ولكن تداركها الله بلطفه وتغلَّب هذه المرة العقل على الجهل، وأنا ما كان يمكنني أن أعمل غير ما عملت بل خشيت أن يحل الشغب إلى الجبل، فأبرقت إلى أولاد الأعمام أمين ومجيد حتى يتوجَّهوا بأنفسهم إلى الجبل إن لزم.

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

ليس علاج القضية هو بهذا الشكل بل علاجها إنما هو الوقت، واجتماع جامع البسطة والخروج منه بتلك المظاهرة لم يكونا عين الحكمة مهما يكن من الأسباب الداعية له، والذي يظهر لي أنه يوجد نزغة بولشيفيكية بين مسلمي بيروت تحرِّك الأمور عمداً وأعيان البلدة يخافون منهم، والحال أنه ما دامت هذه النزغات البولشيفيكية تنزغ فلن تكون هذه آخر حادثة.. وليكن عندكم من المحقَّق أن الشاب الذي خطب وطعن بحقي في الجامع الكبير في بيروت في السنة الماضية هو من البلاشفة الذين كانت تحرِّكهم جمعية بلسيكيا مركزها باريس، ومن المؤسف أنهم اتَّخذوا المساجد مراكز للكلام بالسياسة، وبسياسةٍ كثيراً ما يكون مصدرها شيوعياً. وقول من يقول إن هؤلاء لا بال لهم مردود بأنه لو لم يكن لهم بال لما كانوا يجرأون على الكلام في الجوامع بدون معارض ولا منازع مسلم يقوم في الجامع الكبير طاعناً في شكيب أرسلان، الذي يدافع عن الإسلام والشرق والعروبة من خمسين سنة ولا يردّ عليه أحد... ولماذا هذا الطعن؟ الجواب إنما هو لأجل نصارى الحبشة! كأنَّ نصارى الحبشة أصدقاء للمسلمين! أو كأني أنا أعلنت جواز استيلاء إيطاليا على الحبشة! متى وأين أنا أعلنت هذا؟ فما دام مثل هؤلاء الشبان هم يريدون إدارة دفَّة السياسة فلا عجب من أن تقع أغلاط تجرّ إلى ما لا خير فيه على المسلمين. وهذه المظاهرة الأخيرة التي حصلت في جامع البسطة لم تكن نتيجتها خيراً على المسلمين... ولا لزوم أن أشرح أكثر من ذلك. فعسى أن لا تتكرر هذه الأمور وعسى أن لا تنتشر الدعاية الشيوعية بين المسلمين، فإن الشيوعية والإسلام لا يجتمعان في قلب واحد، والشيوعية مبدأ خراب لا شك فيه.

فهمت أن المبلغ الذي أرسلته إلى ابنة عمنا لم يبلغ بالعملة الحاضرة ٣٠٠ ليرة ذهبية، ولكنكم لم تذكروا لي كم مبلغ التسعة الآلاف والمائتين والأربعين فرنكاً سويسرياً ينقص عن الثلاثمائة ليرة ذهباً؟.

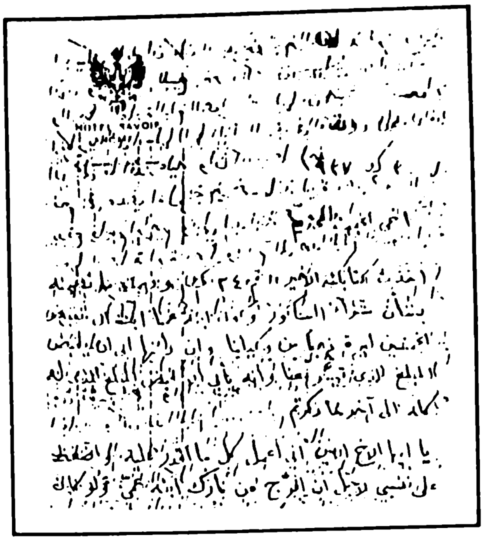
على كل حال سنكمل لنازك ابنة عمنا مبلغ الأربعمائة ليرة ذهب أي ثمن ثمانية قناطير من الساكور. أرسلت أمس إلى وكيلي قاسم إبراهيم ليدفع لها خمسين ليرة ذهباً، ثم أرسلت إلى حلمي باشا مدير البنك العربي في القدس ليرسل إليها خمسين ليرة إنكليزية باقية لي في البنك المذكور، وقريباً تأتيني مائة ليرة إنكليزية من المهدي الحبابي الفاسي من جملة الأقساط المستحقة لي عليه من ثمن كتبي التي اشتراها مني، فمن هذه الدفعة نكمل لها الأربعمائة ليرة ذهباً، وليس عليها أن تبقي التحويل الأول وتتحمل فوائض حتى أكون أنا سدَّدت الأربعمائة ليرة، فهذه الاحتياطات لا لزوم لها معي. قلت لها إني مجهِّز لها ٤٠٠ ليرة ذهباً إن شاء الله، ولو لم أكن قادراً على تجهيزها ما كنت أقطع لها هذا الوعد، أفلا ترى أني لم أقطع وعداً بأخذ باقي الساكور مع شدة رغبتي بأخذه كله،

وذلك لأن المال اللازم لأخذ الساكور كله ليس بموجود، وأنا لا أقول إلا الصحيح وعسى أن أتمكّن من شراء الباقي من الساكور تدريجاً هذا إذا كانت هي تريد البيع، أما إذا كانت مستغنية عن البيع فلا أريد أن أشتري منها بقيمة فلس واحد، ولقد التزمت الشراء منها عمداً حتى تتمكن من إيفاء ديونها ولم أساومها في الثمانية القناطير لأنه كيس واحد. فأرجو أن تبلغوها مآل كتابي هذا فلتدفع الآن قيمة الشيك إلى الدائن، ثم لتدفع ما يؤديه إليها قاسم إبراهيم، ثم لتدفع ما يرسله حلمي باشا، وبعد ذلك نعلم ما يبقى لتتمة الأربعمائة ذهب فنرسله إليها، وتجرون معاملة الفراغ والانتقال إن شاء الله ودام بقاكم.

ليكن الجواب إلى جنيف.

أخـوكـم

شكيب أرسلان



أملاك الليبيين المحجوزة

هذه الرسالة كتبها الأمير من روما، بعد أن انتقل إليها ليحل مسألة الأملاك المضبوطة في طرابلس الغرب، وهي أملاك عاش منها ألوف من المسلمين. وبفضل الجهود التي بذلها الأمير مع السلطات الإيطالية، اقتنع موسوليني زعيم إيطاليا بعدالة مساعي الأمير، وعادت تلك الأملاك إلى المسلمين. مؤرخة من روما، ٣ كانون الثاني ١٩٣٧ م[١].

عن روما

٣ كانون الثاني ١٩٣٧

أخي الحبيب المحترم

أخذت كتابك الأخير رقم ٢٤ كانون الأول وفهمت ما تضمَّنه بشأن شراء الساكور، وكون ابنة عمنا أبت أن تقبض الخمسين ليرة ذهباً من وكيلنا، وأن دائنها أبى أن يقبض المبلغ الذي تيسَّر معنا، وأنه يأبى إلا قبض المبلغ الذي له كله إلى آخر ما ذكرتم.

يا أيها الأخ الأمين إني أعمل كل ما أقدر عليه وأضغط على نفسي لأجل أن أفرِّج عن نازك ابنة عميّ، ولو كان مبلغ الستمائة ليرة ذهباً هو عندي ما تردَّدت طرفة عين في إرساله إليها، ولكنه غير موجود وأنا آسف من ذلك، وعليه أجيبك بأنه إن كان لا بد من تجهيز الستمائة ليرة ذهبية الآن ولا سبيل للبيع بغير ذلك فقد عدلت عن الشراء، والرجاء إعادة المبلغ الذي أرسلته إليها من جنيف، والخمسين ليرة إنكليزية التي أرسلها إليها البنك العربي في القدس، فإني لا أقدر إلا على ما أقدر عليه ولن أكذب على أحد.

نعم بقي عندي أمل بتجهيز خمسمائة ليرة ذهب وذلك بأن يدفع قاسم إبراهيم وكيلي ليد ابنة

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

عميّ مائة ليرة ذهب، فيصير معها أربعمائة ليرة ذهباً وينضمّ إلى هذا المبلغ الخمسون ليرة إنكليزية الواردة من القدس، ويعود قاسم فيبيع من موسم الزيت بما يكمِّل مبلغ الخمسمائة ليرة ذهباً وهذا كل ما يمكنني أن أعمله.

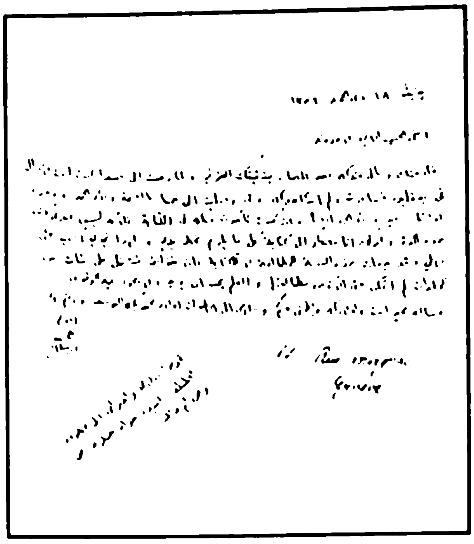
من جهة المائة ليرة الباقية لتمام الستمائة ليرة ذهباً لا أعلم متى تيسَّر معي ولا أتقيَّد بوعد لأني لا أعِد إلا بما أقدر على إنجازه، ولكن هذا المبلغ ليس بعظيم ولا آلو جهداً في تجهيزه من الآن إلى ستة أشهر إذا وفَّق الله تعالى.

طيّه مكتوب إلى الوكيل الشيخ قاسم إبراهيم من مطالعته غنى عن زيادة التوضيح، فإن راق هذا الوجه ابنة عمي فذاك، وأكملوا معاملة تخمين عشرة قناطير زيتون من الساكور وتفريغها باسمنا، وإلا فعرِّفونا حالاً إلى عنواننا بجنيف.

جئنا إلى روما لأجل مسألة إعادة الأملاك المضبوطة في طرابلس الغرب، كانوا وعدونا بإعادتها كلها بدون استثناء، وهي أملاك كان يعيش بها ألوف بل عشرات ألوف من المسلمين، ونحن بناءً على وعدهم عرَّفنا الطرابلسيين وصاروا منتظرين. وبالفعل أعيد جانب إلى أصحابه ولكنه كله يسير وبقي الجانب الأعظم محجوزاً، فراجعنا زعيم إيطاليا الأكبر فأحال كتابنا إلى نظارة المستعمرات، فقدمت له جواباً كله تعلُّلات مقصود منها عدم إرجاع الأملاك.. والحال أننا نحن وعدنا بناءً على وعد صدر لنا وجاءنا إذ نحن في بوسنة أربعة أو خمسة مكاتيب من زعماء الطرابلسيين الذين بمصر يستنجزون الوعد، فاضطررنا أن نجيء من بوسنة إلى روما وباشرنا السعي، ولعل الله يأخذ باليد ونعيد إلى الألوف المؤلفة من أولئك المساكين أملاكهم ولو تدريجاً. وعلى الله الاتكال ودام بقاكم.

أخوكم

شكيب أرسلان



الأمير يقرأ ويقلّل الكتابة

كان للأمير في الكتابة نَفَس طويل وبيان وإسهاب، فتأتي رسائله جامعة شاملة ينتقل فيها القارىء بين مواضيع شتّى، وفنون بيانية جَزِلة، وخط نسخي جميل. أما هذه الرسالة فقد جاءت مقتضبة فكأنها صدرت عن يدٍ تعبةٍ، وعن فكر مشغول، لكنها كافية لكي تنمّ على ما كان يكنّ الأمير لأصحابه ومحبّيه من اهتمام وتقدير، وما يمحضهم إيّاه من وداد ومحبة. مؤرَّخة من جنيف، ١٨ ذي الحجة ١٣٥٦ هـ، ١ آذار ١٩٣٧ م[١].

حنف ١٨ ذي الحجة ١٣٥٦

أخي الحبيب الأمين لا عدمته

فارقتك وبالي عندك بعد المصاب بشقيقك العزيز، ولمّا ذهبت إلى صيدا كنت أنت لا تزال في بعقلين فسافرت ولم أشاهدك، وقد وصلت إلى هنا بالصحة ولله الحمد ووجدت العائلة بخير ولله الحمد أيضاً، وإن كنت تأخرت عنك في الكتابة فلأنه ليس عندي كاتب هذه المدة، ولذلك أنا مضطر إلى كتابة كل ما يلزم بخط يدي، ولهذا تجدني أكتب على مهلي وقد جعلت هذه السنة للمطالعة لا للكتابة، فإن خزانتي تشتمل على مئات من المجلّدات لم أتمكّن حتى الآن من مطالعتها، والعلم يجب أن يزيد ولا يجوز فيه الوقوف. عساك بخير أنت وأولادك وطمّني عنكم، وسلامي إلى الإخوان أولاد محمد بك اليوسف ودمتم.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

11 Rue marignac, Genève

قدِّموا سلامي واحترامي إلى عطوفة الجليلة السيدة خولة جنبلاط عني وعن أم غالب.

---

(١) من محفوظات المحامي محمد خضر.

سؤال عن سبب منع الأمير من دخول مصر

وجَّه الأستاذ حافظ عوض بك، صاحب جريدة «كوكب الشرق» وأحد نوَّاب القاهرة في المجلس النيابي المصري، سؤالاً إلى وزارة الداخلية عن قضية منع الأمير شكيب أرسلان من دخول مصر. وتساءل في استجوابه: لماذا يُمنع الأمير من زيارة مصر؟ ولحساب مَنْ؟ ومن هم الذين يستفيدون من منعه؟ وحول هذا الموضوع بالذات، أرسل الأمير شكيب رسالة إلى حافظ عوض بك يشكره على المبادرة التي صدرت تجاهه، ويحدِّثه عن مواقفه مع مصر منذ ٥٢ سنة، وأنه يستغني عن دخول مصر، لأن لا مصلحة له في دخولها بل هو لمصلحة مصر. نشرت هذه الرسالة جريدة «الشباب» في القاهرة، بتاريخ ١٢ مايو (أيار) سنة ١٩٣٧ م، الموافق ١ ربيع الأول ١٣٥٦ هـ. يقول له فيها:

جنيف ٣ صفر ١٣٥٦

سعادة الأخ حافظ بك عوض لا عدمته

أشكر لك سؤالك عن سبب تحاشي عن مورد مصر، فإني تسلَّيت في نفسي بأنه بقي لي في مصر من يسأل عني، مهما كان من النتيجة.

في سنة ١٨٩٠ كانت لي مقالات في الجرائد أطلب فيها جلاء الإنكليز عن مصر، ومن ٤٧ سنة إلى اليوم لم أُغفل في هذا الموضوع فرصة، وما زلنا مجمعين على أن هذا الوادي المقدَّس وادي النيل هو من أقدس الأودية عندنا، وأن مصر هي الوطن الأكبر لنا جميعاً.

قد تكون صدور الإنكليز وحدهم حرجة بسياستي لأني كنت من أقدم الموقظين للشرقيين عموماً والمصريين خصوصاً، وكيف لا أكون من أقدم الموقظين أو أقدمهم وأنا أكتب من ٥٢ سنة بدون انقطاع، حتى إنه لو قرأ قارىء كتاباتي تلك وقرأ ما أكتبه اليوم، ظنَّ أن الذي يكتب اليوم هو شكيب أرسلان الأول سمَّاه أبوه على اسم جدِّه، والحال أني حفيد نفسي.

ثم إن الإنكليز ليس لهم حق في هذا الغضب كله، لأني من الأول إلى الآخر لم أنصح لإخواني المصريين بغير الاتفاق مع الإنكليز دون سواهم، فإني أدرى بالسياسة وبما يقدرون عليه وما لا يقدرون عليه. نعم، كنت أنصح لهم بهذا الاتفاق على شرط أن يكون تحالف أكفَّاء لا اتفاق قاصر مع وصيٍّ ليس فيه غير إرادة الوصيّ! ولم أكن مستحسناً تلك السياسة المحالية (نحن أعداء

لإنكلترا لكننا لا نريد إحراج مركزها في الظروف الحاضرة وهي في الخصام مع إيطاليا من أجل الحبشة) كلا، هذه الفلسفة ما دخلت في عقلي أصلاً وما دخل في عقلي إلاّ رأي واحد لا غير وهو:

أدُّوا إلينا استقلالنا الآن في هذا الظرف الحرج نفسه بدون مماطلة وإلاَّ جنحنا إلى دولة أخرى واتَّفقنا معها. أما إن اعترفتم أيُّها الإنكليز باستقلالنا التامّ فنحن نكون لكم حلفاء في السرَّاء والضرَّاء.

ولا أزال على هذا الرأي ولو كان من ثمرة التحالف بين مصر وإنكلترا ضدي عن دخول مصر، لما كان هناك من الحزازات بحقي من أجل التحريض على المطالبة بالاستقلال التام ولو أحرج ذلك إنكلترا! ماذا يهمُّني من أمر إنكلترا! أو لعلِّي أشفق عليها من أجل شفقتها على عرب فلسطين!.

أنا أستغني عن دخول مصر وليس لي فيها شبر أرض، ولكن مصلحة مصر هي التي تهمُّنا وهي التي تدور معها حيث دارت، وسقياً لمصر وإن ظمئنا. وأيَّد الله مصراً برجالات مثلك.

أخــوك

شكيب أرسلان

الأمير وعاطفة الأمومة

وكتب هذه الرسالة في صوفر بلبنان في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٣٧ م، وأرسلها إلى الأستاذ حبيب جاماتي المحرِّر في مجلة «الهلال» المصرية، فنشرت في المجلة، الجزء الثاني، مجلد ٥٥، شباط ١٩٤٧، تحت عنوان «أمي» يصوِّر فيها عاطفة الأمومة، التي كانت دفقاً من دفقات الحب في قلبه، والعطف السخي المعطاء، فهذه العاطفة عند الأمير شكيب من أسمى مميزات الحنان ومن العلامات الفارقة تسمو على التخصيص. الحب عند الأمير كان كبيراً، بل حباً جامحاً طليقاً، اتَّسم بالفطرة النقية البكر، وفي هذا الإطار انطلق بقلمه الجامح الحنون، يصوِّر عاطفة الأمومة بأصدق معانيها.

رجعت إلى الوطن بعد هجران طويل، ولا أقدر أن أعبِّر عن شعوري عندما استنشقت نسيم بلادي الذي حُرمت منه، فحرمت معه كل لذة في الحياة. فرحت للقاء أُمَّين: الأم التي ولدتني وأرضعتني وربَّتني، والأم التي ركضت على أرضها، وتسلَّقت جبالها، وتغذَّيت بهوائها، وهمت بحبِّها. فرحت للقاء والدتي وبلادي، وكنت أخشى أكثر ما أخشى، وأنا في ديار المنفى، أن أموت بعيداً عنهما، فلا أشاهد بلادي، ولا ألثم يد والدتي.

لا يمكن أن يشعر إنسان بما أشعر به، إلا إذا كانت حالته كحالتي، ومصائبه كمصائبي، فقد بلغت سن الشيخوخة، وكلَّما تقدَّمت بي السن، ورزحت تحت أعباء الحياة، تضاعف في قلبي حبي لأمي، بل حبي للأُمَّين العزيزتين: الوالدة، والوطن. فأنا اليوم من هذه الناحية مثل الطفل الصغير، ولك يوم يمر عليَّ يزيد في عاطفة الاحترام والإجلال والتقدير للأم التي بفضلها عشت في مأمن من الرذائل والدنايا، فما خفضت رأسي أمام أحد، وما خفت من قوي، وما ارتجفت من طاغية، وما تململت من صروف الدهر، لأن أمي علَّمتني منذ نعومة أظفاري أن أمشي في الحياة وبين الناس رافع الرأس أبيًا شامخ الأنف، وأن لا أخضع إلا أمام الحق والحقيقة!.

* * *

أنا أذكر أنها قالت لي مرة ونحن نهبط من بيتنا إلى الطريق العمومية في بلدتنا بلبنان: **«هذا الجبل يا بني لا يخاف من الغيوم التي تداعب قمَّته، ولا من البحر الذي يداعب قدمه، وهكذا يجب أن تكون في الحياة»** كنت في ذلك الوقت في عزِّ الشباب.

ولم أنسَ طول حياتي تلك الكلمات التي حافظت على معانيها في جميع الأطوار التي مرت بي.

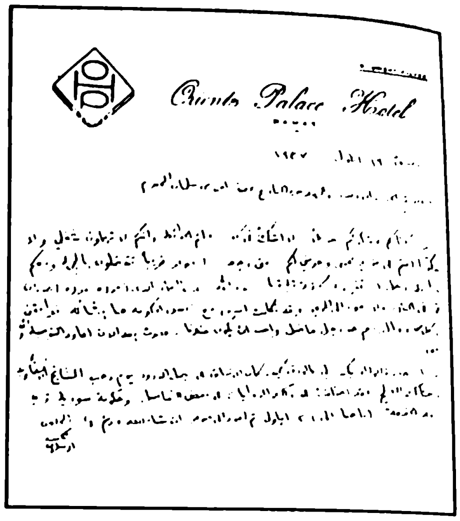
* * *

الأم بركة في البيت، وعلى الخصوص في الأسرة الملمومة الشمل. فكيف بها في بيت أراد الخصوم أن يقوِّضوه، وفي أسرة عاش أفرادها معظم سنوات حياتهم في الغربة والمنفى؟ من أجل هذا أقول إنه لا يمكن أن يشعر إنسان بما أشعر به، إلا إذا كانت حالته كحالتي، ومصائبه كمصائبي.

* * *

تسألني أن أكتب كلمة عن الأم، أو عن أمي أنا. وهل تكفي كلمة، أو مقالة، وهل يكفي كتاب لتدوين كل ما يمكن أن يدوِّنه رجل مثلي عن أمه؟ إنني أحبها لأنها أحبتني، وأدلِّلها اليوم كما أدلِّل طفلي لأنها دلَّلتني وأنا طفل، وأراعي خاطرها لأنها طالما راعت خاطري. وكل خوفي الآن أن اضطر إلى الابتعاد عنها مرة أخرى، فيأخذها الله إلى جواره بدون أن تراني، أو يأخذني إلى جواره بدون أن أراها. حفظ الله لجميع الأبناء البررة أمهاتهم إلى أقصى حد مستطاع...

شكيب أرسلان



تسوية خلاف

رسالة كتبها من دمشق مؤرخة في ١٩ أيلول، سنة ١٩٣٧ م، إلى المهندس عفيف سلمان، وفيها بعض الأمور الخاصة وفي آخرها اهتمامه بالخلاف الذي كان قد حدث في جبل الدروز، وقامت وفود الأجاويد من لبنان بإصلاح ذات البين وإنهاء الخلاف.

دمشق ١٩ أيلول ١٩٣٧

حضرة الحبيب الأديب والمهندس البارع عفيف أفندي سلمان المحترم

أخذت كتابكم وشكرتكم جزيلاً. لا أشك في كونكم عملتم الخرائط وأنكم لا تهملون شغلي، ولا تشكُّوا أنتم في مزيد محبتي وحرمتي لكم. متى رجعت إلى صوفر قريباً تتفضَّلون بالمجيء ومعكم الخرائط لأجل أن تفهموني كيفية تطبيقها. عبد اللَّه أفندي النجار الذي أقدِّره قدره أحب أن يبقى في البلاد ولا يعود إلى المهجر، وقد تكلَّمت أمس مع رئيس الحكومة هنا بشأنه فوافقني على كلامي وقال: نعم هو رجل فاضل وأحب أن يكون عندنا. فصرت بعد الآن أعاود التوصية والله الموفِّق.

أحب أن حضرة الوالد يكتب لي بالورق كيف كان الاتفاق في جبل الدروز يوم ذهب المشايخ الأجاويد إلى هناك للصلح، فقد اختلفت في ذلك الروايات في بعض التفاصيل، وحكومة سوريا تريد معرفة الحقيقة. أنا هنا إلى ٢٦ أيلول ثم أعود إلى صوفر إن شاء الله ودمتم.

المخلص

شكيب أرسلان

إلى شخصية إنكليزية

نقلاً عن جريدة «النهار» البيروتية بتاريخ ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٨، بأن مجلة «أكشن» اللندنية قد وصلتها رسالة من الأمير شكيب موجَّهة إلى شخصية إنكليزية مهمة، وهي الكابتن غوردون كنان، يشير فيها إلى أن إنكلترا قد أساءت إلى العرب في فلسطين يقول فيها:

أريد أن أصارحكم بأن إنكلترا تدفع الأمة العربية إلى اليأس، لأن ما يجري الآن في فلسطين لا مثيل له في التاريخ، وما من شعب على سطح الأرض أُسيئت معاملته إلى هذا الحدّ، إن إنكلترا واليهود يعتقدون أن العرب سينتهون إلى أن يألفوا انتقال فلسطين إلى أيدي اليهود. ولكن لا شيء أبعد من الصواب ولا أشد خطراً من هذه الأوهام الإنكليزية اليهودية.

إن العرب لن يسلِّموا فلسطين لأن مسألتها في نظرهم هي مسألة حياة أو موت. فكل العرب مقتنعون بأن ضياع فلسطين من أيديهم يعني ضياع سائر بلدانهم الواحدة بعد الأخرى.

إنَّ العرب في غير حاجة إلى دعاية إيطاليا أو غير إيطاليا لتهييجهم على البريطانيين في فلسطين، فلو كانت إيطاليا نفسها ومعها فرنسا وألمانيا وروسيا في جانب إنكلترا لما تغيَّرت الحالة، بل إنَّ العرب يقاومون ويجاهدون.

وتحاول بريطانيا حمل العالم على الاقتناع بأن الدعاية الإيطالية تسبِّب هياج العرب، فإذا كانت الحكومة البريطانية تؤمن بما تقول، فهي إذاً جاهلة حقيقة الحال، وإذا لم تكن تؤمن بما تقول ولا تريد إلاّ ذرَّ الرماد في العيون كان ذلك أدعى للأسف، لأنها لا تستطيع خداع العالم إلى الأبد. إن الحقيقة تستمر قائمة رغم كلّ الوسائل المتَّخذة لسحقها.

وما يثبت لكم أننا غير متأثِّرين بدعاية إيطاليا هو أنه لو أقلعت إنكلترا عن السعي لتحويل فلسطين إلى وطن قومي يهودي، ليَمَّمْنا لندن بصفة بعثة من جميع البلدان العربية لنشكر إنكلترا ونصير من أفضل أصدقائها، وأنا نفسي أكون بكل سرور من أعضاء هذه البعثة.

شكيب أرسلان

اليزبكية والجنبلاطية

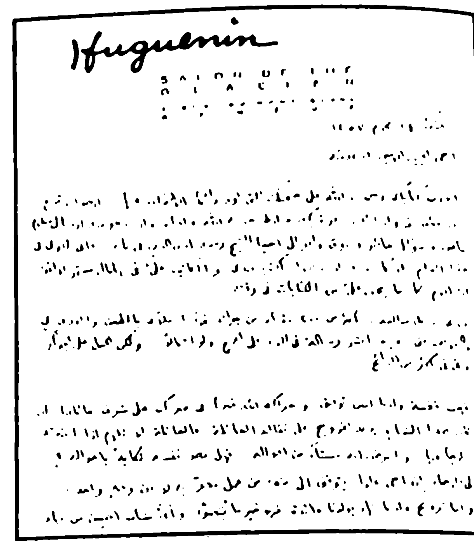
كتاب من الأمير شكيب إلى الشيخ سعيد حمدان رئيس كتّاب المجلس النيابي، من جنيف، بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٨، في موضوع اليزبكية والجنبلاطية، وقد حُرم الدروز من وزارة الزراعة في عهد رئيسها يومذاك عبد اللّٰه اليافي، الذي ألّفها في ٣١ تشرين الأول ١٩٣٨، نشرتها «الضحى»، في عدد نوار (أيار) ١٩٦٣ م. كتب الأمير يقول:

جنيف ٣ شوال سنة ١٣٥٧، ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٨

حضرة الأخ الوفي المحترم حفظه الله

أخذت اليوم كتابكم وحمدت الله على صحتكم، وفهمت تقديمكم كتابي إلى الأخ اليافي وفّقه الله، وما أجابكم به بشأن وزارة الزراعة، ومع أني أشكر له هذه العواطف، فلا أزال أكرّر أن حرمان الدروز من نظارة كسائر الطوائف غير موافق، بل يعدُّه الدروز تحقيراً لهم، وهم يتحمَّلون كل شيء إلا التحقير. وأما العذر أن يكون الخلاف فيما بينهم هو السبب في ضم نظارة الزراعة إلى الرئاسة فغير وارد، لأن الخلاف إن كان موجوداً فيكون بين مجيد أرسلان وحكمت جنبلاط وهما ليسا الطائفة. ونحن ما اقترحنا تعيين أحدهما وذلك لأجل هذه النقطة، وإنما اقترحنا تعيين رشيد جنبلاط لأسباب وجيهة. أولها: أنه بشخصيته مقتدر جدير بالمنصب، الثاني: لأنه وإن كان من عائلة جنبلاط فلا يوجد له أعداء في عائلتنا ولا في اليزبكية، بل اليزبكية يميلون إليه وهم يحسبونه في الشوف يزبكياً، لأن فرع الشيخ نجم من آل جنبلاط هو ضد فرع الشيخ بشير، فيزبكية الشوف يعدُّون الشيخ نجم منهم فهو على كل حال أنسب الموجودين. وليس له أعداء لا في الجنبلاطية ولا في اليزبكية، وهذا هو الرأي الأول الذي رأيناه. وأما الثاني فيكون على فرض عدم إمكان الرأي الأول، وهو أن يعيَّن رجل يزبكي لهذا المنصب لأنه سبق وشغله واحد أرسلاني ثم واحد جنبلاطي، ولا بد أن يكون لليزبكية دور ولا سيما أنهم في الانتخابات الأخيرة حرموا مركز نائب، وهي أول مرة اختلّت فيها الموازنة. فمن قديم الزمان إذا وجد منصبان متكافئان لا بد أن يكون الشاغل لأحدهما يزبكياً وللآخر جنبلاطياً، وقد ذكرنا لمعالي رئيس الوزراء اسم فريد بك العماد الذي فيه الأهلية والوجاهة، وهو اليوم رئيس آل عماد، كما أن آل عماد هم العائلة الأولى في اليزبكية.

ما يشاع عندكم من أن اليهود اغتالوني ليس له أصل. قيل لإنسان: بلغني أنك مت؟ فأجابهم: ليس بصحيح، فقالوا له: هكذا سمعنا! فقال: أنا أدرى ممن أخبركم! فأنا والحمد لله ملآن حياة، وأما الاغتيال فهو جائز في كل وقت، إذا كان الأجل قد انتهى. فالبرغشة أو البعوضة تقتل الإنسان إذا فرغ الأجل، ودول الأرض كلها لو اجتمعت على إنسان ما قدرت أن تقتله إن لم يحن أجله، وفي الحديث الشريف: «كفى بالأجل حارساً» ولكني استغربت من أين جاء هذا الخبر؟ فلا بد من دسيسة حتى شاع وشغل الأفكار. نحن ما حصل معنا شيء سوى أن اليهود، من شدة حنقهم مما نكتبه في مجلتنا «لا ناسيون آراب»، دفعوا بعض الجرائد إلى الطعن بنا. فمنها ما انقاد لهم وارتشى منهم، ومنها ما تجنَّب المساس بنا ـ فنحن أقمنا دعوى على الجرائد التي تعرَّضت لنا ـ وقبل أن ندخل في المحاكمة خاف أرباب هذه الجرائد من المجازاة، فاعتذروا اعتذاراً صريحاً. . . والحركة نفسها جرت في باريس، فإن بعض اليهود الأمريكيين جاء باريس ونشر في جريدة «البتي باريزيان» مقالة كلها طعن فينا، وفي المفتي الحاج أمين الحسيني. وصاحب هذه المقالة يستند على كلام راغب النشاشيبي، ويظهر أن راغب المذكور، وهو الآن ملتجىء إلى مصر خوفاً من المجاهدين. . قد دسّ إلى اليهودي المذكور أقوالاً نشرها هذا في باريس، ومن جملة الأقوال التي تواطأ راغب فيها مع اليهودي: إن راغب هو عدو اليهود ولكنه صديق لإنكلترا التي تجتهد في إخراج وطنه فلسطين من حوزة العرب، وتقتل العرب بالألوف لأنهم يرفضون تهويد فلسطين. . .



مكانة الأمير

نقول بلا مبالغة، إن الأمير شكيب كانت تواجهه تيارات كثيرة معاكسة تعمل على تحطيم معنوياته، والدس عليه والتحامل على شخصه. وهذا يدلُّ على ما كان يتمتع به الأمير من مكانة عالية، ومركز مميز في مختلف الأوساط السياسية والأدبية والفكرية. وهذه الرسالة تشير إلى شيء من هذا ثم تنتقل إلى شؤون عائلية. مؤرَّخة من جنيف، ١٤ محرّم، ١٣٥٧ هـ، ١٧ آذار ١٩٣٨ م.

جنيف ١٤ محرم ١٣٥٧

أخي الحبيب الأمين لا عدمته

أخذت كتابك وحمدت الله على صحتك التي أود دائماً الاطمئنان عنها. أرجو أن تبلغ أرق تحياتي إلى ولدنا الحبيب عزت بك جنبلاط حرسه الله وأخاه وأن ترجو منه إرسال سلام خاص، وسؤال خاطر وشوق وافر إلى أخينا الشيخ رشيد أمين الدين في باتر، فإني لكوني في هذا العام بلا كاتب يد لا بد من أن أكتب بيدي والمكاتيب عليَّ في تهطال مستمر، لا أقدر أن أقوم بكل ما يجب عليَّ من الكتابات في وقته.

عندي ـ بلا مبالغة ـ أكثر من ٢٠٠ مقالة من جرائد فرنسا ملأى بالطعن والقذف بي والتخويف مني، وسأنشر رسالة في الرد على الجميع ولو إجمالاً، ولكن الحبل على الجرَّار والآتي أكثر من الرائح.

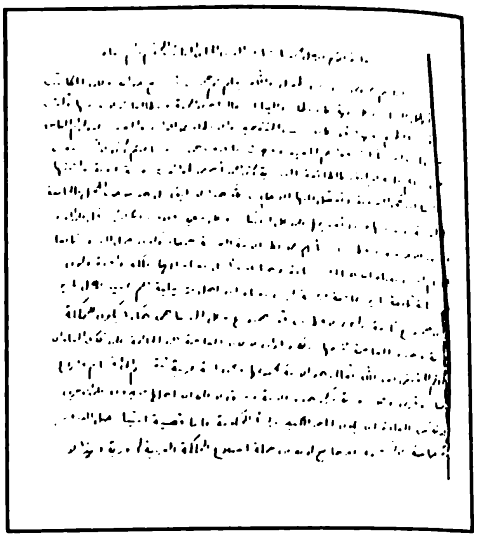
فهمت قضية ولدنا أمين توفيق وجزاك الله خيراً في غيرتك على شرف عائلتنا. إن كان هذا الشاب يريد الخروج على تقاليد العائلة فالعائلة لا تُلام إذا اعتبرته خارجاً عنها. ولنفرض أنه مستاء من أخواله فهل يضر نفسه نكايةً بأخواله؟ لي الرجاء بأن أخي عادل يتوفَّق إلى منعه من عمل مضرّ به لا من وجهٍ واحد. . . وأما تزويج ولدنا نهاد بولدنا عائدة فهو خير ما يُتصوَّر وأيُّ شاب أحسن من نهاد في ذكائه ونشاطه ويقظته وحماسته، إنه والله من نخبة الشبان. ما ذكرت لي شيئاً عن صحة

نازك ابنة عمنا؟ مني سؤال خاطر عطوفة الست الكبيرة خولة وخواطر البكوات آل جنبلاط أجمع ودائماً بشِّرني بصحتك ودام بقاك لأخيك.

شكيب أرسلان

11 Rue Marignac, Genève

الحالة العمومية من جهة السياسة توجب القلق وإن كنت لا أزال أستبعد الحرب. . . استلحاق هتلر للنمسا ومصير الألمان إلى ٧١ مليون نسمة شيء ذو بال، وقد كانت الحروب تحصل لأقل من هذا. ولكن الناس بعد الحرب العامة صاروا أكثر تحمُّلاً. ونسأل الله اللُّطف بعباده.



وضع جبل الدروز في الوحدة السورية

رسالة بلا تاريخ والمرجَّح أنها سنة ١٩٣٨ م، من الأمير إلى محمد باشا عزّ الدين الحلبي، النائب في المجلس السوري، يخبره فيها عن المعاهدة السورية ـ الإفرنسية، والقضية الفلسطينية، ووضع جبل الدروز في الوحدة السورية.

سعادة الأخ الأجل محمد باشا عز الدين الحلبي النائب المحترم دام بقاءه

كتابكم عندي من زمن طويل والله يعلم كم هممت بتسريح جوابه، ولكن المكاتيب تهطل علينا من كل جهة كالأمطار، وعلينا أشغال أخرى علمية ومطالعات لا بدَّ منها وكتب تحت الطبع، فهذا قد كان سبب التقصير والإبطاء في الجواب والعذر عند كرام الناس المقبول، ولقد تأملت جوابكم المفيد وفهمت ما فيه وحمدت مساعيكم التي لا تُستغرب من مثلكم، فإنه لا يليق بالطائفة الدرزية التي هي أصفى طوائف سوريا عروبة وأثبتها نسباً أن تجحد العروبة وتفضِّل عليها الأجانب، كلاَّ هذا لا يليق بل هو موجب الخجل، فالجامعة العربية لا بدَّ منها ومن تقديمها على كلّ اعتبار، وكلّ سعي بخلاف ذلك يسجِّل الدروز بسوء الأحدوثة ويحطُّ من شأنهم في نظر الأمة العربية جمعاء، وكون جبل الدروز تابعاً للشام ليس معناه أن هناك سادة وهنا عبيداً، بل معناه أنهما مملكة واحدة، وكون مرسيليا تابعة باريس عاصمة فرنسا ليس معناه أن أهل مرسيليا هم عبيد لأهل باريس، وكون همبورغ تابعة برلين لا يحطُّ من قدر همبورغ، وكلّ الدنيا هي هكذا يكون للمملكة عاصمة وهذه العاصمة تتبعها مدن وبلدان، لا لأن العاصمة هي الحاكمة على تلك البلدان فالحاكم الحقيقي بعد الله تعالى هو الأمة بمجموعها، ونحن أمة عربية تنقسم إلى أقسام وفروع وأمصار وقرى، وفي سوريا مركز هذه الأمة دمشق لا على أن أهلها مميَّزون على الآخرين، بل لأنه من العادة أن يكون المصير الكبير مركزاً للحكومة. فأمَّا قضية امتياز جبل الدروز بإدارة خاصة لا تشبه غيرها مع كونه من جملة أضلاع المملكة العربية السورية، فهذا لا نزاع فيه ولا بدَّ منه وطالما تكلَّمنا بضرورته ومن قبل الاستقلال بزمن طويل، كنَّا نقول إن امتيازات جبل الدروز لا يجوز الخلل بها مع بقائه من

ضمن الوحدة السورية وفرنسا نفسها لا تجهل هذا الأمر ولم تجهله، وقررت أن بلاد الدروز كبلاد العلويين يلزم بقائها ضمن المملكة السورية التي مركزها دمشق، وفي هذه النوبة بالرغم من جميع المعاكسات والإساءة تجدَّد هذا القرار، ولا بدَّ أن يكون قد بلغكم كون المعاهدة السورية ـ الإفرنسية قرَّرتها فرنسا مع جميل بك مردم، وقد تبادل هو وناظر الخارجية الإمضاء على مُلحقات لا تُخالف المعاهدة الأصلية ولا تنقض الاستقلال السوري هكذا حسبما فهمت من جميل بك، وإن كنت لم أطَّلع على نصّ الملحقات. وعلى كلّ حال ستأتي المعاهدة وملحقاتها إلى المجلس السوري وتتناقشون فيها ويتَّضح كل شيء، فمن كان منتقداً فعليه أن يعمل خيراً مما عمله جميل مردم، نعم، إذا وجد أن المعاهدة أُردفت بملحقات ناقضة للمواد الأساسية التي بُنِيت عليها، فهذا لا يجوز قبوله أيًّا كان الموافق عليه. فأمَّا قضية فلسطين فمع الأسف توجب الخوف الشديد، فإنكلترا وإن تظاهرت بالميل إلى حلّ المسألة فهي تضمر خلاف ما تظهر على عادتها، ومن حيث إني كتبت أمس مقالة إلى صحف الشام عن الموقع الذي وصلت إليه القضية الفلسطينية، فيمكنكم أن تطالعوا هذه المقالة في الصحف فأستغني عن إعادة الكلام مع الشغل الكثير الذي يساورني هذا، وقد قرأت اليوم في الصحف أنك تأهَّلت من جديد فسألت الله لك التوفيق والهناء والرفاه والأبناء، وإن شاء الله أكون في الشام في الثلث الأول من كانون الثاني وأهنيك شفاهاً ونحظى بمجالستك، وسلِّم لي على الجميع وعلى الأخ سليمان بك نصار ودام بقاكم.

أخـوكـم

شكيب أرسلان

أزكى سلامي وأوفر أشواقي إلى الأخ القديم الوفي نجم الحلبي.

مجلس الاتحاد الإسلامي في بومباي

بعث الأمير من جنيف بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ هـ، برسالة إلى المجاهد محمد علي الحاج سالمين في بومباي - الهند، حول قيامه بتأسيس مجلس الاتحاد الإسلامي الأعلى في بومباي، نشرت في «العرفان» حزيران ١٩٤٧ .

جنيف ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧

حضرة المجاهد الفاضل الدكتور محمد علي سالمين مؤسس مجلس الاتحاد الإسلامي الأعلى في بومباي الهند وفَّقه الله وأخذ بيده

لا تؤاخذني على إبطائي في الجواب فإنه في المدة الأخيرة كان كاتبي غائباً، وقد صارت الكتابة بيدي صعبة عليَّ وصارت يدي ترتجف عند الكتابة. ثم في هذه الأيام الأخيرة تغيَّبت نحواً من شهرين في ألمانيا وأنا في الحقيقة بالرغم من كل ذلك خجلان من تأخُّري عن جوابك، وأنت من ضميرك تعلم اغتباطي بخدماتك الجليلة للإسلام والمسلمين، وقد هنَّأتك على تصنيف ذلك الكتاب باللغة الإنكليزية في سيرة الرسول الأعظمﷺ والذي قرظته جمعية علماء الهند، وكذلك على تأسيسك مجلس الاتحاد الإسلامي الأعلى في بومباي. فقيامك بهذه المشروعات أنت أيها العربي الكريم والمسلم المجاهد في عصر تحتَّم فيه الجهاد على كل مسلم يملأ قلب كل عربي وكلّ مسلم جذلاً وابتهاجاً وإعجاباً وافتخاراً، فأنا أسأل الله توفيقك وأن ينير إلى كل خير طريقك وأشكرك على كتابتك إليَّ في هذا الموضوع. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخوكم
شكيب أرسلان

فقيد عزيز

وهذه رسالة من الأمير إلى السادة مشايخ آل أمين الدين في عبيه، مؤرَّخة في ٢٠ أيلول سنة ١٩٣٨ م، يعزِّيهم فيها بوفاة عميدهم رشيد أمين الدين(١).

حضرة السادة آل أمين الدين المحترمين

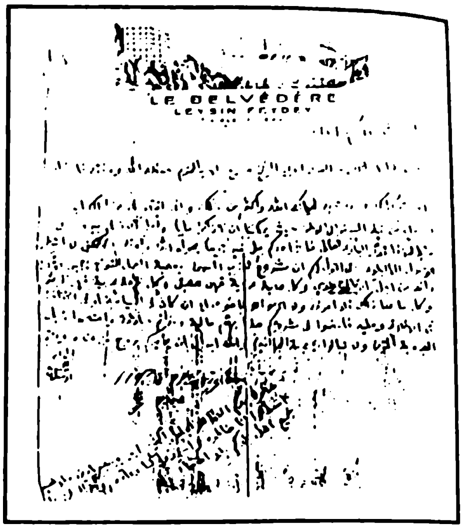
عزَّ عليَّ جداً فَقد هذا الصديق الذي كان من عشراء صباي ومن رفاق قسم كبير من حياتي، وكان يودّني وداً لا مذق فيه وكنت أودّه بمثل ذلك غياباً ومشهداً، وقد كانت فيه خلال خير كثيرة لا ينكرها عليه إلاّ كل مكابر منها الكرم المحض الذي كان فيه سجيّة لا تكلُّفاً والذي أنفق به ثروة غير زهيدة، ومنها دماثة الخُلُق الذي كان فيه من النوادر يجمع إليها من الفكاهة وسرعة الخاطر وتوقُّد الذكاء ما يجعل عشرته مقصودة لذاتها يرتاح إليها كل ذي ذوق سليم، وقد ورد في الحديث الشريف: «إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون». فلا عجب إن كنّا نحب هذا الفقيد منذ عرفناه وكنّا نأنس بلقائه ونعجب بسلاسة أخلاقه وغضاضة آدابه وحلاوة محاضرته، وكان يزيِّن ذلك فيه رجاحة عقل تنأى به عن الشر وتدنيه من كل خير، ولا غرو إن كنت أحزن الآن لفقده وأستوحش لفراقه وأترحَّم عليه كلما تذكَّرته، فقد كان من ألطف الخلاَّن، وممن تحقَّقت فيه الأخلاق الحسان وإني أرى دَيناً على مروءتي بعد عشرة أربعين عاماً أن أتبعه هذا الثناء بعد وفاته والله يعلم أني من الصادقين، رحمه الله وأكرم مثواه وجزاه خير الجزاء إنه كريم يحب الكرماء.

شكيب أرسلان
جنيف في ٢٣ أيلول

---

(١) من محفوظات الشيخ حليم أمين الدين، من عبيه.

عصبة العمل القومي


LE BELVÉDÈRE

رسالة من الأمير إلى الشيخ وديع ملاعب، يذكر له فيها أنه قادم إلى أرض الوطن، وأنه متعلّق بكل ما هو عربيّ، ويؤيّد فيها عصبة العمل القومي، وكل حركة تُبذل في سبيل العرب. مؤرخة في ١١ كانون الثاني، سنة ١٩٣٩(١).

لوزان في ١١ كانون الثاني ١٩٣٩

حضرة الأعز الأديب العربي الأبيّ الشيخ وديع ملاعب المحترم حفظه الله ووفّقه لما يرضاه

أخذت كتابك وسررت به فحيّاك الله وأكثر من مثلك، وإني لمقتصر في هذا الكتاب نظراً لما أنا عليه من نيّة السفر إلى الوطن حيث يمكننا أن نتذاكر مليّا، ولعلي أكون في بيروت في ٢ شباط إذا قدّر الباري تعالى فأشاهدكم على خير جميعاً بحول الله وقوته، لكنني لا أنتظر الوصول إلى البلاد حتى أقول لكم إن مشروع الحزب المسمّى بعصبة العمل القومي يعجبني ويدهشني وإنه من أجلّ الأماني عندي، وكل عصبة عربية فهي عصبتي وكل نزعة عربية فهي نزعتي، وكل ما عدا ذلك فلا أعرفه ولا أدعو إلاّ لما هو عربي إن كان في السياسة أو في القانون أو في الأخلاق، وعليه فامضوا في مشروعكم هذا بهمم عالية وعزائم صادقة واعتصموا بحبل العروبة المتين ولا تبالوا بجعجعة المخالفين، والله أسأل أن يؤيّدكم بروح من عنده ودمتم.

المخلص
شكيب أرسلان

11 Rue marignac, Genève

حضر عندكم الطاهر الجليل الشيخ أبو يوسف أمين ملاعب، اسألوا لنا خاطره واستمدوا لنا دعاءه، ومني السلام على جميع أهل بلدكم بلا استثناء.

---

(١) من محفوظات الشيخ وديع ملاعب، بيصور.

منع الأمير من دخول سوريا

رسالة من الأمير وجَّهها إلى أمين بك آل ناصر الدين، يوضح فيها أسباب منعه من المجيء إلى سوريا، وقد نشرتها «الصفاء» في عددها رقم ١٨٩٩، بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٣٩ م.

حضرة مدير جريدة الصفاء المحترم

تلطفتم فذكرتم في الصفاء قضية عزمي العودة إلى الوطن لأجل تسلُّم رئاسة المجمع العلمي التي عُهد إليّ بها، وكيف أن الحكومة الإفرنسية لم تأذن إلى الآن في رجوعي إلى البلاد، وقد عقَّبتم على ذلك برأيكم أن هذه المعارضة في قدومي إلى سوريا أصلها من الحكومة الإنكليزية.

ولما كان من الواجب تحرير الخبر على وجهه جئت أخبركم بأني بعد انتخابي لرئاسة المجمع العلمي، أبرقت إليَّ الحكومة السورية بلزوم سرعة الحضور إلى دمشق، فتأهَّبت للسفر وضربت موعداً لركوب البحر من البندقية في ٢٨ كانون الثاني، على أن أكون في ميناء الإسكندرية في ٣١ منه وفي بيروت في ٢ شباط. ولمّا أردت أخذ الإشارة اللازمة على الباسبورت من قنصلية فرنسا بجنيف أرسلت كاتب يدي إلى القنصلية لإجراء هذه المعاملة، فاعتذروا بأنهم تلقوا من باريس أمراً بعدم إجرائها، فلمّا علمت ذلك أبرقت إلى الحكومة السورية بواقع الحال، فبعد مضي ١٢ يوماً جاءني الجواب من رئيس الحكومة المشار إليها بأن قنصلية فرنسا في جنيف ستعمل التصريح اللازم، وأنهم ينتظرون في دمشق قدومي مرحِّبين. فأرسلت الكاتب مرّة ثانية إلى القنصلية وفي يده البرقية ليطلعهم عليها فأجابوه بأنهم لم يتلقوا من باريس أمراً ينقض الأمر الأول، وقد مضى على ذلك عشرة أيام ونحن لا نزال على ما نحن عليه، والمسألة ليست بذات بال بالنسبة إلى شخصي بل هي ذات بال بالنسبة إلى حقوق سوريا التي قد انتخبت رجلاً لرئاسة المجمع العلمي العربي فيها، وصدر بذلك له المرسوم اللازم من رئاسة جمهوريتها، فلمّا جاء يتسلَّم منصبه حيل بينه وبين الدخول. أما الأسباب التي أوجبت هذا المنع فلم أعرفها ولا يهمني أن أعرفها وإني لأتوقَّع زوال هذا المنع لا لأجل نفسي بل لأجل إزالة سبب من جملة أسباب الأخذ والرد الواقعين بين فرنسا وسوريا، على حين أننا جميعاً نريد إحلال الصفاء محل الجفاء والله غالب أمره.

شكيب أرسلان

التنديد بسياسة فرنسا

كتاب من الأمير شكيب إلى الرئيس هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية، من جنيف، بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٩٣٩ م، نشرتها «الضحى» في عدد نيسان ١٩٦٣، وفيها يندِّد بسياسة فرنسا وظلمها واستبدادها، ويبحث في التخلُّص من سلطانها واستعمارها، وبما وقع منها على لبنان وسوريا من سلب ونهب، وغرامات لا يزال يذكرها الناس بأسف بالغ. فالأمير شكيب كان من ألدّ أعداء فرنسا، وأكثرهم ثورة عليها، ومهاجمة لها، فلم يترك فرصة من الفرص إلاّ دعا فيها إلى تفاهم نزيه معها، ومعاهدة تستقيم معها الأمور، وتنتظم العلاقات السورية واللبنانية مع فرنسا على أسس من الثقة المتبادلة والمساواة وتكفل مصالح الفريقين وكرامتهما. وفي الكتاب الآنف الذكر دليل قاطع ساطع على أن الأمير لا يحمل الحقد والكراهية، بل هي خصومة منبعثة عن الوطنية والكرامة.

جنيف ٢٢ شباط سنة ١٩٣٩

دولة سيدي الأخ هاشم بك الأتاسي رئيس الجمهورية السورية المعظم أطال الله بقاءه وأخذ بيده.

اعرض: إن أخبار الأزمة السورية واستقالة الحكومة، وما جرى بعد وصول المندوب السامي الجديد، كل ذلك قد اطَّلعنا عليه، وإني والله يعلم، وملائكته تشهد، أرغِّب السوريين في عقد الصلح مع الفرنسيس على قاعدة التحالف الذي تقرَّر بمعاهدة سنة ١٩٣٦. وفي ذلك اليوم كنت أول من استشهد لأجل تأييد المعاهدة بالآية الكريمة: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ وصرَّحت بذلك مرات لا تحصى. وأرسلت جريدة «الطان» من طلب مني حديثاً فأعلنت فيها حديثاً شرّق وغرّب. ومعناه أننا مغتبطون بمحالفة فرنسا، مصرُّون عليها، ونتمنى أن لا تكون قاصرة على سوريا فقط بل أن تشمل شمالي أفريقيا والعالم الإسلامي. ولكن بينما كنا على هذه النية الصحيحة الصريحة، وغير مبالين برضا دولة من الدول أية كانت، أو بغضبها أية كانت في سبيل هذا الاتحاد بيننا وبين فرنسا، إذ أخذت عقارب الفساد تدب في باريس لأجل إيقاع الخلل بالمعاهدة بالرغم من عدم انطباق كثير من موادها على مطالب السوريين، وبالرغم من كونها غير مماثلة تماماً لمعاهدة العراق مع إنكلترا، وهو الشرط الأساسي الذي اشترطناه لأجل الصلح مع فرنسا، وقد أجابت إليه. فمن ذلك العهد لم تزل الدسائس في باريس تعمل على هدم المعاهدة إلى أن تغيَّرت الأفكار، وصاروا يريدون نقض ما عاهدونا عليه. والاختصار لم يستقيموا لنا لنستقيم لهم. وأنتم أدرى بما

أورث عملهم هذا من سوء الظن وخيبة الأمل، وفقد الثقة عند السوريين قاطبة حتى صاروا يقولون: أية فائدة في المعاهدة إذا كانت فرنسا لا تريد أن تتقيّد بها؟ ومع هذا كله فإننا لا نزال مرتاحين إلى الصلح، وإلى إعادة الصفاء وإحلاله محل الجفاء بيننا وبين هؤلاء القوم، إلا أننا لا نقدر أن نتساهل بعد الآن بمقدار ذرّة، فإذا كانوا يريدن السلام فلا بد من تنفيذ المعاهدة بحذافيرها كما انعقدت سنة ١٩٣٦. ولا نرضى بالتشريع الذي أرادوه ماساً بأحكام الشريعة الإسلامية، ولن نفتح باباً كهذا في سوريا، وإلى الآن دول كثيرة في أوروبا لا يوجد في قانونها الأساسي جواز خروج أحد تبعتها عن الديانة المسيحية بصورة رسمية. ومن سنتين أراد أحد رعايا دولة السويد أن يقيّد اسمه مسلماً في بلاده، فلم يجيبوه إلى طلبه بقولهم: إن هذا مخالف لدستورهم. ثم في نفس سلطنة المغرب أسلم بعض الفرنسيس وأرادوا تقييد أسماءهم كمسلمين، فلم تقبل حكومة الحماية هناك هذا الأمر. وهذه أشياء نقدر أن نثبتها. فمتى تكلّموا عن حرية الأديان ينبغي أن يعلموا أننا لا نجهل ما هو جارٍ في كثير من بلدانهم. ومع هذا فقضية تخالف الشريعة المحمدية لا يجوز تطبيقها بأمر فرنسا رأساً، بل لا مناص من طرحها في المجلس النيابي السوري، وأخذ القرار فيها. ولا نظن أن هذه المادة قد دخلت في المعاهدة الإنكليزية ـ العراقية لتدخل في المعاهدة الافرنسية ـ السورية.

ثم إن هذه السياسة التي يقوم بها عمّال فرنسا وكثير من ضبّاطها في جبل الدروز، وبلاد العلويين، وجزيرة الفرات، وقد استمرت إلى الآن سنتين، وهي على ازدياد، لا يمكن أن يرضى بها السوريون ولا العرب جميعاً، بل هي مبدأ عداوة شديدة بين العرب والفرنسيس. أولاً يستحيل أن يرضى دروز حوران بجعل بني الأطرش عائلة مالكة تحت حماية فرنسا كما يريدون أن يفعلوا، لأن جميع المقصود من طلب الانفصال عن سوريا هو هذا الأمل، والدليل على ذلك أن بني الأطرش متى وجدوا محافظة الجبل قد أخرجت عنهم ولم تساهم فرنسا في حصرها فيهم، تركوا هذه المقاومة التي يقاومونها للوحدة السورية، فالمسألة عبارة عن أمل وقر في أنفسهم بأن فرنسا تقدر أن تقطعهم بنفوذها وبجيشها المحتل جبل الدروز فيكونون هناك أصحاب الإمارة ويتوارثونها خلفاً عن سلف، وبمقابلة ذلك تكون هذه الإمارة تابعة لفرنسا اسماً وفعلاً، فهذا يستحيل أن يقبله الدروز، فضلاً عن أن تقبله الأمة العربية جمعاء. ومثل ذلك السياسة التي اتَّبعوها في بلاد العلويين وهي تنشيط أعداء الوحدة السورية، أملاً بأن تكون تلك القطيعة تحت حماية فرنسا رأساً. ولهم هناك مآرب آخرى يخشون فقدها إذا اتَّحدت تلك البلاد مع دمشق، وهي قضية تنصير العلويين مما وضعه الجزويت نصب أعينهم. وأما في الجزيرة فهناك أقلية ضئيلة من شذاذ المسيحيين الذين طردتهم تركيا ولجأوا إلى تلك الأرض وقد زعموا أنهم يريدون السيطرة على بلاد أربعة أخماسها مسلمون، وكل هذا ليس بقوتهم بل بقوة احتلال الإفرنسي. وقد تحمَّلت الحكومة السورية من الإهانة وكسر الناموس

في تلك القطعة ما أنتم أدرى به مني، وليس المسلمون هناك بعاجزين عن حفظ ناموس العرب والحكومة السورية، ولكنهم صابرون، وجميعنا كنا ننصح لهم بالصبر حتى لا تقع بينهم وبين بعض المفسدين حوادث يتخذها ذوو المآرب حجة لنقض المعاهدة الإفرنسية ـ السورية. فإذا كانت سياسة الفرنسيس في جبل الدروز، وبلاد العلويين، والجزيرة الفراتية ستبقى على ما هي عليه الآن، ولا يأمر المندوب السامي الجديد باستبدال عمّال فرنسا في هذه المقاطعات الثلاث ولا يعلن على الملأ أن هذه المقاطعات، مع حفظ بعض الامتيازات الخاصة بها، لا يمكن فصلها أبداً عن الحكومة السورية، فلا يكون ممكناً أن يقع صلح ولا سلام. ولماذا نغالط أنفسنا، فالحكومة السورية سواء وزارة جميل مردم بك أو أية وزارة أخرى يجب أن تبدأ بالمفاوضة مع المندوب السامي، حتى يفهم منها بالصراحة أن كل محاولة لفصل هذه المقاطعات عن سوريا فعلاً، أو اسماً وفعلاً، لا يمكن أن يكون معها سلام أبداً. فقد مضى وقت التمويه والمداجاة، وقد أزِفَت ساعة الحسم الباتّ. ونحن لا نجهل قوة فرنسا سواء كانت الحالة الأوروبية هادئة أو كانت مضطربة كما هي اليوم، ولكنه لا ينبغي أيضاً لفرنسا أن تستخفّ بقوة السوريين وتظن أنها تجبرهم على قبول ما يخالف المعاهدة المنعقدة سنة ١٩٣٦، بحجة أن هناك تجاريب جديدة استوجبت التغيير. ففرنسا قد عاهدت وانتهى الأمر، وما عاهدت بغتة، بل بعد مذاكرات وأخذ وردّ استمرا ستة أشهر. ولما أمضيت المعاهدة لم يعترض عليها لا بنو الأطرش ولا سليمان المرشد ولا المطران حبي، ولا غيرهم، بل هذه الاعتراضات إنما جدت بالدسائس التي كان يقوم بها عمَّال فرنسا نفسها بتأثير حزب الاستعمار من جهة، وحزب الجزويت من أخرى. ثم إن هناك عاملاً آخر ينبغي على الحكومة السورية أن تنبِّه إليه أفكار المندوب السامي، وهي عدم الاعتماد الكثير على عداوة الأتراك للعرب والظن بأنها عداوة سرمدية، وأن الفرنسيس يقدرون أن يسرحوا ويمرحوا كما يشاؤون في سورية معتمدين على أن عرب سورية هم في حاجة إليهم لدفع خطر الأتراك، فالمعلومات التي عندنا لا تفيد أن الأتراك ينوون الاستيلاء على سوريا لأنهم يعلمون قيام الأمة العربية جمعاء في وجههم إذا حاولوا أمراً كهذا، ولكن الأتراك، ولا سيما بعد موت مصطفى كمال، يريدون التودُّد إلى السوريين وإلى العرب عامة، ويتمنون عقد محالفة تركية عربية. ونحن من رأينا إصلاح العلاقات بيننا وبين تركيا، لأنه ما دام الفرنسيس معتقدين أن العداوة بين العرب والترك هي عداوة سرمدية، فلا يزالون يسعون في سوريا مساعي مخالفة لمصالح السوريين على ظن أن السوريين سيتحمَّلون منهم كل شيء، وليس في هذا الكتاب شيء خافياً عن واسع معرفتكم، ولا عن إخواني، إلا أنني أحببت أن أدلي بالرأي الذي عندي في هذا الوقت العصيب، وهو عدم التساهل في شيء وإبداء الحزم التام، فإني معتقد أن الحرص الذي حرصناه على إرضائهم هو الذي زادهم تعنُّتاً وجعلهم يعتلُّون كل يوم بشيء

جديد. وأكرِّر ما قلته سابقاً بأننا نبغي التراضي معهم من صميم قلوبنا، ولكن سياستهم في الجزيرة، وبلاد العلويين، وجبل الدورز، لا يمكننا أن نتحملها. وكل حكومة سورية تتساهل فيها بأقل شيء تتحمل مسؤولية عواقب هذه السياسة، وتسقط أدبياً ومادياً وهذه قضايا صارحت أنا المندوب السامي بها في مجلتي «لا ناسيون آراب» إلا أن صدورها عن حكومة مسؤولة يكون أهم وأوقع. وعلى الله الاتكال والسلام على سيدي الأخ ورحمة الله وبركاته.

أخوكم
شكيب أرسلان

المعاهدة السورية ـ الإفرنسية تتأرجح

بعث الأمير شكيب بهذا الكتاب في سنة ١٩٣٩ م، إلى ابن عمه الأمير أمين مجيد أرسلان في الأرجنتين، ومشروع المعاهدة السورية ـ الإفرنسية يتأرجح بين الأمل واليأس، بهذه الرسالة التي تجمع بين الروح الوطنية تبعثها ملاعب الصبا وذكرياتها، والروح الوطنية القومية. وهذا ما جاء في الكتاب المذكور الذي نشرته «الضحى» في شهر أيلول سنة ١٩٥٦:

بعد رجوعي من سوريا إلى جنيف كان مرادي أن أنقل عائلتي وخزانة كتبي نهائياً إلى الوطن وأقيم بالشويفات، وقد أصلحت قسماً من الحارة وفي نيتي إصلاح القسم الآخر لا سيما حارة الأمير عباس التي اشتريناها، وذلك أني ـ يا أخي ـ عندما ذهبت إلى البلاد وأقمت شهرين أو ثلاثة من الشتاء الماضي في الشويفات، شعرت بلذَّة عظيمة لكوني رجعت إلى مسقط رأسي بعد أن انقطع كل أمل من مشاهدتي بلادي، وصرت كل يوم أقصد الصحراء والكروم وغيرهم من مراتع صباي، كما كتبت إلى أحد الإخوان: تراني أرتع الآن شيخاً في الأماكن التي كنت أرتع فيها طفلاً، وصادف ذلك موسم الزيتون. فأعاد إلى ذهني التذكارات القديمة. والحاصل أني كنت عزمت الإقامة بالشويفات ونقل مكتبتي إليها والاشتغال بالتأليف تاركاً السياسة. وبين الشويفات وبيروت المسافة يقطعها الأوتوموبيل بعشرين دقيقة. ورجعت إلى جنيف على هذا العزم، إلا أني كنت متربِّصاً ريثما تصدِّق فرنسا المعاهدة الإفرنسية ـ السورية في برلمانها، فشعرت بطروء أفكار جديدة مانعة من تصديق هذه المعاهدة، فبقيت أنتظر في جنيف حتى مضى سنة كاملة على رجوعي من الوطن، وانجلت المسألة التي كنا ننتظر جلاءها عن تذبذب فرنسا في التصديق بل ميل الأكثرين فيها إلى النكث بما عاهدوا عليه. فعلمت حينئذ أننا سنعود إلى الحالة السابقة من الجهاد والصراع، وأنا في أثناء ذلك مشتغل بكتبي وقد أنجزت في هذه السنة الجزء الثالث من «الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية» ثم جدَّ عليَّ انتخابي رئيساً للمجمع العلمي العربي في دمشق، وكانوا عرضوا عليَّ هذا المنصب من قبل فرفضته، لأن راتب الرئاسة كان ضئيلاً لا يكفي لإقامتي بدمشق، فقرَّرت الحكومة زيادة الراتب إلى مائتين ليرة سورية في الشهر، وليس ذلك بكثير ولكنه شيء من الأشياء قد يسدُّ مصاريفي إذا أقمت بالشام. فأجبت الحكومة السورية بقبول المنصب لا سيما أن جميل مردم بك كان يومئذ في باريس، وقد جاءني إلى جنيف لأنني قررت أنني إن لم تصدِّق المعاهدة

أعود إلى جنيف وأستأنف الجهاد، وأنه لا يوافق أن أذهب نهائياً إلى سوريا في حالة غير مستقرة ربما ينشأ عنها خصام يوجب الرجوع إلى ما كنا عليه من قبل، ولما جئت أسافر بنفسي إلى الوطن وقررت موعد السفر علمت من قنصلية فرنسا في جنيف أنها تلقَّت أمراً من نظارة الخارجية في باريس بأن لا تعامل التسريح اللازم على تذكرة جوازي إلى بيروت، فأبرقت إلى جميل مردم بواقع الحال فجاءني بعد أسبوعين جواب يفيدني أن المسألة تسوَّت وأنهم ينتظروني في دمشق. فيظهر أن الحكومة السورية فاوضت المندوب السامي الجديد وأنه وعد بتسوية المسألة مع باريس وهي علامة خير فيما يتعلق بالمعاهدة نفسها، ولكن لا يقال عن شيء من أعمالهم إنه قطعي يمكن الركون إليه. ولقد أرسلت إليكم بالعدد الأخير من «لا ناسيون آراب» بحيث أستغني به عن إعادة الكلام. ففي العدد المذكور شروح وافية ولا بد أن يكون الآن وصل إليكم، وأنا منتظر الآن أن يصدر لي العلم بإجازة السفر حتى أسافر إلى بيروت فأقيم بها وبالشويفات، ثم أذهب إلى دمشق فأبقى إلى شهر آب ثم أعود إلى جنيف. فإن كانت فرنسا ناوية الوفاء بما عاهدت عليه نقلت العائلة إلى البلاد وإلاَّ فربما أبقى في جنيف حتى نعلم ماذا يتمّ في القضية السياسية، لأن عدم تصديق المعاهدة يجعل لفرنسا سبيلاً أن تعود إلى الحكم الانتدابي ولا يمكنني أن أبقى حينئذ تحت ذلك الحكم.

ابن عمك

شكيب أرسلان

مودّة وإعذار

في شهر تموز سنة ١٩٣٩ م، كان أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في مصر، وكان الأستاذ الكبير فؤاد أباظة (باشا) مديراً عاماً للجمعية الزراعية وتتئذٍ، وبينه وبين أمير البيان صداقة ومودّة، فدعاه إلى حفلة شاي في برج السراي الكبرى في (الجمعية الزراعية) بالجزيرة، وأقيمت حفلة الشاي في اليوم الرابع من شهر تموز سنة ١٩٣٩، وكان المنتظر أن يحضرها الداعي إليها الأستاذ الكبير فؤاد أباظة، ولكنه اضطر في آخر لحظة إلى ركوب الطائرة إلى أمريكا لحضور معرض نيويورك ومنطقة زراعة القطن في نهر المسيسبي، وأناب عنه في استقبال الأمير وصحبه والحفاوة بهم رؤساء أقسام الجمعية، وأخبر الأمير قبل سفره. وجاء الأمير وحضر الاحتفال وأراد أن يداعب صديقه الكريم فؤاد أباظة، فتناول ورقة من الأوراق الخاصة بمكتب المدير العام للجمعية الزراعية، وكتب عليها بخطّه خطاباً موجَّهاً إلى السيد فؤاد أباظة، صاحب التكريم، وبعد أن ختمها ووقَّع عليها، دفع بها إلى بعض الأصدقاء الأدباء الموجودين في الاحتفال فوقَّعوا عليها وهم الأساتذة: عبد الوهاب النجار، كامل كيلاني، سيد إبراهيم، بهجت سعيد، أحمد محمود، عزيز فكري. نشرتها جريدة «منبر الشرق» بتاريخ ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٩ م، ٤ شوال ١٣٥٨ هـ. وهذا نصّ الرسالة:

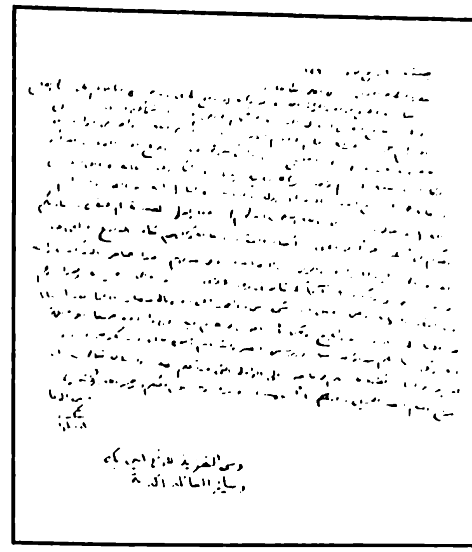
تحريراً في ٤ يوليو سنة ١٩٣٩

سيدي الأخ أدام الله سعادته وردّه إلينا على خير...

إنفاذاً لإرادتك التي لا تنسى شيئاً من المكارم، اجتمعنا نحن الأخوان الموقِّعين هنا، في عشية هذا النهار وشربنا الشاي، وأكلنا الحلويات، في هواء لا مثيل له، مشرفين من ذروة هذا البرج الشاهق، على هذه الجنة المحاذية له، وعلى هذا الوادي المقدس الذي هو كوثر الأرض. ونحن نذكر لك فضل الاجتماع الذي أنت باعثه، ولو كنت أنت في أمريكا، وبيننا وبينك ما بين المشرق والمغرب، فما أوسع ما بين الأشباح، وما أقرب ما بين الأرواح.

والله تعالى يقرّبك بالجسم، كما قرّبك بالروح، ويطلع علينا بدرك قريباً وأنت رافل في حلل السعادة والإقبال، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

شكيب أرسلان



وفاة الدكتور سعيد طليع

رسالة أملاها الأمير على أحد مساعديه وحملت في آخرها توقيعاً وحاشية من خطه، وهي رسالة تعزية بوفاة الدكتور سعيد طليع، موجَّهة إلى الشيخ حسين طليع الذي تولّى مشيخة عقل الدروز سنة ١٩١٧، وكان المرحوم الدكتور سعيد عَلَماً من أعلام السياسة ورجلاً صادقاً نبيلاً، وعضواً في اللجنة التأسيسية للحكومة الفيصلية عن جبل لبنان.

مؤرَّخة من جنيف، ١٠ ربيع الأنور، ١٣٦٠ هـ، ٨ نيسان ١٩٤١ م.

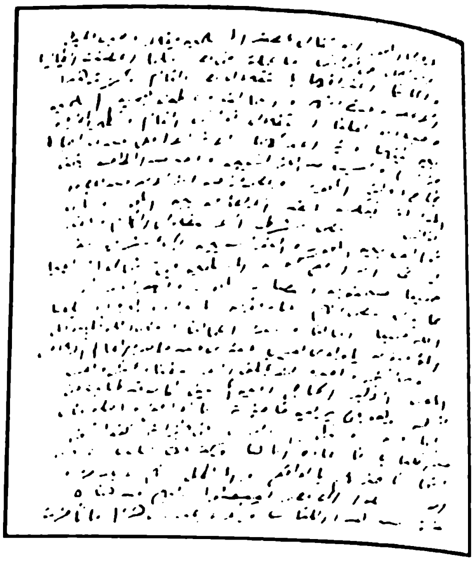
جنيف ١٠ ربيع الأنور ١٣٦٠/ حضرة الطاهر الجليل المفضل أطال الله بقاءه

بينما كنت أطالع في بعض الجرائد العربية الأميركية إذ وقع نظري ـ ويا المحسرة، ويا للألم ـ على النبأ الصادع والخبر الفاجع المتضمِّن انتقال الحبيب الشهم المتحلّي بغرر الشمائل، الذي كان محل احترام كل من عرفه نجلكم المرحوم الدكتور سعيد أكرم الله مثواه في جواره. فقد تأخرت معرفتي بهذا الخبر الفجيع وكنت دائماً على تخوُّف من وقوع هذا المصاب بعد أن تطاولت العلَّة بالمرحوم واحسرتاه عليه. ولكننا كنا دائماً نرجو بقاءه ونعلِّل النفس بشفائه إلى أن وقع القضاء الذي لا مردَّ له، والذي ليس لنا بإزائه إلا الصبر والتسليم وكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). حقاً إنها لمصيبة لم تخص سيادتكم وحدكم بل شملت عدداً لا يحصى من أحبَّاء الفقيد ومعارفه وكلهم بكاه بالدموع وتلقّى خبر فقده بالحسرات المتزايدة والزفرات المتصاعدة، وفي مقدمتهم هذا العاجز الذي كنت رأيته لآخر مرة في الإسكندرية آتياً لمشاهدتي وقت رجوعي من سوريا إلى سويسرا. وهذا بالرغم عن اعتلاله فإنه لم يكن يغفل عن شيء من دواعي المروءة. وبالاختصار فقلَّما فقدنا شاباً عزَّ علينا نظير الدكتور سعيد طليع، ولكن أمر الموت لا كلام فيه نحن واردوه جميعاً فلا حيلة فيه، ومثل سيادتكم من تؤخذ عنه دروس الصبر والتسليم لأمره تعالى، ومن يكون قدوة لغيره في أثناء الخُطوب فلستم في حاجة إلى المواعظ التي عن مثلكم تصدر، وأسأله تعالى أن يفرغ عليكم الصبر الجميل ويجعلكم مناراً يُهتدى بنوره. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مستمد الدعاء/ شكيب أرسلان

ومني التعزية للأخ أمين بك وسائر العائلة الكريمة.

استقلال تونس



رسالة من الأمير شكيب مؤرخة في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢، إلى الدكتور الطيّب الناصر، بخصوص استقلال تونس.

جنيف في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢

تُرجم نص جزء منه وأرسل إلى رئيس غرفة وزير الخارجية الإيطالية بخصوص استقلال تونس في ١٩٤٣/١١/١٤

حضرة ولدنا الأديب الفاضل الشهم الناهض الدكتور الطيب الناصر حفظه الله ودام توفيقه وسهَّل إلى كل خير طريقه آمين

كتبت إليك منذ بضعة أيام لا غير، وذكرت لك أن سبب احتباس كتبي عنك هذه المدّة كان غيابي مدة شهر أو أكثر بين زوريخ وبرن ولوزان ترويحاً للنفس، وعملاً بوصاية الطبيب الدكتور بيكل الذي بحوله تعالى وقوّته أبلغني من الصحة درجةً لم أكن أحلم بها والحمد لله اللطيف الخبير. ثم إني تلقَّيت كتابك المؤرَّخ في ١٢ الجاري وفهمت أنك استبطأت أخباري، فلا بدَّ أن يكون كتابي الأخير إليك قد وصل الآن إلى يدك، وأكرِّر إليك مزيد شكري على عواطفك النبيلة وعلى محبتك لي، ولا عجب فأنت بمقام ولدي غالب والابن يحب أباه ويدافع عنه في كل موقف، وكذلك الأب يحب أبناءه أكثر مما يحب نفسه، ويجتهد أن يكونوا أحسن منه، فأمَّا من أرسلت إليهم بالسلام فكلهم يذكرونك بخير، فحَرَمي وولدي ومحمد بك الحجازي وعلي بك وثابت بك عبد النور، وسفير الحجاز وإخوانك في لوزان والسيد الجابر في جنيف يهدونك أطيب السلام ويدعون لك ولرفاقك في روما بالتوفيق. وأشكرك على التهنئة بعيد النحر أعاده الله عليك عمراً طويلاً بالخيرات والمسرَّات وعلى أمة محمد أبد الدهر بالعزّ والنصر، ولا شك أننا نعيش في أيام تاريخية لها ما بعدها، وستضع حملها عن نتائج تعمُّ الشرق والغرب، ولكننا واثقون من كرم الله لا تهولنا الزعازع

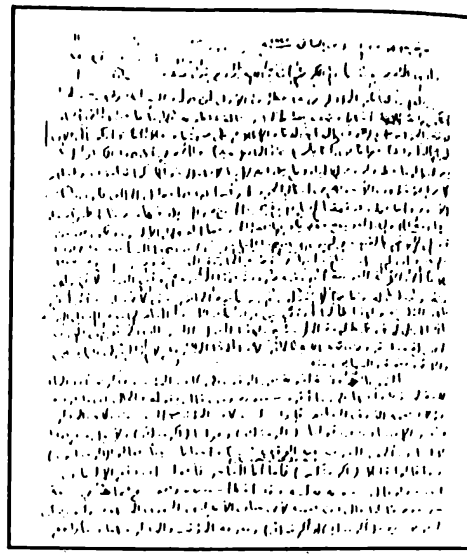
ولا تبالي بعناد المنازع ولا بدَّ للأمة العربية من أن ترقى وتصعد وللعام الإسلامي من أن ينجح ويسعد، وعسى أن تكون الحرب في شمالي أفريقيا خيراً كثيراً على الإسلام والمسلمين في تلك الديار، وسبباً يخلقه الله لأجل استردادهم حقوقهم المهضومة واستئنافهم مجدهم السابق، وبهذه المناسبة أقول إنه إن أرادت دول المحور أن تنال عضد المسلمين فعلاً وجب عليها أن تعمل في تونس ما عملته في مصر. فكما أعلنت إيطاليا وألمانيا اعترافهما باستقلال مصر التام وكرَّرتا هذا الإعلان مدة أشهر واستمالتا به عطف جميع المسلمين، وجب أن تعلنا استقلال تونس التام وتُظهرا الفرق بين نيّتهما ونيّة أعدائهما، لأنه لا أمل من مداجاة فرنسا وليس من الفرنسيين واحد من الألف يتمنَّى نجاح دولتي المحور، وعلى فرض أنه لا بدَّ من بعض المداراة، فيمكن عقد الاتفاق بين المحور وباي تونس سراً، على شرط الاستقلال التام وعد تحالف بين المحور والفرنسيين إلى عشرين سنة. يسرُّني أن أسمع كون المسلمين في شمالي أفريقيا جميعاً يتمنُّون انتصار المحور وقهر أعدائه، مما يدل على أنهم عارفون بالداء والدواء، أبلغنا الله جميعاً آمالنا وسدَّد أعمالنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

يا ولدي ليس عندي من حاضر العالم الإسلامي سوى نسخة واحدة لا يمكن الاستغناء عنها، ونفس المفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني كان قد طلب مني نسخة وهو في برلين فأخبرته بالواقع، وأحلته على البارون أوبنهايم الذي في خزانة كتبه نسخة من الكتاب، فأعاره إياها، وكذلك طلب آخرون نسخاً فأخبرتهم بالواقع، والمشكل أنهم لا يقدرون أن يرسلوا إلى مصر ليبعثوا إليهم من هناك بنسخ من هذا الكتاب، ولولا عذري هذا ما تأخرتُ طرفة عين عن إرسال نسخة إليكم. واهدوا سلامي إلى رفاقكم جمعية مصر في روما وإلى الشهم الوطني الناهض الدكتور أبي غنيمة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان

الأستاذ الفاضل الوطني زين العابد من السانوس أخذ نصّ الفقرة الخاصة بتاريخ ١٦/٢/١٩٤٣.



الأمير اللّغوي

رسالة بعث بها إلى الأمير نديم آل ناصر الدين في «كفرمتى» مؤرخة من جنيف، ٢٥ تشرين الثاني، ١٩٤٥ م. وفيها يظهر طرف من مساعي الأمير في سبيل جمع كلمة العرب وتوحيد قواهم، وفيها أيضاً إجابة عن سؤال لغوي، وقد كان الأمير سيِّداً في اللغة، ومرجعاً دقيقاً يُناء إليه(١).

جنيف في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

ولدي النديم وسندي الكريم أمدَّه الله بروح من عنده

تلقَّيت كتابكم المؤرَّخ في ١٥ تشرين الأول من هذه السنة، وفهمت منه أنكم منذ ثلاثة أشهر ونيف بعثتم لي برسالة منطوية على ما عانيتموه في أثناء هذه الحرب من التوق إلى أخبارنا والاطِّلاع على صحتنا وسلامتنا، وأنكم إلى الآن لم تأخذوا منَّا جواباً على كتابكم عسى المانع خيراً. والصحيح أن هذا الكتاب لم يصل إلينا قط ولو وصل لبادرنا بجوابه لأننا لا نهمل جواباً كما تعلمون، ولعلَّهم كانوا يؤخرون الأجوبة في أثناء الحرب أو فيما بعدها بقليل إلى أن تكون سكنت الأمور. وأما قول شقيقنا إننا سنذهب إلى مصر لنتقلَّد فيها منصباً خطيراً يتعلَّق بجامعة الدول العربية فقد يكون هذا الخبر مما دار على الألسن، ولكن هو من قبيل الرجم بالغيب وليس عند هذا العاجز شيء من هذا النبأ تستندون عليه، وإن كنت اشتغلت كثيراً في قضية الجامعة العربية، ونشرت سنة ١٩٢٣ بلاغاً إلى الأمة العربية أبيِّن فيه ضرورة هذا المشروع، وأن العرب لا غنى لهم عنه، وجعلت له برنامجاً لا يختلف عن برنامجه الحاضر حتى كأني كنت أقرأ في ظهر الغيب، ولهذا طالما راودني من عزام بك الأمين العام لجامعة الدول العربية ما يدل على كوني في طليعة المؤسِّسين لهذا العمل الكبير، الذي لم يوفَّق العرب إلى مثله منذ قرون. تمَّم الله بالخير لأن هذا المشروع لا يزال في بدايته والآتي يفوق السابق منه.

---

(١) من محفوظات الأمير نديم آل ناصر الدين.

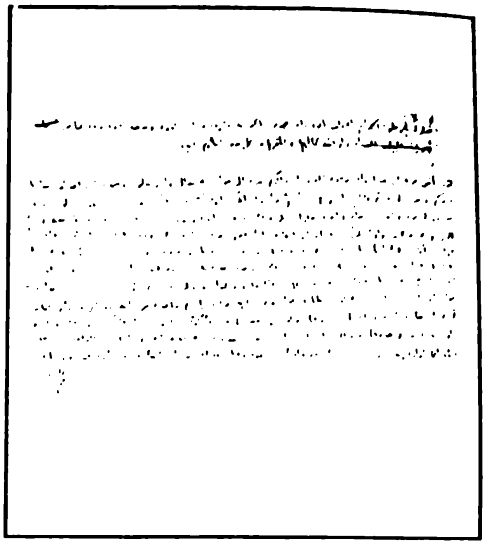
سألتمونا رأينا في قضية لغوية هي الوقف علي كاف المؤنث، وذكرتم أن علماء اللغة لم يزيدوا فيها على ما أقرَّه سيبويه ومن قال بقوله، والحال أن ما قرَّره هؤلاء يمجُّه الذوق السليم. فإذا سُكِّنَتْ كاف المؤنث التبست لكاف المذكر وتحيَّر الإنسان بين قولنا: «أكرمتكِ» وقولنا: «أكرمتكْ»، ولأجل منع هذا الالتباس ألحق العرب عند الوقف شيناً وأحياناً سيناً فقالوا: «أكرمتكش» وربما قالوا قليلاً: «أكرمتكس». فأما أنا العاجز فأقول إن دفع الالتباس واجب ولو قال سيبويه بعكسه، وقد أخطأ سيبويه وهو شيخ النحاة في سبعة عشر موضعاً كما قال ابن تيمية لأبي حيان الأندلسي النحوي المشهور، وكيف يمكن التفريق بين «أكرمتكِ» و«أكرمتكْ» ومعرفة المؤنث والمذكر منهما، وسأراجع مع ذلك كتاب سيبويه وإن كنت منذ الآن غير قائل بقوله ولا معتقد بعصمته، فهذا ما عندي في هذا الباب مبنياً على العقل السليم الذي هو عماد كل شيء.

في المدة الأخيرة اعتلَّت صحتي وصرت أتجنَّب المطالعة والكتابة إلا عند الضرورة، ولكن الأطباء المشهورين في جنيف يقولون لي إن هذا العارض يزول وأنه من تصلُّب الشرايين الذي قلَّما يخلو منه رجل بلغ سن الشيخوخة. ثم إني سائلكم عن قضية تاريخية لا تخفى على من كان مثلكم من الأدباء الراسخين، وهو أنه قد كنت أسمع من والدي رحمه الله خبر كتاب اسمه تاريخ (البشعقابي) كان منه نسخة عند الأمير محمد الأمين، فهل تعلمون شيئاً عن هذا التاريخ فإنه كتاب لأحد مجاوريكم، ويظهر أنه كتاب قيِّم في بابه نرجو الجواب عن هذه المسألة. وولدنا غالب يسأل خاطركم ونحن نهدي سلامنا إلى جميع أهالي كفرمتى ولا سيما إلى حضرة ابن عمكم مفخرة الشعراء وتاج الأدباء أمين بك ناصر الدين، وصار يلزم أن تبعثوا إلينا بجريدتكم «الصفا»، فقد قال القائل: خذ ما صفا ودع ما كدر.

وقبلاً نشرتم لنا تكراراً أول مقالة ظهرت من قلمنا ولكن بعض المغاربة آخذوها منا ووعدنا برجعها، إلا أن الأحوال عاقت عن هذا الأمر، فنرجوكم إذن أن تبعثوا إلينا بنسخة ثانية ويكون لكم الفضل العظيم. وسلامنا بخاصة إلى الشيخ أحمد ناصيف مصلح الذي نرجو أن يكون باقياً في قيد الحياة، ولا تستثنوا من السلام أحداً لأن جميع أهل بلدتكم أعزَّة علينا وما أرجو شيئاً مثل أن ألقاهم وأحدِّثهم وأسأل عن أحوالهم. فهل يمنّ الله بذلك إن الله على كل شيء قدير. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

شكيب أرسلان



المعزّي والمعزّى شريكان

وكان الأمير شكيب يشارك من بعيد، وهو في جنيف، أو في أي بلد أوروبي آخر، أو في أمريكا، أصدقاءه ومعارفه في ما يصيبهم من أفراح ومكاره، وهم منتشرون في جبل لبنان وسوريا، والعالم العربي والإسلامي. وهذه رسالة وجَّهها إلى الأخوين أمين وسعيد داود فياض من «مجدل بعنا» المغتربين في الولايات المتحدة الأميركية، يشاطرهما أحزانهما في فقد والدهما الذي كان الأمير شكيب يكنُّ له حباً وتقديراً. ويجب التذكير بأن سعيد وأمين كانت لهما جريدة «البيان» في المهجر، ثم تولَّى سعيد وحده إصدار جريدة «النهضة» وكانت لكلتيهما مكانة مرموقة في بلاد الاغتراب. مؤرخة من جنيف، في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ م.

جنيف في ٢٤ كانون الثني ١٩٤٦

حضرة الأجلاَّء الكرام المتحلِّين بالأوصاف الجديرة بالكرامة والاحترام أمين وسعيد أفندي داود فياض أصحاب جريدة البيان الغرَّاء زاد الله كمالهم وأبلغهم من كل خير آمالهم آمين

لقد بلغني بمزيد الأسف انتقال المرحوم المغفور له والدكم العزيز إلى جوار ربه تعالى، وأنتم تعلمون وضميركم لي شاهد أني أسرُّ بما يسرُّكم وأحزن لنما يحزنكم، فأنا أشارككم في السرَّاء والضرَّاء وأشاطركم الأفراح والأسواء، وعدا هذا الشعور المطلق كنت أعرف نفس المرحوم وأحبه وأجلّه وأعرف خلاله الطيبة الكثيرة ومزاياه العديدة الحميدة وحسن سمته وزكاء نعته وقربه للخير وتجنُّبه للشر، ولو لم يكن له من الحسنات إلا إنجابه إياكما غصني شجرة زكية وفرعي دوحة بهية قائمين حق القيام بواجباتهما الوطنية، لكان ذلك له كافياً وكان نوراً يسعى بين يديه في الدنيا والآخرة، ومما أتذكَّره عنه - رحمه الله - أني لمَّا ذهبت إلى سوريا سنة ١٩٣٧ على إثر المعاهدة السورية - الإفرنسية وتقاطرت الوفود لمشاهدتي بعد غيبة ٢١ سنة، كان الزحام كثيراً بحيث إن الوفد لم يكن يجلس إلا هنيهة مع سعة المكان وذلك ليتركوا دوراً للآخرين، فلما جاء وفد مجدل بعنا والمرحوم من الجملة لم يشربوا القهوة حتى نهضوا منصرفين فقلت له: أنا أنت فلا بد أن تبقى لأراك ملياً. وهكذا منعته من الانصراف أكثر النهار ثم شاهدته مرة ثانية عندما زرت منزلكم العامر

في مجدل بعنا، وفارقته وأنا أؤمل أن أراه فيما بعد لولا أني رجعت إلى جنيف ولولا أن المعاهدة انتقضت، فلمَّا علمت أخيراً بارتحاله أوحشني جداً مع علو سنه لأنه بقي حافظاً قواه إلى ساعة الفصال، وتصوَّرت مقدار وحشته من حرمانه رؤيتكما في تلك الساعة الأخير جعل الله لكما طول الأجل من بعده وألهمكما الصبر والعزاء على فقده وعظَّم الله أجر بني فياض جميعاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

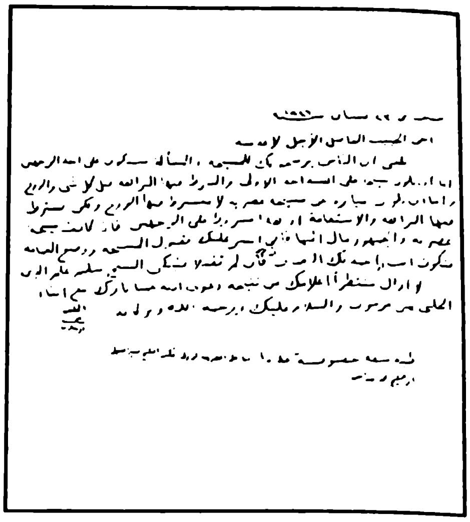
شكيب أرسلان

العيد الخمسيني ـ الذي أصبح الآن عيداً ستينياً ـ الذي تكرَّمت به عليَّ الجالية العربية في أميركا الشمالية، وكيف ينسى الإنسان قلادة هي في عنقه فجزاه الله عني أفضل ما يجزي أحداً من عباده وعزَّانا وعزَّى أهله وعموم الجالية العربية على بعاده، إنه كان عنوان أدب خلا وصحيفة فضل انطوت ونجماً هوى وزنداً خبا ففقده جميع المهجر وذكره الناس بأطيب الثناء إلى يوم الحشر.

شكيب أرسلان

جنيف في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٦

الأمير ومشيخة العقل



وكان الأمير يدلي بآرائه وأفكاره، ويعطي توجيهاته الرشيدة في شتَّى الأمور العامة في البلاد. وقد استشير بشأن مشيخة العقل فأعطى رأيه بالموضوع كما هو واضح في الرسالة، وقد تسلَّم المشيخة بعدئذٍ المرحوم الشيخ محمد عبد الصمد، كما أشار الأمير. مؤرَّخة من جنيف، ٢٣ نيسان ١٩٤٦ م.

جنيف في ٢٣ نيسان سنة ١٩٤٦

أخي الحبيب الفاضل الأجل لا عدمته

بلغني أن الناس يرشِّحونك للمشيخة والمسألة ستكون على أحد الوجهين، إمَّا أن يكون شيخاً على السذاجة الأولى والشرط فيها النزاهة قبل كل شيء والورع، وإمَّا أن يكون عبارة عن مشيخة عصرية لا يشترط فيها الورع ولكن يشترط فيها النزاهة والاستقامة إذ هذا مشروط على الوجهين، فإن كانت مشيخة عصرية والجمهور مال إليها فإني أشير عليك بقبول المشيخة ووضع العمامة فتكون أنت وأحمد بك النعمان إن رضي، فإن لم تقبلا فليكن الشيخ سليم علم الدين.

لا أزال منتظراً إعلامك عن نتيجة دعوى ابنة عمنا نازك مع أبناء الحلبي من عرمون. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان

طيّه شقة خصوصية بخط يدنا أما على الطريقة الأولى فليكن الشيخ بشير العقيلي أو الشيخ محمد عبد الصمد.

العاهل العراقي فيصل الأول

كتاب بعث به الأمير شكيب إلى العاهل العراقي الراحل فيصل الأول، تحدَّث فيه بإسهاب عن اختراعات كامل حسن الصباح (١٨٩٥ ـ ١٩٣٥)، وعن ضرورة الاستفادة من مشاريع التنمية في البلدان العربية عامة، وفي العراق خاصة. نشرت في مجلة «العروبة» الجزء الخامس، نوار (أيار) ١٩٤٧ م.

يا جلالة الملك.

إن أنجع وأسرع طريقة لتقدُّم الأمم المتأخرة بالثقافة والحضارة هي أن لا تتبع خطوات الأمم التي خطتها من قبل، بل أن تأخذ رأساً برقاب المستحدثات العلمية والصناعية التي تقوم بها تلك الأمم الراقية في الوقت الحاضر. إن هذه الطريقة لا تؤدي إلى مساواة الأمم الراقية فحسب بل ربما أدَّت إلى التفوُّق عليها. وما عهدنا باليابان والولايات المتحدة ببعيد.

وإن أمتنا العربية بحمده تعالى لا يوجد أمامها عائق. فإن بإمكاننا أن نأخذ برقاب أحدث وأجود وسائل التمدُّن، التي تمكَّن من التوصُّل إليها البحث العلمي بدون أن نخسر الملايين بإهمالنا الطرق والوسائل العمرانية الموجودة، لأن ليس لدينا منها شيء.

ما زالت القوة أساساً متيناً يبنى عليه التمدُّن بصرف النظر عن الهيئة التي تتجسَّم لنا بها. وفي بلادنا العربية منابع للقوة عديدة أهمها أو بالحري أظهرها آبار الزيت الموصلية، رب قائل يقول: إنا نستمد مبلغاً كبيراً من المال وهذا خير ما يمكن عمله الآن، فلندع شركات الزيت تمتص ذلك السائل الذي تستمكن بين دقائقه قوى طبيعية هائلة ولنكتف بالمال. المال ليس بالقوة بل وسيلة خيالية للتوصل للقوة فغايتنا القصوى هي القوة لا المال وعلى الأخص القوة الكهربائية. إن تلك القوة هي التي ستدفع بقومنا وبلادنا إلى مصاف الأمم الراقية.

إن أميركا التي هي في مقدمة تلك الأمم بدأت تكهرب مزارعها وطرقها الحديدية ومصانعها ومعامل البحث والاستقصاء العلمي، التي هي منبع للمستحدثات العلمية والصناعية وحاملة منار التقدم البشري، لا يقوم لها قوام بدون القوة الكهربائية. وكذلك أكثر المواد الكيمائية الحديثة والمصانع التي تستخرج بها ومعامل الطيارات الحديثة والسيارات كلها يتوقف على القوة الكهربائية.

إن من صالح شركات الزيت أن تأخذ منها زيتاً خاماً عوضاً عن المال، إلا أن من صالح الأمة

العربية أيضاً أن تأخذ منها الزيت عوضاً عن المال، وتحوّل ذلك الزيت إلى قوى كهربائية تسير عليها عوضاً عن البخار كما بدأت تفعل أميركا وروسيا، ونورد الكهرباء للمزارع ونحوِّل بتلك القوى الكهربائية المستنقعات الشاسعة إلى مزارع خصبة يأوي إليها مئات الألوف وتنتج ما كان يكفي لمئات الحكومات وتجعل أمم الغرب تحترم إرادتنا. كصنع الطيارات والمناطيد وما شاكلها، ونؤسس معاهد للبحث والاستقصاء العلمي. تلك المؤسسات التي ربما كان نتاجها أن تحوِّل الصحراء العربية إلى بلاد معمورة آهلة بالسكان، وذلك يمكن حصوله مثلاً بدرس المبدأ الذي دعمه العالم الطبيعي العربي حسن كامل الصباح لتحويل أشعة الشمس إلى قوة كهربائية رأساً، كما هو ثابت في سجل الاختراع عدد ١٧٤٧٩٨٨ المسجَّل باسمه في واشنطن وفي البلجيك وكندا وإنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان وإسبانيا وأستراليا والهند وزيلاندة ووحدة أفريقيا الجنوبية.

وبما أن الشركة لم تسجِّل مخترعاته الفائتة في العراق وقد نشرت ووزَّعت النشرات فلا يحق لها أن تسجِّلها الآن، ويمكن صنع تلك الآلات بدون أن ندفع للشركة عليها (رويالته).

سأبيِّن فيما يلي أهم المخترعات التي تختص بتوليد الكهرباء وتوزيعها واستخدامها والتي اكتشفها عالمنا العربي السالف الذكر:

١ ـ إن شركة الكهرباء في أميركا وفي أوروبا ما زالت تحاول اكتشاف وسيلة لمنع حدوث انفجار كهربائي في المقومات الكهربائية التي تستخدم القوس الكهربائي لتحويل القوة الكهربائية من متحوِّلة إلى مستقيمة، وكان القوم وعلماؤهم قد صرفوا ما يقارب العشرين عاماً في هذا السبيل دون جدوى، حتى تمكَّن عالِمنا العربي من اكتشاف طريقة مستحدثة ومبدأ للتقويم جديد قضى على ذلك الانفجار، وعند تجربته تبيَّن أن القوة الكهربائية قد زيدت أربعة أضعاف بدون أن تحدث انفجاراً كهربائياً في الأنبوب الكهربائي الذي ينفجر بربع تلك القوة في الطريقة القديمة.

٢ ـ استخدام تلك الطريقة المستحدثة كمعكس «أي ضد المقوّم» وهي أن تستخرج قوة كهربائية متحوِّلة من قوة مستقيمة، وفعلاً أنشأ معكساً وجرَّبه فنجح ثم وضعه موضع العمل، فما زال قائماً بعمله حق القيام ما يزيد عن الثلاثين شهراً بدون عطب أو عطل. على أن مناظري عالِمنا العربي ما فتأوا يحاولون التفوُّق عليه باتِّباع الطرق القديمة، وأطول مدة قضتها أجهزتهم في العمل لم تزد على أسبوعين، ثم اضطروا لإصلاحها أو تغييرها.

٣ ـ تمكَّن عالِمنا العربي من البرهنة بطرق رياضية محضة على أن بالإمكان استحصال أية قوة كهربائية مستقيمة يختلف قدرها عن القوة المستقيمة الأولية من المعكس السالف الذكر بدون استخدام مقوم. وقد تبين بعد التجربة الفعلية أن نتائجه الرياضية كانت مطابقة تمام المطابقة لواقعة

الحال. إن هذه المبادىء الثلاثة ذات أهمية كبرى في كثير من المشاكل الكهربائية واستعمال الكهرباء، غير أن أهم مشكل يحل بموجبها هو نقل القوة الكهربائية المستقيمة تحت ضغط عال. تولد القوة الكهربائية من مولد متناوب ذي ضغط عالٍ متكرر يفوق الأربعمائة بالثانية (وهذا يجعل ثمن المولِّد أرخص وأخف وزناً مما يُصنع الآن بثلاث مرات) يرفع هذا الضغط العالي إلى ثلاث مائة وخمسين ألف فولت ويقوِّم بطريقة عالِمنا ابن الصبَّاح، ثم يبعث على متن الأسلاك التي تتحمَّل ضغطاً لا يفوق المائتين والعشرين ألف فولت قوة متحوِّلة، والفرق هذا عائد إلى الفرق بين القوة المسجَّلة والقوة المتحوِّلة. باستعمال مغير القوى المستقيمة الذي تكلَّمت عنه في البند الثالث يمكن تخفيض تلك القوة الهائلة لأي قوة نشاء استعمالها بأي نقطة شئنا من نقاط الأسلاك الناقلة، كما لو كانت القوة العالية المبعوثة قوة متحوِّلة متناوبة. غير أن استعمال القوة المستقيمة لا تستلزم المصغيان الكهربائية والموفقات ومصحِّحات مسمى العزائم وغيرها من الأجهزة الضرورية فيما لو كانت القوة متحوِّلة متناوبة.

٤ ـ تمكَّن عالِمنا العربي من إنشاء محرك متوافق بدون إطارات النحاس، وإطارات النحاس تلك تحتاج للمسح والتنظيف وعليه فإن استعمالها محفوف بالمخاطر.

٥ ـ باستخدام المبادىء المشروحة في البند الأول والثاني والرابع نتمكَّن من إنشاء محرِّك جامع بكل نواحي المحرك المسمى «Seks.D.S.Motor» ويختلف عنه بأنه يمكن تحريكه بقوة ذات تكرار متحول عالٍ أو ثابت منخفض، أو عالٍ يمكن تغييره كما هي القوة المستمدة من المولِّد الذي تحركه «Torbogeneator» ويمكن تحريك ذات المحرك بسرعة يمكن تغييرها بإرادة الناظر بدون الأجزاء المعرَّضة للخطر والتي تجعل حداً لا يمكن تجاوزه من حيث السرعة الكهربائية. توصَّل إلى عمل ذلك المحرك بأنابيب تسمى تيراطرون «Thyratrons» وبتغيير القوة المسلَّطة على ضوابط تلك الأنابيب الكهربائية يمكن تغيير سرعة المحرك لأي قيمة شئنا، وبالنتيجة ضبط سرعة القطار بأجمعه بلولب صغير لا يزيد حجمه على اللولب الموجود على آلة الراديو، وعليه يستطيع أي كان ولو كان ولداً صغيراً من تحريك القطار بأجمعه بتدوير اللولب بإصبع من أصابعه. وهذا لا يشمل القطرات الكهربائية فقط، بل يمكن استخدامه لسيارات الزيت الخام من الموصل بدون تصفيته كوقود للتوربين التجاري وهذا رخيص جداً... يمكن شحن البضائع في تلك السيارات في الهند وشحن تلك السيارات مع حمولتها على ظهر البواخر إلى ميناء البصرة، ومنها تسير بقوة التوربينات والمولِّد والمحرك الكهربائي إلى بغداد حيث تحمل من الوقود الزيت الخام بثمن بخس،

ومنها تسير إلى مصر أو سوريا وتشحن بحمولتها إلى إنكلترا أو إلى أي بلد أوروبي، ويمكن استخدام القوة الكهربائية المستمدَّة من السيارات نفسها لتسيير البواخر. إن طريقة التوربين البخاري والمولِّد الكهربائي التي لا تستلزم غاسولين مصفًّى بل تكتفي بالزيت الخام البخس الثمن من آبار الموصل، يمكن استخدامها لتوزيع القوة الكهربائية على المزارع وتجفيف المستنقع وإرواء الظمآن من الأراضي العراقية بجوار الفرات والدجلة، وجعلها صالحة لسكن الفلاحين واستدرار الخيرات التي تعمّ البلاد، وترفعها إلى المستوى المنشود. بعض من اختراعات عالِمنا العربي الذي يمكن استخدامه لترقية أمتنا العربية.

وهو وإن لم يخترع غير ما اخترع فإن بالإمكان استخدام تلك المخترعات في العراق دون دفع أي مقابل لشركة الكهرباء العامة كما مر آنفاً. وهو أقدر مهندس على استخدام تلك المخترعات لأنه هو مخترعها. وعليه فإنه يجعل العراق سابقة لغير أمم في هذا المضمار لأن مهندسي بقية الأمم الذين يحاولون استخدام مخترعاته في بلادهم يراجعونه في خصائصها لأنه أدراهم بها. علمت من محادثة دارت بيني وبينه أنه لا يود أن يذهب إلى العراق ويشغل كرسي حكومة لمجرد المفاخرة به بين أمم أوروبا، ولمجرد البرهنة للصهيونيين بأنهم لم يحدِّثونا بل أن تتبعنا التمدُّن من أنفسنا. بل يشترط أن يكون بإمكانه القيام بالأعمال النافعة كما يراها. ذكرت بيت القصيد فيما مضى أنه أسهل على الأمم المتأخرة أن تبدأ بإنشاء اختراع جديد واستخدام أحدث الأساليب لإنشاء التمدُّن في بلادها من الأمم السابقة في مضمار التمدُّن، لأن هذه الأساليب تضطر معها لخسارة الأموال المبذولة عليها، بينما هذه الأمم للعراق لأن يقوم بالأعمال اللازمة لكهربة البلاد فيمكن التوليد بطريقتين، إمَّا بالمحرِّك الديزلي أو بالمحرِّك الطوربيني وكِلا المحرِّكين يستخدمان الزيت الخام بدون تصفية وهذا يمكن شراؤه من آبار الموصل بأبخس ثمن. ربما أظهر البحث أنه سيكون أنسب من الوجهة الاقتصادية أن يؤسس مصدر قوة كبيرة في الموصل، يحوَّل فيه الزيت الخام رأساً بدون تصفية إلى قوة كهربائية، ونقلها بصورة قوة مستقيمة عالية كما أوضحت سالفاً إلى البصرة والشام وبيروت ومصر وبلاد العجم وداخلية بلاد العرب بفضل المخترعات الحديثة.

الفهـرس



١٨٦٩ـ١٩٤٦

أعلم أنّ جهادكم في تهذيب الأنفس وإقامة الشريعة على قواعد العلم، وأخذ المؤمنين بحقيقة الدين، وإثلاج الصدور ببرد اليقين، هو الجهاد الأكبر والبلاء الأسنى، والذي فيه استكمال الحسنى، وإن الأمة التي تفهم الدين فهمكم، وتفقه الشرع فقهكم، لا يُخشى عليها من اعتداء إيطالي، ولا استبداد أجنبي.

ولكن جهادكم هذا غرس لم يحن إيناعه، وزرع لم يئن ارتفاعه، ودون وصول ثمرته إلى درجة الوفاء بالغرض أيام وليال، وأعوام طوال، بما رسخ من الأوهام، وسلك العقول من صدأ الترهات.

ونحن الآن في خطب مستعجل الرأب، وفتق مستلزم سرعة السد، ولا يفيدنا فيه تعنيف مفرط، ولا لوم مقصّر، ولا جواه خائن أو مستهتر، ولا يغنينا مع إلحاح وافد الشرّ، واطلال نازل البأس، إكبار الإهمال، والوقيعة بمدبري هذه الأعمال، بل علينا قبل ذلك واجب أعجل، وهو تلافي ما فرّط فيه غيرنا، وإبلاء العذر فيما يطلبه الرأي العامّ منا.

شكيب أرسلان